حسن نصر الله

ثائر من الجنوب

د. رفعت سيد أحمد

القصة الكاملة





د. رفعت سيد أحمد



■ هذا الكتاب

فى إحاطة وإلمام سياسى وإنسانى رائع، يقدم الكاتب والمفكر المصرى د. رفعت سيد أحمد، فى كتابه هذا، سيرة المجاهد الكبير حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله، ويقدم قصة صعود وانتصار حزب الله، وجناحه العسكرى (المقاومة الإسلامية) على العدو الصهيونى وتحريره الجنوب اللبنانى من براثنه وعملائه بقيادة الجنرال المتصهين أنطوان لحد. وفي هذا الكتاب نقرأ قصة العبور اللبنانى من نيران الفتنة والحرب الأهلية إلى رحابة الوحدة و التضافر خلف الحزب المنتصر (حزب الله) الذى علم وتعلم التدريب الصحيح للأولويات، وإلى من يوجه الرصاص. فى تلك الحرب المفتوحة مع الاحتلال التي توازره و لاتزال أعتى إمبراطورية عسكرية فى العالم.

و يتعرض الكاتب بالوثائق لمرحلة ما بعد اغتيال رفيق الحريرى، وأبعاد المؤامرات الأمريكية الإسرائيلية على سوريا و لبنان و بالتأكيد على حزب الله الذى مثل - ولايزال - رأس الحربة للنضال العربى و الإسلامى ضد أركان هذه المؤامرة، ويقدم لنا المؤلف عبر تحليل دقيق رؤى السيد حسن نصرالله لفتنة ما بعد اغتيال الحريرى منفذاً حجج دعاة الهزيمة من الساسة و الكتبة الذين يمثلون طابوراً خامساً ضد أمتهم، وضد رموزها المضيئة والذين يأتى (حسن نصر الله) فى القلب منهم.

إننا أمام عمل هام بكافة المعايير، عمل شامل ولأول مرة، يقدم من خلاله قصة ثائر من الجنوب، الجنوب اللبنانى و الجنوب الإسلامى والجنوب العربى ثائر ضد غزاة الشمال. الشمال الأمريكى/ الأوروبى / الإسرائيلى، انه الثائر المعمم / حسن نصر الله وما أجمله من ثائر، و ما أقدسها من قصة.

977-376-206-8
KAMEL GRAPHICS
دار الكتاب العربي
دمشق القاهرة

لماذا هو ثائر من الجنوب ؟

عندما تتعرض أمة لغزاة متوحشين ، وتُتهم مقاومتها ، بأنها إرهاب ، وينعت دينها بأنه دين عنف ، وتُنتهك مقدساتها وتحتل أرضها؛ عندئذ لابد من أن يبزغ من بين ظهرانيها ثائر ،وثائرنا جاء من الجنوب الإنسانى ، الجنوب الإسلامى والعربى ، جاء فى مواجهة غزاة الشمال " الأوروبى – الأمريكى – الإسرائيلى " ، وهو ثائر مُعمم ، تحمل ثورته عبق التاريخ ، وروح الحسين مخضَباً فى دمه ، فى كربلاء ، ولأن كربلاء لاتزال حاضرة فينا وفى عالمنا المعاصر . كان لابد وأن يأتى حسن نصر الله ، الثائر المعمم لتلتقى الثورة بالعمامة مجدداً ، معلنة عن بدء عصر جديد من العزة والكرامة والانتصار ، انتصار لا يقبل الدنية فى الدين ، ولا فى الدنيا ، انه كتاب يلتقى فيه مجدداً "الحسين" بـ "الحسن" فى ثورة مُعَمَّمة آتية أيضاً من الجنوب : ألم تكن كربلاء فى الجنوب ؟!

(المؤلف)



مقدمة

حسن نصر الله : تحت العمامة ثائر

فى يوم مَّا ...

وبعد أن يتغير التاريخ .. وتعاد كتابته من جديد ويتولى زمام قراءته الشرفاء ، سيذكر (السيد) كعلامة مهمة ، ليس فى تاريخ بلاده أو منطقته فحسب ، بل فى تاريخ العالم كله ، و" السيد " الذى نعنيه هو سماحة الأمين العام لحزب الله ؛ حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن نصر الله ، سيذكر السيد – والكلمة تعنى لدى الإخوة الشيعة أنه من نسل الرسول وآل بيته الأطهار (على – فاطمة – الحسن – الحسين)، سيذكر كرمز للعزة والكرامة حين يراد لهما أن يتجسدا فى سلوك أو موقف ، سيذكره التاريخ كواحد من كبار صنَّاعه ، رغم صغر حجم دولته ، وقلة عدد مواطنيها وضعف بنيتها الاقتصادية والعسكرية ، وتناقض تركيبتها السياسية الطائفية ، لقد جاء " السيد " ليتجاوز كل هذا ، ويعيد للبنان مجده الذى سلب بالاحتلال والعمالة ، وليضع بلده الصغير فوق قامة الكبار ، ويجبر المتغطرسين منهم على الاعتراف به وبفضله .

* لقد مثَّل (حسن نصر الله) ملحمة جهادية ، غيرت مجرى الحياة فى هذا الشرق الساكن ، الصامت ، المصاب بداء الاستكانة والخنوع ؛ ولم تكن ملحمة (نصر الله) مجرد انتصار عابر لحزب مجاهد قاده رجل قدوة ومثال ، بل كانت قصة حياة كاملة لخصت وكثفت التاريخ ، فى لحظة ؛ وأجبرت الطغاة على أن يتراجعوا ويكفوا عن فسادهم وطغيانهم فى الأرض .

* الأمر ليس أمر مبالغة : وبلاغة لفظية .. فالرجل الذى نتحدث عنه والذى وُلد فى العام ١٩٦٠ استطاع عبر ثلاثية من القيم أن يعيد كتابة التاريخ ، وأن يجعل من بلده (لبنان)،ومن حزبه (حزب الله) ومن مقاومته (المقاومة الإسلامية) رقماً صعباً ، على قوى الشر التى تريد إعادة ترتيب العالم انطلاقاً من هذه المنطقة ، أن تتجاوزه أو تغفله، بل يستحيل عليها أصلاً أن تؤسس لعالمها الجديد القائم على الإجرام والسرقة

وتدمير الدول ، دونما الانطلاق من فرضية القضاء الكامل على هذا الحزب بمقاومتــه وسيدها. إن ثلاثية القيم التى أسسها حسن نصر الله مثلت استراتيجية جديدة لمن يريـد الانتصار على عدو لا يحتل أرضه فحسب بل يحتل العقل والروح أيضاً ، ويجند من أصحابهم عملاء يزيد عددهم عن العشرين ألفاً فى بلد لا يتعدى عدد سـكانه خمسـة ملايين . " استراتيجية نصر الله " كانت تمثل قيم (الثقة فـى نصـر الله - التضـحية والقدوة - ترتيب الأولويات) أعمدتها الرئيسية ، التى إن امتلكهـا أحـد فإنـه حتمـاً سينتصر تماماً مثلما امتلكها وآمن بها (أبو هادى) "وكان حقاً علينا نصر المـؤمنين " صـــدق الله العظيم
[سورة الروم - آية ٤٧].

****

(١)

* يحدثنا التاريخ اللبنانى الحديث ، أن إسرائيل دخلت لبنان عدة مرات غازية ومحتلة، منذ العام ١٩٤٨ إلى أواخر السبعينيات (تحديداً عام ١٩٧٨) حين غزت لبنان وبقوة ودمرت كعادتها وطبيعتها الزرع ، والبشر ، ومرافق الحياة ، ثم عادت بعد أربع سـنوات عـام ١٩٨٢ لتقوم بغزوها الأكبر الاستيطانى ، ولتصل إلى قلب بيـروت ، بحجـة مطـاردة المقاومة الفلسطينية التى كانت تقيم وقتها فى لبنان وتشن من خلالها عمليـات مسلـحة - محدودة الأثر - على العدو ، وحاصرت مقرات ياسر عرفات وفصائله فـى بيـروت وضواحيها إلى أن استسلم وتم ترحيله وتوزيع قواته على ٩ دول عربية ، وخضعت لبنان وسياسيوها لبطش المحتل الذى كان يتجول مطمئناً فى شارع الحمراء والضاحية الشرقية متخذاً من فندق الكسندر مقراً عسكرياً له ، ساعتها ضرب اليأس والإحباط نفوس العديـد من القوى التى كانت تقاتل قبل ذلك ؛ إلى حد أن بعضهم - ومنهم الشعراء من اليسار - انتحر يأساً وقنوطاً وكأن هذا هو السبيل لرفض الاحتلال ، وبعضهم الآخر انـتظم فـى مقاومة سرية غير فعالة وعشوائية لم تؤثر فى مسار الاحتلال وركائزه .

* هنا ...

* وهنا فقط ولد حزب الله ، ولد كرد فعل طبيعي على إخفاق البدائل الأخرى في المقاومة أو ضعفها أو انتحارها على أبواب الاحتلال ، ولد وسط حالة إحباط وقنوط ولد مع هبَّة الثورة الإسلامية في إيران التي ساهمت في خلق جيل جديد من الإسلاميين الثوريين ، ونشرت مع رياح تمردها ، قيماً وثقافة جديدة ، تحتل " المقاومة " سلم أولوياتها ؛ وفي البقاع الغربي ، تحديداً في مدينة (بعلبك) تشكلت النواة الأولى لهذا الحزب الفتي ومقاومته المسلحة ، تلك المقاومة التي بدأت في العمل في الأيام الأولى التي تلت سقوط بيروت ، وارتبطت المقاومة بالسلاح ، مع نشأة الحزب ،والذي لم يعلن عن اسمه إلا بعد سلسلة من العمليات البطولية الفذة وعلى رأسها كانت عملية فاتح عصر الاستشهاديين الشهيد أحمد قصير يوم (١١/١١/١٩٨٣) حين فجر نفسه وهو يقود سيارة محملة بمئات الأطنان من المتفجرات ، مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي في صور ، فاهتز الجنوب لدوي انفجارها ، بما في ذلك قريته المجاورة وفرح اللبنانيون بما في ذلك والد الشهيد (الذي التقاه كاتب هذه السطور لاحقاً) والذي لم يكن يعلم أن ابنه هو من قام بهذه العملية النوعية الفذة إلا بعد عامين على استشهاده، حين أبلغه قادة الحزب الجديد الذي أعلن عنه قبل أيام بذلك ، ونقصد به (حزب الله) .

****

(٢)

* إذن تشكل الحزب ، وتشكلت مقاومته المسلحة أو جناحه المسلح (والذي سُمي بالمقاومة الإسلامية) في أتون الحرب ، ووسط القصف والدماء وكان من بين أبرز المؤسسين في الاثنين الحزب والمقاومة ؛ السيد حسن نصر الله ، والذي لفت الأنظار مبكراً لنبوغه وعلمه وإخلاصه وجهاده ، لقد أحبه معلماه البارزان الشهيدان (الشهيد الشيخ راغب حرب شيخ المقاومة في الجنوب الذي استشهد عام ١٩٨٤) والشهيد السيد عباس الموسوي الأمين العام السابق لحزب الله والذي استشهد في فبراير / شباط ١٩٩٢ ، لقد غرسا فيه قيم التضحية والفداء ، والوعي المبكر بخنادق الأعداء

والأصدقاء ولعبت نظرية التحدى والاستجابة التى أسسها العالم والمؤرخ الانجليزى الأشهر أرنولد توينبى ، دورها ، فحينما يوجد تحدٍّ تخلق الاستجابة له ، ولبنان وقت بزوغ نجم " السيد " كان يعيش لحظة تحد كبرى من أهم لحظات تاريخه الحديث بعد الاستقلال ، لحظة الاحتلال الكامل لبلاده وسقوط عاصمته والتى كانت أول عاصمة عربية تسقط تحت أقدام الاحتلال فى العصر الحديث .

ولّد هذا التحدى ، استجابة لم يكن يصح ان تكون أدواتها هى ذات الأدوات التى هُزمت من قبل أمام هذا الاحتلال لم يكن بد من أدوات جديدة ، فكانت العقيدة والإيمان بالله والثقة فى نصره والترتيب الصحيح للأولويات واستعداد القادة للاستشهاد والتضحية ، تلك كانت أدوات (حزب الله) وركائز تجربته ، وانطلاقته ، والتى كان (السيد) وقتها فى القلب منها ، مقاتلاً فى إقليم التفاح ، ومجاهداً متجولاً على كافة جبهات القتال ، وقتها ارتفع الشهيد الشيخ راغب حرب شهيداً (فبراير / شباط ١٩٨٤) بعد أن وقف بصلابة ضد قوات الاحتلال فى الجنوب ، وقال قولته الشهيرة عندما أراد القائد الإسرائيلى الذى احتل قريته أن يتحدث معه أو يصافحه فرفض وسط جموع الشعب وقال " الكلمة موقف والمصافحة اعتراف " .

وتوالى الشهداء والاستشهاديون من أبناء هذه المقاومة النقية ، التى حاولت قدر المستطاع أن تنأى بنفسها عن فتن الحرب الأهلية وأمراضها ، فاكتسبت الاحترام والتقدير من الأعداء قبل الأصدقاء ، وبعد سلسلة من الخلافات داخل الصف الشيعى الذى انقسم إلى فريقين : فريق حركة أمل بقيادة نبيه برى وفريق حزب الله بزعامة السيد عباس الموسوى ، وبدأت الكفة العددية والجهادية تميل تدريجياً ناحية حزب الله الى أن كان العام ١٩٩٠ عام غزو صدام للكويت ، وكان الحزب ومقاومته وقتها محاصراً من الأهل ومن الأعداء معاً ، فكان فضل الله عليه عظيماً حين انقلبت المعادلات الإقليمية لصالحه ، وبدأت سوريه تنشغل بحرب الكويت ، وتدخلت إيران على الخط ، فأنقذ حزب الله من صراعات الأهل والأعداء وتدريجياً وبدأ يستعيد قوته

الضاربة ليصير الجنوب كله تحت سيطرة هذه المقاومة ، التى زادتها دماء الشهداء قوة وتصميماً ، وكان لاستشهاد الأمين العام للحزب وقتها السيد عباس الموسوى (فبراير / شباط ١٩٩٢) الدور الأكبر فى إشعال روح الجهاد وتوسيع دائرته ، كان اليهود ساعتها يتصورون – بحكم غبائهم الدنيوى المعتاد – أن قتل رأس المقاومة سوف يقضى عليها أو يضعفها ، إلا "إن حزباً يستشهد أمينه العام لا ينهزم" تماماً مثلما قال الشهيد الدكتور فتحى الشقاقى مؤسس الجهاد الإسلامى فى فلسطين حين بلغه نبأ استشهاد السيد عباس الموسوى ، وفوجئ العدو ، بأن الذى تولى أمر الحزب والمقاومة بعده كان الأقوى والأبرز والأشد حمية وجهاداً ، لقد كان فتحاً من الله أراده لهذه البلاد ولهذا الحزب لقد جاءهم السيد حسن نصر الله ، شاباً وقتها لم يكمل الثلاثين من عمره، يمتلك خبرة الجهاد والقتال العملى من (١٩٨٢ – ١٩٩٢) وخبرة الفهم الدينى المستنير منذ تتلمذ على أيدى السيد موسى الصدر مؤسس حركة أمل الأولى النقية، ويمتلك وعياً متجاوزاً لفتن الطوائف وصراعاتها المميتة ، جاءهم " السيد " المعمم ، وقد اختزن حكمة السنين وثورتها منذ جده الإمام الحسين (رضى الله عنه) وحتى معلمه وأستاذه وصديقه (السيد عباس الموسوى) .

* إذن جاء السيد ..

* وبدأت مرحلة جديدة لا فى تاريخ حزب الله فحسب ، بل فى تاريخ لبنان والمنطقة برمتها؛ فالرجل القادم ، كان ، وكما يقولون ، على موعد مع القدر ، قدر التحولات الكبرى، والصدامات الكبرى فى المنطقة والعالم والتى كان محورها دائماً " الصراع مع إسرائيل " ، ووقعت فى عهده عدة معارك موسعة ، كان أبرزها حرب يوليو / تموز ، وحرب نيسان (أبريل ١٩٩٦) التى فيها اعترف العدو صراحة بهزيمته أمام حزب الله ، وفى العام ١٩٩٧ استشهد ابنه الشهيد هادى وهو يقوم بعملية عسكرية على الخطوط الأمامية مع العدو ، وفى عهده وقعت حادثة أنصارية (١٩٩٧) التى قتل فيها ١٥ ضابطاً وجندياً عسكرياً إسرائيلياً من صفوة الجيش الإسرائيلى ، وفى عهده

تراجعت قدرة إسرائيل وجيش انطوان لحد العميل (٢٠ ألف جندى) على صد هجمات رجال المقاومة (١٥ ألف مقاتل) ، وعجزت إسرائيل والولايات المتحدة عن إيقاف تنامى شعبية وكاريزمية حسن نصر الله ، وذلك الالتفاف الشعبى الواسع – داخل لبنان وخارجه – حوله ، الأمر الذى جعل من انتصار ٢٥ أيار / مايو ٢٠٠٠ قدراً لا فكاك منه ، وأن يصبح المانشيت الرئيسى لصحيفة هآرتس الإسرائيلية عشية الهروب الإسرائيلى الذى تم فى الليل هو الأصدق فى التعبير عن لحظة الانتصار ، انتصار حزب الله فى عهد حسن نصر الله .. حين قالت الصحيفة تعليقاً على الهروب (الانسحاب) " يوم الذل فى إسرائيل " ! .

****

واليوم ونحن على بعد مسافة زمنية تزيد على الست سنوات يوم الذل لإسرائيل ، يوم انتصار حزب الله، نسأل ، بكل موضوعية وهدوء لماذا انتصر نموذج حسن نصر الله، فى المقاومة ، فى حين هزم غيره ؟ .

الإجابة المباشرة والبسيطة : لأن حسن نصر الله امتلك ما يمكن أن نسميه بـ(فقه الانتصار) ذلك الفقه الذى تتوزع أركانه وضوابطه وشروطه فى الآتى :

أولاً : الثقة فى الله وفى حتمية نصره للذين ينصرونه ، هكذا كان السيد حسن نصر الله ورجال مقاومته وحزبه ، آمنوا بالله ووثقوا فى نصره ، منذ أن كانوا مجموعة صغيرة من الشباب المؤمن بضرورة مقاومة العدو الصهيونى وتحرير لبنان منه وكانوا وقتها يتهموا من قبل (الكبار) ؛ شيوخاً أو ساسة بأنهم فتية مجانين ، أو أنهم غير واقعيين (نفس الأقوال يقولها الآن أبو مازن ومبارك والملك عبد الله لقادة الجهاد والمقاومة فى فلسطين !!) فكان يرد عليهم السيد ورفاقه : " إنى أرى نصر الله كما أراكم " ، هذا الإيمان والثقة ترجما على الأرض واقعاً حيّ ، فكان الجهاد والاستمرار فيه بلا توقف ، رغم دعوات الانهزامية (الطريف أنه رغم النتائج الإيجابية التى تحققت فى الانتصار النقى لحزب الله لا يزال هناك من يرددها ، سواء على مستوى

الساسة فى لبنان من الذين تاجروا عن عمد بدماء الحريـرى الـذى استشـهد يـوم ٢٠٠٥/٢/١٤ ، أو الصحفيين من الكارهين بالفطرة للعروبة والإسلام) . لقد تجـاوز إيمان (حسن نصر الله) بالله وثقته فى نصره كل هؤلاء المهزومين والانهزاميين فكان نصر الله له ، أليس هو القائل سبحانه وتعالى " إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " [سورة محمد – آية ٧] .

ثانيا : القدوة وضرب المثل بالتضحية ، لقد كان حسن نصر الله قدوة لشـباب حزبـه ومقاومته ، فكان مقاتلاً وسط صفوفهم قبل أن يتولى أمر الأمانة العامة ، وحين تولى القيادة ، كان متقدماً للصفوف ، ومضحياً ، وكانت قمة تضحيته حين قدم ابنه الأكبـر (هادى) شهيداً (١٩٩٧) فضرب المثل وزلزل الموروث من قيم أرباب السياسـة فـى لبنان الذين كانوا عادة يعدون أولادهم لتولى قيادة أحزابهم ، أو مؤسسـاتهم ، كـانوا يعدونهم – ومثلهم أغلب القادة العرب – ليرثوهم فى الجاه والمنصب ، فإذ بـ (السيد) يقدم ابنه شهيداً فى مشهد قل مثيله ، كان بإمكان حسن نصر الله أن يضع (هادى) فى الأعمال الإدارية للمقاومة ، وساعتها لم يكن أحد ليلومه ، فابنه عمليـاً سـيكون فـى المقاومة ، ولكنه ترك له حرية اختيار المكان والزمان فى الجهاد فكـان اختيـاره أن يكون فى الصفوف الأولى ، فى النخبة المجاهدة ، وأن يستشهد داخـل الحـدود مـع فلسطين ، وأن يظل جثمانه أسيراً لدى العدو لأكثر من عام إلى أن يتم اسـتبداله مـع مئات الأسرى وجثامين الشهداء اللبنانيين مقابل رفات جندى إسرائيلى قُتل فى معركة أنصارية (١٩٩٧) . إنها القيادة المضحية والقادرة على العض على جراحها الذاتيـة وتجاوزها ثم الانتصار عليها ثم القصاص والانتصار لها وللبنان وللعروبة والإسـلام لاحقاً .

ثالثـا : الترتيب الصحيح للأولويات ، فكان الاتجاه الصحيح للرصاص هو قلب العـدو ، وليس إلى قلب أى لبنانى ، وكان الصراع – ولا يزال – مـع المشـروع الأمريكـى – الصهيونى ، هذا الترتيب للأولويات هو الذى جمع اليسارى والإسلامى والقومى أحزابـاً

وقوى حول " السيد " الرجل الوحيد الذى لا خلاف عليه أو معه ، اللهم إلا مع المرضى نفسياً من أمثال أولئك الساسة (التجار) أو الاعلاميين الانتهازيين الذين يتقلبون على كل الموائد ويضعون رأسهم وأقلامهم تحت أقدام من يدفع أكثر .

* لقد امتلك (السيد) هذه الثلاثية من القيم (التى شكلت ركائز فقه الانتصار كما عرفه وعاشه) فكان حتمياً انتصاره ، ونعتقد جازمين أنه سيظل منتصراً ما بقى هذا الفقه لديه ، رغم المحن والفتن ، والصراعات التى لا يمر يوم إلا ونشاهدها حية مطلة برأسها فى لبنان الذى وضعه الكبار اليوم فى إطار لعبة الأمم وصراعاتها خاصة بعد أن قتلوا الحريرى وفبركوا المؤامرات ضد سوريه ولبنان معاً فمن لضرب حزب الله وهو ما لن يكون بإذن الله .

****

إننا فى هذا الكتاب ، الذى نعقده للسيد حسن نصر الله وحزبه (حزب الله) نحاول أن نؤكد مجدداً أن أمة تمتلك مثل هذا " السيد " لا تنهزم ، أمة لديها مثل هذا الحزب ، وتلك النوعية من المجاهدين الذين يضعون أرواحهم على أكفهم لا تنهزم ، مهما نعق الناعقون من دعاة الهزيمة وفلاسفتها فى بلادنا المبتلاة بهم .

* إنه كتاب ليس فحسب عن السيد ، وحزبه ، ولكنه وبالأساس ، كتاب لنا ، لكل عربى ومسلم حر يبحث عن الأمل ، فى هذا الليل الأمريكى البهيم . هذا هو الأمر ، والنموذج لمن يريد الاقتداء . والله أعلم .

الفصل الأول

السيد وحزبه

(عن الميلاد والنشأة)

- وُلد السيد حسن نصر الله في ٣١ آب/ أغسطس ١٩٦٠ وهو من بلدة البازورية في جنوب لبنان، والده السيد عبد الكريم نصر الله، والسيد حسن هو الأكبر سناً في الأسرة المكوّنة من ثلاثة أشقاء وخمس شقيقات.

وكانت الولادة والسكن في حي" الكرنتينا"، أحد أكثر الأحياء فقراً في الضاحية الشرقية لبيروت، وهناك تلقى دراسته الابتدائية في مدرسة "الكفاح" الخاصة، وتابع دراسته المتوسطة في مدرسة" الثانوية التربوية" في منطقة سن الفيل.

- عند اندلاع الحرب الأهلية في لبنان (نيسان / أبريل ١٩٧٥) عادت عائلته إلى البازورية، حيث واصل تعليمه في المرحلة الثانوية، وعلى الرغم من صغر سنه تم تعيينه مسؤولاً تنظيمياً لبلدة البازورية في حركة " أمل " .

- أبدى منذ حداثته اهتماماً خاصاً بالدراسة الدينية متأثراً بالإمام السيد موسى الصدر.

- تعرّف خلال فترة وجوده في جنوب لبنان على إمام مدينة صور سماحة السيد محمد الغروي، الذي ساعده في ترتيب التحاقه بالحوزة العلمية في النجف الأشرف أواخر العام ١٩٧٦، فغادر إلى النجف الأشرف ومعه رسالة تعريف من السيد الغروي الى المرجع الديني الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (رض) الذي أبدى اهتماماً لافتاً به، وكلّف سماحة السيد عباس الموسوي (رض) مهمة الإشراف على الطالب الجديد والعناية به على المستويين العلمي والشخصي.

- في عام ١٩٧٨، غادر العراق متخفياً متوارياً عن أنظار النظام العراقي، نظراً لحالة الجور والاضطهاد التي مورست ضد الحوزات الدينية (علماء وطلاب)، وفي لبنان التحق بحوزة الإمام المنتظر (عج)، وهي المدرسة الدينية التي أسسها الشهيد السيد

عباس الموسوي الذي كان ممنوعاً بدوره من العودة الى العراق، وهناك واصل دراسته العلمية .

والى جانب نشاطه العلمي في الحوزة الدينية في بعلبك، عاود السيد نصر الله نشاطه السياسي والتنظيمي في حركة أمل بمنطقة البقاع،حيث تم تعيينه سنة ١٩٧٩ مسؤولاً سياسياً لمنطقة البقاع وعضواً في المكتب السياسي للحركة .

- في عام ١٩٨٢، انسحب مع مجموعة كبيرة من المسؤولين والكوادر من حركة أمل إثر خلافات جوهرية مع القيادة السياسية للحركة آنذاك حول سبل مواجهة التطورات السياسية والعسكرية الناتجة عن الاجتياح الإسرائيلي للبنان.

- تولى مسؤوليات مختلفة في حزب الله منذ بداية تأسيسه عام ١٩٨٢ عقيب الاجتياح الصهيوني وانطلاق حركة المقاومة الإسلامية في لبنان.

- واصل نشاطه العلمي في المدرسة الدينية في بعلبك الى جانب توليه مسؤولية منطقة البقاع في حزب الله حتى العام ١٩٨٥، حيث انتقل الى منطقة بيروت، وتولى فيها مسؤوليات عديدة.

- في عام ١٩٨٧، تم استحداث منصب المسؤول التنفيذي العام لحزب الله، حيث جرى تعيينه في هذا المنصب الى جانب عضويته في شورى القرار (أعلى هيئة قيادية في حزب الله).

- في عام ١٩٨٩ غادر إلى مدينة قم المقدسة للالتحاق بالحوزة العلمية مجدداً وإكمال دراسته، ولكنه عاد بعد عام واحد ليكمل مسؤولياته بناءً لقرار الشورى وإلحاح المسؤولين والكوادر الأساسيين وتحت ضغط التطورات العملية والسياسية والجهادية في لبنان آنذاك.

- في عام ١٩٩٢، تم انتخابه بالإجماع من قبَل أعضاء الشورى أميناً عاماً لحزب الله خلفاً للأمين العام السابق الشهيد السيد عباس الموسوي الذي اغتالته القوات الإسرائيلية في ١٦ شباط / فبراير ١٩٩٢ في بلدة تفاحتا خلال عودته من بلدة جبشيت في جنوب

لبنان حيث كان يشارك في احتفال بمناسبة الذكرى السنوية لاستشهاد شيخ شهداء المقاومة الإسلامية الشيخ راغب حرب.

- خاضت المقاومة الإسلامية خلال توليه الأمانة العامة للحزب عدداً من الحروب والمواجهات البطولية مع جيش الاحتلال، كان أبرزها حرب "تصفية الحساب" في تموز/يوليو ١٩٩٣، وحرب "عناقيد الغضب" في نيسان / أبريل ١٩٩٦ التي توّجت بتفاهم نيسان / أبريل الذي كان أحد المفاتيح الكبرى لتطور نوعي لعمل المقاومة الإسلامية أتاح لها تحقيق الإنجاز التاريخي الكبير المتمثل بتحرير القسم الأكبر من الاراضي اللبنانية في أيار/مايو من العام ٢٠٠٠ م.

- خلال توليه الأمانة العامة، خاض حزب الله غمار الحياة السياسية الداخلية في لبنان بشكل واسع، وشارك في الانتخابات النيابية عام ١٩٩٢، وهي أول انتخابات نيابية تجري بعد انتهاء الحرب الأهلية في لبنان، فحقق فوزاً مهماً تمثل بإيصال ١٢ نائباً من أعضائه الى البرلمان اللبناني، مشكّلاً بذلك كتلة الوفاء للمقاومة.

- في ١٣ أيلول / سبتمبر ١٩٩٧، استشهد نجله الأكبر محمد هادي في مواجهة بطولية مع قوات الاحتلال في منطقة الجبل الرفيع في جنوب لبنان.

- فى ٢٥ مايو / أيار عام ٢٠٠٠ تم على أيدى رجاله ، أبناء المقاومة الإسلامية فى لبنان ، تحرير الجنوب اللبنانى وإجبار العدو الصهيونى على الرحيل (باستثناء مزارع شبعا) .

- كان له مواقف سياسية وجهادية بارزة طيلة الفترة من عام ٢٠٠٠ - ٢٠٠٦ أبرزها تحرير الأسرى اللبنانيين وعلى رأسهم (الشيخ عبد الكريم عبيد - الحاج مصطفى الديرانى) .

- أدى دوراً متميزاً فى الوفاق الوطنى اللبنانى إثر استشهاد رفيق الحريرى يوم ٢٠٠٥/٢/١٤ ، واستطاع بحكمته ووعيه السياسى أن يفرغ القرارات الدولية الأمريكية

التي صدرت ضد الحزب وسلاحه (وعلى رأسها القرار ١٥٥٩) من مضامينها ، ولايزال يقود مسيرة الوفاق والتحرير .

- السيد حسن نصر الله متزوج من فاطمة ياسين، وله منها خمسة أولاد : (الشهيد هادي)، محمد جواد، زينب، محمد علي، محمد مهدي.

قصة حياة نصر الله كما يرويها بنفسه

* في يوم ١٩٩٧/١١/٢٨ أجرت مجلة " مجازين " الفرنسية مع الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله مقابلة ، نُشرت على صفحاتها الأولى جاء فيها نصاً :

" هذه المرة الأولى التي يوافق فيها السيد حسن نصر الله (الأمين العام لحزب الله) على التحدث عن حياته، ويرضى ألا يكون ملتحماً كلياً بحزبه وأفكاره، ودوافعه ونضاله وسياسته في حديث موجه الى الجمهور.

(كاريزمي).. هذا الرجل لديه روح مجبولة بالفولاذ. يتكيف بسهولة مع تهديد دائم كان ليتلف أعصاب أيِ مواطن عادي، في كل لحظة،وهو يعرف هذا. (إسرائيل) يمكن أن تسعى إلى تصفيته هو وخاصته، (زوجته وأطفالهما) وإن اقتضى الأمر تصفيته عبر قصف مسكنه أو عبر إمطاره بالصواريخ في طريق مهجور، كما في حالة سلفه السيد عباس الموسوي..

بمعنويات عالية تعامل السيد حسن نصر الله مع استشهاد ابنه البكر هادي، الذي استُشهد في اشتباك مع الإسرائيليين كوالد سعيد لنيل ابنه نعمة الشهادة التي تفتح للمؤمن أبواب الجنة.

رأينا هذا جيداً على شاشة التلفزة، لقد أراد تلقّي التهاني لا التعازي، ولم يصدر عنه أي دلالة اعتيادية بالنسبة لمأتم.

وهذا موقف – وفقاً للمقربين منه – ليس فيه أي ادعاء. فإيمان الرجل قوي بحيث إنه حين علم بفقدان أثر هادي لم يتذمر، مستقبلاً النبأ كما لو كان شأناً عاماً..

هادي، الذي كان يقاتل منذ فترة في صفوف" المقاومة الإسلامية"، كان معرّضاً لذلك. والده يعتقد أنه شرف كبير، على المستوى الإنساني، أن يسقط في مواجهة العدو في ساحة الشرف. ولكنه على الأخص سعيد لكون هادي نال بركة الشهادة. ولكن ينبغي ألا نقع في لبس، إنه يفتقد الفتى "وإلاّ لما كنت أباً".. تنتابه آمال في رؤيته وحسرات الحنان الأبوي، لكنه يستغرق في إيمانه ليمنّي نفسه بأنهما سوف يلتقيان يوماً عند الكبير المتعال وبفضله..

إنه دائماً في مجال التهديد الإسرائيلي ، الذي يأخذه ، كهدف ، تماماً كما الاحتلال الذي يعانيه البلد والذي يقاتل ضده حزب الله، لذا فإنّ كل ما يتعلق بشخص الأمين العام يأخذ طابعاً استثنائياً داخل الحزب.

انبهار حقيقي بصورة الإمام موسى الصدر

الوالد عبد الكريم كان يبيع الفاكهة والخضار مع إخوته. ومع تحسّن وضعه قليلاً استطاع أن يفتح متجر بقالة صغيراً في الحي كان "حسن" يتردد إليه للمساعدة، وهناك كانت صورة للإمام موسى الصدر معلّقة على أحد الجدران. كان الصبي الصغير يجلس على كرسي قبالة الصورة ليتأملها، وكما يتذكر كان يحلّق في أحلام لا تنتهي. وكلما تأمل بالصورة ازداد إعجابه بالإمام وتعلّقه به، وكان يحلم بأن يصبح يوماً مثله..

لم يكن "حسن" يشبه أولاد الحي الآخرين. كان هؤلاء الصبية يلعبون كرة القدم، يذهبون الى البحر أو النهر للسباحة، أما هو فكان يتردد الى المسجد في سن الفيل، برج حمود أو النبعة، لعدم وجود مسجد في الكرنتينا.

دعوة ونداء ديني خفي لا شيء ينبئ به فهو لم يكن على احتكاك مع أي من العلماء، ولم تكن عائلته متدينة بشكل مميز، ولكن" حسن" اليافع كان متعلّقاً بالتدين، بحيث أنه لم يكن يكتفي بالمواظبة البسيطة على الشعائر، كالصلاة أو الصيام، بل كان يذهب أبعد من ذلك.

محيطه وجواره الممتزج بشدة مع الكرنتينا لم يتمكنا منه. لم يكن منطوياً على نفسه، ولكنه كان مأخوذاً كلياً بحياته الداخلية، مع خلفية منطبعة بصورة الإمام الصدر..

وفي التاسعة من عمره نـزل "حسن" - كما يقال - الى البرج، ساحة الشهداء القديمة، مركز المدينة ليحصل على كتب لدى باعة الكتب المستعملة، الذين كانوا يفرشونها على الرصيف، ويحملونها معهم على عربات متجولة.

كان يقرأ كل ما كان يقع تحت يده من كتابات حول الإسلام. وعندما كان يجد صعوبة في فهم كتاب ما فإنه كان يضعه جانباً ليقرأه فيما بعد عندما يكبر..

أتم دراسته الإبتدائية في مدرسة حي" النجاح"، وكان في عداد آخر دفعة نالت الـ"سرتفيكا" (الشهادة التي ألغيت سنة ١٩٧٠) درس في مدرسة سن الفيل الرسمية. ثم كان أن دفعت الحرب التي اندلعت سنة ١٩٧٥ العائلة الى ترك الكرنتينا والعودة الى القرية، فأكمل حسن نصر الله دراسته الثانوية في مدرسة صور الرسمية.

عندما كان لا يزال في الكرنتينا لم يكن هو ولا أي فرد من عائلته منتمياً الى أي حزب، بالرغم من وجود عدة منظمات - بعضها فلسطيني - في تلك المنطقة. ولكن مع عودته الى "البازورية" التحق بصفوف "حركة أمل"، وكان خياراً طبيعياً جداً له لأنه كان متعلقاً عاطفياً بالإمام موسى الصدر. كان عمره آنذاك ١٥ سنة، و"أمل" كانت معروفة باسم "حركة المحرومين". ولكن خياره كان غريباً قليلاً في البازورية، القرية التي كان يسيطر عليها التقدميون، والماركسيون، وخاصة الحزب الشيوعي اللبناني.

على كل حال، فقد أصبح هو وأخوه حسين عضوين في قاعدة "أمل"، حيث أصبح بسرعة مندوب قريته، برغم صغر سنه.

في هذه الأثناء، وخلال بضعة أشهر، قرر أن يتوجه الى النجف الأشرف في العراق، المكان المقدس الشيعي، لينال دروساً في العلوم الإلهية القرآنية. لم يكن قد بلغ حينها السادسة عشرة، وكانت تنقصه الوسائل. التقى في مسجد صور بعالم هو السيد محمد الغروي، الذي كان يدرّس باسم الإمام موسى الصدر، فحدثه "حسن" عن رغبته في

الذهاب الى الحوزة في النجف، القرية والمدرسة الدينية الشيعية، حيث يختار الطلبة أساتذتهم، ويَحيَون حياة جماعية. الغروي، الذي كانت تربطه علاقة صداقة مع السيد الكبير محمد باقر الصدر في العراق، أرسل مع "حسن" رسالة توصية الى هذا الأخير.

فجمع الشاب بعض الأغراض، والقليل من المال، بمساعدة أصدقائه ووالده، وطار الى بغداد، ثم بالباص إلى النجف. وعند وصوله لم يكن قد بقي معه قرش واحد. ولكن يوجد هناك – كما يقول – يد معينة لدعمك. والأهم أنّ الطالب يستطيع أن يتحمل حياة الكفاف والفاقة . الغذاء كان الخبز والماء، والفراش كان من الإسفنج.

لدى وصوله التقى اللبنانيين وسألهم عن إمكانية إيصال كتاب التوصية الى الإمام محمد باقر الصدر، الذي كان من أقطاب الحوزة، فأجابوه بأنّ السيد عباس الموسوي قادر على ذلك. لأول وهلة ظن حسن نصر الله أنّ الموسوي، الذي كان شديد السمرة، عراقي فخاطبه بالعربية الفصحى، فوجده يجيبه:" لا تكلّف نفسك، أنا لبناني من (النبي شيث) في البقاع". وكانت هذه بداية علاقة وثيقة.

الموسوي كان لحسن نصر الله "صديقاً،وأخاً، وأستاذاً ورفيق درب"، وقد فقده بعد ١٦ سنة مع الاعتداء الإسرائيلي الذي أودى بحياة الأمين العام السابق لحزب الله. وبناءً على طلب السيد محمد باقر الصدر فالموسوي هو الذي توكّل بمهمة تربية وتعليم الوافد الجديد الى النجف. فعندما استقبله باقر الصدر بعد قراءة كتاب التوصية من السيد محمد الغروي سأله: "هل معك مال؟"، أجابه حسن:"ولا قرش واحد".فالتفت محمد باقر الصدر الى الموسوي وقال له:" أمّن له غرفة،كن مدرّسه وارعَه".وأعطى نصر الله نقوداً ليبتاع ثياباً وكتباً بجانب مصروف شهري.

أولى الموسوي المهمة الموكلة إليه عنايته.. فوجد له غرفة في الحوزة قرب مسكنه، فقد كان السيد عباس متزوجاً وكان يحق للمتزوجين السكنى في بيت، بينما ينبغي للعزّاب الاكتفاء بغرفة قد "يقتسمونها" يتشارك فيها اثنان، أو حتى ثلاثة. كان لكل طالب الحق بمعونات متواضعة لا تتجاوز الخمسة دينارات شهرياً تُمنح لهم من قِبل

العلماء الكبار المعتمَدين كمراجع، مثل الإمام الخوئي أو الإمام محمد باقر الصدر. ولم تكن كفالة شاب كالموسوى لطالب كحسن المستغرب فى الحوزة ، التى تمتلك نظاماً مميزاً جداً .

وتنقسم الدراسة فيها الى ثلاثة مستويات، فيوجد في البدء ما يشبه التعليم الإعدادي أو المدخل العام للتعليم الديني والعلمي.

ثم المرحلة المتوسطة، المسماة "مرحلة السطوح"، وأخيراً المرحلة الأخيرة العليا المسماة "البحث الخارج" لأنها تتطلب البحث من غير رجوع الى كتب معتمدة ومحددة وإنما الى آراء الفقهاء الأساتذة. وكما في بعض الأكاديميات الغربية فإنّ الطالب الذي نال درجة يستطيع بدوره أن ينقل معارفه المكتسبة الى الأصغر منه. وبناءً عليه، فإنّ عباس الموسوي الذي كان قد أنهى المرحلة التحضيرية وبدأ بالمرحلة المتوسطة استطاع أن يستلم صفاً من المبتدئين، وفي عدادهم نصر الله.

الموسوي كان جاداً وصارماً. وبفضل تدريسه المتشدد إستطاع طلابه أن ينهوا خلال سنتين ما يعطى عادة خلال خمس سنوات في الحوزة. كانوا في الواقع يَمضون بسرعة، ويَحرمون أنفسهم إجازات شهر رمضان وموسم الحج، وحتى يومي العطلة الأسبوعية المعتمَدة في المدرسة الدينية (الخميس والجمعة). كانوا يدرسون بلا توقف ولا انقطاع.

وفي سنة ١٩٧٨ أنهى حسن نصر الله بنجاح هذه المرحلة الأولى. كان يريد قبل كل شيء أن ألا يضيّع الأستاذ الذي أصبح صديقاً. ولكن في هذه السنة بدأ النظام العراقي التضييق على الطلبة الدينيين، وأبعد عن البلاد مجموعة منهم من مختلف الجنسيات. وفوق ذلك فإنّ بغداد بدتْ منزعجة من الطلبة اللبنانيين لأنهم لم يقدموا جميعاً من الأجواء الدينية التقليدية المعروفة، ذلك أنّ أبناء المشايخ هم الذين كانوا يَفِدُون الى المدارس القرآنية ولكن أواسط السبعينات شهدت وصول شباب مثقفين غير منحدرين من عوائل متدينة. وبما أنّ الحرب كانت قد تأججت في لبنان فإنّ الشباب اللبنانيين

أخذوا كـ"كبش محرقة"، فكانوا يُتهمون تارة بالانتماء الى "حركة أمل" وتارة الى "حزب الدعوة" أو الى "البعث السوري"، وكان الأمر يبلغ حد اتهامهم بكونهم دُسّوا هناك من قِبل المخابرات السوريه.

لذا فإنّ الطلبة اللبنانيين (الذين احتُجز بعضهم في السجن لأشهر عديدة) أُبعدوا سنة ١٩٧٨ من العراق، مثل أجانب آخرين، من قبل السلطات.

ملاحقاً من رجال صدام، رجع الى لبنان

في أحد الأيام، اقتحم رجال صدام الحوزة فعلياً، عندها كان السيد عباس الموسوي في لبنان، ولم يجد الجنود سوى عائلته، فأعلمه طلابه بأنه يجدر به عدم محاولة العودة الى العراق لأنه مطلوب هناك. وخلال فترة قليلة أُبعد الشباب أيضاً. وعندها ابتسم الحظ لحسن نصر الله، فقد كان هجوم الشرطة وهو خارج حرم الحوزة، وعند عودته علم أنّ رفاقه اعتقلوا فغادر مباشرة منطقة النجف، ولم يكن أمر اعتقاله قد صدر بعد في المناطق الأخرى، ولم يكن اسمه قد أُعطي على الحدود، فاستطاع أن يرجع الى لبنان بهدوء، ولكنه قبل كل شيء كان يريد أن يكمل دراسته الدينية.

وقد تحقق له ما أراد عندما فتح الموسوي مع مجموعة من المدرسين مدرسة دينية في بعلبك، وهي ما زالت حتى الآن. كان نصر الله يدرس فيها ويدرّس في نفس الوقت. ثم عاود نضاله في صفوف أمل التي انتخبته مندوبها السياسي في البقاع سنة ١٩٨٢. وبهذا العنوان أصبح عضواً في المكتب السياسي المركزي وفي السنة نفسها أنهى دراسة المرحلة الثانية، أي المتوسطة.

عام ١٩٨٢ كان الإجتياح الإسرائيلي الكبير، وأصبحت هذه السنة منعطفاً أساسياً في حياة حسن نصر الله، كما لزملائه وباحتلال الإسرائيليين بيروت، تشكّلت "جبهة الإنقاذ الوطني" التي رغب رئيس " أمل " نبيه بري أن يشارك فيها. ولكن الأصوليين المتدينين في الحركة عارضوا هذا الأمر، وتفاقم النزاع، وانشقت مجموعة المتدينين. وكان أمراً غير مفاجيء نظراً الى أنه في السابق كان يوجد العديد من الخلافات التي

جعلتها تأخذ موقفاً مقابلاً للأستاذ بري بسبب الاختلاف في تفسير الإرشاد الذي خلّفه الإمام موسى الصدر.

لكن هذه الأحداث لم تبدُ في ذلك الوقت خطيرة بشكل كافٍ لتنفيذ انشقاق، ولكن عندما رأى الشباب المؤمنون أنّ رئيس الحركة يريد الانضمام الى "جبهة الإنقاذ الوطني" برئاسة الياس سركيس، وليس فقط الى جانب وليد جنبلاط ورشيد كرامي وإنما أيضاً مع بشير الجميل، اعتبروا أن هذا انحراف خطير. في الواقع رأوا أنّ "الجبهة" كانت تهدف خاصة الى إيصال بشير الجميل الى رئاسة الجمهورية، الأمر الذي كانوا يرفضونه كلياً، فبنظرهم رمز رئيس "القوات اللبنانية" الى التطبيع مع العدو الإسرائيلي، ولم يكن الصلح معه وارداً، ولا مد اليد إليه.

فتركوا عندها "أمل" ليؤسسوا مع عناصر أخرى من خارج الحركة "حزب الله". وهناك بدأ الحركيون القدامى بإجراء اتصالاتهم مع كوادر الجمعيات الخيرية أو الثقافية الناشطة عموماً في لجان الأحياء وتجمعات المساجد. وقد قدِم بعضهم من "حزب الدعوة الإسلامية"، هذا التنظيم السري كان قد حلّ نفسه قبل تشكيل الحزب، الذي انضمت إليه أيضاً المقامات الدينية المستقلة. وكان شعاره مقاومة الاحتلال الإسرائيلي.

الأمر اللافت أن حسن نصر الله عندما ترك "أمل" لم يتبعه أخوه الشاب "حسين"، الذي ما زال حتى اليوم منتمياً الى الحركة، وقد شغل في وقت من الأوقات مسؤولية الحركة في قطاع "الشياح"، ولكن يبدو أنّ مشكلات صحية قد أدت به الى ترك هذه المسؤولية.

حسن نصر الله هو الابن البكر لعائلة من تسعة أولاد من الصبيان والبنات، يليه حسين، ثم زينب (وهي متزوجة)، ثم فاطمة التي تقيم في البيت مع أهلها، ثم محمد الذي يمارس مهنة أخرى، ثم جعفر الموظف رسمياً، ثم وفق ترتيب الأعمار: زكية، وأمينة وسعاد، والثلاث متزوجات..

في البدء، لم يكن أهل البيت متدينين جداً، كما أشرنا، "ولكن مع الوقت تحسن الوضع" كما يقول السيد نصر الله .

جميع البنات يجاهدن في أنشطة لحزب الله. وبالنسبة للصبيان ففي البدء كانوا جميعاً في "أمل" ولكن لم يبقَ الآن سوى حسين. محمد لا يمارس السياسة ولكنه يحترم الحزب دون أن يكون عضواً فيه. أما جعفر فيبيّن حسن نصر الله أنه لا يعرف توجهاته الحالية، لأنه لم يتناقش معه في الفترة الأخيرة.

لم يكن الإمام موسى الصدر بالنسبة للشباب الذين آمنوا به مؤسساً لـ"أمل" فقط، ولكن أيضاً وبشكل أو بآخر "حزب الله"، إنه مرشد الجميع، الجميع يعتبرون أنفسهم أولاده. لكن بعد اختفائه ظهر تباين في طريقة تطبيق تعاليمه.

حزب الله، اليوم، هو على طريق التطور، كون إرادته هي السير مع العصر، وخاصة على المستوى الشيعي.

ودائماً بحسب نصر الله: فلا ينبغي التفكير أنّ شخصاً واحداً، مهما كان جليلاً، هو قادر على احتكار الفكر والمعرفة الدينية والعلم السياسي.

أعضاء حزب الله يعتقدون أنّ أعظم شخصية في هذا القرن، وبلا منازع هي "الإمام الخميني". ومع وفاته بدأوا في البحث عن مرجعية روحية حية. وبشكل طبيعي توجّه ولاؤهم الى المرشد المنتخب كخليفة للخميني، الإمام الخامنئي. وبالنسبة إليهم فإنّ "أفكار ووجهات نظر العلماء الماضين ما زالت تحمل قيمة كبيرة".

عندما رأى "حزب الله" النور لم يكن حسن نصر الله، البالغ حينها ٢٢ عاماً، عضواً في القيادة المسماة "مجلس الشورى". وقد ترقّى الدرجات داخل الحزب، وقد أنشأ هو بنفسه وظائف شتى. كان مشاركاً في مجموعة تعبئة المقاومين، ثم تولى مسؤولية الحزب في قطاع بعلبك، ومن ثم منطقة البقاع.

وفي خلال بعض الوقت توجّه الى بيروت مع السيد إبراهيم أمين السيد، والذي نصِّب مسؤولاً لمنطقة بيروت، ونصر الله نائباً له. وبعد قليل، قرر الحزب فصل الوظائف السياسية عن التشكيلات المنظمة على الأرض، فاختار السيد الطريق السياسي، فخلفه

نصر الله في مسؤولية منطقة بيروت، ثم استحدث بعد ذلك منصب المسؤول التنفيذي العام المكلّف بتطبيق قرارات "مجلس الشورى"، فشغله نصر الله.

أغلى أمنية لديه هي أن يرجع طالبا

على الرغم من التزامه الحزبي الذي يأخذ منه الكثير من الوقت، فإنّ حسن نصر الله ما يزال مصمماً على متابعة دراسته الدينية ليصبح فقيهاً مجتهداً. وهي درجة عالية، حيث ينبغي للعالم الاعتماد على قدراته الخاصة في المعرفة والتفكير من أجل تحليل النصوص واستنباط الأحكام من غير ضرورة الرجوع الى مراجع آخرين. هؤلاء العلماء يشكّلون النخبة، والتي تعتبر كياناً روحياً في الحوزة.

بعد الاجتياح الإسرائيلي اضطر نصر الله الى إيقاف دراسته كلياً لكي يكرّس نفسه، جسداً وروحاً، للحزب والمقاومة. ولكن بعد سبع سنوات في ١٩٨٩ رأى أنّ باستطاعته معاودة الدروس. ومع الضوء الأخضر من الحزب توجّه الى قم، المدينة الإيرانية المقدسة، لمتابعة دراسته التي بدأها في النجف. وقد سرت الكثير من الشائعات بخصوص هذا الرحيل، إذ قيل إنّ نصر الله على خلاف مع كوادر آخرين في حزب الله.

ومع استمرار الخلاف مع "حركة أمل" وتحوله الى مواجهة عسكرية في إقليم التفاح، اعتبر نصر الله أنّ من واجبه العودة، كما أنّ الحزب من جانبه قد طلب ذلك أيضاً.

وهكذا، ولمرة جديدة خسر الفرصة المتاحة أمامه لإكمال تحصيله الديني. واليوم أيضاً ما زال يؤكد أنه لا يوجد أمنية أغلى عنده من رؤية إخوة داخل الحزب يريدون فعلاً إراحته من عبء "الأمانة العامة" ليعود طالباً..

لقد أُسندت إليه مهمة قيادة الحزب ومنصب الأمين العام بعد اغتيال عباس الموسوي من قبل الإسرائيليين.

سابقاً، ولدى إقامته في قم، فإنّ المسؤولية التنفيذية الموكلة إليه من المجلس الأعلى اضطلع بها مساعده الشيخ نعيم قاسم. وعند عودته بقي نصر الله عضواً في القيادة ولكن دون مسؤولية محددة. ثم عندما انتُخب مرشده في النجف السيد عباس الموسوي أميناً عاماً، اتخذ قاسم نائباً له، واستعاد نصر الله مهامه الفعلية.

وسنة ١٩٩٢ وجّهت "إسرائيل" ضربة قاسية الى الحزب باغتيالها الموسوي، فبكاه نصر الله، تلميذه وصديقه، كما بكاه مجلس الشورى المجتمع لانتخاب خلف له. ووقع الاختيار على حسن نصر الله، بالرغم من أنه لم يكن نائباً للأمين العام، وبالرغم من صغر سنه، مقارنة مع أعضاء القيادة الآخرين. ولكن سادت اعتبارات عاطفية، فقد كان ينبغي، بشكل من الأشكال، التعبير عن إجلال من القلب للموسوي، الذي كان نصر الله أقرب شخص إليه، فقد كان يقال في الحزب: "عباس وحسن هما وجهان لعملة واحدة، إنهما الشيء نفسه".

كما أنّ حسن نصر الله، المسؤول التنفيذي، كان لديه علاقات واسعة مع القاعدة، وقد كان في مقدوره تثبيت وحدة الحزب بقوة بعد الضربة القاسية التي تلقاها لتوه.

كما أنّ نصر الله كان أفضل مرشح لاستثمار شهادة صديقه عاطفياً على المستوى الشعبي لصالح القضية والحزب.

يقول إنه في يوم انتخابه في مجلس الشورى شعر بارتباك شديد لأنه كان أصغرهم، وأيضاً لأنه حتى ذلك الوقت كانت مهمته تحمل طابعاً تنظيمياً داخلياً، من غير تداخل مهم مع العلاقات الخارجية. "ولكنهم أصروا". وبعد رفض أولي من قبله تم التأكيد على اختياره من قبل "العقلاء" عبر تصويت آخر.

"سيد" هو لقب مستخدَم عموماً في أفريقيا الشمالية للدلالة على المُتحدِّر من سلالة النبي عبر أبيه أو أمه، أو الانتماء الى بني هاشم. هذا العنوان يفرّق بين هؤلاء المنتمين إلى هذه السلالة و"المشايخ"" الشيوخ الدينيين". السادة (وهي جمع "سيد") يعتمون عمامة سوداء كعلامة مميزة، وهذا الزي لا يحمل أي دلالة على الرتبة الدينية.

السيد حسن نصر الله هو رب أسرة منذ سنة ١٩٧٨ متزوج من فاطمة ياسين (٣٥ سنة) المتحدّرة من "العباسية" (قضاء صور). بعد استشهاد هادي البكر الذي قُتل في اشتباك في أيلول / سبتمبر عن عمر ١٨ سنة، بقي لديهم: محمد الجواد (١٧ سنة)، زينب (١٢ سنة) ومحمد علي (٧ سنوات) والذي احتفل بعيد ميلاده في ٢٢ تشرين

الثاني/ نوفمبر، ساعتها : طلب "الكاتو" وأحضروه له. "لقد دللته المدرسة" قال الأب مبتسماً قبل أن يضيف: "لا بأس، من الجيد أن يتمكن الطفل من الاحتفال بعيد ميلاده".

بعد "مذكرات شارون" سيقرأ كتاب" نتنياهو"

عندما يعود السيد حسن نصر الله الى بيته فإنه يترك أعباءه عند "العتبة"، ليصبح فقط زوجاً وأباً مهتماً، ولكن أيضاً رجلاً يعيش حياته الخاصة وإيمانه.

يقرأ كثيراً، وخاصة مذكرات الشخصيات السياسية. منذ بعض الوقت يقرأ "مذكرات شارون"، وينوي أن يعاود قريباً قراءة كتاب نتنياهو "مكان تحت الشمس"، وهذا دليل على أنه يجد من الهام التعرف جيداً على العدو.

وبالنسبة إليه، فإنّ الحزب ليس مقاومة فقط، إنه اليوم حامل لفكر سياسي عام مبني بشكل طبيعي على الإسلام: "بالنسبة إلينا، باختصار، الإسلام ليس ديناً بسيطاً من الطقوس والأذكار ولكنه فعلاً رسالة إلهية خاصة بالبشرية ويجيب على أي سؤال يمكن أن يطرحه الإنسان في حياته الخاصة أو العامة. الإسلام هو دين لمجتمع قادر على الثورة وتشييد دولة". غير أنّ السيد حسن نصر الله يضيف – ليكون صادقاً ومنطقيًا مع نفسه – أنه لا يستطيع أن ينفي أنّ حزب الله يطمح على المستوى الإيديولوجي والنظري الى إقامة "جمهورية إسلامية" يوماً ما. لأنّ" أعضاء حزب الله" يعتقدون أنّ الدولة الإسلامية تشكّل الحل للمجتمع، وإن كان مجتمعاً تعددياً متضمناً لأقليات. لكنه يوضح فوراً أنه ليس من المطروح فرض جمهورية إسلامية بالقوة والإكراه، مضيفاً أنّ إعطاء الحكم هو للشعب وليس على أساس الأغلبية المطلقة لـ ٥١ في المئة وإنما على أساس شبه الإجماع كـ ٩٠ في المئة من الأصوات. وبناءً عليه، فإنّ إنشاء الجمهورية ليس مطروحاً في هذا الوقت.

بالنسبة لحسن نصر الله، ووفقاً للمعتقد الإسلامي، يوجد الدنيا والآخرة. الموت ليس إلاّ البوابة التي تفصل بين العالمين. البعض يجتازها بمعاناة، والبعض الآخر بيسر وسهولة. الشهادة هي الشكل الأرقى للعبور الى العالم الآخر، لأنه عطاء آخر.

عندما "يموت" شهيد فكما لو أنه يدخل الى السماء حاملاً معه أغلى العطايا، وهذا هو سبب استقباله بشكل مختلف عن الآخرين. وعلى كل حال، يلحظ السيد حسن نصر الله أن حتى الشعوب التي لا تؤمن بالله فإنها تكنّ احتراماً عظيماً للذين يقدّمون حياتهم لأجل شعبهم أو القضية التي يخدمونها.

ويوضح أنه اليوم وككل أب يفتقد ابنه البكر "هادي"، وأنه يستمد شجاعته من قناعته المطلقة بأنّ الشاب هو في نعيم أصفياء القدير المطلق.

ويلفت الأب الى أنه قبل شهادة هادي كانت صورته في بيتهم فقط إلاّ أنها اليوم في كل بيت "يوجد الكثير". وحسن نصر الله الذي يبدو سعيداً بالطريقة التي انتهت فيها حياة بكره يختم هذه النقطة موضحاً أنه فقد كائناً عزيزاً ولكنه يعلم أنهما سيلتقيان يوماً.

ويقول بالنسبة "للكاريزمية" التي يصفونه بها: إنه وبطبيعة الحال ليس في موقع إبداء الرأي، وإنّ الحكم هو للآخرين. ويوضح أنّ " الكاريزمية" بصورة عامة، أو التأثير الذي يمكن أن يكون لأحد على الآخرين، هو موهبة إلهية، ويمكن تنميتها عبر التثقف واكتساب الخبرة. ولكن الثقافة والمهارة لا يمكن لها دائماً أن تجعل الشخص "كاريزمياً" ما لم يمتلك الموهبة، ويبدو أنّ هذا السحر الطبيعي لا ينقص السيد حسن نصر الله؛ كما أنه يمتلك، بكل تأكيد، قدرات ذهنية عالية.

قد يعود يوماً الى مقاعد المدرسة القرآنية ليصبح فقيهاً، عالماً بالأحكام. ولكن لهذه اللحظة حسن نصر الله قابع في السياسة أكثر منه في الدين، فضلاً عن نضال التحرير، وهو يحاول إعطاء الدينامية للحزب. قد يقول البعض: "إعطاءه الديمقراطية" أو تحديثه. ولكن هذه المعاني لا تحمل في هذه الحالة دلالتها العادية في الإيحاء الغربي لأنّ حزب الله يبقى إسلامياً، هذه طبيعته، ويبقى مقاوماً، هذا واجبه.

ميلاد حزب الله

* لا يكتمل التعريف بـ (السيد) دونما الإلمام الكامل بحزبه ، نشأة ومساراً.

حزب الله .. المرحلة الأولى (الولادة)

عندما تحصنت المجموعة التى قاتلت الجيش الإسرائيلى على مشارف الضاحية الجنوبية فى "خلدة" واتخذوا لأنفسهم من خلدة وكلية العلوم مجالاً للتعبير بالإضافة إلى المجموعة التى كانت نشأت فى المساجد والحسينيات التقوا جميعاً فى معسكرات التدريب التى كان يشرف عليها الحرس الثورى فى البقاع وغيرها كان الجميع يرغب فى عمل يتصدى به للعدو .

بدأت تظهر عمليات بسيطة كزرع عبوات ناسفة ، أو إلقاء قنابل يدوية على دوريات إسرائيلية دون أن يكون هناك إطار تنظيمى أو قيادة موحدة ، واستمر هذا الأداء غالباً فى المرحلة التأسيسية الأولى ، مجموعات متفرقة ترتبط برباط عقائدى وتجتمع على هدف مشترك .

كانت هذه المجموعات مختلفة كلياً عن كل الحالات الأخرى ، حيث إن الأحزاب التى شاركت فى المقاومة لم تتشكل فى الأصل لمقاومة الاحتلال ، وإنما هى أحزاب سياسية لبنانية اتخذت ميليشيات مسلحة خلال الحرب الأهلية فرضت عليها ظروف الاجتياح المواجهة مع إسرائيل ثم انكفأت سياسياً وتوقفت مقاومته بعد ذلك.

لكن المقاومة الإسلامية بدأت كمقاومة لا كتنظيم سياسى له جناح عسكرى أو ميليشيا مسلحة ، وإنما كانت قوة مقاتلة تشكل لها تنظيم سياسى ، وبذلك فهى لم تقم بعمل عسكرى تحاول توظيفه سياسياً أو تبرزه إعلامياً ، وتوالت الضربات المتلاحقة للجيش الإسرائيلى فى بيروت والجبل والجنوب مما دفع الجيش المحتل إلى تنفيذ سلسلة من العمليات المتكررة ليداهم الأحياء بحثاً عن سلاح أو عناصر منتمية الى أحزاب اليسار أو المنظمات الفلسطينية ، لعدم إدراكهم فى حينها أن العناصر الإسلامية قد أصبح لها هذه القدرة العالية على تنفيذ مثل هذه العمليات.

عقدت إسرائيل العزم على ان تدفع لبنان لتوقيع عقد إذعان لها (سلام) ، وساعدها على ذلك عدم ممانعة الرئيس أمين الجميل الذى نشط فى محاولة ضمان عدم معارضة عربية له .

كان الغضب الشعبى اللبنانى يتصاعد حتى دوى انفجار عنيف هز مدينة صور ، ودمر مقر الحاكم العسكرى الإسرائيلى، وأسفر الانفجار عن مصرع عشرات القتلى والجرحى من الضباط والجنود ووصفه رئيس الأركان الإسرائيلى رفائيل إيتان بأنه "ناجم عن ضعف بالبناء" وكلف مجلس الوزراء الإسرائيلى لجنة تحقيق خاصة ووصفته فى حينه بأنه عمل انتحارى (استشهادى) .

كان منفذ العملية شاب من بلدة دير قانون النهر اسمه أحمد قصير عن طريق سيارة مفخخة ماركة (بيجو) تم تفخيخها بكميات كبيرة من المتفجرات وقذائف غير منفجرة من مخلفات الاجتياح ، ولم تعلن المقاومة مسئوليتها عن العملية ، هذه العملية احتاجت الى المتابعة والرصد ، وجهاز متفرغ يتابع كل التفاصيل وهذا إن دل على شىء ، فإنه يدل على وجود تنظيم له قدرة كبيرة على إحداث مثل تلك العمليات ، ولكن كان الرأى وقتها عدم الكشف عن العملية حتى لا يتم اكتشاف التنظيم قبل اكتمال بنائه ولذلك كان الإسرائيليون يحاولون القبض على عناصر اليسار اللبنانى أو أعضاء المنظمات الفلسطينية .

أعلنت بعض الأحزاب مسئوليتها عن بعض العمليات التى كانت تقوم بها المقاومة لمحاولة كسب مساحة سياسية من جراء هذا الادعاء .

واستفاد الحزب من سرية عملياته فى المرحلة الأولى الا انه دفع ثمن ذلك تهميشاً له فى الحياة السياسية اللبنانية وفى معادلة موازين القوى الداخلية وبقى يدفع هذا الثمن سنوات طويلة قبل ان تتمكن المقاومة الإسلامية من استعادة ذلك .

بموازاة النشاط العسكرى فى مناطق الاحتلال ، كانت التحركات ناشطة لإيجاد إطار سياسى يجمع تلك المجموعات ، بعدما أنجز علماء دين وشخصيات مدنية صيغة تجمع بين الاتجاهات المتعددة سواء الذين انشقوا من حركة أمل ، أو حزب الدعوة ، ولجان المساجد ، وتجمعات علمائية ، وأفراد مستقلون عينت كل مجموعة من يمثلها فى الاجتماع التحضيرى الأول فالتقى تسعة مندوبين يمثلون فى هذه الاتجاهات أطلق

عليهم اسم (لجنة التسعة) ووضعت وثيقة تشمل مبادئ أساسية قاعدتها الالتزام بولاية الفقيه ، وقتال إسرائيل .

شكلت هذه اللجنة (لجنة خماسية) وسميت باسم (شورى لبنان) تشكل منها وفد برئاسة السيد عباس الموسوى لمقابلة الامام الخمينى واستمع الامام للوفد وشرحوا له ما توصلوا اليه وخاطبهم بقوله (المهم هو العمل) وأصبح الامام الخمينى قائداً ووليا اجتمعت كلمة تلك القوى على مبايعته والالتزام بطاعته .

أخذت البيانات تصدر باسم (حزب الله وعلماء البقاع) كعنوان واحد ، وفى بيروت كان الاسم المتداول (تجمع علماء المسلمين) ولم يستقر الرأى حينها على تسمية وظلت البيانات تصدر بالاسمين معاً فقد كان هناك رأى ذهب الى اتخاذ اسم علمائى، وآخر ذهب الى تسمية سياسية ظل هذا النقاش مستمراً حتى أيار (مايو) ١٩٨٤ حين تم اعتماد الاسم (حزب الله) .

واتصاف المقاومة التى قادها حزب الله بالإسلامية لا يلغى مضمونها الوطنى باعتبار ان الدين الإسلامى يحمل بعداً وطنياً ، ولكون الدين أوسع اطاراً من حدود الوطن ولا يحجب غير المسلمين عن المشاركة فى المقاومة بأسمائهم وهوياتهم السياسية لتتجمع الهويات كلها والخصوصيات تحت عنوان واحد هو : المقاومة .

بمرور الوقت تقلص الفارق بين المعنيين الوطنى والدينى وصار أكثر التصاقاً بالناس بعد تفكيك الميليشيات وأدوات الحرب الداخلية وانتفاء التنافس بين الفصائل والميليشيات .

كان للخطاب الإسلامى (حزب الله) تأثيره فى إمكانية التلاقى والقفز فوق الحواجز النفسية والحساسيات المناطقية والطائفية ، وبذلك تحقق الهدف وتشكل مجتمع الحرب والنهوض فى مواجهة الاحتلال وأصبحت الساحة الداخلية أكثر حصانة امام أى اختراق صهيونى .

كانت الشورى قد حصلت على تأييد الولى الفقيه (الإمام الخمينى) وبدأت فى رسم وإعادة تنظيم المجموعات وتحديد الروابط بينها وتأسيس البنية الداخلية من خلال : خلايا صغيرة فى القرى (قطاعات) مناطق وكانوا كلهم مرتبطين بالعنوان الكلى (المقاومة الإسلامية – حزب الله) وبدأ تنظيم الوضع الداخلى من أجهزة مدنية وعسكرية ، وكانت كل المؤسسات فى خدمة المقاومة بالإضافة الى المهام اليومية والتنظيمية .

لم تكن النشأة الأولى للحزب شيئاً هيناً نظراً لما كانت تمر به لبنان من ظرف استثنائى معقد ، فقد قامت القوات اللبنانية بعد عدة عمليات وحملات اعتقال لمنع مثل هذه التفجيرات والعمليات العسكرية ضد إسرائيل ، وحاولوا هدم مسجد الرسول الأعظم فتفجرت موجة من الغضب والمظاهرات استطاعت أن تقتحم سراى بعلبك وإذاعة بيان يندد بالاحتلال وحدث أول صدام عسكرى مع الجيش فى لبنان قرب بريتال ، وخوطب الجيش بالتزام ثكناته لأنه لا يقاوم إسرائيل .

واستطاعت المجموعات التابعة للمقاومة الإسلامية السيطرة على الوضع الأمنى فى بعلبك بعد عرض عسكرى منظم احتفالاً بيوم القدس ١٩٨٣ ، ودخلت المسيرة الثكنة العسكرية للشيخ عبد الله فى بعلبك وخطب السيد حسن نصر الله " ان السلطة تريد أن تحول جنودنا فى مؤسسة الجيش الى خدم للأمريكيين ونحن أتينا بلا رصاص ولا سلاح لأننا لا نريد ان نقتل اخواننا " ثم أقيمت الصلاة بمشاركة قائد الثكنة ثم أخلاها الجنود وسلموها الى المقاومة الإسلامية – حزب الله .

اتبع الحزب أساليب المواجهات الشعبية (المسيرات – المظاهرات) ، والعمل العسكرى المنظم والعمليات الاستشهادية ، أدى كل هذا الى تبديد الأسطورة الصهيونية عبر العمليات التى كانت تضرب البنية العسكرية والأمنية المخابراتية للعدو .

كما اعتمد حزب الله على الروح المعنوية المستمدة من الإلهام الروحى والتدريبات العسكرية القاسية ، والتعبئة الفكرية التى وضعت نصب أعينها إزالة إسرائيل من

الوجود فكان كل المتوجهين الى العمليات العسكرية فى حالة استعداد للموت دون خوف وكان العلماء يشجعون هذه الفكرة لا من خلال دفع الشباب ولكن بالتقدم أمامهم .

كان استشهاد الشيخ راغب حرب (شيخ شهداء الجنوب) نوراً أضاء الطريق ورمزاً للمقاومة وأصبح ذكرى استشهاده يوماً يحيه الحزب فى كل عام وقد كان الشيخ من بين الأسماء البارزة التى كان لها دور فى النشأة ، والناطق باسم اللجان الإسلامية المساندة للثورة الإسلامية ، وكان ضمن الوفد الذى سافر الى طهران لحضور مؤتمر المستضعفين وقت الاجتياح ، وعاد الى لبنان ليقوم بحملة من الاعتصامات والتظاهرات ويشارك فى العمل العسكرى مما دفع جنود الاحتلال الى اعتقاله وأمام الاحتجاجات والثورات والمسيرات اضطر الاحتلال للإفراج عنه وقد حول الشيخ قرية " جبشيت " الى أحد معاقل المقاومة حتى استشهاده .

لم تكن المرحلة الأولى لولادة الحزب تسمح له بالانخراط فى الجو السياسى نظراً لما كانت تغلب عليه صور غاية فى السوء حيث التحالفات المصلحية والصراعات.

وفى ربيع ١٩٨٤ عقد مؤتمر " بكفيا " بين زعماء القتال حينما تقلص نفوذ السلطة على مناطق الجنوب عامة والإسلامية خاصة ، وتدخلت دمشق عبر نائب الرئيس السورى عبد الحليم خدام وكانت وجهة نظر الحزب ان كل هذا مضيعة للوقت ، ووقف موقفاً معارضاً من هذه الدعوة والتى كانت تفرض أن يبقى الحكم فى يد الكتائب التى أعلن الحزب رفضه لها ، وطالب بمحاكمة قادتها وقرر من البداية معاداتهم والعمل على تغييرهم ولكنه لم يترجم هذا الموقف ميدانياً .

وفى حزيران (يونيه) ١٩٨٤ أعلن عن البدء فى تنفيذ الخطة الأمنية لبيروت الكبرى لوقف التقاتل وإلغاء خطوط التماس وأن يتولى الجيش حماية العاصمة أمنياً، ورغم عدم مشاركة الحزب فى اللجنة فإنه فصل بين معارضته للخطة سياسياً وبين الموقف الإجرائى الميدانى وأعلن عن تخليه عن مواقع التماس وتسليمها للجيش حتى لا ينفجر الوضع وتزداد حالة التراشق والتقاذف وأعلن ان القتال الداخلى ملهاة عن أمور كبيرة

تخص الوطن وتحريره . لكن سجل الحزب ملاحظته الأساسية على الخطة ، بأنها لا تقوم على أساس استنفار الطاقات لمقاتلة إسرائيل ، خاصة أنها حددت نطاقها البقعة الممتدة من مثلث خلدة حتى جسر الموت، وظل الحزب يؤكد على ضرورة محاكمة رموز النظام فأعلن فى تموز (يوليو) من العام نفسه أنه معنى بهذه المحاسبة وستبقى العين ساهرة للدفاع عن المسلمين ومحاسبة كل الذين تسببوا فى قتل الأبرياء ، بعدما تناسى الحكم والحكومة المطالبات الشعبية العارمة ، بمحاكمة المسؤولين عن قتل الشعب وتدمير مصالحه.

أكد الحزب ذلك ووضعه من جملة أهدافه (أن يرضخ الكتائبيون للحكم العادل ، ويحاكموا جميعاً على الجرائم التى ارتكبوها بحق المسلمين والمسيحيين بتشجيع من أمريكا وإسرائيل) . وفى أيار (مايو) ١٩٨٤ اعتمد اسم (حزب الله – الثورة الإسلامية فى لبنان) وأنشئ فى الوقت نفسه المكتب السياسى وأقر إصدار المطبوعة الأسبوعية " العهد " ومع تصاعد الأقوال والادعاءات ان حزب الله ما هو الا حالة قتالية خاض الحزب معارك سياسية واعلامية بعد ان قوى بنيانه التنظيمى والسياسى فأعلن عن برنامجه السياسى وهويته فى وثيقة أذاعها على الملأ من جبشيت فى ذكرى استشهاد (شيخ شهداء الجنوب الشهيد راغب حرب) الأولى من حسينية الشياح فى ١٦ شباط (فبراير) ١٩٨٥ كان البرنامج السياسى يحمل عنوان (الرسالة المفتوحة) ليتعرف الناس على حزب الله وعلى هويته السياسية وانتمائه والتزامه بالتعاليم الإلهية الإسلامية المتجاوزة لكل الشكليات القبلية أو المناطقية ، وكيفية تعاطيه مع العدو الصهيونى والأمريكى وحدد الدولة الصهيونية بأنها (شر مطلق) وأن أمريكا (أول جذور المنكر) وأسقط الحزب من حساباته السياسية (المرحلية – المستقبلية) أى امكانية أو أى صيغة تعاون مع من يعتبرهم (عملاء لإسرائيل) .

فى خريف عام ١٩٨٥ كان هنا تحضير لمصالحة تهدف الى صيغة تنهى حالة الحرب وتضع قواعد جديدة للحكم فى لبنان يتقاسم فيها المسلمون والمسيحيون السلطة ونالت

هذه المصالحة موافقة أطراف عربية واسلامية وبدأ الاجتماع الذى ضم (حركة أمل - الحزب التقدمى الاشتراكى - القوات اللبنانية) تحت الرعاية السوريه وعرف حينها (بالاتفاق الثلاثى) ولم يخف الحزب معارضته للاتفاق ومضامينه وأعلن صراحة معارضته السياسية مع رفضه فى الوقت نفسه استخدام أساليب العنف وتفجير الصراع لإثبات المعارضة ، وبتحالف أمين الجميل مع فريق من القوات اللبنانية سقط الاتفاق،وسقط أيضاً عبء المعارضة عن كاهل حزب الله.

كانت المعارضة الدائمة من جانب حزب الله لأى إصلاح مرحلى فى النظام جعل القوى السياسية الداخلية تبدى تخوفها من حقيقة المشروع غير المعلن لحزب الله وهل هناك تحضير ما لفرض فكرة دولة إسلامية بالقوة ؟ جاءت إجابة الحزب بأن نظرته لشكل الحكم تنطلق من الإرادة الشعبية مع إبداء رغبته بأن تختار هذه الإرادة النظام الإسلامى ، وان له رؤية فى طبيعة الصراع باعتباره صراعاً بين مظلومين مستضعفين وقوى استعمارية غربية ، جعلت من لبنان بوابة للشرق أوسطية ومفتاح هذه البوابة هذه الحكومة ، وحدد الحزب دوره الذى يقتضى اغلاق تلك البوابة ومحاولة تغيير الوضع الى دولة "عادلة تقوم على أساس تكافؤ الفرص أمام اللبنانيين لحكم البلاد بعيداً عن الانتماءات الطائفية " فالرؤية هنا إلغاء الطائفية السياسية لفتح البلاد أمام كل التغييرات الكبيرة على مستوى السلطة والدولة ، وبدأ الحزب يتعاطى مع الواقع اللبنانى بما هو متاح من محددات التغيير السياسى وفق قواعد التغيير السلمى وممارسة ضغوطات سياسية على مراكز صنع واتخاذ القرار فى لبنان.

على رأس القضايا العديدة أمام حزب الله كانت قضية الوحدة الإسلامية والتى تعنى وحدة المسلمين من سنة وشيعة فى وحدة واحدة وإسقاط الخلاف الميدانى وإبقاءه فى اطار النقاش والحوار العلمى والفقهى.

اعتبر حزب الله أن هناك أربع حالات تحكم العلاقة الإسلامية - الإسلامية وهى :



- بقاء الحواجز النفسية والمذهبية وهذا باب تنفذ منه الخلافات والصراعات ويشكل ثغرة للذين يريدون بقاء الضعف الاسلامى.

- الصراع والتذابح وهذا ما تعمل له القوى المستكبرة من خلال سعيها للهيمنة على العالم الاسلامى وسلب ثرواته ، وهذه العلاقة لن تودى إلا إلى إضعاف المسلمين وبعثرة قواهم .

- الوحدة : وهى أن يتحد المسلمون من خلال معركتهم الواحدة على أساس وحدة العبادة والارتباط بالخط الاسلامى ومواجهة اعدائهم المستكبرين .

وهذه هى الحالة الأقرب التى حاول الحزب تطبيقها ، والالتزام بها كقاعدة وحدوية، وقد دفع الحزب ثمناً باهظاً مرحلياً عندما انشغل هو وغيره بالتنازع الداخلى لكن سرعان ما عاد ليتبنى القواسم المشتركة التى تفرض تعزيز قوى المسلمين واللبنانيين الوطنيين فى مواجهة التحديات وكان خطابه السياسى يشتمل على كل معانى الوحدة ويدعو لها ويترجمها ميدانياً ، وبعد إصدار وثيقة الحزب "الرسالة المفتوحة" دخل تطوره مرحلة جديدة هى مرحلة الصمود والمقاومة .

****

البرنامج التأسيسى لحزب الله
قراءة فى وثيقة " الرسالة المفتوحة إلى المستضعفين "

تمثل هذه الرسالة الوثيقة الأولى الرئيسية لحزب الله وعندما يريد أحد أن يبحث اليوم عن الأفكار الأولى التأسيسية للحزب ، فلابد له أن يعود إلى هذه الوثيقة حيث بداخلها تبرز الرؤى الأصلية الفلسطينية والحركية للحزب ، ولمؤسسيه الكبار الذين يأتى حسن نصر الله فى مقدمتهم ، فى البداية تبدأ الوثيقة بسؤال : من نحن وما هى هويتنا ؟

ثم جاء فيها " إننا أبناء أمة حزب الله فى لبنان ، نحييكم ونخاطب من خلالكم العالم بأسره شخصيات ومؤسسات ، أحزاباً ومنظمات وهيئات سياسية وإنسانية وإعلامية ،

ولا نستثني أحداً ، لأننا حريصون على أن يسمع صوتنا الجميع ، فيفهموا مقالتنا ويستوعبوا طروحاتنا ويتدارسوا مشروعنا .

إننا أبناء أمة حزب الله ، نعتبر أنفسنا جزءاً من أمة الاسلام فى العالم ، التى تواجه أعتى هجمة استكبارية ، من الغرب والشرق على السواء ، بهدف تفريغها من مضمونها الرسالى الذى أنعم الله به عليها ، لتكون خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله " ثم تنتقل الرسالة الى المطالبة للتصدى لقوى الاستكبار التى تهدف الى استلاب خيراتها وثرواتها ، واستثمار طاقاتها وكفاءات أبنائها ، والسيطرة على شئونها كافة ثم تقول الرسالة : " نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة وعادلة ، تتمثل بالولى الفقيه الجامع للشرايط ، وتتجسد حاضراً بالإمام المسدد ، آية الله العظمى روح الله الموسوى الخمينى دام ظله ، مفجر ثورة المسلمين ، وباعث نهضتهم المجيدة .

وعلى هذا الأساس ، فنحن فى لبنان لسنا حزباً تنظيمياً مغلقاً ، ولسنا إطاراً سياسياً ضيقاً .. بل نحن أمة ترتبط مع المسلمين ، فى أنحاء العالم كافة ، برباط عقائدى وسياسى متين هو الإسلام .

ومن هنا ، فإن ما يصيب المسلمين فى أفغانستان أو العراق أو الفلبين أو غيرها ، إنما يصيب جسم أمتنا الإسلامية التى نحن جزء لا يتجزأ منها ، ونتحرك لمواجهته انطلاقاً من واجب شرعى أساساً ، وفى ضوء تصور سياسى عام تقرره ولاية الفقيه القائد .

أما ثقافتنا ، فمنابعها الأساسية ، القرآن الكريم ، والسنة المعصومة ، والأحكام والفتاوى الصادرة عن الفقيه مرجع التقليد عندنا ! وأما قدرتنا العسكرية فلا يتخيلن أحد حجمها ، إذ ليس لدينا جهاز عسكرى منفصل عن بقية أطراف جسمنا ، بل ان كل واحد منا يتولى مهمته فى المعركة " .

<u>العالم المستكبر متفق على حربنا</u>

" أيها المستضعفون الأحرار :

إن دول العالم المستكبر الظالم ، في الغرب والشرق ، قد اجتمعت على محاربتنا ، وراح حكامها يحرضون عملاءهم ضدنا ، يحاولون تشويه سمعتنا وافتراء الأكاذيب علينا .. في محاولة خبيثة للفصل بيننا وبين المستضعفين الطيبين ، وفي سعي حثيث لتقزيم ومسخ الانجازات المهمة والكبرى ، على مستوى مواجهتنا لأمريكا وحلفائها .. لقد حاولت أمريكا ، عبر عملائها المحليين ، أن توحي للناس بأن من قضى على غطرستها في لبنان ، وأخرجها ذليلة خائبة ، وسحق مؤامرتها على المستضعفين في هذه البلاد ، هم ليسوا إلا حفنة من المتعصبين الإرهابيين ، الذين لا شأن لهم إلا تفجير محلات الخمور والقمار وآلات اللهو وغير ذلك ، ولكن كنا على يقين بأن مثل هذه الايحاءات لن تخدع أمتنا لأن العالم بأسره يعلم أن من يفكر بمواجهة أمريكا والاستكبار العالمي ، لا يلجأ الى مثل هذه الأعمال الهامشية ، التي تشغله بالذيل عن الرأس " .

أمريكا وراء كل مصائبنا

" إننا متوجهون لمحاربة المنكر من جذوره .. وأول جذور المنكر أمريكا .. ولن تنفع كل المحاولات لجرنا الى ممارسات هامشية، اذا ما قيست بالمواجهة مع أمريكا .. فالإمام الخميني القائد أكد ، ولمرات عديدة ، أن أمريكا هي سبب كل مصائبنا ، وهي أم الخبائث .. ونحن إذ نحاربها ، فلا نمارس الا حقنا المشروع في الدفاع عن اسلامنا وعزة أمتنا .

إننا نعلن ، بصراحة ووضوح ، أننا أمة لا تخاف الا الله ، ولا ترتضي الظلم والعدوان والمهانة ، وأن أمريكا وحلفاءها ، من دول حلف شمال الأطلسي ، والكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين الإسلامية المقدسة ، كل هؤلاء ، قد مارسوا ويمارسون العدوان علينا ويعملون على إذلالنا باستمرار .. ولذا فإننا في حالة تأهب مستمر ومتصاعد ، من أجل رد العدوان والدفاع عن الدين والوجود والكرامة .

لقد هاجموا بلادنا ، ودمروا قرانا ، وذبحوا أطفالنا ، وهتكوا حرماتنا ، وسلّطوا على رقابنا جلادين مجرمين ارتكبوا مجازر رهيبة بحق أمتنا ، ولايزالون يدعمون هؤلاء الجزارين حلفاء إسرائيل ، ويمنعوننا من تقرير مصيرنا بمحض اختيارنا ، وكنا نستصرخ ضمير العالم آنذاك فلم نسمع له حساً ولم نجد له أثراً ، هذا الضمير الذى افتقدناه أيام المحنة ، هو نفسه كان مستنفراً ويقظاً ، يوم حوصر الكتائبيون المجرمون، فى مدينة زحلة البقاعية ، ويوم حوصر المتحالفون مع إسرائيل ، فى دير القمر الشوفية .. فهالنا الأمر ، وأيقنا أن هذا الضمير العالمى ، لا يهتز الا بنداء لطلب الأقوياء .. واستجابة لمصالح الاستكبار .

لقد ذبح الإسرائيليون والكتائبيون عدة آلاف ، من آبائنا وأطفالنا ونسائنا وإخواننا ، فى صبرا وشاتيلا خلال ليلة واحدة ، فلم يصدر عن أية منظمة أو هيئة دولية أى استنكار أو شجب عملى لهذه المجزرة البشعة ، التى ارتكبت بتنسيق مع القوات الأطلسية التى غادرت قبل أيام بل ساعات ، المخيمات التى قبل المنهزمون أن يضعوها تحت حماية الذئب ، استجابة لمناورة الثعلب الامريكي فيليب حبيب " .

<u>تنسيق صهيونى كتائبى</u>

- " مئة ألف ضحية هو العدد التقريبى لجرائم أمريكا وإسرائيل والكتائب فينا.

- تهجير لنصف مليون مسلم تقريباً ، وتدمير شبه كامل لأحيائهم ، فى النبعة وبرج حمود والدكوانة وتل الزعتر وسبينه وحى الغوارنة ، وبنت جبيل التى لايزال من تبقى من أهلنا فيها يتعرضون للمحنة ، دون أن تتحرك هيئة عالمية واحدة لإنقاذهم .

- واحتلال صهيونى استمر فى اغتصابه لأراضى المسلمين ، حتى وصل الى احتلال لأكثر من ثلث مساحة لبنان ، بتنسيق مسبق واتفاق كامل مع الكتائبيين ، الذين استنكروا محاولات التصدى للقوات الغازية ، وشاركوا فى تنفيذ بعض خطط إسرائيل ليكملوا ويعطوها ما تريد ثمناً لإيصالهم الى رئاسة الحكم .

وهكذا كان ، فلقد وصل الجزار بشير الجميل الى سدة الرئاسة ، مستعيناً بإسرائيل، وبالنفطيين العرب ، وبالزعماء المستزلمين للكتائب من نواب المسلمين ، وإثر محاولة

متقنة لتجميل صورته البشعة ، فى اطار غرفة عمليات سميت " بلجنة الإنقاذ " لم تكن الا جسراً أمريكياً – إسرائيلياً عبر عليه الكتائبيون ، باتجـاه التسـلط علـى رقـاب المستضعفين .

لكن شعبنا لم يستطع الصبر على هذه المهانة ، فبدد أحلام الصهاينة وحلفائهم ، الا أن أمريكا أصرت على حماقتها ، فأوصلت أمين الجميل لخلافة أخيه المقبور ، وكان أول إنجاز له : تدمير منازل المهجرين ، والاعتداء على مسـاجد المسـلمين ، وإعطـاء الأوامر للجيش بقصف أحياء الضاحية المستضعفة على أهلها ، واستدعاء قوات حلف الأطلسى ، للاستعانة بهم علينا ، وتوقيع اتفاقية ١٧ أيار المشئوم ،الذى يجعل من لبنان محمية إسرائيلية ومستعمرة أمريكية .

<u>أعداؤنا الأساسيون</u>

" ولم يستطع شعبنا ان يتحمل كل هذه الخيانة فقرر مواجهة أئمـة الكفـر : أمريكـا وفرنسا وإسرائيل ، ونفذ بحقهم أول عقوبة لهم : فى ١٨ نيسان ، ثم فى ٢٩ تشـرين أول ١٩٨٣ ، وكان قد بدأ حرباً حقيقية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلى ، ارتقى خلالها الى مستوى تدمير مركزين أساسين لحكامه العسكريين، وصعّد من مقاومته الإسلامية، شعبياً وعسكرياً ، حتى أرغم العدو على اتخاذ قرار بالفرار المرحلى ، وهـو قـرار تضطر اليه إسرائيل لأول مرة فى تاريخ ما سمى بالصراع العربى – الإسرائيلى " .

<u>أهدافنا فى لبنان</u>

- " تخرج إسرائيل نهائياً من لبنان ، كمقدمة لإزالتها نهائياً من الوجـود ، وتحريـر القدس الشريف من براثن الاحتلال .
- تخرج أمريكا وفرنسا وحلفاؤهما نهائياً من لبنان وينتهـى أى نفـوذ لأيـة دولـة استعمارية فى البلاد .
- يرضخ الكتائبيون للحكم العادل ، ويحاكمون جميعاً على الجرائم التى ارتكبوهـا، بحق المسلمين والمسيحيين ، بتشجيع من أمريكا وإسرائيل .

- يتاح لجميع أبناء شعبنا أن يقرروا مصيرهم ، ويختاروا بكامل حريتهم ، شكل نظام الحكم الذى يريدونه ، علماً بأننا لا نخفى التزامنا بحكم الإسلام ، وندعو الجميع الى اختيار النظام الاسلامى الذى يكفل وحده العدل والكرامة للجميع ، ويمنع وحده أية محاولة للتسلل الاستعمارى الى بلادنا من جديد " .

<u>أيها الأصدقاء</u>

" اذاً .. هذه هى أهدافنا فى لبنان ، وهؤلاء هم أعداؤنا ، أما أصدقاؤنا فهم كل الشعوب المستضعفة فى العالم ، وهم كل من يحارب أعداءنا ، ويحرص على عدم الاساءة الينا .. أفراداً كانوا أو أحزاباً أو منظمات ..

أيها المحاربون والمنظمون ، أينما كنتم فى لبنان ، وأياً كانت أفكاركم .. اننا متفقون وإياكم على أهداف كبيرة ومهمة .. تتمثل فى ضرورة إسقاط الهيمنة الأمريكية على البلاد ، وطرد الاحتلال الصهيونى الجاثم على رقاب العباد .. وضرب كل محاولات التسلط الكتائبى على شئون الحكم والادارة .. وإن كنا نختلف فى أساليب المواجهة ومستوى المواجهة ..

فتعالوا نترفع عن التخاصم فيما بيننا على الأمور الصغيرة ، ونفتح أبواب التنافس واسعة أمام تحقيق الأهداف الكبيرة .

فليس مهماً أن يسيطر حزب الله على شارع ،وإنما المهم أن تتفاعل الجماهير مع هذا الحزب. وليس المهم أن تكثر الاستعراضات العسكرية على المواطنين .. بل المهم ان تكثر العمليات ضد إسرائيل ، وليس المهم ان نصوغ البيانات وندعو الى مؤتمرات بل المهم ان نجعل من لبنان مقبرة للمشاريع الأمريكية " .

<u>نلتزم بالإسلام ولا نفرضه بالقوة</u>

" أيها المستضعفون الأحرار : إننا أمة التزمت برسالة الاسلام ، وأحبت للمستضعفين وللناس كافة أن يتدارسوا هذه الرسالة السماوية ، لأنها تصلح لتحقيق العدل والسلام والطمأنينة فى العالم .. والله تعالى ربنا يقول : (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها

والله سميع عليم ، الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) . [البقرة ٢٥٥ ، ٢٥٦] .

اننا مقتنعون بالإسلام ، عقيدة ونظاماً ، فكراً وعلماً ، وندعو الجميع الى التعرف عليه، والاحتكام الى شريعته ، كما ندعوهم الى تبنيه والالتزام بتعاليمه ، على المستوى الفردى والسياسى والاجتماعى .

ومن هنا فإننا ندعو إلى اعتماد النظام الاسلامى ، على قاعدة الاختيار الحر والمباشر من قبل الناس ، لا على قاعدة الفرض بالقوة ، كما يخيل للبعض .. ونعلن أننا نطمح ان يكون لبنان جزءاً لا يتجزأ من الخارطة السياسية المعادية لأمريكا والاستكبار العالمى وللصهيونية العالمية والتى يحكمها الاسلام وقيادته العادلة .. وهذا الطموح هو طموح أمة ، وليس طموح حزب واختيار شعب لا اختيار عصابة " .

الحد الأدنى لطموحنا فى لبنان

إنقاذ لبنان من التبعية ، للغرب أو للشرق ، وطرد الاحتلال الصهيونى من أراضيه نهائياً واعتماد نظام يقرره الشعب ، بمحض اختياره وحريته .

لماذا نواجه النظام القائم ؟

١ – لكونه صنيعة الاستكبار العالمى، وجزءاً من الخارطة السياسية المعادية للاسلام.

٢ – لكونه تركيبة ظالمة فى أساسها،لا ينفع معها أى اصلاح أو ترقيع،بل لابد من تغييرها من جذورها (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون). [٤٥ المائدة]

موقفنا من المعارضة

" فنعتبر أن كل معارضة تتحرك ضمن خطوط حمر فرضتها القوى المستكبرة ، هى معارضة شكلية لابد أن تلتقى ، فى نهاية المطاف ، مع النظام القائم.

وكل معارضة تتحرك ضمن دائرة الحفاظ والحرص على الدستور المعمول به حالياً ، وتلتزم عدم اجراء أى تغيير أساسى فى جذور النظام ، هى معارضة شكلية أيضاً ، لا

تحقق مصلحة الجماهير المستضعفة ، وكذلك فإن أى معارضة تتحرك فى المواقع التى يريدها النظام أن تتحرك من خلالها ، هى معارضة وهمية ، ليست الا لخدمة النظام .

ومن ناحية اخرى ، فإن كل طرح للإصلاح السياسى ، على ضوء النظام الطائفى العفن ، لا يعنينا منه شيء ، تماماً كما لا يعنينا تشكيل أية حكومة ، أو اشتراك أية شخصية فى أية وزارة تمثل جزءاً من النظام الظالم " .

كلمات برسم المسيحيين فى لبنان

" أيها المستضعفون الشرفاء : إننا نتوجه من خلالكم بكلمات قليلة برسم المسيحيين فى لبنان ، وبرسم الموارنة على وجه الخصوص :

ان السياسة التى ينتهجها زعماء المارونية السياسية ، من خلال "الجبهة اللبنانية" و"القوات اللبنانية " لا يمكن ان تحقق السلام والاستقرار للمسيحيين فى لبنان ، لأنها سياسة قائمة على العصبية والامتيازات الطائفية والتحالف مع الاستعمار وإسرائيل.

ولقد أثبتت المحنة اللبنانية ، أن الامتيازات الطائفية كانت سبباً رئيسياً ، من أسباب الانفجار الكبير الذى قوض البلاد ، وأن التحالف مع أمريكا وفرنسا وإسرائيل لم يُجد نفعاً للمسيحيين يوم احتاجوا لدعم هؤلاء ..

ثم إن الأوان قد آن ، ليخرج المسيحيون المتعصبون من نفق الولاء الطائفى ، ومن أوهام الاستئثار بالامتيازات ، على حساب الآخرين ، وأن يستجيبوا لدعوة السماء ، فيتحكموا الى العقل بدل السلاح،والى القناعة بدل الطائفة .

اننا على يقين بأن رسول الله المسيح (عليه السلام) براء من المجازر التى ارتكبها الكتائبيون ، باسمه وباسمكم .. وبراء من السياسة الحمقاء التى يعتمدها زعماؤكم ، للتحكم بنا وبكم .

كما أن رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) هو براء أيضاً ممن يحسب على المسلمين،ممن لا يلتزمون بشرع الله،ولا يسعون الى تطبيق أحكامه،علينا وعليكم.

فإذا ما راجعتم حساباتكم ، وعرفتم أن مصلحتكم هى ما تقررونه أنتم ، بمحض اختياركم ، لا ما يفرض عليكم بالحديد والنار ، حينئذ نجدد دعوتنا لكم ، استجابة لقول الله تعالى : " قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " .

وإن كان أحد قد ضللكم ، وعظّم لكم الأمور ، وخوّفكم ان تنالكم منا ردود فعل ، على ما ارتكبه الكتائبيون من جرائم بحقنا ، فذا ما لا مبرر لكم فيه أبداً،إذ إن المسلمين منكم لازالوا يعيشون بيننا،دون أن يعكر صفوهم أحد ..

وان كنا نقاتل الكتائبيين ، فلأنهم يشكلون حاجزاً أمام رؤيتكم للحقيقة ، ويصدونكم عن سبيل الله ، ويبغونها فى الأرض عوجاً بغير حق ، وقد استكبروا وعتوا عتواً كبيراً .

أيها المسيحيون ..

حرروا أفكاركم من رواسب الطائفية البغيضة ، وجردّوا عقولكم من أسر التعصب والانغلاق ، افتحوا بصائركم على ما ندعوكم اليه من الاسلام ، ففيه نجاتكم وسعادتكم وخير الدنيا والآخرة ، أما المنتسبون للإسلام طائفياً ، فندعوهم للالتزام بالاسلام عملياً، والترفع عن العصبيات التى يمقتها الدين " .

قصتنا مع الاستكبار العالمى

" أيها المستضعفون الشرفاء ..

وأما قصتنا مع الاستكبار العالمى ، فنوجزها لكم بهذه الكلمات : إننا نعتقد أن صراع المبادئ ، بين أمريكا والاتحاد السوفيتى ، قد ولى ، منذ زمن بعيد ، والى غير رجعة، فلقد أخفق الطرفان ، فى تحقيق السعادة للبشرية ، لأن الفكرة التى قدماها للناس ، وان اختلفت من حيث الشكل الى : رأسمالية وشيوعية ، فإنها التقت فى المضمون المادى ، وقصرت عن علاج مشاكل الانسانية .

فلا الرأسمالية الغربية ، ولا الاشتراكية الشرقية ، نجحتا فى إرساء قواعد المجتمع العادل والمطمئن ، ولا استطاعتا ان تحققا التوازن بين الفرد والمجتمع ، ولا بين الفطرة البشرية والمصلحة العامة .

وعلى هذا الأساس ، فالبلدان المستضعفة باتت هى محك الصراع ، والشعوب المستضعفة أصبحت وقوده .

أما فى لبنان ومنطقة فلسطين : فإننا معنيون بمواجهة أمريكا ، بشكل رئيسى ، لأنها صاحبة النفوذ الأقوى بين دول الاستكبار العالمى ، وكذلك إسرائيل ربيبة الصهيونية العالمية ، ومن ثم فإننا معنيون بمواجهة حلفاء أمريكا ، من دول حلف شمال الأطلسى، التى تورطت فى مساعدة أمريكا ضد شعوب المنطقة، ونحذر الدول التى لم تتورط بعد، من الانجرار الى خدمة المصالح الأمريكية، على حساب حرية أمتنا ومصالحها".

إسرائيل يجب ان تزول من الوجود

" أما إسرائيل فنعتبرها رأس الحربة الأمريكية فى عالمنا الإسلامى .. وهى عدو غاصب تجب محاربته ، حتى يعود الحق المغصوب الى أهله .. وهذا العدو يشكل خطراً كبيراً على مستقبل أجيالنا ومصير أمتنا ، خصوصاً أنه يحمل فكرة استيطانية توسعية ، بدأ تطبيقها فى فلسطين المحتلة ، ويحاول التمدد والتوسع ، ليبنى دولة إسرائيل الكبرى ، من الفرات الى النيل ، وصراعنا مع إسرائيل الغاصبة ينطلق من فهم عقائدى وتاريخى ، مؤداه ان هذا الكيان الصهيونى عدوانى ، فى نشأته وتكوينه ، وقائم على أرض مغصوبة وعلى حساب حقوق شعب مسلم .

ولذا فإن مواجهتنا لهذا الكيان يجب ان تنتهى بإزالته من الوجود ، ومن هنا ، فإننا لا نعترف بأى اتفاق لوقف اطلاق النار ضده ، أو أية اتفاقية هدنة معه ، أو أية معاهدة سلام منفردة أو غير منفردة ، وندين بشدة كل مشاريع الوساطة بيننا وبين إسرائيل ، ونعتبر الوسطاء طرفاً معادياً ، لأن وساطتهم لن تخدم إلا الإقرار بشرعية الاحتلال الصهيونى لفلسطين .

وعلى هذا الأساس ، نرفض معاهدة كامب ديفيد ، ونرفض مشروع فهد ، ومشروع فاس، ومشروع ريجان ، ومشروع بريجينيف ، والمشروع الفرنسي – المصرى ، وكل مشروع يتضمن اعترافا ، ولو ضمنياً ، بالكيان الصهيونى .

ونسجل ، في هذا السياق ، إدانتنا لكل الدول والمنظمات المنحرفة التي تلهث وراء الحلول الاستسلامية مع العدو ، وتقبل " بمقايضة الأرض بالسلام " ونعتبر ذلك خيانة لدماء الشعب الفلسطيني المسلم ، ولقضية فلسطين المقدسة.

ومن جهة اخرى فإن الدعوة اليهودية التي أطلقت أخيراً ، للاستيطان في جنوب لبنان ، وكذلك هجرة اليهود الأثيوبيين وغيرهم الى داخل فلسطين المحتلة ننظر اليها على أنها جزء من المشروع الإسرائيلي التوسعي في العالم الاسلامي .. ومؤشر فعلي على الخطر الناجم من الاعتراف بهذا الكيان ، أو التعايش معه .

فالمقاومة الإسلامية المشرفة ، التي سطرت ولاتزال ، أروع الملاحم والبطولات ضد قوات الغزو الصهيوني ، وحطمت بإيمان مجاهديها أسطورة إسرائيل التي لا تقهر ، واستطاعت ان توقع الكيان الغاصب في مأزق حقيقي ، من جراء الاستنزاف اليوم له ، عسكرياً وبشرياً واقتصادياً ، مما اضطر قادته أن يعترفوا بقساوة المواجهة التي يلقونها ، على أيدى المسلمين وإذ نصر على تأكيد اسلاميتها ، فإنما يكون ذلك انسجاماً منا مع واقعها ، الذي يبدو واضحاً أنه اسلامي ، في الدافع والهدف والمسلك وعمق المواجهة ، وهذا لا يلغي وطنيتها أبداً ، بل يؤكدها .. على العكس مما لو طمست اسلاميتها ، فإن وطنيتها تصبح هشة الى حد كبير" .

<u>نداء من أجل مشاركة إسلامية واسعة</u>

" إننا ننتهز الفرصة لنوجه نداء حاراً ، إلى جميع أبناء المسلمين في العالم ، ندعوهم من خلاله إلى مشاركة إخوانهم في لبنان ، بشرف القتال ضد الصهاينة المحتلين ، إما مباشرة ، أو من خلال دعم المجاهدين ومساعدتهم .. ذلك ان مقاتلة إسرائيل هي مسئولية كل المسلمين ، في الأقطار والمناطق كافة ، وليست مسئولية أبناء جبل عامل والبقاع الغربي وحدهم .

لقد استطاعت المقاومة الإسلامية ، بدماء شهدائها وجهاد أبطالها ، أن ترغم العدو ، ولأول مرة في تاريخ الصراع ضده، على اتخاذ قرار بالتراجع والانسحاب من لبنان.. دون أي تأثير أمريكي أو غيره ، بل على العكس تماماً .. فإن قرار الانسحاب الإسرائيلي أظهر قلقاً أمريكياً حقيقياً ، وشكل نقطة انعطاف تاريخية في مجرى الصراع ضد الصهاينة الغاصبين. وأثبت المجاهدون .. من خلال مقاومتهم الإسلامية التي شاركت فيها النساء ، حيث سلاحهن الحجارة والزيت المغلي ، والأطفال ، حيث سلاحهم الصراخ والقبضات العارية .. والشيوخ،حيث سلاحهم الجسد الضعيف والعصا الغليظة ، والشباب حيث سلاحهم البندقية والارادة الصلبة المؤمنة .. هؤلاء جميعاً أثبتوا ان الأمة اذا ما تركت تدبر أمرها بحريتها قادرة على أن تصنع المعجزات وتغير المتوهم من الأقدار" .

<u>أنظمة الانهزام العربي</u>

"وأما الأنظمة العربية المستسلمة ، فهي أنظمة عاجزة وقاصرة عن مواكبة تطلعاتها ، ولا تستطيع ان تفكر بمواجهة الكيان الصهيوني الغاصب لفلسطين لأنها نشأت في ظل وصاية استعمارية ، كان لها الدور الأكبر في تكوين هذه الأنظمة المهترئة.

إن بعض الحكام العرب، لا يتورعون عن أن يقدموا كل التسهيلات لأمريكا وبريطانيا، ولا يخجلون من الاعتماد على خبراء أجانب يعينونهم في مناصب رسمية عليا ، وينفذون ما تقرره لهم دوائر البيت الأبيض من سياسة تهريب الثروات وتوزيعها على المستعمرين بأساليب شتى.

ويدعي بعضهم أنه حامي العرب والمسلمين ، ليغطي خيانته ، وليبرر استسلامه لإرادة أمريكا ، وفي الوقت نفسه ، يعتبر عبور كتاب إسلامي ثوري واحد الى بلاده أمراً محرماً وممنوعاً .

ونتيجة لسياسة الانهزام التى تتبعها هذه الأنظمة تجاه إسرائيل ، فقد استطاعت هذه الأخيرة ان تقنع الكثيرين منها ، بأنها أصبحت أمراً واقعاً ، لا مجال لعدم الاعتراف بها،فضلاً عن الإقرار بضرورة الالتزام بتوفير أمنها ٠

وسياسة الانهزام هذه ، هى التى شجعت السادات المقبور أن يرتكب خيانته الكبرى ، فيادر الى مصالحة إسرائيل، وتوقيع معاهدة الذل معها . وسياسة الانهزام أمام أمريكا، هى التى توجه موقف هؤلاء الحكام ، من الحرب العدوانية المفروضة على جمهورية الاسلام فى إيران ٠٠ وتقف وراء الدعم غير المحدود لصدام العميل ، على مستوى التمويل والتموين الاقتصادى والعسكرى ، ظناً منهم أن النظام التكريتى المتصهين يمكنه أن يقضى على الثورة الإسلامية ، ويمنع من انتشار وهجها الثورى ومفاهيمها ٠

وسياسة الانهزام هذه ، هى التى تدفع الأنظمة الرجعية الى تجهيل الناس ، وتمييعهم وتذويب شخصيتهم الإسلامية ، وقمع أى تحرك إسلامى مناهض لأمريكا وحلفائها فى بلادهم ، كما أنها هى التى تدفعها الى الخوف من يقظة المستضعفين ، ومنعهم من التدخل فى شئون السياسة ، لما فى ذلك من خطر كبير على بقاء تلك الأنظمة ناتج عن وعى الشعوب على فساد حكوماتها وارتباطاتها المشبوهة ، وعن تعاطف هذه الشعوب مع حركات التحرر ، فى كل أنحاء العالم الاسلامى والعالم ٠٠

إننا نجد فى معظم الأنظمة العربية ما يشكل حاجزاً ، أمام تنامى وعى الشعوب الإسلامية ووحدتها ، ونعتبرها مسئولة عن عرقلة المحاولات التى تستهدف إبقاء الجرح مفتوحاً ، والصراع مستمراً مع العدو الصهيونى ٠

وأملنا كبير بالشعوب المسلمة التى بدأت تبدى تذمرها بوضوح ، فى معظم البلاد الإسلامية واستطاعت أن تتسلل الى عالم الثورات ، لتستفيد من تجاربها ، وخصوصاً من الثورة الإسلامية الظافرة ٠٠ وسيأتى اليوم الذى تتساقط فيه هذه الأنظمة الهشة ، أمام قبضات المستضعفين ، كما تساقط عرش الطاغوت فى إيران، ولابد ونحن نخوض معركة شرسة ، ضد أمريكا وإسرائيل ومخططاتهما فى المنطقة ، إلا ان نحذر

هذه الأنظمة من العمل، بالشكل المعاكس لتيار الأمة الناهض والمقاوم للاستعمار والصهيونية ، وعليها أن تتعلم، من المقاومة الإسلامية فى لبنان ، دروساً كبيرة فى الإصرار على مقاتلة العدو ، حتى إلحاق الهزيمة به ، كما أننا نحذر هذه الأنظمة من التورط بمشاريع استسلام جديدة، وبمشاريع عدوانية تستهدف الثورة الإسلامية الفتية.. لأن ذلك سيؤول بأقطاب هذه الأنظمة الى المصير نفسه الذى لاقاه أنور السادات ، ومن قبله نورى السعيد وغيرهما " .

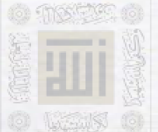
جبهة عالمية للمستضعفين

" ونتوجه إلى جميع الشعوب العربية والإسلامية ، لنعلن لها أن تجربة المسلمين ، فى إيران الإسلام ، لم تبق عذراً لأحد ، حين أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك ، أن الصدور العارية المدفوعة بإرادة الإيمان قادرة ، بعون الله الكبير ، أن تحطم كل حديد الأنظمة الطاغوتية وجبروتها .

لذا فإننا ندعو هذه الشعوب ، لتوحد صفوفها وترسم أهدافها وتنهض ، لكسر القيد الذى يطوق ارادتها ، وتسقط الحكومات العميلة التى تتسلط عليها ، ونلح على جميع المستضعفين فى العالم،بضرورة تشكيل جبهة عالمية لهم تضم جميع حركاتهم التحررية ، بهدف التنسيق فيما بينها تنسيقاً كاملاً شاملاً ، من أجل تأمين الفعالية لتحركها ، والتركيز على نقاط ضعف أعدائها .

فإذا كان العالم المستعمر، بدوله وأنظمته كافة، يجتمع اليوم على حرب المستضعفين.. فإن على المستضعفين ان يجتمعوا ، لمواجهة مؤامرات قوى الاستكبار فى العالم.

وعلى كل الشعوب المستضعفة ، وخصوصاً الشعوب العربية والإسلامية ، أن تدرك بأن الاسلام وحده هو المؤهل ليكون الفكر المقاوم للعدوان ، بعدما أثبتت التجارب أن كل الأفكار الوضعية قد طويت الى الأبد ، لمصلحة التوافق الأمريكى مع السوفيات وغيرهم " .



الله الله في وحدة المسلمين

" يا أيتها الشعوب المسلمة :

حاذرى من الفتنة الاستعمارية الخبيثة التى تستهدف تمزيق وحدتك ، لتزرع الشقاق فيما بينك وتثير العصبيات المذهبية ، السنية والشيعية ٠

واعلمى ، أن الاستعمار ما إستطاع ان يسيطر على ثروات المسلمين ، الا بعد أن سعى فى صفوفهم تمزيقاً وتفريقاً ٠٠ يثير السنة على الشيعة ، ويحرّض الشيعة على السنة ، وأوكل هذه المهمة ، فيما بعد ، الى عملائه من حكام البلاد حيناً ، ومن علماء السوء احياناً ، ومن الزعامات التى سلطها على رقاب العباد ٠

فالله الله فى وحدة المسلمين ٠٠ فإنها الصخرة التى تتحطم عليها خطط المستكبرين والمطرقة التى تسحق مؤامرات الظالمين ٠

فلا تدعوا لسياسة " فرق تسد " أن تُمارَس فى بلادكم ، وقاوموها بالالتفاف حول القرآن الكريم: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) ٠[آل عمران ١٠٣]

يا علماء المسلمين ان مسئوليتكم كبيرة جدّاً ، بحجم المصائب التى تحل بالمسلمين وأنتم خير من يقوم بواجبه،فى قيادة الامة نحو الاسلام،وفى توعيتها على ما يخطط له الأعداء للسيطرة عليها ونهب ثرواتها واستعبادها.

ولاشك أنكم تدركون ، أن المسلمين ينظرون اليكم ، بصفتكم حملة الأمانة من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبصفتكم ورثة الأنبياء والمرسلين ٠٠ فكونوا الأمل والقدوة الحسنة فى المجاهرة بالحق والوقوف بوجه الطغاة والمتجبرين ، وكونوا القدوة فى الترفع عن بهارج الحياة الدنيا وزخرفها ، والتوق الى الجنة والشهادة فى سبيل الله ٠

يا علماء المسلمين إن الإمام الخمينى القائد أكد مراراً على ضرورة صلاح العالم ، واهتمامه بتزكية نفسه قبل الآخرين ، وقال فى أكثر من مقام : (إن الناس اذا عرفوا أن صاحب حانوت غير صالح ، فيقولون : ان فلاناً غير صالح ، واذا عرفوا ان

تاجراً يغش الناس ، فيقولون : ان فلاناً غشاش ، أما اذا عرفوا ان عالم الدين – لا سمح الله – غير صالح ، فإنهم سيقولون: إن الدين غير صالح) !!

فيا علماء المسلمين ان موقعيتكم فى الأمة ، قد عرف المستعمر أهميتها ، ولذا فإنه وجه أقوى طعناته الى صدور العلماء المجاهدين .. فدبر مؤامرة شيطانية لإخفاء الإمام السيد موسى الصدر ، بعدما أحس أنه عقبة كأداء ، فى وجه مخططاته العدوانية .. وقتل الفيلسوف الاسلامى الشيخ مرتضى مطهرى ، وأعدم المرجع الإسلامى الكبير آية الله السيد محمد باقر الصدر ، حيث أحس منه بخطورة موقفه الذى جسده بهذه الكلمات : (ذوبوا فى الامام الخمينى كما ذاب فى الإسلام " وها هو يتربص بكل الدوائر بكل عالم دينى يقوم بواجبه الاسلامى خير قيام) .

ومن ناحية اخرى، راح الاستعمار يخترق المسلمين ، بوعاظ للسلاطين لا يخافون الله، ويفتون بما لا مجال فيه للفتوى ، فيجيزون الصلح مع إسرائيل ، ويحرّمون قتالها ، ويبررون خيانة الحكام الظالمين .

وما كان المستعمر ليفعل ذلك ، لولا أهمية تأثير العالم الدينى على الناس ، ومن هنا ، فإن من أهم مسئولياتكم يا علماء الاسلام ، أن تربوا المسلمين على الالتزام بأحكام الدين وتوضحوا لهم الخط السياسى الذى يسيرون على هديه ، وتقودوهم نحو العزة والرفعة ، وتهتموا بالحوزات العلمية ، بحيث تستطيع أن تخرج قادة مخلصين لله ، وحريصين على نصرة الدين والأمة .

كلمة أخيرة حول المنظمات الدولية

وأخيراً ، لابد من كلمة حول المنظمات والهيئات الدولية ، كمنظمة الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن الدولى وغيرهما ..

فإننا نسجل ان هذه المنظمات ليست الا منبراً للأمم المستضعفة ، بشكل عام ، وتبقى عديمة الفاعلية، بسبب هيمنة دول الاستكبار العالمى على قراراتها ، إجراء أو تعطيلاً.

وما حق النقض – الفيتو – الذى تحظى به بعض الدول ، الا دليل على صحة ما نقول. ومن هنا فإننا لا نتوقع ان يصدر عن هذه المنظمات ما يخدم مصلحة المستضعفين وندعو كل الدول التى تحترم نفسها الى تبنى مشروع إلغاء حق النقض – الفيتو لدول الاستكبار .

كما ندعوها الى تبنى مشروع طرد إسرائيل من الأمم المتحدة ، باعتبارها كياناً غاصباً وغير مشروع ، فضلاً عن كونه معادياً للنزعة الإنسانية .

أيها المستضعفون الأحرار ..

هذه هى تصوراتنا وأهدافنا ، وهذه هى القواعد التى تحكم مسيرتنا .. فمن قبلنا بقبول الحق ، فالله أولى بالحق ، ومن رد علينا ، نصبر حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين (١)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

حزب الله
١٦ شباط ١٩٨٥

الفصل الثانى

البيئة التى نشأ فيها حزب الله

تحولات لبنان وظهور موسى الصدر

ولد حزب الله فى لبنان وجاهد من أجله ويسيء من يتقول اليوم أو غداً علـى هويـة الحزب وجهاده وأن له أجندة إيرانية أو سوريه ، فالحزب قيادة وكوادراً وفكراً ودوراً، دماً وضحايا ، شهداء وجرحى ، كان لبنانياً أراد بعض السماسرة القدامى والجـدد أم أبوا ، ولأنه كذلك فيهمنا هنا أن نرد تلك البيئة السياسية التى ولد الحزب فيها ، وعمل فى إطارها ، بيئة لبنان الدولة والوطن فماذا عنها ؟

تقع لبنان فى قارة آسيا فى الجانب الغربى على الساحل الشرقى للبحر المتوسط يحدها من الشمال والشرق سوريه ومن الجنوب فلسطين المحتلة ومن الغرب البحر المتوسط وتبلغ مساحتها ١٠٤٥٢ كلم٢ وعدد سكانها يقترب من ٥ ملايين نسمة .

لقد نال لبنان استقلاله رسمياً عام ١٩٤٣ بعد فترة من الوقوع تحت الانتداب الفرنسى بعد توقيع اتفاقية سايكس بيكو التى قسمت البلاد العربية مناطق ، ودويـلات تقاسم النفوذ فيها انجلترا وفرنسا ، والنظام السياسى نظام جمهوري برلماني ورئاسي ، غلبت عليه السمة الرئاسية حتى عام ١٩٨٩ حتى (مؤتمر الطائف) الذى أعطى صـلاحيات أكثر لمجلس النواب ،ورئيس الوزراء مع الإبقاء على الكثير من الصلاحيات لـرئيس الجمهورية الذى ينتخب بأغلبية ثلثى أعضاء مجلس النواب ، ويشترط فيه أن يكـون لبنانياً مارونياً ، وينتخب لست سنوات ولا يجوز اعادة انتخابه إلا بعد انقضائها .

أما رئيس الوزراء فيقوم الرئيس بتعيينه ولا يوجد قيد على الرئيس فى الاختيار سوى أن يكون من المسلمين السنة .

يتم اختيار أعضاء مجلس النواب اللبنانى عن طريق نظام انتخـابى فـردى وسـرى مباشر، ويراعى النظام الانتخابى تمثيل الطوائف ، والانتخاب حق لكل مواطن ذكر أو

أنثى ، ورئيس البرلمان من المسلمين (الشيعة) والنظام الحزبى اللبنانى يقوم على أساس التعدد ويوجد فى لبنان عدد كبير من الأحزاب السياسية يصعب حصرها ، وتتضاءل أهميتها نظراً لكثرة عددها ، وسيادة الطائفية ، ووجود زعامات محلية ودينية قوية ، خارج الأحزاب ، هذا بالإضافة للأزمة التى تمر بها أحزاب اليمين واليسار من تجديد الخطاب أو استحداث الآليات السياسية والبحث عن جماهير وقواعد للحزب .

فى هذا السياق يمكن التوقف أمام بعض المحطات المهمة فى تاريخ لبنان :

١٩٦٩ : اتفاق القاهرة الذى نص على تنظيم الوجود الفلسطينى فى لبنان وشرع الكفاح المسلح .

١٩٧٣ : مواجهات دامية بين الفصائل الفلسطينية والجيش اللبنانى .

١٩٧٥ : يوم ١٣ نيسان (أبريل) : ارتكبت مجزرة بحق ركاب باص فلسطينى انطلقت بعدها شرارة الحرب اللبنانية وعرفت بحرب السنتين .

١٩٧٧ : هدنة بين المتحاربين ودخول القوات العربية الى بيروت لتبقى بعد فترة القوات السوريه وحدها .

١٩٧٨ (آذار / مارس) : القوات الإسرائيلية تتقدم حتى مشارف مدينة صور بهدف معلن وهو إخراج منظمة التحرير الفلسطينية .

١٩٧٨ (آب / أغسطس) : اختفاء الامام موسى الصدر فى ليبيا ونشوب صدام مسلح بين الفصائل الفلسطينية وحركة أمل .

١٩٨٢ (حزيران / يونيو) : اجتياح الجيش الإسرائيلى للبنان ووصول القوات الإسرائيلية الى بيروت وخروج ياسر عرفات وأنصاره .

١٩٨٢ (حزيران / يونيو) : الامام الخمينى يرسل فرقاً من الحرس الثورى لمساندة اللبنانيين فى مقاومة الاحتلال الصهيونى .

١٩٨٢ (تشرين أول / أكتوبر) : مجزرة مروعة ارتكبها الجيش الإسرائيلي بمساعدة بعض الفصائل المسيحية والميليشيات راح ضحيتها الآلاف من المواطنين الفلسطينيين والعرب في مخيمي صبرا وشاتيلا في بيروت .

١٩٨٢ : انتخاب بشير الجميل رئيساً للجمهورية بمعاونة وضغط إسرائيلي .

هذا ويحدثنا التاريخ أن ما حدث بعد اتفاقية ايكس بيكو كان شديد الوطأة على المسلمين، فهذه الاتفاقية كانت تقضي بالتسلط على الشرق ، وتقسيمه الى أماكن نفوذ بين القوى الغربية وعلى رأسها انجلترا وفرنسا ، كما كانت تهدف هذه الاتفاقية إلى القضاء على الخلافة الإسلامية آنذاك وشق الجسد العربي والاسلامي حتى يستحيل إعادة توحيده ومن هنا التقى الحلم الصهيوني مع خطط الامبريالية ليحدد مكان التنفيذ وهي تلك البقعة التي تربط بين الشرق العربي والاسلامي في آسيا ، والغرب العربي الاسلامي في أفريقيا هذه البقعة صاحبة التمايز السياسي والتاريخي والحضاري والديني للمسلمين والعرب ، (فلسطين) .

كانت خسارة فلسطين إذن امتداداً للخسارة التي لحقت بالمسلمين والتي شكلت عاملاً جديداً من عوامل البحث عن امكانية استعادة الذات فاندلعت الثورات ، وظهرت حركات تحرر ولكنها للأسف لم تفلح في الوصول الى أهدافها ، وبقيت قاصرة عن تحقيق الطموحات الجماهيرية ، لأسباب عدة وجوهرية لعل منها غياب الاستراتيجية ، أو عدم وضوحها ، وبذلك وقعت فريسة في أيدي المخططين الكبار وكان لبنان ولايزال أبرز البلاد التي تمثل جزءاً من المشروع الصهيوني للوصول الى مياه نهر الليطاني لري الجليل الأعلى والحصول على الطاقة الكهرمائية هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يُخطط أن يكون لبنان ضمن الدولة الصهيونية المزمع انشاؤها من النيل الى الفرات .

استطاعت إسرائيل كخطوة أولى السيطرة على نهري الحصباني والوزاني ، ثم مارست ضغوطاً سياسية ودولية لمنع لبنان من الاستفادة من مياهه ، كما في قضية

مشروع الليطاني. هذا بالاضافة الى سببين آخرين هما : الارتباط التاريخي الذى لن يجعل لبنان تقف موقف المتفرج لكون المجموعة البشرية التى تشكلت منها دول المنطقة كانت قبل وقت قصير تمثل وحدة جغرافية وسياسية واحدة .

الثانى : الخطر المحدق بإسرائيل والذى مثلته المقاومة الفلسطينية التى كانت أول مقاومة منظمة ذات قيادة سياسة وعسكرية ، وتعتمد على مركز انطلاق خارجي (لبنان) وامتداد داخلى فى فلسطين وتمارس عملاً مسلحاً لا ينحصر فى البقعة المحتلة فقط ، واستطاعت قواتها العسكرية السيطرة على الأراضى اللبنانية ، واتخاذها دولة داخل دولة فيما عرفت بدولة (الفكهانى) وأصبح لها صفة المؤسسة الرسمية ، لتطل منه على صراعها المسلح مع الدولة الصهيونية ، واستطاعت ان تستقطب فى صفوفها أعداداً متزايدة من أبناء البيئة الشعبية التى عملت فيها خاصة الشبان الجنوبيين الذين انخرطوا فى صفوفها وتشكلوا فى تنظيماتها المختلفة، فالجنوب يضم بين قراه ومدنه تلك المجموعة السكانية التى تحمل فكراً دينياً وقومياً متطوراً فى السياسة والثقافة بالإضافة الى الرصيد الكبير من المقاومة بما يسمح له ان يكون رقماً مستقبلياً لحساب البلاد العربية والإسلامية .

هذا الذى سبق هو ما دفع القوات الإسرائيلية فى آذار (مارس) ١٩٧٨ للتقدم إلى مشارف مدينة صور فى حملة كان أحد أهدافها إخراج منظمة التحرير الفلسطينية لكى تحقق من خلاله أهدافاً متصلة بالرؤية الإسرائيلية ووفقاً لقواعد أيديولوجية وسياسية وتوسعية جغرافية تتصل بالماء والأرض والأمن .

أنتج الاجتياح الإسرائيلى مناخاً متقلباً خلط الوقائع والأحداث اللبنانية ودفع الى حالة من حالات الانقسام المناطقى والطائفى .

هذه الحالة دفعت بإسرائيل لتوسيع نفوذها فى لبنان من خلال الهجمات على القرى والبلدات مما يزيد معاناة السكان ، تبعها هجوم جوي إسرائيلي على لبنان فى تموز (يوليه) ١٩٨١ أعقبه زيادة تدخل فى الأوضاع اللبنانية عن طريق التحالف العسكرى

الذى أنشأته مع الميليشيات المسيطرة على الشطر الشرقى للعاصمة وفى الوقت الذى بلغ فيه القتال المحلى مبلغاً أنهك العاصمة بيروت والمناطق الجنوبية .

كانت المساحة المستباحة من قبل سلاح الجو الإسرائيلى تتجاوز الهدف الأمنى الى الهدف السياسى حتى توقع الحكومة اللبنانية على كل الشروط الإسرائيلية .

شكل مجلس حرب مصغر وحشدت قوات عسكرية ضخمة على الحدود الشمالية فى حالة تأهب قصوى وتهديد سافر بعمل عسكرى فى الأراضى اللبنانية كما زودت الميليشيات المسيحية بأسلحة لمساعدتها فى القتال ضد الفلسطينيين وجموع اليسار .

على الجانب الآخر كان المشهد الاقليمى فوق بركان مشتعل حيث الحرب العراقية الإيرانية قد اشتعلت وفى هذه الأثناء بدأت إسرائيل اجتياحها للأراضى اللبنانية فى ٦ حزيران (يونيه) ١٩٨٢ ووصل الجيش الإسرائيلى بيروت فى اليوم الثالث لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ لبنان .

****

كانت المرحلة الجديدة فى تاريخ لبنان تكتب بحروف من دم ونار فى الجنوب، منطقة (جبل عامل) صاحبة التاريخ الهام فى بناء لبنان الحديث والمنطقة فكراً وسياسة ، ويحدثنا التاريخ أن جبل عامل أخذ اسمه من قبيلة عاملة اليمنية التى خرجت الى الشام عند سيل العرم ونزلت بالقرب من دمشق فى جبل هناك يعرف بجبل عامل . يتمتع جبل عامل بموقع استراتيجى مهم بالرغم من كثرة الآراء فى حدوده ، فهو من جهة يشكل امتداداً لسلسلتى جبال لبنان الغربية والشرقية ، ومن جهة اخرى فهو فى الوسط بين جبل لبنان وسوريه وفلسطين ، فحدوده الجغرافية ثابتة اما حدوده السياسية فمتغيره وفقاً للأوضاع الاقليمية ولكن تبقى أواصر العلاقات والصلات التى تربط بين أهل ذلك الجبل جميعاً .

ويتشكل جبل عامل من عناصر دينية ومنهجية متنوعة يغلب عليها الشيعة الذين يتأمرون بأمرة علمائهم ، ومرجعيتهم الذين قادوا مجتمعهم فى كل الظروف المختلفة

ويرتبط هذا الدور بالفهم الشيعى والاسلامى لموقع الدين فى حياة المجتمع إذ يتولى علماؤه شرح الدين مرتبطاً بالسلوك والأخلاق والسياسة والحرب ، وكل أشكال الحياة الاجتماعية الاخرى ، وأسسوا قاعدة صلبة توارثتها الأجيال جيل بعد جيل منذ ان تأسست على يد (الشهيد الأول) الشيخ محمد بن مكى الجزينى الذى جعل من جزين مدرسة علمية دينية لنشر أفكاره ولتعميم التعليم الدينى فى جبل عامل ، فضلاً عن سعيه لبعث نهضة علمية شيعية تستعيد مركز جبل عامل السياسى ، وكانت فلسفته تقوم على رؤية واجتهاد فقهى لنظام الحكم ركيزتها الفقهاء أو ما أسماه (نائب الإمام) بما لها من مدلول سياسى وفقهى لكن سلطة الحكم المملوكى تآمرت عليه فقتلته بعد محاكمة صورية قبل أن ينتهى من تأسيس نظريته ويباشر تطبيقها وبدأت السلطة تتعقب العلماء مما دفعهم للجوء الى إيران بعد ان سقط (الشهيد الثانى) الشيخ زين الدين بن على الجبعى . كانت سنوات الاضطهاد تدفع العلماء والطلاب الى الهجرة لإيران والعراق فنشأ ترابط بين المراكز الدينية والعلمية الثلاثة فى قم ، والنجف ، وجبل عامل ، وبرز علماء لبنانيون ذاع صيتهم فى آفاق العالم الاسلامى ، واتخذوا من جبل عامل موطناً لهم ، كان من أمثالهم السيد عبد الحسين شرف الدين ، والسيد محسن الأمين ، وبعد ان تغيرت الحال من الحكم العثمانى الى الاستعمار الغربى كانت وقفة علماء الدين موقف الرافض فكانت دعوتهم للوحدة فى اطار الدولة السوريه وحكومتها العربية ورفضوا التجزئة الاستعمارية ، ولم تنته احتجاجاتهم ورفضهم الا بعد جلاء المستعمر وقيام الدولة اللبنانية المستقلة .

مع قيام الكيان الصهيونى وتحديد الحدود اللبنانية بعدة سنوات جاء إلى لبنان السيد موسى الصدر ، الذى مثّل الأب الروحى لحزب الله وللجيل الذى أنشأ الحزب وقاده وسط بحار الفتنة الداخلية والهيمنة الإسرائيلية الخارجية ، فماذا عن هذا السيد وعن أفكاره ورؤاه .

موسى الصدر الأب الروحي لحزب الله

يوم ٣٠ أغسطس / آب من العام ٢٠٠٣ مر ربع قرن على غيبة الامام آية الله السيد موسى الصدر ، العالم والسياسى والفقيه الاسلامى البارز ، فلقد اتجه الى ليبيا يوم ١٩٧٨/٨/٢٥ وكان مقدراً له ان يلتقى العقيد القذافى مساء يوم ١٩٧٨/٨/٢٩ ، ثم يغادرها الى روما الا إنه لم يصلها ، رغم الرواية الليبية التى زعمت وصوله ورفيقيه (الشيخ محمد يعقوب والصحافى عباس بدر الدين) ، أكثر من ربع قرن إذن على غيابه.. والذى تضاربت بشأنه الروايات ، التي وصلت الى حد اتهام ليبيا ، بقتله نتيجة حوار حاد جرى بين (العقيد) و(الامام) على خلفية الدور الليبى فى الحرب الأهلية اللبنانية وقتها .

وأيا ما كانت الرواية الصحيحة فى كل هذا المشهد ، فإن مآل إثباتها يحتاج الى بحث آخر ووثائق آخرى جديدة ، خاصة أن العديد من الأطراف استثمرت غيبة الرجل وتاجرت بها، دونما تقدير لمكانته ودوره أو للحقيقة والتاريخ ذاتهما ؛ وعليه فإن ما سنتوقف أمامه خلال هذه الدراسة ، ليس هو قضية إختفاء (الصدر) أو مصرعه،ولكن فكر الرجل ومشروعه والذى ربما كان السبب الذى أوصله الى هذه النتيجة المؤلمة :الغياب أو التغييب أو القتل .فماذا عن مشروعه وماذا عن مؤثرات النشأة والتعليم فى تشكيل هذا المشروع ثم ماذا عن ملامحه وركائزه ؟

• • •

(١) النشأة والتعليم

كما هو معلوم ، ولد الامام السيد موسى الصدر فى مدينة قم الإيرانية فى أحد أحيائها المعروفة واسمه (زقاق عشاق على : " عشقلى ") وذلك يوم ٤ يونيو / حزيران من العام ١٩٢٨ ، وهو ابن لأحد العلماء الكبار من ذوى الأصول اللبنانية وهو السيد صدر الدين ابن اسماعيل صدر الدين صالح شرف الدين ، والأخير جاء إلى إيران من جبل عامل فى لبنان ؛ وتدرج السيد موسى الصدر فى مراحل التعليم الدينى والمدنى الى مستوى متقدم فحصل فى الجانب الدينى على ما يسمى لدى الحوزة الشيعية بمراحل

(السطوح ثم الخارج فى الفقه – الخارج فى الأصول – الفلسفة) ثم حصل فى التعليم المدنى على ليسانس فى الحقوق الاقتصادية من جامعة طهران عام ١٩٥٣ (وكان أول عمامة تدخل حرم الجامعة كما يقول معاصروه) ، وأتقن فى سنى تعلمه العديد من اللغات أبرزها (الفارسية – العربية – الانجليزية – الفرنسية) ولقد مثلت ثلاث دول بالنسبة اليه محطات رئيسية فى مساره الفكرى والسياسى ، أولاها إيران ، وثانيتها : العراق (وبخاصة النجف الأشرف) ، وثالثتها (لبنان) التى استقر بها منذ عام ١٩٦٠ فى مدينة صور ، وبدأ فيها مشواره ومشروعه الأكثر تأثيراً وفاعلية .

* هذا وقد تركت بعض الشخصيات الدينية والسياسية بصمات واضحة فى فكره وسلوكه ، بل فى مجمل مشروعه وميزته بميزات خاصة من أبرز هذه الشخصيات (السيد حسين الطباطبائى القمى "وهو جده لأمه" والسيد الشهيد باقر الصدر الذى أفردنا له الفصل الثانى فى هذا الكتاب – الشهيد آية الله المطهرى – الشهيد آية الله بهشتى – السيد رضا الصدر (وهو شقيقه) – السيد محسن الحكيم – السيد أبو القاسم الخوئى – السيد البروجردى وآخرين) إلا إننا نتوقف أمام ثلاث شخصيات بارزة كان لها بصمتها الواضحة على توجهات (الصدر) ومشروعه الفكرى / السياسى ، وهى [الامام آية الله الخمينى (إيران) – آية الله السيد محسن الحكيم (العراق) – آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين (لبنان)] هؤلاء الثلاثة ، والذين وجدوا على خريطة التطور الفكرى والحياتى للصدر عبر الثلاثين عاماً الأولى من عمره ، وفى أماكن متفرقة تمتد من إيران الى لبنان مروراً بالعراق ، تركوا تأثيراتهم الفكرية والسياسية على الرجل ، وساهموا مع عوامل أخرى (أبرزها بالقطع تميزه وعلمه وشخصيته القوية الفاعلة) فى إكساب مشروعه خصائصه المؤثرة والتى من أبرزها ثلاثية (الحرية ، والمقاومة ، والحوار) فإذا كان تعلمه من الإمام (الخمينى) ومصاحبته ،قد أكسباه قناعة مبكرة بمشروعية خيار (المقاومة) ضد قوى الاستعمار ومن ينوب عنهم فى منطقتنا باعتبار ان التميز الأكبر لآية الله الخمينى كان تركيزه الدائم على خيار المقاومة ضد الاستبداد



والاستعمار ، فإن مواقف ودعوات السيد محسن الحكيم قد جعلته يؤكد على قيمة (الحرية) في مواجهة الحكام الطغاة المستبدين الذين كانوا يحكموا البلاد التي عاش فيها المراحل الأولى في حياته ، سواء إيران أو العراق في الأربعينيات والخمسينيات ، ولكن وجود عالم جليل مثل السيد عبد الحسين شرف الدين ، وفي بلد متعدد الطوائف والأهواء السياسية مثل لبنان ، طبع مشروعه بقيمة سياسية فكرية أخرى هي قيمة (الحوار) مع الآخر السياسي أو الديني على أرضية مصلحة الوطن المشتركة ؛ ورغم تميز كل واحد منهم بخاصية تفاعلت وأثرت في (الصدر) فإن الانصاف العلمي يدفعنا إلى التأكيد على أن كلاً من هؤلاء العلماء كان يجمع في شخصه وفكره وسلوكه تلك الخصائص الثلاث [المقاومة – الحرية – الجوار] مجتمعة بل أكثر منها ، وإن بدرجات متفاوتة ، إلا أن تأثر (الصدر) بهم تفاوت كل حسب العلاقة به ومدتها وطبيعتها ، الا إن الذي ظل حاكماً طيلة هذه الرحلة التربوية هو أن شخصية هذا العالم/ السياسي (موسى الصدر) المميزة ، كان لها الدور الأبرز في انتخاب ما تراه مناسباً لمشروعها من فكر ومواقف هؤلاء الأساتذة ، فلقد كان (الصدر) ؛ ذكياً ، لماحاً، سريع البديهة ، متحدثاً هادئاً ، وعالماً فقيهاً ، ومحاوراً مؤثراً ، وسياسياً محنكاً يصفه أحد معاصريه (آية الله موسى شبيري زنجاني) بقوله : " كان السيد الصدر يتمتع بمزايا علمية وأخلاقية وروحية ، فكان يمتاز بسرعة الإدراك والاستيعاب مع إدراك أصيل متطابق مع الفطرة ، وكان باحثاً عن روح الحقيقة وتميز بالقدرة على البيان فكان بيانه واضحاً خالياً من التعقيد " ويصفه آية الله مشكيني " ان كل شخص يتحدث عن السيد الصدر بكلام حسن يرتفع مقامه ومنزلته ، فمقامه رفيع جداً لأننا نعرفه إنساناً ملتزماً بالتعاليم الإلهية ، ورجلاً عارفاً بالديانة وعارفاً بالسياسة " .

هذه السمات الخاصة لشخصية الصدر ، جعلته يستوعب كافة المؤثرات الإيجابية من أساتذته ومن تجربته ورحلاته ومواقفه ، ويهضمها جميعاً ثم يخرجها في نسق جديد

وتوليفة جديدة تتناسب وزمانه ، ومكانه (لبنان) الذى فيه عاش وفيه تأسيس مشروعه الأكبر بركائزه الثلاث آنفة الذكر والتى سنحاول تفصيلها فيما يلى من سطور .

***

(٢) ركائز مشروع الصدر

كانت " المقاومة " كقيمة وسلوك ، بمثابة الركيزة الأولى الأبرز فى مشروع (الصدر) السياسى والتى قدمها فى سياق فكرى ، وفى سياق استنهاضى شامل لفقراء لبنان ، الذين تصادف أنهم كانوا من الشيعة ، لم يفهم (الصدر) المقاومة بالمعنى " المسلح " المحدود أو المباشر للكلمة فحسب ، بل فهمها كمشروع استنهاض اقتصادى واجتماعى وسياسى . ،ثم وأخيراً "مسلح" ضد الفساد،والظلم الداخلى ثم ضد العدوان الخارجى (إسرائيل) فى هذا السياق يمكن وضع إنشائه لمنظومة من المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية البارزة فى اطار فهمه لقيمة (المقاومة) ولمعناها

فى هذا الإطار نتذكر انشاءه لـ [هيئة نصرة الجنوب – مجلس الجنوب – جمعية البر والإحسان فى مدينة صور وإعادة تنظيمها – مؤسسة بيت الفتاة (وعلينا هنا ان نقف بانتباه أمام دوره الفاعل والمستنير تجاه المرأة ودورها الرسالى) – معهد التمريض النسائى – مؤسسة جبل عامل المهنية – معهد الدراسات الإسلامية (وهو المعهد الذى تتلمذ فيه السيد الشهيد عباس الموسوى أمين عام حزب الله) – المجلس الاسلامى الشيعى الأعلى (فى ١٩٦٧/٥/١٦) – إنشاء (حركة المحرومين) فى عام ١٩٧٤] ثم كانت قمة هذه التحركات والمؤسسات هى إنشاء الجناح العسكرى لحركة المحرومين المسمى أفواج المقاومة اللبنانية " أمل " فى ١٩٧٥/٧/٦ ويومها جاء الاعلان على إثر انفجار لغم بدورية عسكرية أدى الى استشهاد ٢٦ وجرح أكثر من ٧٠ فى معسكر عين البنية ، يومها قدم (الصدر) اعلانه عن أفواج المقاومة بقوله أنه يقدم " أمل " باعتبارها " أزهار الفتوة والفداء ممن لبوا نداء الوطن الجريح الذى تستمر إسرائيل فى

الاعتداء عليه من كل جانب وبكل وسيلة ، فيما لم تقم السلطات المسئولة بواجبها الدفاعى مقابل تلك الاعتداءات التى بلغت ذروتها على الوطن والمواطنين " .

* إذن .. لقد فهم الامام الصدر ، مشروع المقاومة باعتباره مشروعاً شاملاً ، لا يستقيم حصره فى بعده المسلح فحسب ، بل ان هذا البعد لا يمكن أن يُضمن بقاؤه الا فى سياق استنهاضى واسع ؛ يكون أصحابه قادرين على تقديم الدعم ، وتقديم المجاهدين ، بل الاستشهاديين للمقاومة ، فضلاً عن قدرتهم على خلق بنية متماسكة اجتماعياً تشد من أزر القوة المسلحة .

* وفى نطاق هذه الركيزة : ركيزة المقاومة ؛ ينبغى الاشارة الى هذا الوعى والإدراك المبكر للسيد موسى الصدر ، لطبيعة القضية الفلسطينية ، ولموقعها فى مسار التطور السياسى للمنطقة ككل ، وكون فلسطين هى القضية المركزية للأمة العربية الإسلامية ، وأن استردادها بعد طول غياب واغتصاب ، لن يكون بغير المقاومة ، فى هذا السياق أتت مواقفه وكلماته معبرة عن هذه القناعات ومؤكدة لخيار المقاومة ، والذى يعد أحد الأضلع الثلاثة البارزة من ركائز مشروع الصدر السياسى / الثقافى ؛ فهو فى هذا الصدد يقول : " وُلدت إسرائيل عام ١٩٤٨ كجسم غريب في هذه المنطقة، حيث زُرعت زرعاً فيها، ولكنها بقيت جسماً غريباً، لا تعامل : لا تجارة، لا ثقافة، لا زيارة، أبداً.. إذاً: إسرائيل حتى الآن جسم غريب معزول، لكن إذا بدأ التعامل معها ، فإن معنى ذلك أنّ إسرائيل ترسّخت وتكرّست وبقيت في المنطقة ".

- " تعرفون أنّ إسرائيل تطمع بالجنوب، تطمع بمياه الجنوب، تطمع بأمن الجنوب، وتريد أن تجعل الجنوب حزام أمن لها " .

- " إنّ لبنان دولة مواجهة، ولا يمكن لمجتمعه إلاّ أن يكون مجتمع حرب وجدّ، لا أن يكون مجتمع رخاء واستهلاك " .

- " إنني كنت ولا أزال مؤمناً بأنّ إسرائيل - هذه الدولة العنصرية بما لها من أبعاد - هي شر مطلق، لذلك فإنّ الواجب يتطلب الوقوف في وجهها ".

ومبكراً جداً وتحديداً يوم ١٩-١١-١٩٦٩ عقد الصدر مؤتمراً صحافياً قال فيه:

- إنّ إسرائيل بوجودها وبما لها من أهداف تشكّل خطراً علينا محدقاً على جنوبنا وشمالنا، على أرضنا وشعبنا، على قيَمنا وحضارتنا، على اقتصادنا وسياستنا.

- مجاورة هذا الخطر الدائم الداهم تقتضي الاستعداد الدفاعي والسياسي والإعلامي والاقتصادي.

- الاستعداد لهذه المعركة المحتومة يتطلّب إضعاف الخصم بأي صورة وفي أي حقل، وكلنا يعرف أنّ من أفضل الوسائل لتحقيق هذا وجود المقاومة ونموّها، ما يعني أنّ دعمنا للمقاومة ومشاركتنا في تصعيدها وحرصنا على سلامتها هو جزء من استعداداتنا لمجابهة العدو، لذلك فهي تنطلق من نفس المبدأ الذي ينطلق منه السعي للمحافظة على الوطن والدفاع عنه ولا تتناقض معه إطلاقاً.

- إن معركتنا هي ذات وجوه كثيرة، فهي معركة حضارية طويلة الأمد، إنها معركة الماضي والمستقبل، معركة المصير، وهذا يعني أنّ المطلوب منّا هو الاستعداد ليس لأجل الأيام والأسابيع القادمة بل للسنوات ولعشرات السنين وعلى جميع الجبهات وبكل المستويات ومع جميع الطاقات.

- النتيجة الحتمية هي ضرورة مشاركة جميع اللبنانيين (بل العرب أجمع) في تحسين أوضاع الجنوب دفاعياً واقتصادياً ونفسياً وجعله مستعداً للصمود ولخلق السدّ الأول في وجه العدو.

- إنّ الحاجة الى الأوطان ليست ترفاً فكرياً أو رغبة في اتساع رقعة المسكن أو اتفاقية مكتوبة تربط بين المناطق المتعددة، بل هي حقيقة التطور والنمو التدريجي في المنافع والأخطار والمصالح والأضرار، وهي أيضاً المشاركة الحقّة في الآلام والآمال. وبقاء الأوطان وخلودها ليس أنشودة ولا حلماً، ولا التزامات وطنية أو دولية، بل هو الوحدة الحقيقية في الاتجاه، في المبدأ، المتكوّن من الآلام والمنافع، وفي المنتهى المتجسّد بالآلام والطموحات.

ومن الأقوال المأثورة للسيد موسى الصدر عن القضية الفلسطينية : " بجبتي وعمامتي ومحرابي أحمي الفلسطينيين والقضية، لأنها قضية حق وعدل، قضية المسلمين، ونسأل الله أن ندخل المسجد الأقصى مع مجاهدين أولي بأسٍ شديد "، ويوضح الصدر ملامح المستقبل ويطرح قناعاته أمام من باعوا القضية، فيقول بصراحة المؤمن الرسالي "إنّ شرف القدس يأبى أن يتحرر إلا على أيدي المؤمنين"، ويتابع: "يا أيها العالَم الذي انزعجتَ من انتشار وجودنا وعمق تأثير أبنائنا، فمن تبنّينا لقضية فلسطين ولنضال شعبها العادل، ومن إلقائنا لكلمة فلسطين في الأمم المتحدة، ومن حمايتنا لثورتها وثوّارها ومكاتبهم ومخيماتهم.. إننا رغم معاناتنا (التي تجاوزت كل حد) باقون في ذات الموقع، وسوف نتعاون معهم في إعادة التقييم لمرحلة ثورتهم المقبلة وفي وضع استراتيجية جديدة لها وفي حماية قضيتهم العادلة الى يوم العودة ".

- " إنّ القدس التي هي عاصمة بلادهم هي قِبلتنا وملتقى قيَمنا وتجسيد وحدتنا ومعراج رسالتنا، إنها قدسنا وقضيتنا، وجهادهم في سبيل تحريرها جهادنا ومسؤوليتنا " .

***

(٣) الحرية

الركيزة الثانية فى مشروع الصدر السياسى / الفكرى ، هى "الحرية" ، دعوة وسلوكاً ، قناعة وفعلاً ؛ وهو فى مجال تحديده لطبيعة ومجال تلك الحرية ، وسعها الى الحد الذى جعل مقاومة (الحرمان الثقافى) على حد تعبيره وقتذاك مدخلاً للحرية التى ينشدها، وجعل من إنهاء (الحرمان الاقتصادى) الذى يعانيه شعبه (سواء فى إيران أو لبنان أو العراق) قريناً بمقاومة الاستبداد السياسى الذى فرضه حكام طغاة من عينة شاه إيران السابق ، فى هذا الاطار كانت مواقفه المميزة المساندة للانتفاضات الشعبية فى إيران خلال حقبتى الخمسينيات والستينيات وكذلك مساندته الفعالة للشعب العراقى ضد الاستبداد الذى عاناه خلال نفس الفترة ، وزاد كماً ونوعاً مع قدوم البعث الى السلطة عام ١٩٦٨ ، وكانت أبلغ لحظات إدراكه قيمة الحرية المقاومة للاستبداد هى لحظات اندلاع الثورة الإسلامية فى إيران ، والتى كان الصدر قد تنبأ بها بل ودعا اليها سواء فى مواقفه المعلنة أو كتاباته المؤثرة والتى كان أبرزها مقال له نشر فى جريدة لوموند الفرنسية قبل أسبوع واحد من اختفائه (تحديداً يوم ١٩٧٨/٨/٢٣) .

ولبلاغة وثقافة أفكاره نورد هنا أبرز ما حواه والذى يمثل موقفاً متقدماً ضد الاستبداد ، ومع الحرية بمعناها الشامل: يقول الصدر : " تختلف انتفاضة الشعب الإيراني عن كل الحركات المماثلة لها في العالم، فهي تفتتح منظوراً جديداً للحضارة العالمية، ومن هنا فهي تستحق اهتمام جميع المعذّبين اليوم بقضايا الإنسان والحضارة، فحركة الشعب الإيراني برغم اتساعها وبرغم الاتهامات التي تلصقها بها السلطة تتمتع بأصالة كبيرة سواء من حيث اتجاهها، أو من حيث مكوّناتها الشعبية، أو من حيث مبادئها وأهدافها، أو من حيث أخلاقياتها، فقوى اليمين غائبة عن انتفاضة الشعب الإيراني برغم وجود البترول والمصالح الكبرى التي يمثّلها، وكذلك الأمر بالنسبة لليسار الدولي، فهو كذلك غريب عن هذه الانتفاضة برغم وجود أكثر من ألفَي كيلو متر من الحدود المشتركة بين إيران والاتحاد السوفياتي، والحزب الشيوعي الإيراني ليس له دور كبير في هذه

الانتفاضة مع أنه أقدم أحزاب المنطقة، إذن فكل من قوى اليمين واليسار بحدود ارتباطهما المباشر بالكتلتين الدوليتين ليس لهما تأثير على مجرى الأحداث.

والشعب الإيراني يعرف ذلك جيداً، فهو يعرف انّ النظام الذي اتهم الانتفاضة بالرجعية يتجاوز كل الأنظمة الرجعية من حيث انتهاكه للحريات وأساليبه البائدة في الحكم، فالشعب الإيراني يعلم أنّ النظام لا يتردد في التضحية بمصالح الأمة وفي توزيع ثرواتها على القوى العظمى ليحظى برضاها، وعندما يقارن الشعب هذا السلوك مع أصالة المعارضة فإنّه لا يتورع عن التضحية من أجل هذه الأخيرة، وهو برغم أنه أعزل فانه يدلي بشهادة الدم بشكل بطولي ويوجِد قوة ليس لأي كائن القدرة على تحطيمها.

والثوريون الإيرانيون لا يمثّلون شريحة اجتماعية جديدة، فالطلبة والعمّال والمثقّفون ورجال الدين يساهمون جميعاً في الثورة، إنها حركة شعب في تنوّع أجياله، في: الأسواق والمدارس والمساجد والمدن وحتى في أصغر الدساكر، وهذا ما يجعل النظام يتهم اليمين واليسار والشرق والغرب والعرب بمختلف أنظمتهم وحتى الفلسطينيين.. وهو بذلك يعترف باتساع الانتفاضة الشعبية وعمقها.

وحركة معارضة نظام الشاه تستند الى إعلام خاص بها، فتصريحات قادتها وخطبهم تبلغنا بواسطة أولئك الذين توجّه لهم التصريحات والخطب في قلب الشعب الإيراني.

والحق أقول: إنّ هذه الحركة وازعها الإيمان، وأهدافها هي أهداف إنسانية مفتوحة وأخلاقية ثورية، وهذه الموجة التي تهبّ اليوم على إيران تذكّرنا بنداء الأنبياء، وهي حركة حدّد زعيم المعارضة الإمام الأكبر الخميني أهدافها بوضوح في حديث أدلى به لصحيفة لوموند بتاريخ ٦أيار، حيث شهد بأصالة هذه الحركة وأشار الى أبعادها القومية والثقافية والتحررية.

إنّ أحداث إيران وما طرأ عليها من تحول دراماتيكي تضع العالم أمام جملة من المعطيات الأساسية:

- التجربة الإنسانية التي تخاض في إيران تستحق أن تُدرس وأن يدافَع عنها ضد الدعاية المغرضة من قبَل كل من يهتمون بقضايا الإنسان والحضارة.
- نظام الشاه بعد ٤٠ سنة من التسلّط وبرغم الإمكانات الكبيرة المتاحة أمامه قد فشل حتى أن يحمي نفسه من غضب الشعب، علماً أنه يمتلك في الوقت الحالي أكبر مخزون للأسلحة في العالم الثالث.
- القيم الأخلاقية للإنسان المتحضر باتت مهددة في إيران، ولا يمكنها أن تنقذ طالما واصل النظام سفك الدماء وخنق الحريات مع ادعاء الدفاع عن "التقدم والحضارة"].

والصدر حين أسس أهم مؤسستين فى حياته داخل لبنان كانت (الحرية) حاضرة فى مشروعه وفى بنود التأسيس ونقصد بهما [المجلس الاسلامى الشيعى الأعلى ١٩٦٧] و(حركة المحرومين عام ١٩٧٤) وفى الأخيرة وضحت هوية دعوته أكثر حين قال فى مهرجان صور الذى جمع فيه مائة ألف مؤيد يوم ١٩٧٤/٥/٥ [إن حركة المحرومين تنطلق من الايمان الحقيقى بالله وبالإنسان وحريته الكاملة وكرامته وهى حركة ترفض الظلم الاجتماعى ونظام الطائفية السياسية وتحارب بلا هوادة الاستبداد والاقطاع والتسلط وتصنيف المواطنين ، وهى حركة وطنية تتمسك بالسيادة الوطنية وبسلامة أرض الوطن وتحارب الاستعمار والاعتداءات والمطامع التى يتعرض لها لبنان] .

ان (الصدر) كان داعياً كبيراً للحرية ، والتى مثلت بالنسبة اليه اطاراً أرحب فى مجال الفعل السياسى والثقافى والاقتصادى ، وهى (كقيمة عليا) حين تواجه الاستبداد ، فهى بذلك تمهد للمقاومة وتوفر لها المناخ الصحى للانطلاق ، وهو المناخ الذى ان لم يستند أيضاً على ضلع ثالث هو الحوار مع الآخر السياسى والدينى فلن يكون مناخاً منتجا إنها إذن ثلاثية (المقاومة والحرية والحوار) لدى هذا العالم والسياسى البارز والتى يتبقى منها ضلعها الثالث : " الحوار " ، فماذا عنه ؟

* * *

(٤) الحوار

قدر للسيد موسى الصدر أن يعيش قرابة العشرين عاماً الأخيرة من حياته قبل الاختفاء فى بلد متعدد الثقافات والطوائف ، بلد يختزن فى باطنه من "الصراعات" أكثر مما يخترق من "التوافقات" ، فلبنان التى زارها الصدر قبل أن يستقر فيها ثلاث مرات : (١٩٥٥ – ١٩٥٧ – ١٩٦٠) ، كانت تحكمها لغة الطائفية السياسية ، وان ادعت غير ذلك ، وهى لغة ظلت كامنة الى ان انفجرت الى شظايا لغة ، وشظايا وطن ، حين انفجر الوضع فى لبنان منتصف السبعينيات مفرزاً حرباً أهلية شرسة ، فى هذه الأجواء جاءت دعوات الصدر ، الداعية للحوار الداخلى ، الحوار السياسى والدينى ، مستهدفة خلق الإجماع الوطنى على أرضية التعايش المشترك من ناحية ومواجهة العدو المشترك (إسرائيل) من ناحية أخرى ٠ وهو العدو الذى مافتئ يعتدى على لبنان منذ الستينيات وصولاً الى اجتياح جنوبه بالكامل أوائل عام ١٩٧٨ ؛ وكان الصدر فى دعوته تلك مؤمناً وفقاً لقوله "بأن الأديان واحدة فى البدء والهدف والمصير" وبأنه "ثمة ضرورة تاريخية لتفاعل الحضارات الانسانية ومكافحة الفساد والإلحاد" ، وفى مجال رصده لخطورة غياب "قيمة الحوار" داخل المجتمع اللبنانى وكيف أنها أدت الى الحرب الأهلية قال : " ان انفجار الوضع اليوم يؤدى الى سقوط لبنان وتحجيم المقاومة وإلحاق الضرر الكبير بسوريه والقضية العربية ، وهذا لمصلحة العدو لذا نؤكد منذ البداية على المصالحة الوطنية فى اطار أسس جديدة للوطن تحقق العدالة الاجتماعية وتعالج الحرمان وتصون الجنوب " ٠

وعلى مستوى السلوك السياسى لتحقيق قيمة الحوار وإنهاء الحرب الأهلية اللبنانية قام الصدر بالمشاركة فى اجتماعات القمة الإسلامية في "عرمون" (تكونت القمة من رؤساء الطوائف الإسلامية وبعض كبار الشخصيات الإسلامية السياسية)، حيث رفضت القمة الحكومة العسكرية ورحّبت بالمبادرة السوريه التي أدت الى الوثيقة الدستورية المعلنة من رئيس الجمهورية بتاريخ ١٤-٢-١٩٧٦م.

واعتبر الصدر الوثيقة الدستورية مدخلاً للسلم النهائي في لبنان وأرضية للوفاق الوطني، ورأى أنّ أي تعديل لهذه الوثيقة يجب أن يمر عبر الطرق الديمقراطية

والحوار الهادئ بالمستقبل، وعلى هذا الأساس استمر بتأييد الوساطة السوريه "الرامية الى إنهاء الحرب وإجراء مصالحة وطنية" شاجباً بشدّة استئناف القتال وتوسيع رقعته في حرب الجبل.

* وعلى الصعيد العملي عارض الإمام الصدر بشدّة أعمال الجبهتين المتحاربتين في لبنان في إنشائهما إدارات محلية تابعة لهما بديلة عن الإدارات الرسمية، واعتبر أنّ ذلك يؤدي الى تقسيم الوطن ، وعلى مستوى آخر أدرك الصدر أنّ إنهاء الحرب في لبنان يتطلب قراراً عربياً مشتركاً يسبقه وفاق عربي، فانتقل الى دمشق بتاريخ ٢٣-٨-١٩٧٦، ومنها الى القاهرة في ٢-٩-١٩٧٦ محاولاً تنقية الأجواء بين البلدين وتوحيد مواقفهما من الحرب الداخلية من أجل إنهائها، وقد استمرت مساعيه حتى ١٣-١٠-١٩٧٦ تنقل خلالها بين البلدين، وبين السعودية والكويت، واتصل برئيس الجمهورية اللبنانية وبالمقاومة الفلسطينية ساعياً مع الملوك والرؤساء والمسؤولين العرب لتحقيق تضامن عربي، وقد أثمرت هذه المساعي مع مساعي بعض المسؤولين العرب وانتهت بانعقاد مؤتمر قمة الرياض في ١٦-١٠-١٩٧٦ وبعده مؤتمر القاهرة في ٢٥-١٢-١٩٧٦، حيث تقرّر فيهما إنهاء الحرب اللبنانية، وفُرض ذلك بدخول قوات الردع العربية ، وتؤكد الحقائق التاريخية أن قوات الردع لم تستطع الدخول الى الجنوب، ولم تتمكن السلطة اللبنانية من فرض سلطتها هناك، فانتقل إليها صراع الفئات والقوى التي كانت تتصارع على الأراضي اللبنانية، واشتدت محنة الجنوب، فبات مسرحاً لأحداث خطيرة تهدّد مصيره، وكان الصدر يتابع مساعيه مع المسؤولين والقيادات في لبنان ورؤساء بعض الدول العربية ويرفع صوته في الخطابات والمقابلات الصحفية (ابتداءً من أواخر سنة ١٩٧٦ وصولاً الى مطلع العام ١٩٧٨) محذّراً من كارثة على جنوب لبنان ومن خطر تعريضه للاحتلال الإسرائيلي ومؤامرة التوطين. وبالفعل تم الاجتياح الإسرائيلي في ١٤-٣-١٩٧٨ ، وبعد استقرار الاحتلال في الشريط الحدودي من الجنوب، وفي محاولة منه لإنقاذ الوطن وإعلاء قيمة الحوار سبيلاً لهذا الإنقاذ قام الصدر بجولة جديدة على الدول العربية ليعرض خلالها على الملوك والرؤساء العرب واقع الأوضاع في منطقة الجنوب

مطالباً بعدم جعلها ساحة للخلافات العربية، وبعقد قمة عربية محدودة تعالج قضية الجنوب وتعمل على إنقاذه. وبعد أن زار لهذه الغاية سوريه والأردن والسعودية والجزائر، انتقل الى ليبيا في ٢٥-٨-١٩٧٨ م ، وهناك اختفى واختفت معه قيمة (الحوار) لأن القوة والسلاح كانا حاضرين وكانا أقوى وأكثر بشاعة مما كرس له الرجل حياته ورهنها به.

***

هذه الركائز الثلاث لمشروع (موسى الصدر) الفكرى / السياسى ، كان يواكب حركاتها الميدانية وبانتظام ، إسهام فكرى رفيع ، فالرجل لم يتوقف منذ كان فى إيران عن الانتاج الثقافى والفقهى ، فأسس فى العام ١٩٥٨ مجلة (مكتب إسلام) التى أحدثت زلزالاً فكريا يومها ؛ فلقد كانت المجلة الثقافية الأولى التى تصدر عن الحوزة العلمية فى مدينة قم وكان لها الأثر المميز فى تشكيل الوعى النهضوى فى إيران ، وبعد هذه المرحلة وضع العديد من المؤلفات التى هى الآن بمثابة مراجع فكرية هامة ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر [المذهب الاقتصادي في الإسلام - أبجدية الحوار - دراسات للحياة - حوار تصادمي - أحاديث السحر - الإسلام وكرامة الإنسان - الدين وحركات التحرر - الإسلام ومشكلة الطبقية - الإسلام وثقافة القرن العشرين - منبر ومحراب - الإسلام عقيدة راسخة ومنهاج حياة - الإسلام والتربية الدينية (الدين والحياة) - الاسلام خيارنا لتغيير الواقع المتخلف] .

كذلك كتب الصدر مقدّمات طويلة ومهمة للمؤلفات التالية:

- تاريخ الفلسفة الإسلامية (للبروفسور الفرنسي هنري كوربان).
- شرح حديث الغدير (لآية الله السيد مرتضى خسروشاهي).
- فاطمة الزهراء "رضى الله عنها " (للأديب سليمان كتّاني الذي نال جائزة أفضل كتاب حول الزهراء)، وقد عرض الإمام في المقدمة بحثاً شائقاً حول شخصية الزهراء تناول فيه مكانة المرأة في الإسلام والمساوة في الحقوق بين المرأة والرجل،وحقّق فيه الأحاديث والروايات التي وردت بشأن تقبيح المرأة،كما تناول فلسفة الحجاب في الإسلام.

- القرآن والعلوم الطبيعية (للكاتب المهندس يوسف مروة) ، هذا فضلاً عن مئات المحاضرات فى الجامعات والمعاهد والمراكز الدينية والثقافية.

• • •

تلك هى أبرز ملامح مشروع السيد موسى الصدر ، ذلك العقل الكبير الذى حلم بوطن أكثر (حرية) وعدلاً ، وبمواطنة تقوم على (الحوار) والقبول والتسامح ، يلفهما معاً سياج صلب من (مقاومة) تحمى الأرض بمن عليها وتردع من يفكر فى محو ذاكرتها .. ان (الصدر) كان ولايزال الغائب / الحاضر ، فى مشروع التحرير الذى قاده حزب الله ، ولم تكن أبداً مزايدة سياسية أو دينية ، أن يعلن السيد حسن نصر الله (الأمين العام لحزب الله) ، وفى كل مناسبة تتصل بالرجل ، أنه كان دائماً هو (المرجع الأكبر لهذا التحرير) ، وهو (النموذج) الذى احتذاه حزب الله فى مشروعه السياسى والجهادى ، والذى كانت ثمرته ، تحرير الجنوب من ربقة الاحتلال الإسرائيلى بعد ٢٢ عاماً من الاحتلال فى ٢٥/٥/٢٠٠٠ .

• من هنا وبعيداً عن موضوع هذه الدراسة تأتى أهمية معرفة مصير هذا الرجل ؛ فمثله لا يمكن الاستمرار فى التجهيل به أو تغييبه .. وهو الغياب الذى حدث أكثر من ربع القرن ، والمثير للانتباه ان تغييبه قد تم يوم ١٩٧٨/٨/٢٩ أى بعد خمسة أشهر وعدة أيام من الاجتياح .. فهل كانت مصادفة ان سيد المقاومة : السيد الصدر .. الداعى الى الحرية والحوار ، يتم تغييبه فى هذا التوقيت ، وفى تلك الظروف وبهذه الطريقة أم أن فى الأمر سراً كبيراً آن الأوان لكشفه سراً لم تكن فقط (طرابلس الغرب) هى حافظته الوحيدة بل ربما كانت تل أبيب وواشنطن على علم به ؟ أسئلة قد يجيب عنها المستقبل .

الفصل الثالث

السيد في عيون معاصريه

(شهادات وحوارات عن السيد حسن نصر الله)

نقدم هنا ثلاثة أعمال هامة تكمل الصورة الرئيسية المستوحاة عن سيد المقاومة ، كيف يفكر وماذا يعمل ، وكيف يدير صراعه أو تحالفاته مع القوى اللبنانية الرئيسية؟! والأعمال التى نقدمها هى :

١ – شهادة طلال سلمان الكاتب الصحفى البارز ورئيس تحرير صحيفة " السفير " والتي عنونها بـ (سيرة ذاتية لحركة مقاومة عربية منتصرة – حزب الله – حسن نصر الله) .

٢ – الحوار الشامل والحديث نسبياً (٢٠٠٦) الذى أجراه غسان شربل رئيس تحرير الحياة اللندنية .

وهى شهادات وحوارات تقدم مجتمعة وعبر فتراتها التاريخية المتباعدة والمهمة ، صورة كاملة عن هذا السيد المقاوم:أفكاره وسياساته،مواقفه وأحلامه،فماذا عنها ؟ .

١ - سيرة ذاتية لحركة مقاومة عربية منتصرة - حزب الله - حسن نصر الله للكاتب الكبير رئيس تحرير صحيفة السفير اللبنانية: طلال سلمان

والى أين يأخذ الحزب ''الأكبر من طائفته والسلطة والكيان''؟

قبيل الساعة الحادية عشرة من ظهيرة الاثنين ٢٧ حزيران (يونيو) ٢٠٠٠ كان العماد إميل لحود، رئيس الجمهورية اللبنانية،يغادر مكتبه متعجلاً الى بهو المدخل العريض، برخامه الأبيض البارد، ليستقبل بعناق حار الضيف الكبير الذي يجيئه في مقره الرسمي للمرة الأولى: الأمين العام لحزب الله، قائد المقاومة، السيد حسن نصر الله.

كان الحدث استثنائياً بكل المعايير، فلا" الضيف" تعوّد أن يزور رئيساً في مقره، ولا القصر اعتاد أن يشهد "زيارة" لمثل هذا" الرجل الخطير"، والذي تعتبره "إسرائيل"

عدوها الأول. ولذا، فقد شكّل اللقاء النادر بين "الحاكم" و"الثائر" القادم مكلّلاً بالنصر، خبراً عالمياً طيّرته وكالات الأنباء مصوّراً الى أربع رياح الأرض.

المسافة بين الضاحية الجنوبية لبيروت والقصر الجمهوري في "بعبدا" لا تزيد على أربعة كيلومترات، لكنها بالمعنى النفسي شائعة، ولطالما وسّعها العداء، في الماضي، مع نظام سياسي مدموغ بالفئوية ومجافاة مطالب الأكثرية من شعبه، والانحياز الى الغرب ومشاريعه الخاصة بالهيمنة على المنطقة العربية وعلى امتداد دهر الحرب الأهلية، فلقد سادت بين القصر والضاحية - نتيجة لهذا الواقع - لغة المدفع: النظام يحاول قهر معارضيه الذين تلاقَوا تحت شعار الغبن والحرمان وتوكيد عروبة لبنان بالدفاع عن المقاومة الفلسطينية فيه، وقوى الاعتراض تتجمع تحت راية التغيير وتلتفت تطلب من العرب أن ينصروها فلا تلقى منهم استجابة أو تفهماً.

إذاً، فلقد دارت الأرض دورة كاملة، وها هو المحروم الثائر والمقاوم لاحقاً ضيف على رمز النظام المعدّل والمبدّل والمجدّد في "اتفاق الطائف" (خريف ١٩٨٩)، ثم بالتعديلات أو الإصلاحات الدستورية الذي أدخلها عليه إسقاط "التمرد" في ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٠، أي بعد ثلاثة أشهر فقط من اجتياح صدام حسين الكويت، حين ظهرت في سماء بيروت - ولأول مرة - طائرة حربية سوريه تولت قصف القصر الجمهوري ليخرج منه العماد ميشال عون لاجئاً الى السفارة الفرنسية، ثم الى فرنسا ذاتها من بعد.. (وكان رئيس الجمهورية المنتهية ولايته في ٢٣ أيلول / سبتمبر) من العام ١٩٨٨ أمين الجميل قد أولاه السلطة، بعدما عطل الانتخابات الرئاسية طمعاً بتجديد لم يتم، ثم عطّلها ميشال عون بعده طمعاً بانتخابه هو فلما تعذر ذلك عصى في القصر رافعاً شعار "حرب التحرير" ضد "الاحتلال السوري" بعدما رفضت دمشق تبنّيه رئيساً للجمهورية.

ربما لهذا كله قررت، حين التقيت السيد حسن نصر الله في موعدنا من مساء ذلك الاثنين، أن أبدأ من النهاية، فأرجأت الأسئلة عن النصر، عن التحرير والمقاومة

وإجلاء قوات الاحتلال الإسرائيلي، لأسأل عن شعوره وهو يدخل القصر الجمهوري لأول مرة:

-لا بد أنّ مشاعر متناقضة تفاعلت في نفسك اليوم وأنت تدخل هذا المقر الذي طالما كان "هدفاً معادياً". هذا القصر الذي كانت "ثقافتك السياسية" تحرّضك على "استعادته من غاصبيه" وإعادته الى أصحابه الشرعيين، الشعب. فأنت العائد منتصراً من ميدان المواجهة مع العدو لم تدخل القصر فاتحاً، ولا تبقى فيه لتأخذ السلطة من موقع المحرّر، بل هي زيارة للشرعية تؤكد انضواءك تحت لوائها. فأنت الثائر في الخارج تجيء لتؤكد إقرارك بالسلطة القائمة، ولو من موقع الحليف.. ألم يشعرك هذا الدخول بشيء من التناقض؟ ألم تلفتك المفارقة فيه،أنت الذي هربت من فقرك في الجنوب، الى ضاحية بؤس طابعها أرمني في شرقي بيروت (كمب شرشبوك).. هل شعرت بأنك إنما تدخل بيت السلطة، وكأنه "بيت الطاعة"؟! هل كنت تخرج من الثورة لتدخل السلطة، أنت رمز الكفاح المسلّح والعمل الاستشهادي؟ هل أحسست للحظة بأنك أجدر بأن تكون في القصر من شاغليه؟

لم يباغت السؤال "السيد"، البسيط الملامح، البسيط التعابير، على إفاضة، المدرَّب على الكلام كرجل دين قبل أن ترفعه التجارب القاسية ومعايشة الموت الى مرتبة القائد السياسي. كان، كعادته، جاهزاً، مستعداً للصعب والأصعب، للمحرج والمثير والحساس من الأسئلة. قال كمن حضّر جوابه سلفاً لمثل هذا السؤال:

-أبداً. لم يرتبط عندي التحرير بالسلطة في أي لحظة. لعلنا ونحن نعيش في ظل الشهادة قد أسقطنا من اعتبارنا النتائج المباشرة لعملنا على السلطة، أو أننا لم نربط بين الأمرين. لقد أدينا واجبنا كمقاومة، وكتب الله لنا النصر، وكان موقف الدولة – بشخص رئيسها على وجه الخصوص – داعماً ومسانداً وحامياً لظهرنا، وهو موقف اتخذه العماد إميل لحود قبل الرئاسة، ومنذ أن كان قائداً للجيش. لم نكن طلاب سلطة، ولم

يرتبط واجب المقاومة من أجل التحرير بأخذ الحكم ، كان يكفينا من السلطة ألا تكون معادية.

لكن هذا الوضع غير مألوف وصعب تقبّله إنسانياً. كل منتصر ربط بين جدارته بالنصر وبين حقه في السلطة، كلها إن أمكن أو بعضها، حتى يتيسر له استخلاصها من الحلفاء جميعاً. ثم إنكم حققتم نصراً شبه مستحيل، فإجبار "إسرائيل" على الإنسحاب لم يكن عملاً عادياً، ناهيك بأنّ حزباً ناضل طوال هذه السنين، وقدّم قوافل الشهداء بالمئات، وتحمّل المشاقّ والتضحيات الجسام (والغدر أحياناً) وتجاوز كل تلك المصاعب والمناورات والمؤامرات، في الداخل والخارج، من حقه أن يفكر – لحظة الإنجاز – بالسلطة، حقه فيها، أو أقلّه دوره حتى لا نقول حصته منها، ولو من أجل حماية نفسه وإنجازه.

لم يرفّ للسيد حسن نصر الله جفن، وكان واضحاً أنّ الحزب قد بتّ هذا الأمر منذ زمن طويل، ففصل بين جهد المقاومة وبين الحق في السلطة، وأراح نفسه وأراح الآخرين، فأسقط من أذهانهم أنه مشروع انقلابي، وأنه ما إن يبلغ آخر الأرض المحتلة في الجنوب محرّراً حتى يرتد الى بيروت فيأخذ السلطة بسلاحه وقد اكتسب بالنصر شرعية مطلقة.

كيف استطاع حزب الله أن يروّض نفسه على مثل هذا الفصل بين النصر العسكري (بالمقاومة) واستثماره سياسياً في القفز الى السلطة؟

ذلك واحد من الأسئلة الكبرى التي لا يمكن الإجابة عنها إلاّ بالتوغل داخل هذه المؤسسة العقائدية – السياسية – العسكرية، ذات التسمية القرآنية الوهج، وذات السيرة المعقدة بعلاقاتها الملتبسة مع القوى الأخرى، دولاً ومنظمات وأحزاباً وتيارات، بدءاً بالدولة في لبنان مروراً بسورية وانتهاءً بجمهورية الثورة الإسلامية في إيران، قبل أن ننتقل الى معسكر الخصوم والأعداء الذين طاردوه، وما زالوا يطاردونه، بتهمة الإرهاب.

قبل ذلك بأيام، أي السبت في ٢٧ (أيار – مايو)، كان السيد حسن نصر الله قد ذهب الى الجنوب المحرر، والى بنت جبيل على وجه التحديد، إحدى حواضر جبل عامل، ووقف أمام حشد بشري هائل يعلن أنّ حزب الله لم يحقق النصر وحده، معدداً الشركاء ممن سبقوه أو واكبوه أو حاولوا اللحاق به، من أحزاب قومية وتقدمية، كالبعث والشيوعيين والقوميين السوريين، ثم حركة أمل التي كانت رحم حزب الله، كما يقول رئيسها رئيس المجلس النيابي نبيه بري.

اعترف بالجميع، وسلّم بحق الجميع، أفراداً وهيئات ومنظمات. وكان إعلانه في وجهه الآخر يعكس تسليم هؤلاء جميعاً بدوره القيادي في المقاومة والتحرير، وما قد ينجم عنه.

ثم إنه أعلن بالصوت الحي: لسنا بديلاً من الدولة، ولا نطمح الى إقامة دولتنا الخاصة، والأمن سيبقى مسؤولية الدولة ولن يكون مسؤوليتنا مطلقاً، فنحن مقاومة لا سلطة، والدولة مدعوة الى أن تقوم بواجبها بعدما تم تحرير معظم الأرض وتم إجلاء المحتل.. وسنبقى في المقاومة حتى تتم استعادة مزارع شبعا، وإطلاق المعتقلين من السجون الإسرائيلية، ويستعيد لبنان مياهه المسروقة الخ..

الأهم أنه نادى الفلسطينيين، وكان بعضهم يسمعه مباشرة، عبر الحد الفاصل، وأكثريتهم تسمعه عبر الإذاعات والفضائيات العربية.. وكان النداء حاراً، ملحاحاً، وفيه رنّة أسى، لأنّ "السيد" لم يكن – بحكم التجربة الطويلة – واثقاً من الإستجابة لندائه، ليس بسبب عدم الرغبة أو عدم الإيمان بالحاجة الى تجديد المقاومة أو الانتفاضة داخل فلسطين، ولكن بسبب عدم القدرة.

وفي الحوار معنا، وبعد إلحاحنا على محاولة تصور دور حزب الله مستقبلاً، وهو المحاصر والمحصور في بيئة طائفية محددة(الشيعة في لبنان)، بما يحدّ من إمكان تأثيره أو إشعاعه التغييري في المنطقة من حوله، بدءاً بلبنان ذاته، سمعنا كلاماً جديداً من السيد حسن.. قال:

" -علينا الاعتراف أنّ حزبنا أكبر من الطائفة التي ينتمي إليها مناصروه، وأكبر من أي طائفة بل هو أكبر من أي كيان سياسي قائم. إننا مشروع قومي، لا تنتهي أهدافنا عند حدود لبنان مع فلسطين. ولا ينسجم مع طموحنا وبنائنا الفكـري وحجمنـا ووهجنـا والالتفاف الشعبي العظيم حولنا، أن نهجر السلاح غداً لنأخذ منصباً وزارياً، أو لتزيـد حصتنا من النواب في البرلمان اللبناني، وأن نتحصر ونحاصـر فـي إطـار اللعبـة السياسية المحلية".

في السابق، كنا نسمع تلميحات سريعة الى هذا المعنى.. بل إننا سجلنا تحولات ظاهرة في الخطاب السياسي لحزب الله، كانت تشير الى اقترابه أكثر فأكثر من الموقع القومي العربي، بغير أن يغادر مرتكزات فكره الإسلامي. وفي حالات كثيرة ومواقف عديـدة في مواجهة الانتكاسات والانحرافات في السياسات العربية، كان خطاب الحزب يصدر عن موقف قومي تماماً حتى وإن تمّت صياغته بمفردات يطغى عليها العبق الديني.

-الطموح أبعد من القصر الجمهوري في بعبدا إذاً؟

-يعترض: ليس هو الطموح. بل : الفكر، العقيدة، الرسالة.

في شباط (فبراير) الماضي، طلب إليّ رئيس تحرير "الأهرام" الزميل إبراهيم نافع أن أساعد على ترتيب لقاء لحوار صحفي مع السيد حسن نصر الله.

كانت تلك أول مرة تطلب فيها صحيفة مصرية (قومية) أن تجري لقاء مع قيادة حزب الله.

ولأنها المرة الأولى، فقد ساد جو من "الغربة"، أو لنقل "عدم المعرفة"، الدقائق الأولـى من هذا اللقاء، الذي تأخر كثيراً عن موعده، أكدته أو دللت عليه أسئلة "طريفة" وجّهها بعض الزملاء من "الأهرام" و"مركز الدراسات" فيها الى "السيد"، ومنها علـى سـبيل المثال لا الحصر: سؤال عن سر" التسمية" وهل هي تعنـي أنّ الحـزب يحتكـر الله (سبحانه وتعالى)؟، والثاني عن "التقية" في التراث الشيعي وموقعها من مسلك الحـزب

ومن شعاراته، وهل هو يداري بها أهدافه الحقيقية أم لا..؟ ناهيك بأسئلة كثيرة عن إيران كادت تصور الحزب إيرانياً في منطلقاته وأهدافه، حتى وإن كانت لغته عربية.

أما السؤال المباشر فكان: كيف تستطيع إقناع شاب بأن يذهب بعينين مفتوحتين الى الموت؟! ما هذه المقدرة الهائلة لديكم على تجنيد الشباب وإذكاء روح الاستشهاد فيهم فيندفعون إليه وهم في شرخ شبابهم، تاركين الحياة ومباهجها الكثيرة؟

وبعدما نفى السيد حسن نصر الله أن يكونوا قد "احتكروا" الله عندما اتخذوا لحزبهم تسمية قرآنية: {ومَن يتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون}(سورة المائدة: ٥٦)، وشرح "التقية" بأنها ضرورة فرضتها ظروف القهر السياسي في فترات تاريخية معيّنة، وكان الشيعة المضطهدون يلجأون إليها لمنع الفتنة والشقاق والصدام المكلف بالحكم الظالم.. أما عن الإستشهاديين فقال السيد حسن ما مؤداه: الحمد لله أنّ بين شبابنا مَن بقي على إيمانه بالله وجنّته واليوم الآخر، فلولا هذا الإيمان لما أمكن تجنيد أحد لمواجهة أقوى جيش في المنطقة، إنّ هؤلاء المصدّقين بالله والجنة واليوم الآخر يأتوننا من كل فج عميق، ويندفعون بل يتنافسون. لولا ذلك لما أمكن لهذه المقاومة أن تنشأ وأن تستمر وأن تتعاظم مقتربة من النصر بإذن الله.

بعد ذلك بأيام، كانت الضربة الإسرائيلية الرابعة، الخامسة، السادسة، للبنية التحتية في لبنان، والكهرباء تحديداً.. ولأول مرة، جاء رد الفعل العربي قوياً وفيه شيء من الموقف:

بداية جاء رئيس مصر، محمد حسني مبارك، يوم السبت ٢٠ شباط (فبراير) ٢٠٠٠ في زيارة تضامن خاطفة إلى بيروت، لم تكن فقط الأولى من نوعها، بل - وهذا هو الأهم - أنها كانت تمثّل كسراً للطوق المضروب حول لبنان والذي تبدّى في لحظات وكأنه عقوبة موجهة ضده مقاوماً، أو تكريس لنظرية أنّ حزب الله يتحرش بـ"إسرائيل" تنفيذاً لسياسة إيرانية لعرقلة العملية السلمية، وأنه لم يعد للمقاومة من

مبرر طالما أنّ "إيهود باراك" قد أعلن وكرر الإعلان عن التزامه تعهده الإنتخابي بالإنسحاب من لبنان قبل ٧ تموز (يوليو) ٢٠٠٠.

بعد الرئيس مبارك توافد الزوار الرسميون العرب على بيروت متضامنين، وكان أبرزهم ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز الذي وصلها مختتماً بها جولة شملت القاهرة ودمشق، لجمع الصف، أو ما تيسر منه تضامناً.. ولعله تقصّد أن يطلق، قبل وصوله، تصريحاً يعلن فيه الوقوف الكامل مع" مقاومتنا" في لبنان، ثم أن يلتقي في مقر إقامته الرسمي ببيروت نواب "كتلة الوفاء للمقاومة"، أي ممثلي حزب الله في البرلمان اللبناني، في سابقة تسجل تحولاً مهماً في السياسة العربية تجاه الحزب.

ثم كان أن انتقلت جامعة الدول العربية الى بيروت لتعقد مجلسها الوزاري، الذي شارك فيه – وفي تظاهرة نادرة – وزراء الخارجية العرب جميعاً. توكيداً للتضامن السياسي الإجماعي مع لبنان المقاوم، دولة وشعباً، وإن كانت التحية قد توجهت أساساً الى حزب الله وقيادته التي لم يسعَ الى لقائها أحد من المتضامنين، ولا هي طلبت أو سعت لأن تحرج أحداً منهم بطلب اللقاء.

بعد التحرير بثلاثة أسابيع، وتحديداً في ٢٠ حزيران (يونيو) ٢٠٠٠، دوّى العالم بسابقة جديدة حققها حزب الله، أو تحققت له ومعه نتيجة ظروف موضوعية، إذ قصد الأمين العام للأمم المتحدة "كوفي أنان" مقر الأمانة العامة لحزب الله في الضاحية الجنوبية من بيروت ليلتقي الرجل، الذي صار اسمه أغنية تطلق طوال ساعات النهار في مسامع الجنود الإسرائيليين عند "معبر فاطمة" على الشريط الحاجز بين لبنان وفلسطين المحتلة: حسن نصر الله.

كان اللقاء فريداً في بابه، فلم يسبق لمثل هذا الموظف الأممي الكبير أن جاء للقاء قائد لجيش التحرير في بلد ما، أو قائد للمقاومة ضد الاحتلال.. كما لم يسبق للسيد حسن نصر الله أن أعدّ نفسه للقاء من هذه الطبيعة الأممية، "فالأممية" التي ينادي بها، بحكم

عقيدته الإسلامية، لها وجهة أخرى لا تتصل بنيويورك حيث المؤسسة الدولية، ولا بواشنطن حيث القرار الدولي.

وحده المنظر الفريد الذي بلغ ذروة تجلياته عند الشريط - الحاجز يوم الاثنين في الثالث والعشرين من أيار (مايو) ٢٠٠٠، حين وصل مجاهدو حزب الله الى الحد، في مواجهة الجنود الإسرائيليين، قد يفسر أو قد يوحي باستنتاج منطقي مقبول.

لقد انكفأ جنود الاحتلال، بسرعة قياسية، سبقت الموعد المعلن للانسحاب بستة أسابيع، وسبقت الموعد المقدّر بأسبوع على الأقل، بغير أن ينذروا الميليشيات التي أنشأوها ودربوها ورعَوها وسلّحوها وموّلوها على امتداد عقدين من الزمان تحت اسم "جيش لبنان الجنوبي"، فكان أن انهار هذا "اللفيف" المركب لحماية الظهر، فسبق حماته الى الأرض الفلسطينية المحتلة مخلفاً وراءه كل ما كانوا زودوه به من العتاد والسلاح، وهو يكفي – وكان بالفعل يكفي – "جيشاً" من حوالى ثلاثة آلاف مقاتل".

انهارت الجبهة الإسرائيلية داخل الأرض اللبنانية المحتلة، وتفكك "جيش لحد"، فهرب قادته وجنده والمتعاونون معه، بأسرهم في الغالب الأعم، لاحقين بالقوات الإسرائيلية المنسحبة، وبأسرع من سرعتها، وبقيت الأسلحة في المواقع المهجورة، والذخائر، بل الوثائق والمرتبات أيضاً..

كانت مفاجأة للجميع، بما في ذلك حزب الله، الذي مع توقعه أن يتم الانسحاب قبل الموعد المعلن الرسمي، فإنه كان يفترض توقيتاً آخر، وإن كانت طلائعه المتقدمة قد تحركت فوراً متقدمة الى المواقع التي أخذتْ تُخلى تباعاً، وفي أكثر من موقع فوجئت بأنّ الجنود الإسرائيليين أو المتعاونين والمتعاملين ما زالوا فيه، فتصرف كل طرف حسب مقتضى الحال، وإن كان قرار الحزب واضحاً: أن يتم خروجهم تحت نيران المقاومة، وليس في صمت يفرضه "عدم المشاغبة" على الانسحاب.

المهم أنه وفي غضون ساعات كان مجاهدو الحزب يقفون بسلاحهم في مواجهة جنود العدو، لا تفصلهم عنه سوى أمتار قليلة وحاجز من الأسلاك الشائكة التي يسهل خرقها.

بمنطق الصراع العربي - الإسرائيلي المفتوح، والـذي يصـعب إقفالـه بالإتفاقـات المنفردة، أو بقوات فك الإشتباك.

المنظر فريد، لأنّ هذا المجاهد الذي طالما تحمّل المشاقّ، وسهر الليالي، وقطع حقـول الألغام، وكمن حتى لا تكشفه الطائرة ولا يتصيده موقع المراقبة القريب، لكي يصل الى مدى الرصاص من هذا الجندي فيرديه، وصل الى حيث يراه بالعين المجردة، وحيـث لا يحتاج قتله الى تسديد، فلا هو أطلق عليه النار، ولا الجندي الإسرائيلي الذي طالما هده الذعر من كمائن مجاهدي حزب الله، أو من هجماتهم على رفاقه وهم في مخابئهم وفي مكامنهم شديدة التحصين، عاجله فسبقه الى إطلاق النار ليقتله قبل أن يقتله.

مجاهد حزب الله علَمه الأصفر في يساره، وسلاحه في يمينه، مقابل الجندي الإسرائيلي تحت علَمه ذي الخطين الأزرقين والنجمة المسدسة، وسلاحه في يمينه، ولا رصاص، بل جماهير دهمها الفرح بالتحرير أخيراً فزحفت خلف المجاهدين حتى الحـد، ولمـا بلغته ورأت جنود الإحتلال الخارجين لتوّهم من أرضها، لم تجد إلاّ الحجارة ترشـقهم بها، واللعنات والعيون المستعرة بخليط من الغضب وزهو الإنتصار.

كان القرار الدولي يكاد يظهر للعيون هنا، بضبط الطرفين اللـذين تواجهـا بالسـلاح سنوات طويلة، فلا يخرقه أحدهما، ولا يحتاج أيهما الى تبرير لموقفه "الغريب" والهدوء السحري الذي هبط عليه فجأة فجعله لا يتجاوز حده.. الملتبس بعد!

لعل رحلة حسن نصر الله من قريته البازورية في قضاء الزهراني في الجنوب، الـى الأمانة العامة لحزب الله، وموقع القائد الفعلي للمقاومة تلخص سـيرة هـذا التنظـيم السياسي العسكري، شديد الالتزام والانضباط، والذي ندر أن شهدت المنطقة العربية له مثيلاً في تاريخها الحديث.

مثل آلاف الآلاف من أبناء الجنوب المحروم، كما مناطق أخرى كثيرة في لبنان، بينها البقاع بمجمله، ومنطقة بعلبك - الهرمل خاصة، والشمال بمجملـه، ومنطقـة عكـار خاصة، كانت هجرة القرى التي لا دخل فيها ولا فرص عمل، ولا تعطي الزراعة فيها

ما يكفي لسد الرمق، الى بيروت – المركز المزدهر في الستينات – هي الوسيلة الفضلى لمحاولة تحسين مستوى الحياة: العثور على عمل ما، تأمين المدرسة للأبناء والبنات، تأمين فرصة محتملة للاستشفاء، مع احتمال توفر الفرص لإكمال الأولاد دراساتهم الجامعية ولو بتضحيات جسيمة.

وكان حظ أسرة حسن نصر الله، مثل آلاف الأسَر الجنوبية والبعلبكية، أن تستقر في بعض ضواحي شرقي بيروت، وتحديداً في بعض أحياء الأرمن الذين جاءوا مهجرين من بلادهم بعد مذابح ارتكبها الأتراك قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى، فحظوا برعاية الدولة التي كانت قد جاءت منتدبة على لبنان وسوريه، بعد تلك الحرب، فرنسا، وهكذا بُنيت لهم مجمعات سكنية، على أراضي الأوقاف أو الأملاك العامة، ومُنحوا الجنسية اللبنانية، لأهداف سياسية، تتصل بالتوازن الطائفي الحساس في لبنان، فعاشوا فيه كمواطنين ولكن ضمن غيتواتهم الخاصة.

وعندما تفجرت الحرب الأهلية في لبنان في ربيع العام ١٩٧٥، كان من أوائل نتائجها الفرز الطائفي.. وهكذا كان مقدّراً على سكان الضواحي الشرقية لبيروت من "المسلمين" وأكثريتهم الساحقة شيعية أن يلقوا مصير الفلسطينيين الذين كانت لهم بضعة مخيمات هناك أشهرها وأكبرها تل الزعتر، ومعه – ليس بعيداً عنها – مخيم جسر الباشا، وآخر قليل الأهمية في الطرف الأقصى لضواحي بيروت الشرقية: "مخيم ضبية الصغير" شبه المفرغ من لاجئيه الأصليين، من الفلسطينيين المسيحيين بوجه الإجمال.

بعد سنة ونصف تقريباً من الاقتتال كان على اللاجئين الفلسطينيين، المقاومين والمسلحين الآن، أن يجلوا عن تل الزعتر وما جاوره، نتيجة لحصار قاس جعل حياتهم مستحيلة.

وتم "الإجلاء" وسط ظروف مهينة ومجازر بشعة..

وكان طبيعياً أن يهجّر، مع الفلسطينيين مجاميع بمئات الآلاف من فقراء الشيعة الذين كانوا قد استملكوا بعض الأراضي فأقاموا بيوتاً صغيرة، أو استأجروا بيوتاً ضيقة في أحياء بلا خدمات لتؤويهم وهم يحاولون أن يواصلوا حياتهم ويؤمنوا لأبنائهم مستقبلاً أفضل.

وكانت أسرة حسن نصر الله، الذي كان أبوه قد أقام دكاناً في "كمب شرشبوك" بين المهجرين.

حتى انفجار الحرب الأهلية في لبنان، في نيسان (أبريل) ١٩٧٥، كان الشيعة، ولأسباب اقتصادية واجتماعية ومن ثَم سياسية، يشكّلون الخزان البشري للأحزاب الوطنية والقومية والتقدمية كافة. ثم إنهم كانوا يشكّلون القاعدة العريضة للجمهور المؤيد للمقاومة الفلسطينية عند انتقال كتلتها العظمى الى لبنان بعد أيلول الأسود في الأردن، وغياب سندها وحاميها القومي جمال عبد الناصر.

وبمعزل عن هوية القيادات فإنّ القاعدة العريضة للأحزاب التي تماهت مع المقاومة الفلسطينية، كانت شيعية.. خصوصاً عندما استقر "الفدائيون" على مقربة من الحدود مع فلسطين، وهي بمجملها ذات أكثرية شيعية ساحقة.

على أنّ تراجع الشعار القومي، بعد انتكاسة حرب ١٩٧٣ (العبور)، وبعد صدام البعثيين في سوريه والعراق، وبعد خروج مصر من حومة العمل العربي، بعد فك الاشتباك، ومن ثم التحول الخطير الذي برز "زيارة السادات" لـ"إسرائيل"، وصولاً الى معاهدة "كمب ديفيد"، كل ذلك قد عكس نفسه بحدة على الساحة اللبنانية التي كانت – بعاصمتها بيروت – أشبه بالشارع الوطني العربي، والمنتدى الفكري، وأرض التلاقي والصراع والتنافس بين الأفكار والعقائد وأجهزة المخابرات والدول والمصالح المختلفة.

مع تراجع الشعار القومي، انفرطت القوى والأحزاب السياسية في لبنان، أو هي تاهت عن طريقها، خصوصاً وقد باتت موضع تجاذب شديد بين الأنظمة العربية، ثم بينها وبين المقاومة الفلسطينية، حين جاء وقت التصادم، ثم مع تعاظم الموجة الطائفية التي

فجّرت الحرب الأهلية، ثم تغذت بها، عاد كثير من المناضلين الى طوائفهم، أو أنهم انكفأوا عن العمل السياسي برمته، وخصوصاً أنّ اللعبة غدت ذات طبيعة دولية لا يقدرون على التأثير فيها وإن كانوا لا يستطيعون تجنّب تأثيراتها.

وعادت تطفو على السطح شعارات ومقولات كانت الحماسة للمقاومة الفلسطينية التي أعمت عن رؤية مكامن الضعف في قيادتها، قد طمستها أو دفعتها الى الخلف.

برزت دعوة التقسيم، كمطلب مسيحي، في مواجهة ما افترض من أنّ المقاومة الفلسطينية هي "جيش المسلمين". وجاء التدخل السوري كمشروع حل عربي فواجهه التدخل العسكري الإسرائيلي باحتلال بعض الجنوب وإقامة "الجدار الطيب" والمباشرة بإقامة دويلة سعد حداد، وهو ضابط مسيحي في الجيش اللبناني استفزت وطنيته في مواجهة التحدي الفلسطيني، فانحاز الى "إسرائيل" طلباً لتحرير قراره الوطني!

تداخلت دعاوى حماية المقاومة الفلسطينية بمطلب التغيير في النظام الطائفي ذي الطابع الماروني في لبنان. وأدى التدخل السوري، قبل أن تشرعنه القمة ثم الجامعة العربية، الى التباسات إضافية صوّرت السوريين حلفاء للموارنة في لبنان، أعداء للفلسطينيين وللمطامح الإسلامية، على قاعدة بحث مذهبية.

كان الشيعة الذين اكتشفوا متأخرين أنهم غدوا أكثرية نسبية في لبنان، يبحثون عن موقعهم داخل النظام، بعدما لم يوصلهم النضال القومي والتقدمي إلاّ الى.. الشهادة.

وكانوا قد تعرّضوا لامتحان جدي حين عرضت عليهم المارونية السياسية مشروع حلف طائفي يواجه "الأكثرية السنّية" في المنطقة، من منطلق "أقلوي" يلتقي - وإن لم يقصد - بالمشروع الصهيوني في فلسطين ، ودولة الأقلية القوية جداً القائمة هناك والمستعدة لأن ترعى وتحمي مشاريع دول أقلوية في المنطقة وبرغم أنّ الشيعة لم يستجيبوا جدياً لهذا المشروع فإنهم شيئاً فشيئاً بدأوا يحسون بشيء من الاستبعاد، ولم يخف كثير من أهل النظام تخوفهم من العدد اللجب لهذه الطائفة التي لا تكفّ عن التوالد والتزايد في أبأس الظروف المعيشية، وأبأس حالات الاضطهاد السياسي.

وبرز موسى الصدر، الداعية المتميز ذو الشخصية الباهرة الحضور، نموذجاً لهذا الالتباس بين التمنّع عن التورط في الحلف الماروني – الشيعي، وبين الرغبة في التميز وإبراز الشخصية الشيعية، العربي الى حد الإنتساب الى الرسول وخاتم الأنبياء، والذي تخالط لغته لكنة إيرانية، لأنّ والديه المهاجرَين من صور كانا قد ارتحلا إلى إيران، حيث أمضى طفولته الأولى، والذي يتحدث بلهجة عراقية لأنه أمضى سنوات دراسته الطويلة في النجف الأشرف.

كان موسى الصدر ضد الحرب الأهلية، وحاول جهده منعها أو وقفها عند حد، لكن الظروف كانت أقوى منه، فحاول أن يشكّل لاجماً لاندفاعات المقاومة الفلسطينية للهيمنة على القرار السياسي اللبناني، أقله الوطني منه. ووصلت محاولاته التميّز ذروتها بقبوله إنشاء تنظيم سياسي شبه عسكري تحت اسم "أفواج المقاومة اللبنانية – أمل"، استعان لتدريب مقاتليه بمحترفين من "فتح"، وأمّن له السلاح من سوريه، من دون أن يجهر بخروجه على الدولة اللبنانية.

رفع الصدر شعار "السلاح زينة الرجال"، وحاول تنظيم طائفة المحرومين في حركة سياسية، وحرّض فقراء الناس على احتلال قصور الأغنياء ومقارّ الحكومة، ولكنه عندما وعى خطورة الحرب الأهلية حاول التصدي لها بالاعتصام والاعتراض والصدم، لكن الموجة كانت أعلى من كل هذه الاعتراضات، فتجاوزته، ولعلها كانت السبب في اختفائه، أو تغييبه، الذي تم بينما هو في زيارة لليبيا في أواخر آب (أغسطس) العام ١٩٧٨.

غاب الصدر وسرّه معه، ولم يُعرف ما إذا كان قد قصد بإنشاء "حركة المحرومين – أمل" أن تكون رديفاً أو بديلاً من المقاومة الفلسطينية.. لكن ما هو أكيد أنّ الكثير من الكادرات القيادية لحزب الله قد جاءت من" أمل"، وفي الطليعة منها السيد حسن نصر الله.

وقبل أن ننهي الحديث عن "السيد" الذي حاول النظام اللبناني إغراء الشيعة عبره، واستيعابها بإنشاء "المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى" الذي انتخبه، ضمن ظروف معلومة، أول رئيس له، لا بد من الإشارة الى أنه كان أول مَن ربط - على الأرض - بين الشيعة في الجنوب، وهم بشكل عام، أهل ثقافة وعلم وأدب وأهل دعة وليسوا صداميين، وبين الشيعة في البقاع، حيث لم يكن للنجف الأشرف وخريجيه، أي تأثير يذكر، وحيث يسود المنطق العشائري، وحيث العلاقة بالثقافة والعلم محدودة إضافة الى خشونة في الطباع بوجه الإجمال.

وهكذا، عندما نشأ حزب الله كانت المساحة النفسية واحدة من أقصى جرود الهرمل، على الحدود مع سوريه، الى أقصى هضاب جبل الشيخ، خلف جبل عامل، على الحدود مع فلسطين المحتلة.

لا بد من شيء من التاريخ، أو التذكير بما كاد ينسى من فصول الصراع العربي - الإسرائيلي..

لم يشاهد جيل المجاهدين في حزب الله اليوم ذلك المنظر الذي أدمى قلوب أمهاتهم وتحدى رجولة آبائهم: النزوح الكثيف للفلسطينيين عن أرضهم بأطفالهم، وصرر الثياب، ومؤونة الطريق، والهلع والخوف على العرض، والعجز عن الصمود، وافتقاد القيادة والسلاح والتنظيم الضروري للمقاومة.

لعل بعضهم قد سمع عن الأم التي أنساها خوفها واحداً من أطفالها، وعن الأب الذي فقد عقله بعدما فقد عائلته، وعن النساء الآتيات وقد أعماهن البكاء، وفي الصدر مفاتيح البيوت التي لن يعودوا إليها والتي سيأخذها بعدهم - مفروشة - أولئك المستقدمون من أربع جهات الدنيا، ليحققوا الخرافة التوراتية على أرض الميعاد.

لكن هذا الجيل شاهد، بأم العين، دبابات الاجتياح الإسرائيلي وقوافل جنوده تتقدم على الطرقات العامة التي تخترق المدن والقرى، في الهضاب الجبلية كما على الساحل تحت، بغير مقاومة، تنسف البيوت وتحرق الشجر والزرع وتقتل بغير رحمة.

ففي يوم الرابع من حزيران / يونيه ١٩٨٢، اجتاحت القوات الإسرائيلية لبنان، انطلاقاً من جنوبه، تحت غطاء قصف جوي ومدفعي كثيف، وظلت تتقدم حتى مدخل بيروت، فحاصرتها لأسابيع قبل أن تنجح "الوساطة الأميركية" في إقناع قيادة المقاومة الفلسطينية بالخروج مع مقاتليها من لبنان بضمانات لسلامتها، فكان أن اختارت الخروج بحراً الى اليونان، ومن هناك الى تونس التي أُقنعت "باستضافتها"، وكان الخيار عجيباً: إذ الطبيعي كان، ولكي تبقى قريبة من أرضها المحتلة، أن تنتقل براً الى دمشق، لكن مثل هذا القرار لم يكن مطروحاً، لأسباب عديدة لا يتسع المجال لشرحها هنا.

كانت المقاومة الفلسطينية في أسوأ حال على الإطلاق، يومذاك، بعد استنزاف مجهودها في مستنقع الحرب الأهلية اللبنانية، وبعد صدامها السياسي مع سوريه، وتقلّب تحالفاتها السياسية، واندفاعاتها غير المدروسة من أجل فتح نافذة للحوار مع الأميركيين، ولو بترك الباب موارباً للتفاوض بشروط غير ملائمة مع الإسرائيليين الخ..

وكانت الكتلة العظمى لمقاتليها قد يئست من الكفاح المسلح، فانتقلت الى بيروت ومناطق أخرى من لبنان تمارس فيها "سلطة" فعلية، أما الكادرات المتقدمة فكان على القيادات أن تختلق لها المناصب الديبلوماسية والبعثات والوظائف الوهمية ذات المخصصات الفخمة لتسترضيها فتستبقيها فلا تذهب الى" المعارضة "والتشهير بالقيادة.

ربما لهذا كله، ولأسباب أخرى بينها التفوق الإسرائيلي الكاسح، لم تلقَ القوات الإسرائيلية الزاحفة براً على امتداد حوالى مئة كيلومتر، بين الحدود وبيروت، على امتداد الجنوب، مقاومة تذكر..

وبالنتيجة فقد أخرج الاجتياح الإسرائيلي المقاومة الفلسطينية من معظم أنحاء لبنان (عدا الشمال وبعلبك)، كما أخرج القوات السوريه إلاّ من بعض المناطق المحاذية

لحدودها في البقاع والشمال وبعض الجبل.. ثم لم يجد من يحاسبه على كل ما ارتكبه من مجازر أشهرها مجزرة صبرا وشاتيلا في بيروت.

تلك الظروف بالذات كانت الولادة الفعلية لما سيُعرف مستقبلاً بـ"حزب الله".

كان الشعور بالقهر لدى المسلمين، بل الوطنيين عموماً في لبنان، قد بلغ ذروته:

١ – فقد هُزمت المقاومة الفلسطينية وأُخرجت بالقوة، من لبنان الذي ودّعها باكياً، مستشعراً سيادة العصر الإسرائيلي على مقدّرات الأمة كلها واكتمال دائرة الهزيمة عليها!

٢ – وسوريه قد أُخرجت مثخنة بالجراح، من معظم لبنان، ووسط صدام سياسي عنيف بينها وبين قيادة المقاومة الفلسطينية، انعكس بحدة على اللبنانيين فمزّقهم عاطفياً وفكرياً وسياسياً، وألحق أشد الأذى بتوجهاتهم القومية.

٣ – ثم إنّ "إسرائيل" قد نصّبت بدباباتها، وفي "انتخاب" جُمِع له النواب بشتى وسائل التهديد والإغراء (بما في ذلك الخطف والحصر في صناديق السيارات) قائد ميليشيا "القوات اللبنانية" (بشير الجميّل) الحليفة العلنية لـ"إسرائيل"، رئيساً للجمهورية اللبنانية!

٤ – بالمقابل، كانت حرب صدام حسين ضد إيران، الثورة الإسلامية، تكمل عامها الثاني مستهلكة معظم طاقة الأمة، ومعظم مواردها الاقتصادية والسياسية، لا سيما في الجزيرة والخليج، محدثة شرخاً خطيراً في المؤسسات التي يُفترض أن تجسّد تضامنها ووحدة موقفها، وأولها جامعة الدول العربية.

وفي حين لم تجد الدول العربية ما تعالج به الكارثة الجديدة إلاّ قمة "فاس"، وإلاّ مشروعاً للتسوية تقدّم به ولي العهد السعودي، آنذاك، الأمير فهد بن عبد العزيز (الملك الراحل)، فإنّ الأحداث في لبنان كانت قد اتخذت وجهة مغايرة في اتجاه التصدي لنتائج الاجتياح.

وهكذا، وقبيل أن يتسلّم بشير الجميّل صلاحياته الدستورية بأيام كان اغتياله بتفجير أحد مكاتبه الحزبية، حيث كان يعقد لقاء تنظيمياً موسعاً.

ومع انكشاف المذابح الجماعية التي أودت بحياة أكثر من ١٥٠٠ رجل وامرأة في مخيمي صبرا وشاتيلا، معظمهم من الفلسطينيين، وبينهم كذلك عشرات من العمال اللبنانيين والسوريين الفقراء، كان القرار الدولي بإنزال قوات أطلسية في لبنان توطد الأمن وتحمي مَن تبقّى من الفلسطينيين والمعارضين، وتهيئ لانسحاب مشروط للقوات الإسرائيلية الغازية.

بالمقابل، كانت سوريه تبحث عن أسلوب مختلف للمواجهة والحد من تحقيق الأهداف السياسية للاجتياح الإسرائيلي وتغيير المعادلات القائمة في لبنان واستكمال الطوق من حول النظام الحاكم في دمشق.

والتفتت سوريه الى مركزين متباعدي الموقع والهدف تماماً: طهران، الثورة الإسلامية في إيران، التي كانت تبحث بإلحاح عن "دور عربي" يؤكد صدق إسلامها ويشر عن ثورتها، فوجدت في فلسطين ضالتها. وهكذا، ومنذ اليوم الأول، كان الحكم الثوري يطرد البعثة الإسرائيلية من طهران ويسلّم "القلعة" التي كانت مقراً للسفارة بمكاتبها المختلفة وحشد العاملين فيها والمتخصصين في مختلف المجالات، من الزراعة الى المخابرات، والتي كان عددهم "أكثر من كتيبة".. الى منظمة التحرير لتكون "سفارة فلسطين".

مع فلسطين، وللوصول إليها كان لا بد من لبنان، وقبل كان لا بد من سوريه التي كانت قد رحّبت بثورتها أشد الترحيب وجهدت لأن تقيم معها "حلفاً مقدّساً" سرعان ما تأكد مع اندفاع صدام حسين الى محاربتها، وبشعار استمده من فجر الإسلام: "القادسية"، وأضفى عليه بعداً قومياً حين انتدب نفسه موقع حارس البوابة الشرقية – لحماية العرب من الفرس المجوس!

وبعد طهران الثورة ومعها، بل وقبلها، لابد من لبنان، لا بد من العودة إليه ليس فقط بداعي رد الاعتبار، بل أساساً لحماية دمشق ذاتها من النتائج السياسية المباشرة للاجتياح الإسرائيلي.

لا بد من لبنان، بتراثه النضالي من أجل تحرير فلسطين، من أجل كل قضية قومية، وبواقع احتلال نصف أرضه، حتى بعد جلاء "إسرائيل" عن عاصمته والضواحي المحيطة بها؟!

إذاً، فالبداية محددة بحكم الواقع : مقاومة الإحتلال الإسرائيلي وكل ما ترتب عليه من نتائج سياسية.

وهكذا، وجد الحلف السوري – الإيراني مرتكزاً سياسياً جديداً في لبنان، ووجد هدفاً سياسياً لا يمكن لأحد الطعن في مشروعيته أو التشكيك في الغرض منه.

كان العديد من رجال الصف الثاني في الثورة الإيرانية يعرفون لبنان جيداً، وجنوبه على وجه الخصوص، كذلك فإنّ مجاميع من هؤلاء كانت تربطهم صلات نضالية بالمقاومة الفلسطينية وهم قد تدربوا في مخيماتها، وبعضهم قاتل معها. وقلّة منهم استُشهدوا على أرض الجنوب.

وهكذا، جاء بعض هؤلاء، ومعهم مجموعات من رجال الحرس الثوري الإيراني الى لبنان، واستخدموا مخيمات التدريب التي تناوبت عليها المنظمات الفلسطينية (فتح أساساً ثم الآخرون) وحركة" أمل" لكي يبدأوا دورات تدريب سريعة لمن يريد أن يجاهد في سبيل الله ضد الاحتلال الإسرائيلي في لبنان، وصولاً الى تحرير فلسطين ذاتها، وبشعار متوهج: "زحفاً زحفاً حتى القدس"!

قبل ظهور حزب الله بفترة، كانت بعض الأحزاب السياسية في لبنان، وأبرزها الشيوعيون والقوميون السوريون، ومعهم حركة أمل، قد باشروا بعض أعمال المقاومة ضد الاحتلال، مستفيدين من خبرات رجال الاستطلاع والرصد والخرائط المتوافرة لدى المخابرات العسكرية السوريه.

ثم انفتح المسرح لمشاهد جديدة لم تكن مألوفة من قبل: تم تفجير المقرات القيادية لبعض القوات الأطلسية التي كانت أُنزلت في بيروت لتأمين "إسرائيل" بعد انسحابها،

وضمان عدم عودة المقاومة الفلسطينية، وإن كانت الذريعة تأمين المدنيين الفلسطينيين وحمايتهم من مجازر جديدة.

تم تفجير مقر كتيبة "المارينز" الأميركيين (تشرين أول/ أكتوبر ١٩٨٣)، ثم مقر قيادة الاحتلال في صور (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٣)، ومقر الكتيبة الفرنسية (٢٦/١٠/١٩٨٣).

كان كل تفجير ينثر، مع الضحايا، هيبة هذه القوات في الهواء، ويعزز في النفوس القدرة على المقاومة.. وخصوصاً أنّ" المنفّذ" الفدائي كان يقتحم المقر مبتسماً وهو يهتف: "الله أكبر"!

كذلك، كان واضحاً أنّ هذه الاقتحامات تحظى برعاية سوريه – إيرانية مشتركة، بينما كان الإتحاد السوفياتي الذي "تحرر" أخيراً من زعيمه "بريجنيف" قد أسلس قياده لقائد جديد يؤمن بالمواجهة ولا يهرب منها هو "أندروبوف"، وخصوصاً أنّ موسكو شعرت بأنها قد خُدعت، مرة أخرى، واستُبعدت من مسرح الحركة في الصراع الأخطر في المنطقة الأعظم أهمية.. وهكذا فقد تقدمت لتكون الضلع الثالث في الحلف الجديد.

كان على السوريين والإيرانيين أن يقدّموا رجالهم، بداية، كمدربين وحماة وكمقاتلين أيضاً.. وكان الخزان البشري في جنوب لبنان (أرض المعركة) وامتداداته المذهبية (في بعلبك – الهرمل والضاحية الجنوبية لبيروت) هو محط الأنظار والآمال.

وهكذا، أطلت النواة الأولى لحزب الله، من مقاتلين ومحاربين، جاءت طلائعهم من حركة أمل أساساً، ثم بعض الذين خذلتهم المقاومة الفلسطينية، أو دفعهم تحدي الاحتلال الى البحث عن إطار لنضال ضده وعن مصدر للسلاح والتدريب والرعاية.

لم يكن السلاح مشكلة، كانت الرعاية السياسية هي المطلب.

ولقد حاولت إيران توفير هذه الرعاية مباشرة، فاكتشفت – بعد صدامات دموية –أنها لا تستطيع تأمينها إلاّ عبر سوريه وبالتفاهم معها.

على امتداد ثلاث سنوات طويلة بين ١٩٨٢ و ١٩٨٥تنامى التنظيم برجاله، الحسني التدريب، وغير المعروفين، والحريصين على السرّية والتكتّم وعدم الظهور العلني، والذي سيصطدم بكل القوى السياسية والحزبية القائمة، والتي رأت فيه منافساً خطيراً، خصوصاً أنّ الإمكانات التي توفرت له كانت عزيزة على غيره ممن نالها قبله سابقاً – ومن جهات أخرى – ثم ضيّعها في معارك وهمية غالبها ضد الذات.

كانت البداية مشوشة تماماً، وأحياناً مدانة، خصوصاً أنّ بعض المحسوبين على إيران، أو الآتين من الاتجاهات الأكثر تطرفاً فيها، لم يتورعوا عن رفع شعار "جمهورية إسلامية في لبنان".

ولأسباب عديدة ظهر كأن طلائع التنظيم الجديد والشرس تعتمد منطق العنف المطلق: فهي تحتكر لنفسها الإيمان وتكفّر الآخرين، ولا تتورع عن التورط في صدام مسلّح مع قوى كانت قائمة وصاحبة نفوذ قبل ظهور حزب الله، وكانت قد وصلت –بقوة الظروف – الى السلطة فصارت طرفاً أساسياً لها فيها حق" الفيتو" – (حركة أمل تحديداً) .

وقعت اغتيالات طالت شخصيات فكرية وسياسية وثقافية معروفة.

نشبت معارك دموية شرسة مع قوى أخرى كانت هناك قبل ظهور حزب الله، ولم يكن سهلاً عليها التسليم باختراقه نسيجها، فكيف بادعاء الحق في القيادة لأنه الأقدر في قتال العدو؟!

وكانت أشرس المواجهات وأكثرها دموية مع التنظيم الشيعي الآخر، حركة أمل، على ساحة الجنوب، ومن أجل تأمين القواعد فيه والمعابر نحو المواجهة مع الإسرئيليين، سواء في المناطق اللبنانية التي كانت بعد تحت احتلالهم، أو في اتجاه فلسطين المحتلة ذاتها.

ما أبعد المسافة بين نقطة البداية، تحت في السفح، وبين ذروة النصر بالتحرير.

ولشد ما تبدّل الخطاب، وتبدلت الأدوات والعلاقات، كما تبدّل شكل التنظيم وشعاراته.

لقد قطع حزب الله درب الهزيمة بطوله. بدأ من تحت تحت. جرّب وأخطأ، اصطدم بذاته وبغيره كثيراً. جالد وصبر وعمل بدأب ولم تتوقف حركته يوماً.

كانت إطلالته الأولى باعتباره "حزب المستضعفين"، وكان المنتمون الأوائل الى صفوفه هم "المنبوذين" المعدمين، أبناء البؤس والشقاء الذين لم يتبقَّ لهم إلاّ الله، فجاء يأخذهم إليه.

وها هو الآن الحزب الأعظم شعبية، والأفضل تنظيماً والأصلب موقفاً، وأكاد أضيف والأرفع في وعيه السياسي وقراءته لخريطة التحولات، والمبادرة الى التعديل بما يراعي المزاج العام من دون التخلي عن ثوابته الإيمانية وشعاره الجهادي الأبعد مدى: فلسطين.

في أول انتخابات نيابية خاضها حزب الله سنة ١٩٩٢ مع "الحليف السوري"، وعبره مع النظام في لبنان، كانت أسباب اندفاع الناس لإعطاء أصواتهم لمرشحيه مختلفة عنها اليوم: إنه في الشتاء قد وزع المازوت والوقود على المساكين والأرامل حتى لا يؤذيهم صقيع تلك السنة الكثيرة الثلوج، وإنه فتح الطرقات الى القرى التي عزلها الثلج وأنقذ الأهالي المحاصرين في بعض المناطق (بجرافات تابعة لدوائر رسمية) بينما الإدارة الحكومية مشغولة عنهم بروتينها ولامبالاتها الثلجية القاتلة.. وإنه ساعد الفقراء فدفع عنهم رسوم التسجيل لأولادهم في المدارس الرسمية، من دون أن يفرّق بين المنتمين لهذه الطائفة أو تلك.

فالحزب له نشاطات اجتماعية واسعة جداً، وله مؤسسات قوية في حقول التربية والمساعدات الإجتماعية، إضافة الى مؤسساته الإعلامية الهائلة النشاط.

على غرار ما أنشأته الثورة الإسلامية في إيران، وبمساعدات مباشرة منها، أقام الحزب ما يمكن اعتباره فرعاً لمؤسسة "جهاد البناء"، وهي لعبت مع المؤسسة الأم في طهران دوراً لا يُنسى في إعادة ما تهدّم في الجنوب بعد الإجتياح الإسرائيلي في تموز (يوليو) ١٩٩٣، ثم بعد الاجتياح الثاني في نيسان (أبريل) ١٩٩٦.

وهناك "مؤسسة الشهيد" لرعاية أبناء الشهداء، وهي تتولى هؤلاء الأيتام فتعلمهم وتنشّئهم تنشئة ملتزمة، ويشكّلون – من ثم – رصيداً ومدداً متجدداً لا ينضب.

ثم هناك مؤسسات تعليمية عدة، في الجنوب كما في بعلبك – الهرمل، وهي تلتزم المنهج الرسمي، وتعلّم اللغات الأجنبية، وتستوفي أقساطاً، ولكنها تلزم طلابها الكثير بالتقاليد الإسلامية في اللباس الشرعي والانضباط الخُلُقي والالتزام بقواعد الدين الحنيف.

في أواخر تموز/يوليو ١٩٩٣ قامت "إسرائيل" باجتياح ناري واسع النطاق للبنان عموماً، وللجنوب بشكل خاص، وتقصّدت أن تهجر أهله بعد تدمير العديد من المرافق الحيوية، ونشر جو من الذعر بالقصف المستمر على مدار الساعة، بحيث كاد يتعذر الصمود، خصوصاً أنّ مقوّماته الأساسية، بدءاً بالملاجئ (المخابئ) وانتهاء بأسباب المقاومة والقدرة على المواجهة غير متوفرة.

وبالفعل شهدت طرقات الجنوب مواكب الهاربين من الموت الإسرائيلي بعشرات بل بمئات الألوف.. ولقد قصدوا بيروت وضواحيها، حيث لهم أقارب، أو حيث يمكن أن يتوفر المأوى والحد الأدنى من ضرورات العيش.

صمد مقاتلو حزب الله في الأرض، فلم يغادروها، ولم يلقوا السلاح، وتعاظمت عملياتهم ضد جنود الاحتلال.. حتى تم وقف النار بعد مداخلات دولية ومساعٍ عربية محدودة ولكنها كانت ضرورية.

مع وقف النار بدأت ورش "مجاهدي بناء" العمل لإعادة بناء ما تهدّم من المرافق والبيوت والمنشآت العاملة. وصلت مساعدات مهمة وعاجلة من إيران، كما قدّمت سوريه معظم كميات الإسمنت اللازم، بينما اقتصرت المساعدات العربية على وسائل الإسعاف السريع (بطانيات، خيم، معلّبات) مع تحذير ضمني من لعبة المقاومة الخطرة.

وطاف مجاهدو حزب الله على القرى يساعدون في أعمال الترميم أو إعادة البناء، فزاد تقدير الناس لهؤلاء الشجعان الذين لم يهربوا ولم يتركوا الأرض للعدو.

وفي منتصف نيسان / أبريل العام ١٩٩٦ عاودت" إسرائيل" اجتياح لبنان بالنار، وكانت عمليتها أوسع نطاقاً، وأعظم طاقة على التدمير، فعطلت محطات تحويل الكهرباء ونسفت الجسور لمنع التواصل بين اللبنانيين وعزل الجنوب، مطالبة الدولة بضرورة القضاء على "المخربين" من مجاهدي حزب الله.

استنجد لبنان فلم يسمعه أحد، وأبلغ وزير الخارجية الأميركية آنذاك "وارن كريستوفر" مَن يعنيهم الأمر أنه سيكون في جولة على اليابان وبعض الدول الآسيوية، تاركاً لهم رقم هاتفه للإتصال به متى وافقوا على وقف إطلاق النار بالشروط الإسرائيلية.

نشر الإسرائيليون الموت في كل مكان، حتى بلغ ذروته بمجزرة قانا، بالقرب من صور، حيث قتلت المدفعية الإسرائيلية ١٠٥ مواطنين، أكثريتهم من النساء والأطفال والشيوخ الذين تركوا منازلهم المهددة ملتجئين الى معسكر لقوات الأمم المتحدة، ظناً منهم أنهم بذلك سيكونون في الأمان من لوثة الدم الإسرائيلية.

ولأمر يتصل بالمصالح جاء وزير خارجية فرنسا "هيرفيه دو شاريت"، يحاول ويسعى الوصول الى وقف للنار الإسرائيلية، خصوصاً أنّ وكالات الأنباء العالمية والعديد من شبكات التلفزيون الغربية، والأميركية قد نقلت صورة المجزرة فور وقوعها، فشاهد العالم كله جنود الأمم المتحدة يجمعون أشلاء الأطفال في أكياس من النايلون..

استمر القتال، وصمد مقاتلو حزب الله، بل إنهم كانوا في كل يوم يزيدون من عنف مواجهاتهم مع جنود العدو الإسرائيلي، ويزيدون من دفعات صواريخ "الكاتيوشا" الموجهة الى المستوطنات الإسرائيلية القريبة من الحدود اللبنانية.

وجاء العالم الى دمشق ليحاول وقف المذبحة وليمنع تحول الاشتباك نحو حرب مفتوحة ستضطر سوريه الى دخولها لحماية الذات إن لم يكن لحماية المقاومة والمرافق في لبنان.

جاء وزراء خارجية الولايات المتحدة الأميركية وروسيا وإيران ومصر والسعودية، إضافة الى الوزير الفرنسي الذي رفض أن يعود الى بلاده قبل وقف النار.

طالت المفاوضات وتعقدت قبل أن يتوصل الجميع الى قاعدة لوقف الاشتباك عنوانها وقف العمليات العسكرية ضد المدنيين على طرفي الحدود. أي لا قصف إسرائيلياً من الجو أو من البر أو البحر ضد أهداف مدنية، ولا "كاتيوشا" تطلقها المقاومة ضد المستوطنات.

كان ذلك "تفاهم نيسان" الذي شكّل نصراً معنوياً للمقاومة إذ "اعترف" بها العالم، واقعياً، من واشنطن الى تل أبيب، مروراً بباريس وموسكو وسائر العواصم.

وشكّلت لجنة لذلك التفاهم ضمت إضافة إلى الولايات المتحدة وفرنسا: سوريه و"إسرائيل" ولبنان.

وبرغم أنّ النص لم يذكر المقاومة بالاسم فإن وجودها فيه لم يكن يحتاج الى ذكر مباشر.

بعد "التفاهم" اندفع مقاتلو الحزب، مرة أخرى، يساعدون الناس في العودة الى بيوتهم، ويساعدونهم في إعادة بناء ما تهدّم. وحفظ لهم الناس، وبتقدير عالٍ، أنهم احتفظوا لأنفسهم بحق الطلقة الأخيرة، قبل الالتزام بوقف النار، تأكيداً لأنهم قادرون على التصدي وعلى الصمود وعلى مواصلة المواجهة وعلى تحقيق نصر معنوي، نتيجة كفاءاتهم القتالية والتفاف الناس حولهم، مما حرّك العالم ليوقف المذبحة معترفاً للمقاومة بحقها في حماية مواطنيها في أرضهم.

وكانت تلك الولادة العربية والدولية لحزب الله.

لقد صار طرفاً في معادلة دولية، وصار كأنه العضو السادس في تلك اللجنة الخماسية.

وبعدها لن يكون حزب الله مجرد فصيل مقاتل، بل لقد كرّس حقه في قيادة المقاومة، وفي الاعتراف به طرفاً أساسياً في القرار الوطني اللبناني.

وجاء الاعتراف العربي به خجولاً، واضطرارياً ومتستراً بالاعتراف الغربي عموماً والأميركي خصوصاً.. سيما أنّ" إسرائيل" قد سلّمت به طرفاً في المعادلة الجديدة.

وباختصار، فإنّ حزب الله ليس نبتاً شيطانياً، ولم يأتِ من الفراغ.

وبرغم الرعاية السوريه والمساعدات الإيرانية المفتوحة، فإنّ حزب الله مؤسسة سياسية لبنانية، إسلامية الطابع، شيعية التقاليد، عربية التوجه والانتماء الأخير.

إنّ حزب الله هو، بمعنى ما، الوارث الشرعي لمجموع الأحزاب والحركات الوطنية والقومية والتقدمية والحركات الثورية التي ماجت بها المنطقة خلال الخمسينيات والستينيات، ثم أخذت تضعف وتتهاوى ابتداء من السبعينيات، وإن كان بعضها ما زال يرفض إعلان "وفاته"، إما لأنه علّق شعاراته على كتف سلطة قائمة تحكم باسمه ولكن من دونه، وإما لأنّ "الجديد" الذي وُلد في عصر التراجع ظل أضعف وأقل شرعية أو مشروعية أو تمثيلاً للإرادة الشعبية من القديم في" شبابه".

يكفي التذكير بأنّ المنطقة التي قاتل فيها حزب الله ضد الاحتلال الإسرائيلي كانت - على امتداد ثلاثين سنة أو يزيد - الخزان البشري للحركات والأحزاب والمنظمات العاملة للتغيير أو الطامحة لتحقيقه سلماً أو حتى بقوة السلاح.

كما أنّ تلك المنطقة كانت خط النار الذي لم ينقطع فيه دوي المواجهات المفتوحة.

إنّ حزب الله، وكما انتهت إليه سيرته النضالية، هو الوارث الشرعي لحزب البعث العربي الاشتراكي، لحركة القوميين العرب،وللتيار الناصري، وللحركات ذات الطابع الماركسي بدءاً بالحزب الشيوعي وانتهاء بآخر مجموعة غيفارية، ولحركة أمل بتراث السيد موسى الصدر التحريضي.

كذلك، فإنّ حزب الله هو البديل المتقدم من المقاومة الفلسطينية التي دخلت، أول ما دخلت، الى هذه البقعة بالذات، ومنها انطلق "فدائيوها" الأوائل، وأنشأت فيها وبمساعدة أهلها قواعدها الأولى، واتخذت من أبنائها أدلاّء الى الأرض الفلسطينية البحتة.

بعد التحرير بأيام، ذهبنا في جولة لاستعادة الذكريات في الأرض التي استعادت حرّيتها.

وذات صباح انطلقنا من الخيام نزولاً في اتجاه نهر الوزاني، عند السفح الشمالي الغربي لجبل الشيخ، غير بعيد عن السفح السوري، الجولان.

بلغنا قعر الوادي في ربع ساعة بالسيارة، حيث أقيمت على النهر بعض المطاعم والمقاهي الشعبية، يقصدها عشاق الهدأة والهاربون من الحر الى ظلال أشجار السنط والدلب والحور والصفصاف القائمة حدوداً للنهر الشحيح المياه، بحيث تستطيع تخيّر السمكة التي تريدها للغداء.

جلسنا الى طاولة في المقهى الذي أعاد فتحه مواطن من الخيام ذاكرته حديدية وفرحته بعودة الحياة الى المنطقة المحتلة لا يعادلها إلاّ حسرته على المياه المهدورة التي يستفيد منها الإسرائيلي بينما" لا نفعل نحن غير الكلام عن سرقته لها، وأرضنا بور وعطشى من حولها".

قال صاحب المقهى: أتعرفون؟ الى هنا جاء الفريق علي عامر في العام ١٩٦٤، أيام المشروع العربي لتحويل مجرى نهر الأردن، ذلك المشروع الذي طوته الهزيمة في جملة ما طوت، بينما بقي النهر يتخذ مجراه من لبنان الى فلسطين المحتلة ليصبّ في بحيرة طبريا.

كنا في قعر الوادي، والحد لا يبعد عنا أكثر من بضع مئات من الأمتار، وعلى التلال المحيطة بالمجرى يمتد الشريط الشائك الذي نصبته "إسرائيل" حدوداً.. وكان جندها يراقبون الناس والمياه، بل لعلهم كانوا أكثر اهتماماً بالمياه منهم بالآتين الى أكل السمك من النهر الصغير الذي يبتلعه "العدو" ولا نفيد منه إلاّ قليلاً.

أنهينا الجولة التفقدية في بعض قرى" العرقوب" كفرحمام، كفرشوبا، الهبارية، وشارفنا شبعا، تلك المنطقة التي عُرفت لفترة طويلة، وابتداء من العام ١٩٦٨ وحتى الحرب الأهلية في لبنان، باسم "فتح لاند".

جلسنا الى صديق يحاول إعادة تجديد بيته الذي هجره دهراً، قال: الى هذا البيت جاءت الخلية الأولى من مقاتلي "فتح" قبل ٣٢ سنة. وكان عمي دليلهم، فالأرض هنا جبلية وعرة كما تلاحظون. وكبار السن الذين كانوا يعملون أو يتاجرون أو يقصدون فلسطين للنزهة والسياحة يعرفون الطرقات جيداً، ويعرفون مواقع المغاور والكهوف، ويعرفون

كيف يختصرون المسافة، وكيف يهربون من حرس الحدود ومواقع الجيش المعـادي، وخصوصاً أنّ كثيراً منهم كان يعمل بالتهريب.

يوم الثلاثاء في ٤ تموز (يوليو) الماضي، وقف إدوار سعيد عبر "معبر فاطمة" علـى الشريط الحاجز الذي يفصل بين لبنان وفلسطين المحتلة. كـان الجنـدي الإسـرائيلي المصفّح مقابله تماماً، في برج الحراسة، يراقب جموع" الزوار" بمنظاره المكبّر، بينما جموع من المواطنين تتوافد، وبعضها يردد مع الشريط المسجل الأغاني الشعبية التـي حوّرت كلماتها لتلائم التطور: "مقاوم إسلامي، مقاوم إسلامي.. للسيد حسـن أهـدي سلامي"، أو مقاطع أخرى ترفع الكلفة مع الأمين العام لحزب الله، فتسمّيه باسم أكبـر أبنائه الذي استُشهد قبل حوالى سنتين: "أبو هادي".

انحنى إدوار سعيد فأخذ حجراً، ثم قفز في الهواء بقدر جهده، فارتفع جسـده المنهـك بالمرض، لكن يمناه كانت قوية بما يكفي ليطلق حجره في اتجاه الجندي الإسـرائيلي. وسافر الحجر دون إدوار الى فلسطينه المحتلة، بينما بقي هو خارج مرمى الرصاص.

هل هي حالة تمثّل؟!

هل هو اليأس من إمكان أن تتجدد الإنتفاضة فيأخذ إدوار سعيد حجره من قلب أرضه ليرشق بها محتل أرضه ليستعيدها منه؟!

وقبله، وفي ٢٣ حزيران (يونيه) كان وفد شعبي أردني يضم ١٤٠ شخصـاً يمثّلـون نقابات المهندسين والأطباء والمحامين والصيادلة وهيئات مقاومة التطبيع، وقف عنـد الحاجز نفسه إضافة الى أحزاب وتيارات إسلامية وقومية برئاسة رئيس مجلس النقباء الدكتور طاهر الشخشير.

انحنى الرجال الآتون للمشاركة في فرح التحرير، فأخذوا حجارة ورشقوا بهـا جنـود الحاجز الإسرائيلي، فكان الرد بالرصاص، وسقط أربعة جرحى مـن زوار المعبـر، الذين لا يستطيعون أن يرشقوا "سائحاً" إسرائيلياً يتجول في عمان، أو في البتـراء، أو في المناطق الصناعية المشتركة، أو السفارة الإسرائيلية بعمان بحجر واحد.

لعل عليهم أن يبدأوا الطريق من بدايته.

ليل السبت في ٢٧ حزيران (يونيو) ١٩٩٨، كنت أجلس الى السيد حسن نصر الله، في مكتبه، ننتظر وصول موكب "الشهداء العائدين" في أكفان، بعد نجاح عملية تبادل معيّنة مع العدو الإسرائيلي.

كنت أتأمل الوجه الهادئ للقائد الأربعيني البسيط المظهر، أسود اللحية كثيفها، بحيث تنعدم الحدود بين عمامة "السيد" السوداء وبينها، وهو ينتظر وصول جثمان نجله البكر الشهيد هادي حسن نصر الله، الذي سقط على أرض المعركة، وعجز رفاقه عن سحب جثته، فاحتجزها الإسرائيليون مفترضين أنهم يستطيعون استثمارها في فرض بعض شروطهم على الأب القائد المفجوع بابنه.

لم أتعب كثيراً في ابتداع أحاديث للتسرية عنه. كان الأسهل أن تطلق الحديث بسيطاً عن هادي، عن دراسته، عن نشأته، عن أترابه، عن اختياره التطوع في المقاومة، عن آخر مرة رآه فيها، عن رد فعل والدته الثكلى الخ..

وكان بين ما رواه "السيد حسن" أنه تبلّغ نبأ استشهاد هادي وثلاثة من رفاقه يوم الجمعة، وكان ثمة احتفال جماهيري ضخم لدعم المقاومة في اليوم التالي، السبت، وكان في البرنامج أن يبدأ الاحتفال – وفقاً للتقليد الشيعي المتجدد – بمجلس عزاء، وهو مجلس "عاشوراء" الذي تستعاد فيه وقائع استشهاد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب وأشقائه وأبنائه في كربلاء.

وبطبيعة البكائيات التي تتلى في مجلس العزاء، فإنّ الجمهور يغرق عادة في أشجانه، وينشج الرجال قبل النساء، وتُسفح الدموع غزيرة، وهي تستمطر اللعنات "على مَن ظلم أهل البيت".

قال السيد حسن: حاولت أن أتدخل لتعديل البرنامج بإلغاء مجلس العزاء، حتى لا يفترض البعض أنه قد أقيم خصيصاً من أجل هادي (ورفاقه).. فليست هذه طريقة مناسبة في استقبال الشهداء، الشهيد لا يُبكى، بل هو المثال والقدوة ومصدر العزة.

وكان عليّ أن أخطب بعد مجلس العزاء. وحين وقفت فوق المنبر، واجهتني عشرات الكاميرات التلفزيونية بالمصابيح الكهربائية الهائلة الطاقة. كان الحر فوق الاحتمال، خصوصاً أنّ هذه المولدات تضخ حرارة شديدة، إضافة الى أنها تضايق البصر، لا سيما بالنسبة لمن يستخدم النظارات مثلي.

"بدأت خطابي، بالمعتاد في مناسبات كهذه.. وفي لحظة معيّنة، شعرت أنني لم أعد أرى، إذ كان العرق ينهمر على وجهي غزيراً ويغطي زجاج النظارتين.

"هممت بأن أمد يدي الى علبة المحارم (الفوط) على الطاولة أمامي، لكي أمسح عرقي، أقلّه عن نظارتي، لكنني فكرت أنّ بين هذه التلفزيونات التي تنقل الحفل مَن هي أجنبية الهوية، وربما يبيع بعضها إنتاجه لـ"إسرائيل".. وسيفترض الجميع أنني أمسح دمعي لا عرقي إذا أنا أخذت منديلاً ومرّرته على وجهي، جمدت يدي، وفضّلت أن أسبح بعرقي على ألا أعطي العدو صورة الأب المفجوع يقف على المنبر باكياً بكره، بينما هو يدعو الآخرين الى الشهادة.

ما أنا إلاّ واحد من أهل الشهداء..".

في الليل، وفي أحد مستودعات المطار رُصفت النعوش الأربعون، وجاءت ثلة من الحرس الجمهوري لتؤدي التحية، على وقع نشيد الموتى..

وجال السيد حسن على النعوش جميعاً، فحيّا الشهداء حتى بلغ "هادي"، فهمس له، بعد الصلاة، بكلمة وداع، ثم عاد لممارسة عمله كأيٍّ من ذوي الشهداء، ولكن من موقع القائد المسؤول عن موكب التحرير.

هل انتهت أو يمكن أن تنتهي قصة حزب الله عند حدود إنجاز التحرير.

قطعاً لا. وإن كانت تتعدد الأسئلة حول: الى أين من هنا؟

المؤكد أنّ السلطة في لبنان ليست هي الهدف، فهو لا يريدها، ولا هي تتسع له.

والمؤكد أنه يتطلع الى فلسطين، ولكن لاهو يقدر، من غير فلسطينيين، ولا تبدو ظروف فلسطين (قيادة وشعباً) مؤاتية بالقدر الكافي.

والمؤكد أخيراً أنّ "إسرائيل" لن ترضى بأن يبقى قوة عظيمة الكفاءة وجاهزة للقتال في كل لحظة، ومن "داخلها" هذه المرة.

ومفهوم أنّ الدول الكبرى، وفي الطليعة منها الولايات المتحدة الأميركية، تضغط على لبنان (وعلى سوريه) لكي تبعث الجيش الى الجنوب بحيث تنتفي الحاجة ويبهت البريق ويتحول حزب الله الى عبء على الأمن الداخلي، بينما الهدف إبعاده عن فلسطين المحتلة والإسرائيليين فيها.

الى أين من هنا؟! حزب الله لا يحدد خطوته التالية، والاحتمالات مفتوحة في أرض الصراع المفتوح بعد، والذي سيبقى مفتوحاً حتى إشعار آخر.

من المستحسن ألاّ نتعجل الجواب.

فحزب الله يعتبر أنه لم يُتم واجبه بعد.

والأرض العربية حبلى بالاحتمالات. فلننتظر الجواب الذي ستوفره لنا الأحداث في المقبل من الأيام.

٢ – حوار السيد حسن نصر الله مع غسان شربل (صحيفة الحياة) :

سألت سياسيين في لبنان عن احتمال عودة الوزراء الشيعة عن اعتكافهم ليمكن ترميم حكومة الرئيس فؤاد السنيورة فردوا: لماذا لا تسأل السيد حسن نصر الله الأمين العام لـ «حزب الله»؟ . سألتهم عن احتمال اندلاع مواجهة في الشارع بسبب الانقسام حول الموقف من سوريه وملفات اخرى وتلقيت منهم الرد نفسه الذي تكرر حين حاولت الاستفهام عن مستقبل الوضع في جنوب لبنان والقرار ١٥٥٩ لمجلس الأمن، وسلاح المقاومة بعد استكمال التحرير. "المفتاح موجود لدى نصر الله" ، قالوا. ولم يترددوا في الإشارة الى ان العلاقات الإقليمية لـ«حزب الله»، تحديداً تحالفه مع سوريه وإيران، تنذر بإبقاء لبنان «أسيراً لسنوات طويلة».

رائحة خوف في لبنان. خوف من الاستنفار الطائفي والمذهبي، ومن شلل عام ينذر بكارثة اقتصادية، أو بما هو أسوأ.

لم يعد رئيس الجمهورية قادراً على لعب دوره ! واضح ان الألغام الطبيعية والمفتعلة تعوق قدرة الحكومة على متابعة الملفات الصعبة، بدءاً من التحقيق في اغتيال رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري وصولاً الى الهموم اليومية للمواطن العادي.

حملت الأسئلة والمخاوف الى مكتب السيد حسن نصر الله في ضاحية بيروت الجنوبية، وكان هذا الحوار الذي تنشره «الحياة» على حلقتين، وهنا نص الأولى:

> سماحة السيد، هل نحن عشية حرب أهلية جديدة في لبنان؟

- (ضاحكاً) تبدأ الحوار من مكان صعب.

> أجواء البلد تشجع على طرح هذا السؤال...

- تسألني عن الحرب الأهلية. أعوذ بالله من ذلك. أنا طبعاً أستبعد هذا الأمر. صحيح ان الأوضاع في لبنان تشهد توترات حادة في الآونة الأخيرة ولكن أتصور ايضاً انه يوجد من العقل والحكمة والضمانات ما يجعلنا بعيدين عن وضع سيئ من هذا النوع.

> هل يمكن ان يرى «حزب الله» نفسه مضطراً الى اطلاق الرصاصة الأولى في قتال داخلي؟

- مستحيل أن يطلق «حزب الله» رصاصة في قتال داخلي. هذا اولاً. ثم إن «حزب الله» يسعى في شكل دؤوب وجدي وحازم كيلا يقع في مؤامرة تحويل وجهة سلاحه، وهو يرفض ذلك في شكل مطلق.

> ما هي مشكلة «حزب الله» حالياً، هل هو مطالب بالتنازل عن جزء من دوره الإقليمي كي يتمكن من ان يكون جزءاً من الوفاق الداخلي؟

- المشكلة القائمة في لبنان حالياً ليست مشكلة «حزب الله» بالتحديد. انها مشكلة لبنان. أي لبنان نريد؟ الى اين نريد ان نذهب بلبنان؟ مستقبل لبنان وخياراته الاستراتيجية، السياسات التي يجب ان تحكم الوضع الداخلي والعلاقات الخارجية اللبنانية؟ هذه هي المسألة. لـ «حزب الله» وجهة نظر قد لا تتفق مع بعض القوى الموجودة اليوم في

السلطة، وقد تتفق مع وجهات نظر قوى سياسية اخرى. المسألة لا ترتبط بدور «حزب الله» بقدر ما ترتبط بهذه الخيارات الأساسية والاستراتيجية.

> **هل يمكن تفصيل ذلك اكثر؟**

– اليوم هناك نقاش في لبنان هل إسرائيل عدو ام ليست عدواً؟ هل تشكل تهديداً استراتيجياً للبنان ام لا؟ هل انتهت الأطماع الإسرائيلية في لبنان ام لا؟ كيف نتعاطى مع الخروق الإسرائيلية اليومية للسيادة اللبنانية؟ كيف نسترجع بقية الأرض المحتلة؟ كيف نسترجع الأسرى والمعتقلين؟ هناك نقاش كبير حول هذه المسائل. هذا بالنسبة الى الملف الإسرائيلي. هناك نقاش ايضاً حول الملف الفلسطيني، السلاح الفلسطيني خارج المخيمات وداخلها، الحقوق المدنية للاجئين، مستقبل الوجود الفلسطيني في لبنان: توطين، عودة، تهجير؛ هناك نقاشات.

الملف الثالث هو العلاقة مع سوريه. النظرة الى سوريه ومستقبل العلاقة معها، المصالح الوطنية اللبنانية في هذه المسألة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

هناك ايضاً العلاقات الدولية. هل خرجنا، كما يقول الإخوة في ١٤ آذار، من الوصاية السوريه لندخل كما يقول الإخوة في ٨ آذار في وصاية اميركية – فرنسية على لبنان؟ ما هي حدود التدخل الأميركي والفرنسي في لبنان؟ ما هي النظرة الى المساعدة التي يقدمها الأشقاء العرب من المملكة العربية السعودية الى مصر الى جامعة الدول العربية؟ هذه مسائل خلافية. هناك من يرفض أي شكل من اشكال التعريب او المساعدة العربية إلا اذا كانت تخدم مشروعه، لكنه يرحب بأي تدخل اميركي او فرنسي.

في الملف الداخلي هناك ايضاً اسئلة كبيرة حول السياسات: الإصلاح الإداري والمالي والسياسي وملفات الفساد وهل تقتصر على «بنك المدينة» ام هي أوسع. هذا نقاش. هناك من يحصر الفساد بملف «بنك المدينة» ولا استعداد لديه لمناقشة ان الديون تبلغ ٤٠ بليون دولار واين صرفت الأموال.

> فتح هذه الملفات ألا يشكل إحراجاً لكم؟

- لا، نحن ليس لدينا أي إحراج.

> على الأقل لحلفاء أو أصدقاء؟

- لا مشكلة لدينا. وهناك مشروع الدولة وتطبيق بقية بنود الطائف. لبنان اذاً في مخاض. هناك نقاش حول أمور كثيرة. من التبسيط الشديد القول ان لا مشكلة في لبنان سوى مشكلة «حزب الله» ودوره، وكيف نعالج هذه المشكلة. موضوع «حزب الله» جزء من هذا المخاض الكبير لأن «حزب الله» قوة اساسية في البلد وله وجهات نظر في كل هذه المسائل، وفي الحد الأدنى يدّعي انه مخلص لوطنه وشعبه وللمصالح الوطنية اللبنانية، وحريص على وحدة البلد وتجنب أي فتنة داخلية وحريص على السلم الأهلي وبناء الدولة والمشروع الحقيقي الداعي الى بناء الدولة على اسس صحيحة. من هذا الموقع فإن «حزب الله» بما يمثل ومن يمثل لديه آراء قد تتفق وتختلف مع آخرين فتنشأ خلافات وصدامات.

قصة ٨ آذار

> ألا تعتقدون انه كان في استطاعة «حزب الله» ان يتصرف بعد اغتيال الرئيس رفيق الحريري بطريقة اخرى تخفف وطأة الأجواء السائدة؟ هل كانت تظاهرة ٨ آذار في ساحة رياض الصلح ضرورية؟

- تماماً. كانت ضرورية جداً اذا عدنا الى المناخ الذي كان سائداً في ذلك الوقت. هناك مجموعة من القوى السياسية التي صار اسمها لاحقاً ١٤ آذار، أو قوى المعارضة طبعاً «حزب الله» لم يكن من قوى الموالاة، لم يكن عضواً في الحكومة ولم يكن منَح حكومة الرئيس عمر كرامي الثقة. ولكن هو ليس في موقع المعارضة التي كانت قائمة في ذلك الحين. المناخ الذي كان سائداً، الاتهام لسوريه. والقول أن سوريه هي التي قتلت الرئيس الحريري هو اتهام ومحاكمة وحكم. وبناء عليه حصلت الضغوط التي ادت الى خروج القوات السوريه بالطريقة التي خرجت بها. وسرت في

الشارع اللبناني موجة شديدة من التحريض السياسي والاعلامي والنفسي لم تستهدف النظام فقط في سوريه بل أيضاً الشعب السوري. وأستطيع بكل جرأة أن أصف تلك الحملة بأنها اتصفت في بعض الأحيان بمسحة عنصرية في بعض وسائل الاعلام وبعض الخطابات. ونحن لمسنا لمس اليد أن هذا التحرك سيؤدي الى صنع عداء مستحكم بين الشعبين اللبناني والسوري، وأنا لا أفترض ذلك بل لمسناه، لدينا طلاب لبنانيون في الجامعات السورية وهناك كثيرون من اللبنانيين الذين يذهبون الى سورية ويعيشون فيها ولمسوا ذلك من الانسان العادي، حتى من الذين يعارضون النظام في سوريه. هذا لمصلحة من؟ كان لا بد من عمل ما يعبر فيه اللبنانيون عن شكرهم وامتنانهم حيال كل ما قدمته سوريه للبنان مع تحفظهم على الأخطاء التي ارتكبتها في لبنان. وهو ما قاله الرئيس بشار الأسد في خطابه. وتظاهرة ٨ آذار جاءت بعد خطاب الرئيس الأسد الذي تحدث عن أخطاء. بين ٨ آذار و١٤ آذار، ماذا جرى؟ كلانا طالب بالحقيقة وبالتحقيق في اغتيال الرئيس الحريري ونريد وحدة وطنية والسلم الاهلي وبناء الدولة واتفاق الطائف. نحن لسنا مختلفين على هذه الأمور. لكن هناك من يقول شكراً لسوريه وهناك من يشتم سوريه ويحاكمها من دون دليل، ويبني جداراً من الكره بين شعبين لا يمكن أن ينفصلا عن بعضهما بعضاً. في تقديرنا، الإنصاف والعدل يقضيان بألا تحاكم أحداً قبل ادانته. المصلحة الوطنية اللبنانية تقضي ألا يكون هناك عداء بين الحكومتين والشعبين، وبالدرجة الأولى بين الشعبين. فالحكومات تأتي وتذهب، أما الشعوب فباقية ولا نريد ان نصل الى مرحلة يتأصل هذا الحقد فيرثه جيل بعد جيل. من هنا الحاجة إلى ٨ آذار. هذا في الاعتبار السوري.

أما في الاعتبار الداخلي، حركة ٨ آذار في الشارع قامت باستيعاب نفسي كبير ومهم جداً لحالة احتقان، أي بتعبير آخر، خطاب المعارضة لم يكن يستهدف فقط النظام في سوريه بل استهدف أيضاً العديد من القوى السياسية في لبنان، وبلغة تحريضية قاسية جداً جداً. هذه القوى لها امتداداتها في الشارع وطبعاً جزء من هذا الخطاب تناول حتى

المقاومة. لهذه القوى جمهور عريض كان يستمع الى هذه الخطابات، يوماً تلو الآخر وشهراً تلو الشهر، وكان يتعبأ. في المقابل هناك شارع يتعبأ ولا بد من حركة تعيد ضبط هذا الشارع وتوازنه النفسي ليعبر عن نفسه وعن وجوده وعن شعاراته، فيقول أنه غير ضعيف وانه لا يمكن حذفه وشطبه. في رأينا توقيت ٨ آذار كان مهماً لاستيعاب الشارع الآخر، لإبقاء الخصام القائم في اطار السياسة والإعلام من دون ان ينسحب الى صدامات في الشارع. وفي رأيي لولا ٨ آذار كان يمكن للصدام أن يندفع الى الشارع وهذا طبعاً خط أحمر بالنسبة إلينا، ولا نريد ان يصل لبنان الى هذه المرحلة. وفي كلا الاعتبارين اللبناني الوطني واعتبار مصالح لبنان وعلاقة الشعبين اللبناني والسوري، كان لا بد من حركة ٨ آذار.

> أين نحن اليوم في موضوع اعتكاف الوزراء الشيعة؟ هل توقف الحوار؟

- حتى الآن حصلت محاولتان للتوافق. المحاولة الأولى في الرياض والتي في الحقيقة لم يتدخل فيها الأشقاء السعوديون وانما كانت الرياض الظرف المكاني، باعتبار ان الاخ الشيخ سعد الدين الحريري لا يستطيع ان يأتي الى لبنان، والاتصال بالواسطة أو بالهاتف غير مجد. طلب أن يذهب مندوبون من «حزب الله» وحركة «امل» إليه، وبالفعل ذهب مندوبان، وكانت لقاءات لمدة ٤٨ ساعة وحوارات، وهو تشاور مع حلفائه في لبنان عبر الهاتف وتم التوصل إلى اتفاق. وهذا الاتفاق الذي أنجزه هؤلاء اللبنانيون باركته المملكة العربية السعودية، ولكن بمجرد ان عاد الإخوة على ان يتم اعلان الاتفاق في اليوم التالي، بدأ اطلاق النار على هذا الاتفاق من بعض حلفاء الشيخ سعد، تحديداً السيد الاستاذ وليد جنبلاط. وفوجئنا في الوقت الذي اجتمعت كل وسائل الاعلام في منزل رئيس الحكومة دولة الرئيس فؤاد السنيورة، بأن دولة الرئيس يبلغ وسائل الاعلام أنه لا يمكنهم السير قدماً بهذا الاتفاق بسبب تحفظ بعض حلفائهم. في اليوم الثاني جاء عدد من الوزراء على قاعدة التشاور مع رئيس الوزراء وبدأت حملة اعلامية شديدة على الاتفاق الذي تم التوصل اليه، تارة بأن هذا اتفاق تم خارج لبنان

كأن اتفاق الطائف تم في لبنان، أو كأن مدينة الطائف تقع في جبل لبنان، وتارة بـأن هذا الاتفاق سيؤدي الى اتفاق قاهرة جديد. عملياً أجهض الاتفاق وبقينا بضـعة أيـام نتحاور ثم أعيد التواصل. رئيس الوزراء قدم صيغة ناقشناها وأجرينا عليهـا بعـض التعديلات البسيطة وتفاهمنا. وأستطيع أن اقول اتفقنا. ولكن كي أكون دقيقاً قال الرئيس السنيورة : هذا جيد، هذه ايجابية لكنني اريد أن أشاور حلفائي. وكان الرئيس نبيه بري ذهب الى المملكة لأداء فريضة الحج والتقى الشيخ سعد في جدة، على ان يذهب دولة الرئيس السنيورة ويحصل لقاء هناك. الصيغة التي تم التفـاهم عليهـا مـع الـرئيس السنيورة والتي كان من المفترض أن تبقى ضمنية لمزيد من النقاش والتشاور، أبرزها بعد يومين الاستاذ وليد جنبلاط في أحد لقاءاته في المختارة كنص أمام وسائل الاعلام، وبدأ يخطب ويعلق عليها. عملياً كنا ننتظر رداً من الرئيس السنيورة حـول الاتفـاق الجديد، وحتى الآن لم يأت بجواب. أمس عندما كان السنيورة يجري اتصالات بالرئيس بري والاستاذ وليد جنبلاط من أجل استيعاب الجو الاعلامي والتصعيد الأخير، سـألنا الرئيس السنيورة اين أصبحنا في الموضوع الأساسي، قال انتظروا أياماً ان شـاء الله نحن نتواصل. لم نأخذ جواباً في شأن الاتفاق الثاني ولا أستطيع أن اتحدث بتفاؤل لأن الذين أجهضوا الاتفاق الأول قد يجهضون الثاني، وهم يريدون تصعيد الامور وأعتقد بأن هناك من يعمل جاهداً لئلا يحصل اتفاق بين «حزب الله» وحركة «أمل» من جهة و «تيار المستقبل» من جهة ثانية.

> بأي غرض؟

– منذ الخلاف الذي حصل في مجلس الوزراء الاستثنائي الذي عقد يوم الاثنين الـذي حصلت فيه حادثة اغتيال النائب جبران تويني، ونحن تحفظنا على توسيع عمل لجنـة التحقيق الدولية لأسباب ترتبط بأمن لبنان. الادلة التي قالها الإخوة لم تكن مقنعة بأننـا لو وسّعنا لجنة التحقيق سيضبط الوضع الأمني في لبنان وتقف الاغتيالات، فقلنا لهم ان غالبية الاغتيالات جرت بعد تشكيل لجنة التحقيق. وهذا يعني ان الحكومة تعلن عجزها

وفشلها عن ضبط الأمن في لبنان. وهذا أمر خطير وسئ للبنانيين وللمستثمرين في لبنان أو الذين يريدون الاستثمار فيه. أما المحكمة الدولية التي طرحت في شكل طارئ، فكانت نقطة على جدول أعمال يوم الخميس. فقلنا لهم جيد، اليوم هو يوم الاثنين ويمكن أن ننتظر الى الخميس ومن المفترض ان نستمع منكم الى صيغة المحكمة الدولية، لأنني اؤكد انه حتى اليوم لم يقدم اي نص ولو صغير لأي وزير، يقول ما هي المحكمة الدولية.

> هل صحيح أنك أعطيت موافقة مبدئية على المحاكمة الدولية، واقترحت موسكو مقراً لها؟

- لا، هذا غير صحيح ولم أسمع بقصة موسكو. ولكن عندما حدثت المشكلة مع الضباط السوريين، لجهة التحقيق معهم، واقترح السيد ميليس اجراءه في مونتيفيردي، أنا كنت من الأشخاص الذين قالوا في بعض الجلسات الداخلية، ماذا نريد نحن؟ هل نريد أن نصل الى الحقيقة أم أن نحرج بعضنا بعضاً؟ هل نريد أن نعرف الحقيقة أم أن نحرج سوريه؟ اذا كان المطلوب التحقيق مع الضباط السوريين فليحصل في أي مكان تطمئن اليه سوريه، وعلى سبيل المثال موسكو أو القاهرة، وهذا رأي شخصي. أما بالنسبة الى المحكمة الدولية، فقلت لهم نعم نحن من حيث المبدأ نتحفظ، فنحن لا نعرف لمن ستصغي هذه المحكمة، ولكن إن أعلمتمونا عن طبيعة المحكمة وآلياتها ومرجعيتها والقانون الذي ستعتمده قد نتجاوز التحفظات. لذلك كان مفترضاً ان يزورني النائب بهيج طبارة يوم الاثنين او الثلاثاء ليعرض علينا الصيغ المفترضة أو المقترحة، لنبت الامر في جلسة يوم الخميس. أصروا في جلسة الاثنين الاستثنائية على ان يصوت مجلس الوزراء على طلب محكمة دولية من دون أن نفهم ما هي هذه المحكمة. فاعترضنا على هذه الطريقة، وخرجنا من الجلسة وعلقنا عضويتنا في مجلس الوزراء. منذ ذلك الحين، لم ننقطع عن الحوار، لم نصعّد اعلامياً ولا سياسياً ولم نهاجم أحداً.

كنا نسأل لمَ خرجتم؟ وكنا نشرح ونقول أعطونا وقتاً واعطونا نصاً، ولكن منذ ذلك الحين والسيد وليد جنبلاط يشن هجوماً يومياً.

> لم؟

– يجب أن تسأله.

الوساطة بين جنبلاط والأسد

> كنتم قمتم بوساطة مع الرئيس الاسد بخصوص وليد جنبلاط، في ٢٠٠٥. لمَ تعثرت؟

– جيد أن نتحدث عن هذه الوساطة. اولاً انا عندي من المشاغل والهموم الكثير الكثير. في السنة الاخيرة قبل استشهاد الرئيس الحريري، قامت علاقة جدية وودية بيني وبينه. قال لي السيد وليد جنبلاط " يا أخي الامور تغيرت في دمشق كنا نلتقي العماد حكمت الشهابي وهو الآن خارج البلد، وكنا نلتقي السيد عبد الحليم خدام وهو الآن غير معني. وأنا أذهب وألتقي بفلان وفلان وفلان ولا أعرف ان كان هؤلاء ينقلون ما أقول لهم الى الرئيس بشار الاسد. فأنا اريد منك اذا أتيحت فرصة للتواصل بينك وبين الرئيس الاسد، ان نحدد بالضبط قناة الاتصال". عرضت الموضوع على الرئيس بشار فقال لا مشكلة. الذين يتواصل معهم هم معنيون ومسؤولون، ولكن اذا اراد أن يتواصل في شكل خاص عن غير طريق آخر، أنا مستعد لتقبل أي رسالة وأي موضوع، أنا مستعد لتقبل ذلك عن طريق فلان، وحدد أحد المسؤولين.

> فلان سوري؟

– طبعاً، من دمشق. أي اذا توجه وليد بك الى دمشق واراد ان يقابل فلاناً يمكنه ذلك في أي وقت. لسوء الحظ أن هذا الأمر حصل في الاسبوع الذي استجد فيه موضوع التمديد للرئيس اميل لحود، وأقول استجد لأنه بحق استجد. المناخ لم يكن مناخ تمديد للرئيس لحود ثم تحول الى قرار تمديد، أو توجه تمديد.



> هل ساهمتم في قرار التمديد؟

– كنا ورقة بيضاء. لم يكن لدينا مانع من التمديد. لم نصر عليه ولم نمانعه. لذا كنا دائماً نتعاطى بأن هذا الخيار مفتوح وقابل للنقاش. فصار التمديد، بالتالي عندما بدأ العهد الرسمي للولاية الجديدة، حان وقت تشكيل حكومة جديدة. لأول مرة، وخلافاً لكل الحكومات السابقة، كان رأينا أن يشكل الرئيس الحريري الحكومة الجديدة. وأنا شجعته وهو كان متردداً بعض الشيء. بل عملنا لدى الإخوة السوريين لتوضيح أن الظرف والمصلحة بعد التمديد، يقضيان بأن يشكل الرئيس الحريري الحكومة. لكن الحريري كان يقول لي: انا لديّ مشكلة في أن أشكل حكومة من دون وليد جنبلاط. وفي ظل المناخ الصعب بين جنبلاط والسوريين سيكون صعباً تشكيل حكومة، فأريدك أن تساعدني بموضوع جنبلاط وعلاقته مع السوريين. طلب مني الرئيس الحريري في ذلك اليوم موعداً عاجلاً والتقيته في الضاحية الجنوبية، وقال: يجب ان تتدخل اليوم فوراً. وكان جنبلاط يومئذ شن هجوماً على السوريين، وفي اليوم التالي لزيارة الرئيس الحريري لي، كان مقرراً عقد لقاء لقوى سياسية وأحزاب في الكومودور ضد وليد جنبلاط، وفي الليلة ذاتها كان وليد جنبلاط ضيف حلقة «كلام الناس» على شاشة «ال بي سي». سألت الرئيس الحريري لمَ اليوم، فقال والتعبير له: «لأنهم غداً في الكومودور سيسلخون جلده وليلاً هو سيهاجم حتى النهاية، بالتالي أي فرصة لتصحيح العلاقات مع سوريه، لن تكون متاحة. وأنا فكرت طوال ليل أمس، ولم أنم لحظة، وتوصلت الى أنك انتَ من يستطيع معالجة الوضع. واتمنى أن تتحدث الى وليد بك وتطلب منه تهدئة الأمور». اتصلت بوليد بك، وتحدثت اليه وقلت له أتمنى أن تتروى وتهدأ وأنا سأعالج الامر غداً. وبالفعل في الليلة ذاتها، أجريت الاتصالات اللازمة لتهدئة الاجواء لليوم التالي في الكومودور. كما خفف وليد جنبلاط هجومه وقال على الشاشة: انا ملتزم مع السيد حسن، وكررها ثلاث أو أربع مرات. دخلت أنا إذن في

الوساطة. والامر لم يكن معقداً. كل ما كان مطلوباً ترتيب لقاء بين الرئيس الأسد ووليد جنبلاط ليجلسا ويتفاهما.

في البداية كان الرئيس بشار الاسد منزعجاً من تعاطي الرجل معهم، ولكن نتيجة محاولات متكررة أبدى الرئيس الاسد ايجابية في استقبال جنبلاط في ذلك الحين. وهذه المرة الاولى التي أكشف فيها هذا الموضوع. أرسل الأسد يقول لي بالنهاية جنبلاط تهجم علينا وعلى النظام وأكثر من تعرض للهجوم ممثلنا في لبنان، العميد رستم غزالي فإن استطعت رتِّب الموضوع، ولو من باب اللياقة، ليلتقي وليد جنبلاط برستم غزالي، وعندئذ أهلا وسهلاً به في دمشق. وأنا اعتبرت الامور ممتازة. ارسلت الى وليد بك، وكان يوم سبت، ولا أذكر التاريخ، لكنه قبل اغتيال الحريري وقبل اعتزاله الحكومة. الاثنين كان هناك مؤتمر البريستول. السبت أرسلت أحد الإخوة الى المختارة، واتصلت به هاتفياً فقلت له هناك مستجدات، وأتمنى أن تستقبل الاخ وتستمع اليه وتعطيني جواباً. ذهب الاخ الحاج حسين خليل وقال له نتيجة لوساطة السيد، الجو في سوريه جيد وايجابي، والرئيس بشار جاهز وسنرتب مواعيد فتذهب أنت والسيد معاً، لكن السيد يرى أنه من باب اللياقة، ولم نقل أن هذا شرط الدكتور بشار، إما أن يدعونا رستم غزالي الى الغداء فنمر به في طريقنا الى الشام، أو يدعوك السيد الى الغداء انت ورستم غزالي فننهي هذا الجو ونلتقي بعدها الاسد. فقال له دعني أفكر وأشاور. اتصل الحاج حسين من المختارة وقال لي هذا ما حدث، فقلت له حسناً فليبق الامر بيننا فان لم يقبل لنعرف كيف نعالج الموضوع لاحقاً. واذا بوليد جنبلاط يفشي ما حدث في مؤتمر البريستول. فهمت في تلك اللحظة انه ليست لوليد جنبلاط أي نية جدية للتصالح مع السوريين، حتى قبل اغتيال الرئيس الحريري، وان السيد وليد جنبلاط اخذ خياره بالصراع مع هذا النظام. ومع ذلك، اعتقد بأن ما قاله في البريستول كان مسيئاً إليّ شخصياً كوسيط، وللرئيس الحريري المتحمس للوساطة وللسوريين أنفسهم. كان واضحاً، وانا أشهد بأن كل هذا الجو كان قبل اغتيال الرئيس الحريري،

وابدى الرئيس بشار الايجابية المطلوبة لتجاوز المشكلة مع وليد جنبلاط، لكن وليد جنبلاط كان مصراً على الذهاب الى الصدام مع النظام في سوريه. بعد اغتيال الرئيس الحريري صارت الأمور أصعب. لم يعد ممكناً الحديث عن وساطة. نعم، كنا أنا وآخرون نبذل جهوداً شخصية وليست بطلب من أحد لترتيب الأمور وترطيب الاجواء، لكن الامور كانت صعبة.

> هل حصلت في تلك الفترة موافقة على استقبال وليد جنبلاط من قبل مسؤولين سوريين ولكن من دون اللقاء مع الأسد؟

- هذا جرى لاحقاً بعد استشهاد الرئيس الحريري، والهجوم الكاسح الذي شنه وليد جنبلاط. صار الرئيس الاسد يتحفظ. لكنه لم يمانع في أن يلتقي معه مسؤولون آخرون.

اللجنة السورية

> يقول جنبلاط ان الانقسام الحالي هو على الموقف من النظام السوري وليس من الشعب السوري، واسمح لي ان اقول أكثر: ثمة من يقول إن لدى «حزب الله» برنامجاً لإعادة النفوذ السوري الى لبنان.

- (ضحك) أولاً هذا ادعاء بلا دليل. ثانياً لو أخذنا «حزب الله» ماذا استفاد من الوجود السوري في لبنان، ولن اقول منذ ثلاثين سنة فقبل ١٩٨٢ لم يكن «حزب الله» موجوداً. من ١٩٨٢ الى اليوم الذي خرجت فيه القوات السوريه ماذا استفاد «حزب الله» من الوجود السوري، وماذا استفاد وليد جنبلاط؟ وآخرون وآخرون وآخرون؟ لنتحدث عن فترة وجود سوريه في لبنان. اولاً وجودنا في ادارات الدولة، لم يكن لنا أي وجود. بالعكس اغلقت أمامنا الادارات الرسمية. اما المناطق التي كان لنا فيها نشاط ونفوذ معنوي وشعبي فكانت تزداد حرماناً وفقراً. نحن لم نستفد بالوظائف ولا بالمشاريع والإنماء والسلطة، ولا أي شيء كما استفاد آخرون. لذلك كل من اراد ان يحاكم تلك الحقبة، ليست لدينا مشكلة معه، بل سنكون مرتاحين لأننا خارجها.

نعم، الوجود السوري في لبنان كان يعني لنا شيئين: أولاً هو عامل رئيسي في تــأمين الاستقرار الداخلي، بسبب هشاشته. ثانياً كان هذا الوجود يشكل حضناً حامياً للمقاومــة ضد الاحتلال الإسرائيلي. بالتالي، أنا موقفي من سوريه خاضع لاعتبــارات وطنيــة واستراتيجية وليس خاضعاً لحسابات شخصية أو حزبية أو مصلحة آنية. أنا لم أكن مع سوريه في لبنان لأنها كانت تجد لي وظائف في ادارات الدولة، ولا لأنها كانت تؤمّن لي مشاريع او تعطيني موازنة أو وزراء أو نواباً. وهم يعلمون هذا. بالعكس، اللجنــة السوريه التي كانت تدير الشأن اللبناني حتى العام ٢٠٠٠ كانت تتعمد تجاهل «حــزب الله» في المعادلة الداخلية اللبنانية.

> لماذا؟

- لأمر يرتبط بهم، لا أعلم.

> عفواً تعني اللجنة السورية التي ضمت خدام والشهابي وغازي كنعان؟

- نعم اللجنة السورية. اذاً، انا اعتباراتي استراتيجية. أنا أتحدث عن الأمن والاستقرار في لبنان، وعن حماية المقاومة. اليوم أنا لا اعمل لا لاعادة القوات السوريه الى لبنان ولا لإعادة الاستخبارات السورية إليه، ولا لإعادة النفوذ السوري. وللمناسبة، شــئنا أم ابينا نحن وغيرنا، لسورية نفوذ في لبنان لا يستطيع أحد أن يستأصله، بحكم ما يُقــال عن واقع التاريخ والجغرافيا وشبكة المصالح وتشابك العلاقات العائلية والاجتماعية.

هناك هدف آخر نعمل له. نحن نرفض محاربة سوريه من لبنــان، ونــرفض تــورط اللبنانيين بأي مشروع لإسقاط النظام في سوريه. وهذا خطر على ســوريه ولبنــان. لأسباب وطنية لبنانية، نعتبر أن أي حرب سياسية أو امنية أو اعلامية فضــلاً عــن عسكرية، يريد بعضهم ان يجر لبنان إليها، هي على خلاف المصالح الوطنية اللبنانية بصرف النظر عن الموضوع القــومي والعروبــي وموضــوع إســرائيل والوضــع الاستراتيجي في المنطقة، لأنها حرب خاسرة بكل المعايير والموازين. وما نقوله اليوم ان هناك في لبنان من يريد إسقاط النظام في سوريه.

> مثل مَن؟

– كثيرون ومنهم وليد جنبلاط الذي يدعو القوات الاميركية الى احتلال سوريه وإزالة النظام كما ازالت النظام العراقي السابق. وهذا واضح، وهو دعا المعارضة السوريه الى الاستعانة بالخارج. ميزة وليد جنبلاط أنه يقول ما يريد، هناك آخرون يعملون ولا يقولون. لا تسألني مَن، فعندما يقولون أقول لك. في رأينا هذا خطر على لبنان. اليوم المشكلة معنا أن بعضهم يريدنا أن نكون جزءاً من حربه المعلنة على سوريه ونحن نرفض ذلك. ليست المشكلة انهم لا يريدون النفوذ السوري ونحن نريده. هذا غير صحيح.

> أي انك تعارض عودة النفوذ السوري الى لبنان؟

– اذا كان النفوذ سيركّب حكومة ويأتي بنواب ويتدخل بالتفاصيل، نعم أعارضه. وأنا أعتقد بأن الرئيس بشار الأسد عندما تحدث عن أخطاء، وعن استراتيجية جديدة كان يقصد ذلك. لذا عندما قلت في احدى المقابلات إن سوريه لا تريد أن تعود الى لبنان كما كانت عليه في الماضي، كنت أعني وأعرف ذلك.

> هل تعتقدون فعلاً بأن سوريه تخلت عن حلم إدارة لبنان؟

– في ما يتعلق بالرئيس بشار الأسد، أعتقد ذلك.

> لكن هناك من يقول إن سوريه تريد إما أن تدير لبنان وإما أن يكون لبنان مضطرباً كي يظهر أن اللبنانيين عاجزون عن ادارة شؤونهم.

– أنا لا أوافق على ذلك، وأقول للبنانيين هؤلاء تعالوا لنرتب الأمور مع سوريه. طبعاً من دون أي لبس، لئلا يكون هناك أي لبس في كلامي فلتستمر لجنة التحقيق الدولية وليستمر التحقيق في اغتيال الرئيس رفيق الحريري، الى أن تظهر نتائج التحقيق. ميليس نفسه قال قبل مغادرته قد نحتاج سنة أو سنتين، وفي حال المحكمة الدولية لا نعلم كم سيطول الامر، في هذا الوقت نرتب الأمور مع سوريه ونأخذ فرصة كلبنانيين لنرى ان كان في استطاعتنا ادارة بلدنا او لا، وإن كان السوريون سيسمحون لنا

بإدارتها ام لا. فلنجرب ذلك قبل توجيه الاتهامات. ولكن، اليوم يوجه هذا الاتهام الى سوريه، ويستفاد من لبنان كمقر للتآمر على سوريه، اعلامياً وسياسياً ودولياً. اصبحت سوريه في شكل أو في آخر في موقع الدفاع عن النفس. حتى الذين تناقشهم يقولون لا، نحن في موقع الدفاع وهجومنا دفاعي. فلنوقف هذا الهجوم ولنجلس ولنسعَ. المسعى الأخير في جدة بين الملك عبدالله بن عبدالعزيز والرئيس بشار الاسد هو محاولة لترتيب الامور بين لبنان وسوريه، بما يريح لبنان، ويريح سوريه ويعطي فرصة لاستكمال التحقيق. قبل أن يعرف أحد ماذا جرى في هذا اللقاء، بدأ اطلاق النار من لبنان، طبعاً بلهجة أقل مما تعرض له الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى. أنا لديّ احساس بأن في لبنان من لا يريد أن يحصل أي تفاهم مع سوريه تحت أي اعتبار من الاعتبارات، وبعض هؤلاء أشد الناس خوفاً من كشف الحقيقة في اغتيال الرئيس الحريري.

> **يقال ان الحقيقة ثقيلة على أطراف كثيرة. على سوريه وربما على «حزب الله». ما هو ردك؟**

- وربما تكون أيضاً ثقيلة على بعض قوى ١٤ آذار. بمعنى انه لو ظهرت الحقيقة وتبين أن لا علاقة لسوريه باغتيال الرئيس الحريري، ماذا يعني هذا؟ يعني أن كل البنيان السياسي والنفسي والاجتماعي وكل ما بني على اساس اتهام سوريه سينهار في لحظة واحدة. عندما تنتهي المحكمة أو التحقيق الى فرضية، وانا لا أحكم، مثلاً أن لا علاقة لسوريه بالاغتيال، أليس هناك من يخاف...

> **هل تعتقد بأن ليست لسوريه علاقة؟**

- ليس هناك أي دليل حتى هذه اللحظة.

> عندما يشار الى دور سوري في اغتيال الرئيس الحريري تسألون عن الدليل، وليس هناك أي دليل حتى الآن؟

- نعم، وأنا طبعاً لا أعتقد بأن لسوريه أي علاقة في مقتل الرئيس الحريري وأعلم ان هذا الكلام يزعج البعض، لكنها قناعاتي.

> من تتهم باغتيال الحريري؟ لم تثبت أي علاقة لإسرائيل لا في تحقيق القضاء اللبناني ولا تحقيق اللجنة الدولية؟

- لم يجر تحقيق لا في القضاء اللبناني ولا في اللجنة الدولية حول فرضية علاقة إسرائيل. لم يعتقل أحد في لبنان ممن له علاقة بإسرائيل وتدرب في إسرائيل، وله خبرة في التفجيرات والاغتيالات وعمليات خاصة، لم يتم توقيف أي شخص، بل تم التعاطي مع إسرائيل على انها يمكن أن تساعدنا وتزودنا المعلومات.

> فرضية أن تكون لـ "القاعدة" أو للأصوليين علاقة، ما تعليقك؟

- هذه فرضية قائمة وممكنة.

> هل ازدادت احتمالاتها في الفترة الأخيرة؟

ليست لديّ معلومات خاصة عن التحقيقات التي جرت مع مجموعة «القاعدة» سوى ما نشر في وسائل الاعلام. ولكن، بمعزل عن هذه التحقيقات، أعتقد بأنه من جملة الفرضيات القائمة.

> وهل هي أكثر ترجيحاً من فرضية إسرائيل؟

- لا أملك أدلة ومعطيات، لا يمكنني أن أقول شيئاً.

> معروف أن «حزب الله» يمتلك ماكينة أمنية، فهل صحيح ما يشاع من أن السيارة التي استخدمت في محاولة اغتيال مروان حمادة فُخخت في الضاحية؟

- هذا رائج أم تم ترويجه؟ السيد وليد جنبلاط رمى هذا الموضوع الى الاعلام.

> ولكن هل هي معلومات، أم أنها مجرد كلام؟

- أنا سمعت عن هذا الموضوع في الاعلام. ليس لديّ أي شيء خاص اولاً. ثانياً من يقول إن السيارة فخخت في الضاحية فليأتِ بشاهد، او بدليل. ثالثاً ليست لنا سلطة في الضاحية الجنوبية، ولا نراقب من يدخل ومن يخرج. هناك مواقف سيارات قدر ما

تشاء، ومواقف شاحنات، وهناك مناطق صناعية بكاملها، تشهد حركة مرور كثيفة. وأنا أقول لك ما يجري بين هاتين البوابتين اللتين تجتازهما للدخول الى هنا، هذا هو المربع الامني. وأنا مسؤول عما يجرى هنا، أما ما يجرى في الضاحية، فلا يمكنني القول أنني مسؤول عن كل ما يجري فيها. اغتيل اثنان من خيرة رجالنا في عمق الضاحية الجنوبية وبعبوات ناسفة، فلنفرض جدلاً أن أحداً ما جاء وفخخ السيارة في الضاحية ما علاقة «حزب الله»؟ الذي قيل لي ليس ان السيارة فخخت في الضاحية، بل ان لوحتها صنعت في أحد محال صب اللوحات في الغبيري. والتحقيق في هذا الامر ليس من مهماتنا بل من مهمة القوى الامنية. بامكان أي كان أن يأتي بسيارة ويصنع لها لوحة ليس في الغبيري فقط بل في حارة حريك، الى ماذا يدل ذلك؟

> يشهد البلد اغتيالات، ولها وقع سياسي والناس كلهم يتساءلون أليست لدى «حزب الله» معلومات، او الا يتهم أحداً.

– لأتهم أنا بحاجة الى معلومات، ومن أين تأتي؟ من اختراق تشكيل معين اذا كان هو مَن نفذ العملية. أتحدث فنياً. حسناً اذا كان المنفذ أي حزب لبناني أنا لا أملك نفوذاً داخل هذه الاحزاب. لا أملك أحداً في «الكتائب» ولا «القوات» ولا «الحزب الشيوعي» ولا القومي، ليس لديّ عمل معهم. ولنفترض أنه تنظيم «القاعدة». أنا ليس لديّ عمل أيضاً مع «القاعدة». عملي محصور بإسرائيل و «جيش لبنان الجنوبي» والشبكات ذات العلاقة المباشرة بإسرائيل.

> وهل تجزم بألا علاقة لـ «حزب الله» بكل هذه الاغتيالات؟

– لا أقبل أصلاً بأن يوجه الينا أحد أصابع الاتهام. أجزم طبعاً، لكنني بداية لا أقبل الاتهام. نحن أكبر متضرر مما جرى في لبنان. تصور أنني أنا الذي كنت أجري المقابلات وأتحدث بلبنان وفلسطين والأمة، صرت أدخل في متاهات تفخيخ السيارات والانقسامات الطائفية من شيعة وسنة ودروز وموارنة... الخ.

> مَن استدرج المقاومة الى هذا الجدل الداخلي؟

– هذا الذي يجعلنا نقول ان عمليةِ اغتيال الرئيس الحريري عملية مشبوهة جداً جداً ويجب التوقف قبل توجيه الاتهام لأي كان، لأن حجم الاستهداف كبير، وهو بحجم الرئيس الحريري نفسه. لو مثلاً اغتيل كادر حزبي او نائب في البرلمان هل يقال ان هذا استهداف للبنان والمنطقة؟ لا، بل يكون استهدافاً لهذه الجهة، أما بقتل الرئيس الحريري فالاستهداف للبنان والمنطقة. أي ان هناك من يحمل مشروعاً للمنطقة. من جملة العناصر الاساسية المحققة لهذا المشروع اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري. اليوم اذا أخذنا التداعيات بعد ١٤ شباط. لا استقرار ولا أمن ولا طمأنينة ولا وضع اقتصادياً جيداً. والدولة تنتقل من أزمة الى أزمة. لكن هذا كله سهل. الاسوأ أن كل الحساسيات والاحقاد والضغائن الطائفية والمذهبية أعيد احياؤها من جديد. وفي الشارع اللبناني انقسامات حادة جداً. بدأتَ بسؤال هل نحن على مشارف حرب أهلية، وهو سؤال محق، فالناس متخوفون ولما كنا وصلنا الى هنا لولا اغتيال الرئيس الحريري. اذ إن من نفذ هذا الاغتيال ويُتبعه باغتيالات أخرى يهدف الى تخريب لبنان، واحداث فتنة طائفية ومذهبية وتفتيت لبنان. هذا هو هدف الاغتيالات. فغداً يشعر المسيحي أن الدولة غير قادرة على حمايته فيعيش في كانتون والدرزي أيضاً، والشيعة يتقوقعون في مناطقهم والسنة كذلك، هذا ان لم يحملوا السلاح في وجه بعضهم بعضاً. وهذا خطر جداً.

> هناك كلام مفاده أن في حال حُرِّرت مزارع شبعا وتلال كفرشوبا وأُطلق الاسرى، وأوقفت إسرائيل اعتداءاتها، ما المبرر لهذه الترسانة؟ هل ترسانة المقاومة بتصرف الطائفة الشيعية؟

– عندئذ يمكننا أن نقيم حواراً جدياً ونسأل ماذا سنفعل بهذا السلاح.

> حُكي عن مشروع لقاء مع العماد عون، فهل سيبقى مشروعاً؟

– في الوقت الراهن الاعتبارات الامنية مؤثرة. أنا ليس لديّ أي تحفظ أن أذهب الى الرابية في أي لحظة. ليس لدي بروتوكول. هناك بعض الاشخاص الذين لديهم

بروتوكول. أما أنا فلا أملك مشكلة بروتوكولية أو سياسية لأن أزور أحداً، ولكن عندي مشكلة أمنية، وكلنا اليوم مسجونون في البلد. بالمناسبة أنا مسجون في حارة حريك، وكلما أردت أن اذهب الى مكان يجب اتخاذ اجراءات كثيرة، لذا لا أخرج. وليد جنبلاط مسجون في المختارة والعماد عون سجين الرابية، الرئيس نبيه بري يزور بعض الدول أحياناً، لكنه أيضاً محتاط وحذر، سعد الحريري مهجّر من البلد في شكل أو بآخر. الملاحظة الطريفة أن الوحيد الذي يملك حرية الحركة ويتجول في لبنان ذهاباً واياباً ويلتقي كل الشخصيات بكل ارتياح هو السفير الأميركي. فهو يذهب الى المختارة والرابية وعين التينة والسراي من دون أي مشكلة، لكنه طبعاً لا يذهب الى اليرزة او بعبدا بسبب العماد لحود (ضاحكاً).

> يحكى كثيراً عن تضخيم قصة الوصاية الأميركية والفرنسية فيما لم يكن هناك أي اعتراض من جانبكم على الادارة السوريه اليومية للشؤون اللبنانية، حتى ان هناك من يقول ان «حزب الله» شارك في الحكومة ليفجر الأمور في اللحظة المناسبة، لحظة الوصول الى المحكمة الدولية. ففي اليوم الذي خرج الوزراء اتخذ القرار بمحكمة ذات طابع دولي، وتوسيع التحقيق. ما رأيك بهذه القرارات؟

– أنا غير موافق على المقدمة. شاركنا في الحكومة بعدما قيل لنا اننا شركاء وسنتفاهم على الامور الاساسية، ولدينا فرصة لنبني البلد. هذه هي الحيثية الأساسية وعلى اساسها شاركنا في الحكومة. فنحن لم نشارك في الحكومات السابقة لأننا لم نكن مقتنعين بالطريقة التي تدار بها الامور، لذا لم نكن نعطي ثقتنا. وكان يطلب منا ولم نقبل. لم أهاجم السوري، صحيح، لأن علاقتي به استراتيجية. أما على المستوى الداخلي فكنت أعبر عن قناعاتي بالطريقة السياسية المتعارفة. فعندما تشكل سوريه الحكومة وأقوم أنا فأحجب الثقة، ماذا أكون فعلت؟ وعندما دخلنا الحكومة شاركنا بهذه الخلفية. حتى لجنة التحقيق الدولية التي تحفظنا عنها منذ البداية، وطالبنا بلجنة عربية سعودية لبنانية، صوّتنا للتمديد لها (اللجنة الدولية) مداراة لاخواننا وشركائنا. عندما

وصلنا الى توسيع لجنة التحقيق وتعرضت الاعلامية مي شدياق لمحاولة اغتيال، طرح الوزير مروان حمادة توسيع اللجنة لتشمل كل الجرائم. وفي ذلك الوقت أصدر الحزب التقدمي الاشتراكي بياناً رفض فيه توسيع اللجنة. اتصل الإخوان في «تيار المستقبل» بنا وقالوا هذا ليس طرحنا، اذا طرح الموضوع في مجلس الوزراء نتمنى ألا تصوتوا معه. وهذا منسجم مع قناعاتنا. وعندما وقعت حادثة جبران، طرح الموضوع مجدداً، فقلنا سابقاً قيل لا نريد ان نوسع لتبقى اللجنة مختصة بالرئيس الحريري كيلا تطول فترة عملها عشرين سنة، والآن نضيف مهاماً؟ «شو عدا ما بدا؟»، هذا طبعاً اضافة الى ملاحظتنا بأن هذا اعلان عجز، والخ.

أما (في موضوع) المحكمة الدولية فطلبنا مهلة الى يوم الخميس، فرفضوا. واعتبرنا ان خروجنا هو بالدرجة الاولى اعتراض على المبدأ، وهو الآن موضوع السجال. انا شاركت في الحكومة، ومنحتها الثقة على اساس اننا شركاء فتبيّن أننا لا نتفاهم ولسنا شركاء ولا نستحق حتى أن نعطى مهلة ثلاثة أيام لنتشاور بماهية المحكمة ذات الطابع الدولي. واذا لم نكن شركاء، لماذا نبقى اذاً في هذه الحكومة؟ وتفادياً لمزيد من السلبية، لم نقدم استقالتنا لان هذا قد يأخذ البلاد نحو جو مشحون كثيراً.

> لكن هناك شيئاً من الجمود حالياً. هل من توجه نحو الاستقالة؟

– لا. باب الحوار لم يقفل بعد. نحن بانتظار اجابات الرئيس السنيورة.

> هل افتقدت الرئيس الحريري في هذه الظروف؟ ولماذا؟

– طبعاً. فبالنتيجة لكل شخص شخصيته وتجربته، وهذا ليس تقليلاً من أهمية أحد. يعني أنا لا أقلل من أهمية الشيخ سعد ولا الرئيس السنيورة أو أي من الاخوان في «تيار المستقبل». حتى الشيخ سعد لا يقول أنه مثل والده. لا شك في ان تجربة الرئيس الحريري وشخصيته وقدرته على الاستيعاب والمبادرة، كلها مميزة. ولو أنه كان موجوداً في أزمة كهذه لتغيّر الكثير من الامور أو تعالج بسرعة. وتجربتي معه، على

رغم اننا مررنا بمرحلة خلاف حاد، أثبتت انه على درجة عالية من المرونة، وامتصاص الاشياء واستيعابها حتى في أشد المواقف.

> ما أهم ما ميز رفيق الحريري؟ وهل كان يشكو لك خلافاته مع السوريين؟

– القدرة على التحمل وعدم اليأس. كان يشكو لي من السوريين وغير السوريين.

> غير السوريين مثل مَن؟

– لن أذكر أسماء، فهم اليوم رفاقه ولا يجوز أن نتحدث عنهم. فللمصادفة أن من شكا منهم سابقاً هم اليوم في ١٤ آذار. فمن يرفعون راية الرئيس الحريري اليوم ألحقوا به أذى كبيراً في حياته، وكانوا يقولون عنه ما لا يقل عمن اختلفوا معه لاحقاً والمصنفين الآن خصوماً له.

> هل تعرفت عن قرب الى سعد الحريري؟

– طبعاً الفرصة التي أتيحت بعد استشهاد الرئيس الحريري، وفترة الانتخابات وتشكيل الحكومة، جرت لقاءات عدة. وأنا أقدر، وهذا اعتقادي الشخصي، لو أن الشيخ سعد الحريري موجود في لبنان، لتمت معالجة الكثير من الامور في شكل أفضل. فأنا أقدّر انه من تواصلي المباشر معه والذي سبق سفره الذي طال، نشأ نوع من المودة والثقة وكنا ربما «نمون» على بعضنا بطريقة ما لمعالجة الامور. فالبعد مشكلة، وأنا لا استطيع أن أتحدث على الهاتف لأسباب أمنية، وفي كل الأحوال التواصل بالواسطة شكل من أشكال الخلل.

> هل موضوع الرئاسة مطروح؟

– لا.

> أي هل نحن باقون حتى نهاية ولاية الرئيس لحود على الوضع ذاته؟

– على ما يبدو.

> هل تلتقي الرئيس لحود؟

– لا

> هل ما يمنع؟

– ظروف الحركة فقط، لكن هناك تواصلاً دائماً من خلال نوابنا ووزرائنا.

> اذا طُرح حل من نوع اختصار ولاية الرئيس لحود لتنفيس هذا الاحتقان، هل يوافق عليه «حزب الله»؟

– معالجة الوضع الآن بخطوات جزئية، لا تنفع وقد تعقّد الامور أكثر، فأي معالجة يجب أن تكون شاملة. مثلاً الرئيس الحص تقدم بمبادرة، فيها طرح كامل وتقترح استقالة الرئيس وحل المجلس النيابي، انتخابات مبكرة، رئيساً جديداً وحكومة جديدة. هذه مثلاً صيغة قابلة للنقاش.

الرئيس لحود نفسه يقبل النقاش إذا قدمنا له مشروعاً متكاملاً. هو لا يقول انه غير حاضر للنقاش في المطلق، بحسب انطباعي الخاص. وفي المنهج الذي تناولته سابقاً، أرى مثلاً أن مسألة السلاح الفلسطيني لا تعالج إذا أخذنا موضوع المواقع خارج المخيمات أو مسألة الحقوق المدنية أو غيرها كجزئيات منفصلة. لا تمكن معالجة الأمور بهذه الطريقة. نحن الآن في حاجة إلى وضع الملف الفلسطيني كاملا على طاولة النقاش، وان يحصل حوار بين الحكومة اللبنانية وبين الفلسطينيين في لبنان حول كل هذه المواضيع: السلاح خارج المخيمات، وضع المخيمات، حقوق المدنيين ومستقبل وجودهم. نحن اللبنانيين معنيون بهذا الموضوع.

> هل سبب لكم السلاح الفلسطيني خارج المخيمات إحراجاً ما؟

– نحن نقول إن المسألة في حاجة إلى حل. لم نقل ان هذا السلاح يجب أن يبقى. لكننا نرفض القول انه تجب إزالة هذا السلاح بالقوة عبر إرسال الجيش اللبناني، لأن ذلك يؤدي إلى وقوع معركة. مع احترامنا لهذا السلاح نرى انه لا يستأهل وقوع مشكل كبير في البلد من أجله، فالمواقع في الجبال مخفية ومنعزلة. نحن نقول فلتبدأوا الحوار مع الفلسطينيين، وهم جاهزون للحوار ولا يرفضونه. من أفشل الحوار ليس

الفلسطينيين بل اللبنانيين. كان الحوار جارياً معهم، عندما أرسلوا (الحكومة) إليهم الجيش بلا سبب.

> هل ما زال هناك إمكان لحصول لقاء بينك وبين النائب وليد جنبلاط؟

– طبعاً، حتى لو تخاصمنا أو اعتبرنا انه ظلمنا وتجرأ علينا وأساء إلينا. في النهاية نحن في لبنان محكومون بالجلوس مع بعضنا بعضاً وبالتفاهم لحل مشاكل البلد، ولا أحد يستطيع تجاهل الآخر. وقول جنبلاط إن قوى ١٤ آذار وحدها تقرر مصير لبنان من أخطائه التاريخية. هذا أعادنا إلى العزل، ولا اعني عزل الشيعة، فتقرير ميليس أشار إلى أن (المتظاهرين في) ٨ آذار كانوا مليوناً، وهم يثقون بتقرير ميليس، ويعتبرون أن شهادته لا ترد. وعندما يقول جنبلاط أن قوى ١٤ آذار وحدها تقرر مصير البلد، فهو بذلك يعزل مليون شخص كانوا في الساحة، عدا أولئك الذين لم يتمكنوا من الحضور.

قناعتنا أن لبنان لا يقوم على ثنائيات ولا على ثلاثيات، لا على طوائف كبرى ولا وسطى ولا صغرى. لبنان في حاجة إلى الجميع، وعلى الجميع أن يتفاهموا. وإذا انطلقنا من هنا، يجب أن نتكلم مع بعضنا بعضاً، حتى لو أخطأ في حقي أو أخطأت في حقه، جنبلاط أو غيره.

> إذا طرحت فكرة لقائك مع سمير جعجع، هل هناك موانع؟

– أهلاً وسهلاً، ليس هناك أي موانع.

> هل خطر في بالك أن تشجع سعد الحريري على العودة إلى البلد، أو أن تسهل عودته وتبدد مخاوفه؟

– أحب ذلك، لكنني لا اجرؤ على دعوته. لست الجهة القادرة على تأمين أي شكل من أشكال الحماية له أو لغيره. مثلما حصل عندما قال وليد بيك انه يطلب الحماية مني، أنا لست قادراً. أنا أحمي نفسي و"كثر خير الله". أنا أقول أن هناك جهات مشبوهة تعمل على الساحة اللبنانية لتفكيكها.

> هل هي جهات إسرائيلية؟

- الله أعلم. أي استخبارات دولية أو إسرائيلية أو مجموعات لا نعرف طريقة تفكيرها، في ساحة من هذا النوع، أنا أتمنى وأرجو وأفضل وأرى من المصلحة الوطنية أن يكون الشيخ سعد موجوداً في بيروت، لكنني لا أستطيع تحمل مسؤولية توجيه نداء إليه ليعود.

مخاوف من الفتنة

> هل أنت خائف من فتنة سنية - شيعية، وهل تجد ان هناك من يدفع في هذا الاتجاه؟

- نعم، أرى ان هناك دفعاً في هذا الاتجاه.

> هل عندك مخاوف من أمر كهذا في الشارع؟

- هناك احتقان في الشارع، وواحد من أسباب عتبنا على جنبلاط تصريحاته اليومية التي تؤدي إلى هذا الاحتقان. مثلاً، عندما يتحدث عني، يقدمني على أنني أدافع عن القتلة، وعلى أنني ضد كشف الحقيقة ومحاكمة قتلة الرئيس الحريري. ما الذي يفعله هنا؟ انه يحرض السنة ضدي وضد الشيعة. هو يقول انه لا يقصد التحريض، لكن كلامه يقود إلى ذلك.

ما الذي فعله عندما قال إن سلاح المقاومة هو سلاح الغدر؟ هو حرض كل من يحب المقاومة ويدعمها ضدي وضد من يدافع عني، ويقول انه لا يقصد التحريض، لكنه «خرب الدنيا وأقامها». وعندما يلمح (جنبلاط) الى سيارات مفخخة، هو يحرض الدروز على الشيعة في قصة مروان حماده، ويحرض المسيحيين على الشيعة في قصة التفجيرات التي وقعت في مناطقهم. وعندما يتكلم عن نص له علاقة بالمقاومة، هو نفسه الوارد في البيان الوزاري مع إضافة عبارة أن المقاومة ليست ميليشيا، يستنتج أن هذا اتفاق قاهرة جديد، ويحرض المسيحيين على «حزب الله» والشيعة. وكذلك عندما يحرض اللبناني على الفلسطيني أو السوري، ويطالب الجيش بالذهاب إلى الجنوب.

لذلك أقول نعم، هناك مناخ سئ جداً. مثلاً، نحن ما دخلنا نحن بحادثة الناعمة؟ إذا تكلمنا طائفياً، ما هي علاقة الشيعة في الحادثة؟ لا شيء. حصل الإشكال بين شرطيين من البلدية وبين شباب من «الجبهة الشعبية – القيادة العامة»، وهم فلسطينيون غير شيعة وحصل تراشق ناري. أحضروا ٢٥ شاباً وقطعوا الطريق الدولية لأربع ساعات وأحرقوا الدواليب، في حين انتظر عشرات آلاف المواطنين على جانبي الطريق عشية العيد، ولم تحرك القوى الأمنية ساكناً. هذا كله بسيط. أن يهتف الشبان الذين أحضرهم وليد جنبلاط مطالبين بالزرقاوي وخدام وصدام، ويشتموني ويشتموا الرئيس بري. يشتموني بسيطة، أما أن يشتموا الرئيس بري! لكن ماشي الحال. ما علاقتنا بالموضوع؟ نحن نقول إننا لا نقبل أن يعالج السلاح الفلسطيني خارج المخيمات بالقوة، لأننا حريصون على الأمن والاستقرار ونعتبر الفلسطيني أخاً لنا وجندي الجيش اللبناني أخاً لنا. لكن، ثمة أشخاص لا يجدون مشكلاً في قتال الجيش اللبناني مع الفلسطيني، لأن الفلسطيني وابن الجيش اللبناني لا يعنيان لهم شيئا. أما الخطر فهو أن نسمع هتافات تطالب بالزرقاوي، لأن ذلك يعني انهم يطالبون بالتفجيرات، بتفجير حسينيات وكنائس ومساجد وسنة وشيعة وأكراد... هل هكذا نبني البلد؟

«القاعدة» في لبنان

> الزرقاوي أعلن أن الصواريخ التي أطلقت من الجنوب، كانت بتوجيه من أسامة بن لادن. ما هي معلومات «حزب الله» عن الموضوع؟

– ليست لدي معلومات خاصة، لكن لا أستبعد ذلك.

> هل الأمر سهل إلى هذا الحد؟

– في الجنوب نحن مقاومة ولسنا سلطة. هناك جيش وقوى أمنية في الجنوب. حتى في مناطق الشريط المحرر، لا يوجد أي عسكري أو مسلح من «حزب الله». هناك حواجز للجيش اللبناني ولقوى الأمن الداخلي. وبالتالي نحن موجودون على الحدود في نقاط غير علنية، حتى إذا جاء الإسرائيلي ليعتدي على بلدنا، نواجهه. هذا هو الأمر. أما ما

يحصل في هذه الضيعة أو المدينة أو الوادي، فأنا لست مسؤولا عن الأمن. وبالتالي يمكن لأي أحد أن يأتي إلى أي بستان - والجنوب واسع - ويضع صاروخين في صندوق ويصلهما بالبطارية الموقتة ويرحل، وبعد ساعة ينطلق الصاروخ.

> ألا تجد أن الأمر خطير؟

- نعم هو خطير وغير مقبول.

> إذا ما العمل؟

- لا يوجد حل لهذا الموضوع. حتى لو كان الجيش مرابطاً على الحدود. ففي المناطق التي انطلقت منها الصواريخ كان الجيش موجوداً، لكنه لم يستطع عمل شيء. الحل هو في ضبط الوضع الداخلي.

> هل ثبت أن «القاعدة» هي التي نفذت العملية؟

- ممكن، لكنني لا أستطيع التحديد. أنا اعرف ان في مخيم عين الحلوة بعض الأشخاص المبايعين للزرقاوي. ونحن نعتبر هذه العملية خطأ، لأننا نعتبر أن الكاتيوشا يستخدم في الاستراتيجية الدفاعية. إذا اعتدى علينا الإسرائيلي نرد عليه بالكاتيوشا، لكن الكاتيوشا ليس سلاح عملية جهادية. سلاح العملية الجهادية هو مهاجمة موقع أو آلية أو دورية أو زرع عبوة، هذا هو تاريخ المقاومة. نحن لم نستخدم الكاتيوشا إلا في حال رد الفعل. أما أن نطلق الصواريخ من دون سبب، فهذا مخالف لاستراتيجيتنا ولا نوافق عليه.

>هل تشعرون بإمكان حصول صدام بين «حزب الله» و«القاعدة» في المرحلة المقبلة؟

- من المفترض أن هذا الأمر مستبعد.

<u>لبنان والنووي الإيراني</u>

> يبدو الرئيس احمدي نجاد كأنما ينقل إيران إلى موقع الهجوم. هناك سؤال يقول: إذا أفقنا ذات يوم على طائرات تقصف المفاعل النووي الإيراني، فإن «حزب الله» سيمطر

إسرائيل بكمية من الصواريخ وسيشعل الجبهة. ما رأيك في هذا السيناريو، وإلى أي مدى يمكننا ربط الساحة اللبنانية بالمفاعل النووي الإيراني؟

– هذه أسئلة افتراضية، لكنني اسأل هل نحن معنيون بطمأنة إسرائيل إلى هذا الحد؟! ومن هنا لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال، لأنني لو أجبت بالإيجاب لفتحت على نفسي مشكلاً منذ الآن. وإذا أجبت بالنفي سيكون ذلك تطميناً لإسرائيل.

> هناك من يعتقد بأن «حزب الله» يحمّل لبنان أثقالاً وأعباء تفوق قدرته عبر هذه العلاقة الاستراتيجية مع سوريه وإيران. هذا التحالف يدعم المقاومة، لكن هذه المعركة تعوق انضمام الحزب إلى صيغة استقلال واستقرار، ما هو رأيك؟

– فليشرحوا لنا ما هي هذه الأعباء.

> هناك أشخاص يستنتجون أن الدور الإقليمي لـ «حزب الله» يمنعه من تقديم تنازلات في الداخل اللبناني وربما يحول دون استكمال عناصر الاستقلال والاستقرار؟ ما هي التنازلات المطلوبة في الداخل لمصلحة الوطن ولم يقدمها «حزب الله».

–«حزب الله» موجود في الجنوب كمقاومة. ويقوم بين فترة وأخرى بعملية تذكيرية ليقول أن مزارع شبعا ما زالت محتلة، وهناك موضوع الأسرى الذي يحتاج إلى حل والخروقات الإسرائيلية التي نتعاطى معها بمسؤولية. الحزب موجود كعامل توازن حتى لا يعتدي الإسرائيلي على لبنان بحجة وغير حجة. ودوره هو حماية لبنان في ما خص الصراع العربي– الإسرائيلي. طبعاً في الإعلام والسياسة نقف مع الانتفاضة الفلسطينية، لكن كلنا مع الانتفاضة وليس «حزب الله» فقط. جزء كبير من الفضائيات العربية والإعلام العربي مع الانتفاضة مثلنا ويدعمها. هذا هو الحد الأدنى، أن تقف إلى جانب الشعب الفلسطيني في الإعلام والسياسة سواء كان معك سلاح أم لا.

الفيتو الإيراني

> هل هناك مصلحة عربية في تحول إيران دولة كبرى في المنطقة؟ مثلا، هل يتوجب على الرئيس السنيورة إذا أراد تشكيل حكومة أن يعالج إضافة إلى الفيتو السوري (في حال وجوده) آخر إيرانياً؟

– هذا الموضوع مرتبط بفهم الناس لإيران. نحن موجودون في لبنان، وشئنا أم أبينا ينظر الناس إلينا كقوة لإيران أو كشكل من أشكال النفوذ. إذا كان ذلك صحيحاً أم خطأ بحث آخر. نحن لبنانيون وإدارتنا لبنانية وقيادتنا لبنانية. ندخل إلى الحكومة أو نخرج منها عندما نريد ذلك. وإيران لا تتدخل في شيء لا معنا ولا مع الحكومة اللبنانية، مع العلم انه إذا أرادت إيران أن تمارس نفوذها بناء على هذه النظرية فهذا هو الوقت، على اعتبار أن «حزب الله» اليوم، من دون نقاش، اكبر حزب سياسي في البلد، بغض النظر عن عدد النواب لأن هذا له علاقة بقانون الانتخاب، أو هو على الأقل من اكبر الأحزاب السياسية وقوة لا يستهان بها على كل صعيد، وهو محسوب على إيران. ليقدموا لنا مثلاً واحداً على تدخل إيران في الساحة الداخلية أو أمراً واحداً احتاج الرئيس السنيورة أو غيره أن يذهب إلى إيران لمعالجته. هذا واقع قائم. أنا لم أجد حتى اليوم أن إيران تتصرف بهذه الطريقة. حتى في العراق هي لا تقوم بهذا الأمر. من يتصور أن هناك قوى سياسية عراقية تنفذ أوامر إيرانية مخطئ. هناك علاقة متينة بيننا وبين إيران، لكن هذا أمر ومسألة أن إيران تستفيد من احترامنا لها للتدخل في شؤوننا أمر آخر، وهذا لم يتم. الائتلاف العراقي الموحد كتلة برلمانية كبيرة ومن حقه ترشيح رئيس وزراء، هل يتصور أحد أن إيران تقول للائتلاف أن يسمي (ابراهيم) الجعفري ولا يسمي (عادل) عبد المهدي أو غيره؟ هذا لم يحصل.

> من الملاحظ أن إيران تستكمل جمع الأوراق: خالد مشعل يذهب إلى هناك ليعلن التحالف، ورمضان شلح ليس محتاجاً ليذهب ليكون متحالفاً؟

– الفصائل الفلسطينية قرارها مستقل. هل تنفذ أوامر إيرانية؟ اسألوها لتؤكد ما قلته. حتى التليفونات مراقبة.

> هل يمكن أن نصل إلى حد أن نختار بين الحقيقة وبين الاستقرار؟

– في رأيي ليس هناك تناقض بين الأمرين.

> حتى لو وصل التحقيق القضائي إلى أن الفاعل ينتمي إلى جهاز معين؟

– إذا كشف التحقيق الفاعل، ففي الحد الأدنى سيكون هناك إجماع لبناني ضد الفاعل. وعندما يكون هناك إجماع لبناني حقيقي، لن يتمكن أحد من المس بالاستقرار. استقرار لبنان يتهدد في ظل انقسامات اللبنانيين وخلافاتهم.

> هل يستحق استقرار لبنان وسوريه وتجاوز هذه الأزمة أن نبحث عن مخرج لا عن الحقيقة؟

– لم يطرح أحد فكرة البحث عن مخرج. نريد الحقيقة. وأنا من الأشخاص الذي يصرون على كشف الحقيقة ليس اقل من سعد الدين الحريري. وأنا أقول إن هذه الحقيقة عندما ستكشف ستترك انعكاسات كبرى على لبنان والمنطقة.

> هل ترى أن سياسة الرئيس الإيراني مستفزة إلى حد ما؟

– في الموضوع الإسرائيلي فقط، أما في الموضوع النووي فالسياسة نفسها ما زالت متبعة كما في زمن السيد محمد خاتمي. وهذه السياسة في الموضوع النووي محل إجماع داخلي في إيران.

في الموضوع الإسرائيلي أزعجت السياسة الإيرانية البعض في المنطقة وأحرجت البعض الآخر. وفي رأيي أن (محمود) احمدي نجاد قال ما يجول في خاطر ومشاعر ١,٤ بليون من المسلمين في العالم. وأقدر انه لما تحدث عن موضوع المحرقة وفكرة اخذ إسرائيل إلى كندا أو ألمانيا أو ألاسكا، فقد عبر عما يجول في ضمير بليون و٣٩٠ مليون مسلم، والبقية سأسيء الظن بهم وأقول إن كلام نجاد أزعجهم. أما الأكثرية ففرحوا واعتبروا انه يعبر عن مشاعرهم وقناعاتهم التي لا يمكنهم التعبير عنها نتيجة

الظروف الدولية والإقليمية والأنظمة والحكام. فما هي المشكلة من خطاب نجاد ضـــد إسرائيل؟ هل يضر ذلك بالعرب؟ اعتقد أننا نستفيد.

الفصل الرابع

كيف حقق حزب الله التحرير

(محطات على طريق النصر)

كانت الثمانينيات بالنسبة لحزب الله مرحلة اختبار وابتلاء كبيرين سواء على مستوى البناء الداخلى وتطهير الصفوف من الدخلاء أو على مستوى ترتيب الأولويات ليصبح العدو الصهيونى ومقاتلته هو الأهم ، ثم جاء استشهاد الشهيد راغب حرب شيخ المقاومة (١٩٨٤) ثم السيد عباس الموسوى عام (١٩٩٢) الذى يمثل نقلة نوعية هامة فى مسار الحزب ومصيره . لقد كانت السمة الغالبة لتلك المرحلة بالنسبة لحزب الله التوتر والعمل فى بيئة غاية فى الصعوبة والارتباك سواء فيما يتعلق بالبناء السياسى للحزب أو العلاقات مع سوريه أو التعاطى مع الواقع السياسى اللبنانى ، كما كانت هناك أطراف عديدة مسئولة عن المقاومة والقيام بعمليات ضد القوات الإسرائيلية المحتلة سواء بالإدعاء أو بمباشرة المقاومة الفعلية الا إن هذه المرحلة تميزت بالاستقرار التنظيمى والسياسى الحزبى وبناء علاقات استراتيجية مع سوريه كما لاقت المقاومة دعماً ومساندة عربية واسلامية واسعة .

تجلت أهم مظاهر الاستقرار الحزبى فى سهولة اختيار سماحة السيد حسن نصر الله أميناً عاماً خلفاً لسماحة السيد عباس الموسوى (رضوان الله عليه) والسيد نصر الله هو أحد أهم قيادات الحزب وأحد مؤسسيه وهو تلميذ للسيد الموسوى فى مدرسة الامام المنتظر فى بعلبك ، وكان يشغل موقعاً مهماً فى المكتب السياسى لحركة أمل وقت الاجتياح فى ١٩٨٢ ، وهو حاصل على درجة (درس خاص) فى المذهب الشيعى الجعفرى وكان يشغل منصب رئيس الهيئة التنفيذية ثم مهمة التعبئة الفكرية قبل استشهاد السيد عباس الموسوى (سيد شهداء المقاومة الإسلامية) وبعد استشهاده كلفت الشورى السيد نصر الله ليكون أميناً عاماً للحزب ليقوده فى مرحلة دقيقة وبالغة

الصعوبة الى تحقيق النصر ، فى هذه المرحلة رفعت المقاومة من أدائها العسكرى وأخذ عناصرها يحترفون القتال بعدما باتوا فى مواجهة مباشرة مع أحد أقوى الجيوش فى العالم .

تشكلت على طول الجبهة أربعة محاور تغطى المنطقة الممتدة من الساحل قرب صور حتى البقاع الغربى ، وزودت هذه المحاور بالرجال والعتاد حتى تكون مستقلة فى الدفاع عن المنطقة اذا دعت الحاجة دون العودة الى القيادة أو طلب الاسناد ، ولم يعد الإسرائيليون وحدهم مَن يطلقون النار ، وفُرض عليهم البقاء لأوقات طويلة فى المخابئ والحصون نظراً لأن نيران المقاومين تطلق من مواقع غير ثابتة وغير مكشوفة يصعب رصدها أو استهدافها فقد اعتمدت على أسلوب المناورة الميدانية التى جعلت القوات المحتلة فى حيرة واستحدثت أساليب عديدة كزرع العبوات ، ونصب الكمائن ، والإغارات ، والإسناد النارى للتغطية والانسحاب ، والكثافة النارية للتمهيد الهجومى ، كل هذا جعل الخبراء الإسرائيليين يشعرون بقلق بالغ لتلك الندية فى القتال.

لم يكن هناك عائق أمام المقاومة للسيطرة على الجنوب والتفوق على قوات الاحتلال الا الخوف على سلامة المدنيين وحمايتهم من وحشية الهجوم الإسرائيلى ، ولهذا بدأت قيادة الحزب تبحث عن أسلوب للتعامل مع هذا الوضع ، وكان القرار هو التعامل مع العدو بالمثل واستهداف المستوطنات الشمالية فى الجليل بالكاتيوشا.

النصف الأول من شهر تموز (يوليو) ١٩٩٣ المقاومة الإسلامية تقوم بعملية أوقعت خمسة قتلى ، وفى يوم ٢٢ من الشهر نفسه عملية اخرى ضد تسعة مواقع إسرائيلية ولحدية إضافة الى استهداف دوريات وبدأ معها عملية اطلاق نارى لمنع القوات المحتلة من التقدم وتأمين انسحاب المجاهدين وتم تنفيذ المهمة بدقة متناهية ، ساعد على ذلك تلك الحرب الأمنية التى اعتمدها الحزب لمعرفة معلومات كافية عن المواقع الإسرائيلية واللحدية وعدد أفرادها ، وأسلحتها ، وطرق الإمداد ، والدوريات والمراكز

السرية ، ومنازل العناصر العميلة ، كل هذا كان له أبلغ الأثر فـــي تنفيـذ العمليـات الكبرى بدقة ونجاح .

كانت إسرائيل وأمريكا تسعى لوضع حد لتلك القوى المتعاظمة فى الجنوب اللبنانى لفك الارتباط السورى اللبنانى وحتى يتمكنا من تنفيذ صفقة سياسية مع الحكومة اللبنانيـة لتوقيع اتفاقية الحكم الذاتى مع منظمة التحرير الفلسطينية والمعروفة بـ (أوسلو) وفى مطلع حزيران/يونيو ازداد الضغط الأمريكى على الحكومة اللبنانية مع تزايد الحشـود العسكرية الصهيونية فى الجنوب اللبنانى

الحرب السابعة تموز / يوليو ٩٣ (*) :

فى العاشرة والنصف صباح يوم الأحد ٢٥ تموز (يوليو) أغارت الطائرات الحربيـة الإسرائيلية على الجنوب والبقاع وفتحت نيرانها واستمر القصف يتسع نطاقه مما كان يعنى أنها ليس اجراء أمنياً معتاداً ، ودعا حزب الله الى اجتماع لقيادة المقاومة لتدارس الموقف ووضع التصورات حول هذا الهجوم وكيفية التعامل معه وتم وضـع الخطـة والتى كان هدفها :

- المبادرة بالهجوم على المواقع الإسرائيلية .
- استخدام قوة نيران كثيفة ضد المواقع والمستوطنات الإسرائيلية شمال الجليل
- حث الأهالى على الصمود وألا يتركوا قراهم مع توفير كل ما يلزم الأهالى .

كانت الهجمات الإسرائيلية تستهدف إحراق الأرض لإحداث عملية نزوح للسكان باتجاه بيروت للضغط على الحكومة مع كسر إرادة المقاومة وحذفها من المعادلة العسـكرية ولتوسيع الحزام الأمنى ليشمل الجنوب كله ودفع الحكومة الـى طاولـة المفاوضـات وفرض شرط مبدئي عليها هو نزع سلاح حزب الله حتى يتوقف القصـف ، ونفـذت إسرائيل نحو هذا الهدف ١٣٠٠ غارة وأطلقت ٣٠ ألف قذيفة على مدى سبعة أيام .

(*) الحرب السابعة هى المعركة التى كانت بين العرب واسرائيل فى لبنان والتى يمكن أن نسميها حرباً نظراً لطولها وكثرة السلاح المستخدم فيها وتنوع العمليات العسكرية وقد وقعت الحرب الأولى عام ١٩٤٨ والثانية ١٩٥٦ ، والثالثة ١٩٦٧ ، والرابعة ١٩٧٣ ، والخامسة ١٩٧٨ ، والسادسة ١٩٨٢ ، والسابعة هى ١٩٩٣ – لمزيد من الاطلاع انظر الحرب الثامنة المركز الاستشارى للدراسات والتوثيق– بيروت ١٩٩٦

بدأ حزب الله فى تنفيذ خطته بفتح نيرانه على المواقع الإسرائيلية فى بعشيت والدبشة والشومرية ومواقع الميليشيات العميلة مع استهداف مستوطنات الجليل بالكاتيوشا .

استطاع حزب الله أن يمتلك الزمام بيديه من توحيد الجبهة الداخلية وتثبيت الأهالى فى القرى وإجبار سكان المستوطنات الشمالية الإسرائيلية على النزوح الى داخل (إسرائيل) لممارسة ضغط على الحكومة الإسرائيلية والرأى العام ، وبدأ يلوح فى الأفق أزمة داخلية ومأزق سياسى لحكومة الكيان وبدأت تستنجد بأمريكا ، فتحركت دبلوماسيتها لتدين الهجوم على إسرائيل وتحمل إيران وحزب الله المسئولية وتدعو الى وقف العنف وضبط النفس .

أجرى وزير خارجية أمريكا كريستوفر اتصالاً برئيس الحكومة اللبنانى رفيق الحريرى ووزير خارجية سوريه فاروق الشرع وكان المطروح اتفاقاً لوقف اطلاق النار .

توجهت الأنظار الى سوريه حيث حضر وزير خارجية إيران د. على أكبر ولايتى للمشاركة فى مساندة حزب الله وبدأت اجتماعات بين وفد حزب الله وعلى ولايتى ووقفت سوريه ولبنان لمساندة حزب الله ومنع ممارسة أى ضغوط عليه وحدد الحزب شروطه وهى :

- منع تحليق الطائرات الحربية فوق لبنان ووقف الهجمات التى تستهدف المدنيين.

رأت سوريه وإيران امكانية تحقيق هذا الشرط فى صورة تحييد المدنيين من الطرفين وتم ابلاغ كريستوفر بهذه الصيغة ونظراً لصعوبة الموقف الإسرائيلى فقد وافق وتم الاتفاق على وقف اطلاق النار على هذا الشرط وأن يبدأ فى السادسة مساء يوم ٣١ تموز (يوليو) ١٩٩٣ .

حاول الأمريكان والصهاينة الالتفاف حول الاتفاق وعمل ترتيبات أمنية مع الجانب اللبنانى بعيداً عن سوريه لنشر قوات الجيش اللبنانى حتى يتحمل مسئولية أى نشاط لحزب الله ،ووقف العمليات العسكرية فى الشريط المحتل.

هذا ما عبر عنه رابين فى هاآرتس (فى إطار التفاهم ترسل قوة من الجيش اللبناني للانتشار على طول الجبهة ولو نفذ ذلك لأمكن التغلب على قسم من نشاط حزب الله).

وفى الأول من آب (أغسطس) ١٩٩٣ اجتمع مجلس الوزراء اللبنانى واتخذ قراراً بنشر الجيش فى منطقة عمليات القوات الدولية وشكلت لجنة برئاسة الحريرى وعضوية وزيرى الدفاع والخارجية لاجراء الترتيبات والتنفيذ ولقى هذا القرار موافقة من الأمم المتحدة وترحيباً من أمريكا وإسرائيل .

فى اليوم الثانى للاجتماع اجتمع مجلس الدفاع الأعلى برئاسة رئيس الجمهورية الياس الهراوى وقرر وقف العمل بتراخيص السلاح ونقله دون الرجوع الى وزارة الدفاع تحت دعوى (منع الفتنة والفوضى) ، وأعلن سماحة الأمين العام لحزب الله : (اذا كان البعض يريد للجيش أن ينتشر فليفتش عن عنوان غير الفتنة لأنه ليس هناك فتنة) ، وعاد سماحته فأعلن ان هناك معلومات متداولة اذا صحت يمكن ان تنتج عنها فضيحة سياسية بمستوى الخيانة . أرسل الحزب أحد قيادييه الحاج / حسين الخليل الى دمشق والتى لم يعرف مسئولوها هذا القرار الا عبر وسائل الاعلام ، وما كان يدعو الى الريب هو إخفاء هذا الأمر عن سوريه مما يعنى وجود ترتيبات مع الأمريكان بالإضافة الى عنوان (الفتنة والفوضى) .

بعد حوار هاتفى بين الرئيسين السورى واللبنانى بدأت لبنان تتنصل من الأمر وانقلبت السياسة اللبنانية على نفسها وانكشف الوضع السياسى على ازدواجية واضحة ، وأعلن رئيس المجلس النيابى (أن هذه الخطوة لى شرف المشاركة فيها وأنه لا خوف على المقاومة ولا على الجيش) ورفض رئيس الحكومة نزع سلاح حزب الله .

وفى الوقت الذى كان فيه حزب الله يحصد النتائج السياسية لانتصاره ، كان يتحرك على خط آخر لمساعدة الأهالى للتغلب على الأضرار الناجمة عن القصف الصهيونى ، وبدأت خطة الترميم وإعادة الإعمار فبدأت عناصر حزب الله تضع السلاح جانباً وتباشر أعمال الإصلاح والترميم وفتح الطرق وتأمين المساكن وما يلزم العائدين من

خلال مؤسسة (جهاد البناء) التابعة لحزب الله ، وتم ترميم واصلاح المساكن وفتح ورش عمل وتجنيد العديد من العمال والفنيين والمهندسين ودفع تعويضات للذين هدمت منازلهم ليتحد الحزب والشعب فى خندق المقاومة • حاول الإسرائيليون تحصيل مكسب إعلامى بعد الخسائر العسكرية والسياسية الكبيرة ، لإقناع الرأى العام أن الحصيلة النهائية كانت لصالحهم ، جاء رد حزب الله على هذه الدعاية عملياً حيث قامت المقاومة فى ١٩ آب / أغسطس ١٩٩٣ بعمليتين فى بلدة شيخين نتج عنها مقتل تسعة جنود وجرح خمسة فى الوقت الذى خيم فيه الهدوء على الجنوب وأصبح الجيش الإسرائيلى مكبلاً وعليه أن يتكيف مع الوضع الجديد.

مؤتمر شرم الشيخ

مع قرب انتهاء شباط (فبراير) ١٩٩٦ وطوال تسعة أيام من ٢٤ شباط / فبراير حتى ١٤ آذار/مارس كانت إسرائيل تتعرض لأصعب حرب استنزاف فى تاريخها حيث قامت حركتا الجهاد الاسلامى فى فلسطين و(حماس) بتنفيذ مجموعة من العمليات استهدفت حسب تعبير بنيامين اليعازر (تدمير معنويات الشعب والجيش) فأوقعت فى صفوفه ما يقرب من ألف مصاب وحوالى ٢٠٠ قتيل ، ومن أجل مساعدة إسرائيل المنهارة معنوياً أطلق الرئيس الامريكى بيل كلينتون فى ٦ آذار (مارس) فكرة عقد مؤتمر دولى لبحث الارهاب فى الشرق الأوسط ، وأعلن بيريز أن إسرائيل وأمريكا تسعى لإقامة تحالف دولى لضرب الارهاب ولعزل إيران التى توفر الدعم المالى والسياسى ، وأن قمة شرم الشيخ ستكون تعبيراً عن الدعم الدولى لإسرائيل فى معركتها وحدد أعداءه فى المنطقة (حزب الله ، الجهاد ، حماس) •

عقد المؤتمر فى شرم الشيخ بمصر فى ١٣ آذار (مارس) ١٩٩٦ تحت اسم (صُناع السلام) وجاء بيانه الختامى بوجوب تقديم الدعم الكامل لعملية السلام ومنع أعداء السلام من تدمير فرصة السلام الحقيقية فى المنطقة ، ودعا الى اجراءات ثنائية وواقعية لمحاربة الارهاب ، وفى المقابل كانت تحليلات معظم الصحف ووسائل

الاعلام وخاصة الغربية تقول كما جاء فى صحيفة الشرق الأوسط (ان قمة شرم الشيخ تحقق لإسرائيل كسباً كبيراً وتمنحها تفويضاً دولياً لمكافحة الارهاب) وفور مغادرة كلينتون شرم الشيخ قام بزيارة الى تل أبيب استغرقت (٢١ ساعة) كما حضر هو ووزير خارجيته ومدير المخابرات المركزية اجتماع مجلس الوزراء المصغر (أعلى سلطة فى إسرائيل) وتم الاتفاق على بروتوكول مكون من شقين الأول يشمل الحرب على الارهاب والتزام الجانب الامريكى بتبادل معلومات وتقديم معدات أمريكية لكشف المتفجرات كما منحهم كلينتون ١٠٠ مليون دولار ، والشق الآخر ويشمل توقيع معاهدة دفاع مشترك تم توقيعها بالأحرف الأولى وتلتزم فيها أمريكا بالمحافظة على التفوق النوعى للجيش الإسرائيلى فى مواجهة الجيوش العربية ، ومنح إسرائيل وضعاً مماثلاً لدول حلف شمال الأطلنطى والتعاون ضد التهديدات البعيدة المدى مثل صواريخ أرض – أرض والأسلحة غير التقليدية وارسال أسلحة فى حالة الطوارئ ، والتعاون فى مجال تطوير المعدات العسكرية وتعيين لجنة مشتركة لتشكيل قوة دفاع اقليمية بمشاركة دول اخرى فى المنطقة .

وفى تصريح لكلينتون أوردته صحيفة (السفير) اللبنانية أن " حزب الله وحماس والجهاد لن ينجحوا فى تخريب السلام وأن شرم الشيخ ليس سوى بداية على طريق مكافحة الارهاب" وأكمل " سنتعقبهم .. سنقتلهم " ، كما صرح بيريز " لهذه الاتفاقية هدف واحد هو تصعيد الحرب ضد المنظمات الإسلامية المتشددة وعزل إيران " .

الحرب الثامنة نيسان / أبريل ١٩٩٦ [عناقيد الغضب] (*)

كانت أهم النجاحات التى حققها حزب الله على صعيد الصراع العربى الصهيونى هو تفاهم تموز/ يوليو ١٩٩٣ الذى استطاع فيه حزب الله إلزام إسرائيل بعدم الاعتداء على المدنيين وان يبقى الشريط المحتل هو ميدان العمليات وكانت حصيلة عام ١٩٩٥ ،

* هذا الاسم مستوحى من فصل فى سفر أشعيا النبى ومن رؤيا يوحنا (اصحاح ١٤) ومن رواية أديب أمريكى شهير هو : جون شتاينبك بعنوان (عناقيد الغضب) وفى قصيدة نظمتها جوليا هاو (١٨١٩ – ١٩١٠) وهى أنشودة الروح الحماسية للزحف الجمهورى فى أمريكا، كل هذا الاقتباس لتقديم التبرير الدينى والاخلاقى والثقافى لحرب عدوانية غير أخلاقية شنتها اسرائيل ضد لبنان .

٨٣ عملية راح ضحيتها ١٥١ قتيلاً من الجانب الصهيونى وعملائه ، وقامت المقاومة بتنفيذ عملية فى ١٤ آذار / مارس فى منطقة العيشية – الريحان (جـزين) أدت الـى جرح ٨ جنود ، ثم قامت بعدها بتنفيذ عملية استشهادية على طريق العديسة – الطيبـة فى عمق الشريط المحتل وأسفرت عن مصرع نقيب .

وبعد سيل من الاتصالات من جانب إسرائيل لسوريه لتمارس ضغطاً على حـزب الله رفضت سوريه هذا الدور على اعتبار أن حزب الله يقوم بدور مقاومة احتلال لأرضه وأن من الصعب ضبط قوات غير نظامية .

****

بدأت إسرائيل فى التصعيد لإسقاط تفاهم تموز / يوليو ، فصعدت من الموقف وارتكبت مجزرة فى بلدة ياطر ، وردت المقاومـة بـإطلاق ٢٨ صـاروخ كاتيوشـا باتجـاه مستعمرات : نهاريا وصفد وكريات شمونه ، وفى التاسع من نيسان / أبريل زرعـت قوات الاحتلال عبوات فى برعشيت وأدى الانفجار الى قتل فتى واصابة ثلاثة آخرين، وأطلقت المقاومة ١٦ صاروخ كاتيوشا أوقعت ٣٦ جريحاً صهيونياً ، ودكت المقاومة موقعاً للاحتلال فى بلاطة داخل الشريط فقتلت جنديين إسرائيليين وفى هذا اليوم حصل بيريز على ضوء أخضر من أمريكا لشن عملية عسكرية على لبنان وصرح مسـئول أمريكى (بعد سقوط الكاتيوشا نسمع أصوات إسرائيليين مختلفة تطلب الـرد ، وفـى اعتقادى أن شمعون بيريز ينصت لهذه الأصوات) .

حزب الله كان يراقب كل هذه التطورات منذ انعقاد مؤتمر شرم الشيخ وحالة التـوتر الطويلة والحشود العسكرية الإسرائيلية على لبنان أعطت حزب الله الفرصة لدراسـة الوضع ميدانياً قبل بدء الحرب بما كان له أثر بليغ فى حمايـة عناصـره وسـلاحه وانتصاره وأفقد العدو المفاجأة . كما كانت لتجربة حرب تموز / يوليو أكبـر الأثـر حينما درسها الحزب واستفاد منها فى عمل خطط للطوارىء .

فى فجر يوم الخميس ١١ نيسان / أبريل ١٩٩٦ بدأ سلاح الجو الإسـرائيلى ضـرب العمق اللبنانى فى بعلبك وبيروت وكانت الحرب صورة مكررة من حرب (عاصـفة الصحراء الأمريكية فى العراق) التى اعتمدت على استراتيجية الهجوم الجوى الشامل والقصف من البحر والبر بالإضافة الى عقد مؤتمر صحفى مساء كل يـوم لعـرض مسار العمليات وتوجيه رسائل سياسية للطرف الآخر .

بدأ الحزب يعطى أوامر للمقاومين للعمل على عدة محاور منها توجيه الكاتيوشا الـى المستوطنات ، والتأهب لمواجهة أى تقدم برى ، ووقف أى تحرك للوحدات الخاصـة الإسرائيلية وتأمين أفضل السبل لحماية قوة الإسناد النارى ، العمل على حماية السكان الصامدين ومساعدتهم على البقاء ، ومع حلول اليوم الثانى كان الهجـوم الإسـرائيلى شمل: بيروت ، والبقاع ، الجنوب ، والجبل، لتكون الرسالة هى أن إسـرائيل أزالـت تفاهم تموز / يوليو من الوجود وتفرض قواعد جديدة ومع حلول الثامن عشـر مـن نيسان / أبريل كان الجيش الإسرائيلى قد ارتكب أربع مجازر بدءاً من مجزرة سحمر فى ١٢ نيسان / أبريل وكان أكثرها وحشية مجزرتى يوم ١٨نيسان / أبريـل ١٩٩٦ فى النبطية الفوقا وقانا ، وكانت للتغطية الاعلامية المباشرة والصور المفزعة للجثـث المقطعة ومنظر الأطفال المكدسين فى أكياس البلاستيك وبرك الدم أثرها البـالغ فـى تفجير حالات الغضب الشعبى العالمى وأحرجت الأمم المتحدة التى أرسلت لجنة تحقيق وحملت الجانب الإسرائيلى المسئولية الكاملة عن المذابح وتحركت أمريكـا لانتشـال إسرائيل من ورطة إدانة دولية ودعت الى وقف اطلاق النار فقط ،بما يعنـى إسـقاط تفاهم تموز / يوليو وحرية إسرائيل فى استباحة القرى والمدن اللبنانية .

هذا فى الوقت الذى التفت الحكومة اللبنانية والشعب فيه حول حزب الله الذى أصـبح رمزاً للجهاد ودعته الى مواصلة هجماته على القوات الإسرائيلية والمستوطنات ؛ فـى الوقت الذى كان عليه فيه أن يدخل معركة اخرى دبلوماسية بالغة الخطورة فى دمشق التى تحولت الى مركز للتفاوض حيث وفد اليها الدبلوماسيون من دول عديدة إيران ،

وروسيا ، وفرنسا ، وايطاليا ، وأمريكا • كانت دمشق تعبر عن وجهة نظر حزب الله في الوقت الذى كانت أمريكا تتقدم فيه كشريك لإسرائيل •

عرض حزب الله على سوريه مجموعة من الثوابت وهى :

- حرية عمل المقاومة ، وحركة مقاتليها ضد الجيش الإسرائيلى والميليشيات العميلة •
- عدم تقييد العمليات بأى عامل زمانى أو مكانى ورفض أى مقترحات حول تجميد عملياته ولو لفترة محدودة •
- الحصول على ضمانات حقيقية لحماية المدنيين اللبنانيين •

وتحت ضغط الكاتيوشا والاعلام العالمى والأوروبى والروسى والرأى العام العالمى والإسرائيلى الداخلى وقرب الانتخابات الإسرائيلية رضخت إسرائيل •

حضر كريستوفر الى دمشق واجتمع بالرئيس السورى يوم الجمعة ٢٥ نيسان / أبريل ووافق كريستوفر على العودة الى تفاهم تموز المكتوب الذى لم يتم التوقيع عليه مع إضافة لجنة مراقبة للتنفيذ وتم وضع اللمسات الأخيرة على الاتفاق •

اجتمع سماحة السيد حسن نصر الله الأمين العام للحزب والوفد المرافق له بوزير خارجية سوريه وخرج سماحته ليعلن أنه "تم إقرار مضمون الصيغة التى اتفقنا عليها مع الجانب السورى " ، وكان الموعد المحدد لسريان التنفيذ فجر يوم السبت السابع والعشرين من نيسان / أبريل ، أعطى الحزب أوامره للمقاومة لتحديد الوقت المناسب بدقة وموعد وصول الكاتيوشا الى المستوطنات وعدم ترك فرصة للرد ليكون له الضربة الأخيرة كما فى حرب تموز •

نص الاتفاقية : بعد المحادثات مع حكومتى إسرائيل ولبنان وبالتشاور مع سوريه ، تعتبر الولايات المتحدة ان لبنان وإسرائيل سيطبقان الآتى :

١ – لن تنفذ المجموعات المسلحة فى لبنان هجمات على إسرائيل بصواريخ الكاتيوشا أو أى نوع من الأسلحة •

٢ – لن تطلق إسرائيل والذين يتعاونون معها أى نوع من الأسلحة علـــى مـــدنيين أو أهداف مدنية فى لبنان .

٣ – بصورة أعم يتعهد الطرفان بعدم تعريض المدنيين ، أيا كانت الظروف للهجمات، وبعدم استخدام المناطق المأهولة بالمدنيين ، والمنشآت الصناعية والكهربائية مركـــزاً لانطلاق الهجمات .

٤ – من دون انتهاك التفاهم ، ليس فيه ما يمنع أى طرف من ممارسة حقه المشروع فى الدفاع عن نفسه .

تألفت مجموعة مراقبة من الولايات المتحدة وفرنسا وسوريه اضافة الـــى الطـــرفين : لبنان وإسرائيل وستكون مهمتهما الاشراف على تنفيذ التفاهم المنصوص عليه وتحـــال الشكاوى الى مجموعة المراقبة .

يعلن هذا التفاهم فى وقت واحد الساعة ١٨,٠٠ فى ٢٦ نيسان ١٩٩٦ فى كل الـــدول المعنية والوقت المحدد لتنفيذه هو الساعة ٤,٥٠ يوم ٢٧ نيسان/ أبريل ١٩٩٦(*) .

وفى مؤتمر صحفى يوم ١٩٩٦/٤/٢٦ فى الحادية عشر ليلاً أعلن سماحة السيد حسن نصر الله شكره لكل الأصدقاء والشركاء والشعب والشهداء وفى حديثه عن التفاهم أكد أنه تضمن حماية المدنيين اللبنانيين من استهداف العدو إياهم وأكد أن التفاهم يعد نصراً للشعب اللبنانى فى مقاومة الاحتلال وكذلك من جهة إجبار الصهاينة على التزام حدود التفاهم فى عملياتهم العسكرية وكذلك رفع الحصار البحرى عن المـــوانىء وصـــيادى السمك ، وعبرت الحكومة اللبنانية على لسان رئيس الحكومة رفيـــق الحريـــرى فـــى مؤتمر صحفى (نعتقد بقوة ان هذا التفاهم سيؤدى الى استقرار طويل المدى فى الـــبلاد وسيسهم فى حماية المدنيين فى شكل قاطع)

---

* (*)[النص السابق هو نفس النص الحرفى للتفاهم دون تعديل وتم حذف ما يتعلق بالإعمار ومستقبل السلام على اعتبار أن هذا تفاهم وليس بديلا عن السلام !!] (المؤلف)

وعبر عنها الجانب الإيرانى على لسان وزير الخارجية وقتها د. على ولايتى الذى قال: "نتائج ايجابية حصدها حزب الله من العدوان الإسرائيلى بفعل صموده مما أفشل الأهداف الإسرائيلية".

وفى يوم ٢٧ من نيسان / أبريل وضعت الحرب أوزارها وبدأ الحزب بالتعاون مع الحكومة اللبنانية والكثير من الدول إعادة الاعمار وتعويض المتضررين من القصف الصهيونى وان على رأس المؤسسات (جهاد البناء) التابعة لحزب الله والتى أنشأت ٩٩٨ ورشة لإصلاح حوالى ٩٢٦ منزلاً وحوالى ١٨٩ محلاً تجارياً وأعادت فتح الطرق فى قطاع بيروت والبقاع، وبنت جبيل، وقانا، وصور، والنبطية والقرى التابعة لهم، وقد تم صرف ما قيمته ٨ ملايين ليرة لبنانية لكل صاحب منزل وكانت مصادر التمويل من هبات الناس وهيئة دعم المقاومة بالإضافة الى تبرعات الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

****

اشتدت سخونة المسرح السياسى الإسرائيلى أثناء معركة الانتخابات وكانت نتائج (عناقيد الغضب) أحد أهم العناوين الأكثر إثارة التى استعملها المرشحان (نتنياهو) و(بيريز) لاستقطاب الناخبين حاول (نتنياهو) انتقاد التفاهم وأنه لا يضمن أمن الجيش الإسرائيلى فى الشريط المحتل كما انه لا يلزم دمشق بأن تكبح نشاط حزب الله وعدم وجود نص لإدانة حزب الله اذا قام بعملية داخل الشريط الحدودى وحاول بيريز ان يقول ان هناك ملاحق سرية للاتفاق تمنع حزب الله من تنفيذ عمليات فى الشريط الحدودى وانها لم تعلن لعدم إحراج أطراف الاتفاق. وجاء الرد من جانب حزب الله خلال شهر أيار / مايو بتنفيذ ٧ عمليات و٥ هجمات و٤ كمائن وعمليتى قصف وكان محصلة القتلى أربعة بجانب ستة عشر جريحاً فسقط شمعون بيريز واختار التجمع الصهيونى المتطرف الآخر نتنياهو، وكان الرد من جانب حزب الله هو عملية مرجعيون فانطلق صوت مراسل الاذاعة الصهيونية من منطقة الشريط الحدودى وعبر

الأثير ليؤكد أن قافلتين عسكريتين من وحدة الارتباط فى مرجعيون خرجتا بفارق زمنى قصير نحو أهداف مختلفة وقد انفجرت عبوة ناسفة فى إحداهما وعندما عاد جنود القافلة الأولى لاستيضاح ما جرى وتقديم العون فجر المقاومون عبوة ثانية فقتل أربعة جنود إسرائيليون وجرح خمسة بالإضافة الى حصيلة الانفجار الأول ، ولم تمض سبع ساعات حتى سدد المقاومون ضربة ثانية ناجحة للعدو على طريق سجد – الريحان (جزين) أسفرت عن سقوط خمسة جرحى ٠

بعد شهرين من وصول نتنياهو الى الحكم والهجمات المستمرة من جانب حزب الله طرح نتنياهو مشروع (لبنان أولاً) كمحاولة لفك الارتباط بين سوريه ولبنان وتجريد سلاح حزب الله ، وأبدى استعداده للانسحاب من لبنان اذا ضمنت سوريه اتفاقاً يوفر الهدوء على الحدود ، وكما كان هدف نتنياهو هو فصل المسارين السورى واللبنانى فإن هذا الوضع مثل بوضوح مدى الضغط الذى يُمارس على الحكومة الصهيونية حول جدوى البقاء فى لبنان ، ونظراً لتصاعد العمليات من جانب حزب الله وفرض سيادته على المنطقة أجرى الجيش الإسرائيلى بعض التعديلات فى تدريباته واعتمد مبدأ حرب العصابات وتنفيذ مبدأ العمليات خلف خطوط المقاومة ٠

نتيجة لاستهداف القوافل العسكرية ولوقف نزيف الخسائر فى صفوف الجيش تم اعتماد التنقل من خلال الطائرات العسكرية وزيادة فى الاحتياط كان عليها أن تطفىء أنوارها، وفى شباط/فبراير ١٩٩٧ اصطدمت مروحيتان على متنهما ٧٣ عسكرياً من جراء احتياطات الأمن السابقة مما أثار حالة من حالات السخط وتم تشكيل لجنة برلمانية لإعادة النظر فى البقاء فى الجنوب ٠ وقرر نتنياهو القيام بعملية معقدة تتولاها وحدة النخبة وتستهدف العمق الجنوبى لإلحاق خسائر كبيرة فى صفوف حزب الله وإظهار القدرة العسكرية والأمنية (لإسرائيل) ٠

فى أيلول (سبتمبر) ١٩٩٧ أعطى نتنياهو أوامره للقيام بالعملية التى روجت لها الصحف الإسرائيلية والمحللون بأنها سوف تُحدث هزة فى المجتمع اللبنانى وتلحق

خسائر فادحة صفوف حزب الله ، كانت العملية فى بلدة أنصارية واختير المكان بعد متابعة دقيقة وفى منطقة آمنة لحزب الله يتحرك فيها دون خشية . كانت العملية عبارة عن زرع عبوات ناسفة وفى المكان الذى نزل فيه الجنود كانوا فوق حقل من الألغام أعد لهم سابقاً من قبل المقاومة وتم القضاء على الوحدة كلها مما أحدث ضجة وهزة عنيفة داخل المجتمع الصهيونى . وأمام حالات الفشل المتكررة بدأت تبرز كل التراكمات والمستجدات التى تجعل بقاء إسرائيل فى الجنوب مستحيلاً، وبدا العدو على حافة هاوية الانكسار العسكرى والسياسى يجب أن يستثمر من جانب حزب الله .

ومع دخول عام ١٩٩٨ كان الحزب قد استطاع انجاز عدة خطوات هامة على الصعيد الداخلى اللبنانى فقد خاض انتخابات البلديات وحاز على تأييد شعبى أصبح معه الحزب الأول شعبياً فى لبنان ، كما عقد مؤتمر الحزب الخامس الذى تم فيه إلغاء البند الذى يحظر على الأمين العام ان يترشح لدورة ثالثة وإلغاء القيد الزمنى وأصبح سماحة السيد حسن نصر الله هو الأمين العام ، وأضحت المرحلة تعبر عن استقرار تنظيمى وسياسى حزبى وتأييد شعبى من جميع الطوائف اللبنانية وانكسار عسكرى وسياسى للعدو والضغط عليه للانسحاب وتحرير للجنوب .

****

أدت العوامل السابقة الى تراجع الجيش الصهيونى وتحرير جزين ففى الأول من حزيران/يونيو ١٩٩٩ قامت المقاومة بتدمير ثكنة جزين وإصابة قائد الفوج العشرين فضلاً عن الهجمات العديدة على مواقع مسئولى الميليشيات وبدأت عملية فرار عناصر الميليشيات ورفضهم للخدمة . كان الوضع فى جزين يبلغ من الحساسيات ما هدد بموجة من الانفجار الطائفى نظراً لغلبة السكان المسيحيين وقد تعامل حزب الله مع الوضع على محورين ، الأول: أن يكون الانسحاب مذلاً وتحت القصف النارى ، والآخر فرض اجراءات أمنية تمنع أى استغلال طائفى مع فرض فصل تام بين الأهالى وعناصر الميليشيات ، واعطاء تعليمات لأنصار الحزب وجماهيره بعدم الدخول الى

جزين والامتناع عن أى مظاهر فرح حفاظاً على مشاعر الأهالى المسيحيين الذين كان أولادهم ضمن صفوف الميليشيات وبدأت المقاومة فى تفخيخ الطرق التى يحتمل أن يسلكها الجيش والعملاء وصوب الحزب صواريخه وطاردهم حتى معبر كفر حونه وتم ما أراده الحزب ضغطاً عسكرياً وهجومياً يساوى انسحاباً إسرائيلياً مذلاً.

****

عقب سقوط نتنياهو ونجاح باراك (الذى جاء الى السلطة والانسحاب من جنوب لبنان جزء من برنامجه الانتخابى) أراد نتنياهو فى مرحلة انتقال السلطة أن يفعل ما كان يدور فى خلده إلا أنه لم يستطع خوفاً من النتائج وعليه فقد أعطى أوامره لسلاح الجو لقصف البنية التحتية اللبنانية ليكرس قاعدة جديدة (البنى التحتية مقابل أمن المستوطنات) وجاء رد حزب الله طوال ثلاثة أشهر من حزيران / يونيه وحتى أيلول / سبتمبر ١٩٩٩ لينفذ ما جملته ١٥٢٥ عملية وتم اقتحام مواقع فى بيت ياحون وسجد والطيبة وغيرها واستهدف قائد تشكيل لبنان (ايريز غيريشتاين) وقائد وحدة الارتباط (بيتى فانتز) ورغم ارتفاع إجراءات الأمن الصهيونية فإن الحزب نفذ عملية استشهادية ضد قافلة عسكرية نفذها الشهيد عمار حمود الذى اقتحم قلب الإجراءات المشددة وسط الشريط المحتل فى القليحة وكانت هذه العملية للضغط على باراك لتنفيذ انسحابه الذى حدده فى السابع من تموز / يوليو ٢٠٠٠ . وقد كثفت المقاومة من هجماتها على المواقع الإسرائيلية وحولتها الى ساحة حرب استخدم فيها كل أنواع القتال وركزت المقاومة على القطاع الغربى أحد أهم المفاصل الرئيسية فى قوة الميليشيات وكان أحد الأسلحة هو استمالة بعض العناصر المتورطة فى جرائم واستخدام بعض العملاء . كان (عقل هاشم) أحد رموز العملاء الذين تراهن عليهم إسرائيل للعب دور فى قيادة الميليشيات وقد خضع (هاشم) لمراقبة طويلة من جانب المقاومة وبعد أن نجا من الموت عدة مرات استطاعت مجموعة من المقاومة مراقبته ومحاصرته فى مخبئه فى (دبل) وكان قرار تصفيته يأتى ضمن استكمال الضغط على باراك للانسحاب، فى الوقت الذى كان باراك يحضر لاتفاق مع سوريه ولبنان حتى يكون الانسحاب مشرفاً له .

وحاولت سوريه ولبنان الاستفادة من الانهيار السياسى لباراك لتنفيذ ما أرادتا الا أن حزب الله كان لديه قراءة اخرى وهو أن الانسحاب بات خطوة واجبة الاستحقاق سواء باتفاق أو بدون وبعد فشل محاولات الاتفاق مع سوريه ولبنان بدأ باراك يستنجد بالأمم المتحدة بمساعدة أمريكية وقدم باراك مشروعاً للانسحاب فيما يعد خرقاً دولياً ليضع لبنان أمام المجتمع الدولى .

خطة التحرير

بعد قرار مجلس الأمن بنشر قوات طوارئ كانت خطة الحزب تقتضى عدم التصادم مع قوات الطوارىء ووضع خطة للقضاء على الميليشيات العميلة التى قد تمثل فى المستقبل اختراقاً صهيونياً فى أرض لبنان وتحت حراسة قوات الطوارئ وسياسة الأمر الواقع قررت الشورى خطة تقتضى (أقل قدر من الدم وأكبر قدر من الرعب) وحددت الخطة العسكرية للتحرير وتم تقسيم المناطق جغرافياً وحسب سيطرة أفواج الميليشيات وانتشارها كانت الخطة تقتضى الضربة الواحدة على طول الجبهة مع اعتماد أسلوب تقطيع الاتصال والسيطرة والتقدم والقضم التدريجى لمواقع الميليشيات .
بدأ استهداف الفوجين العاشر والواحد والثمانين وبدأ اعتماد أسلوب الاقتحام المنظم والتدمير الكلى لتتراجع الميليشيات بضعة كيلو مترات وليبدأ تحرير البلدة عن طريق حشد وتحضير الأهالى للزحف نحوها .
نقلت المعركة الى القطاع الغربى القريب من الساحل واقتحمت المقاومة موقع البياضة الذى لقيت حاميته مصرعها وفى عرمتى تراجعت الميليشيات وتراجع الجيش الإسرائيلى الى الناقورة على الساحل وامتدت المقاومة نحو العمق .
وفى الأول من أيار / مايو مع اقتراب موعد الانسحاب اتخذ باراك قراراً بتسليم المواقع للميليشيات اللحدية حتى لا يتركوها فى يد حزب الله .

الأيام الأخيرة للاحتلال : بشائر النصر

يوم الاثنين ٢٢/٥/٢٠٠٠ :

تسارعت وتيرة الانسحاب الإسرائيلي من الجنوب اللبناني ، وتهاوت المواقع العسكرية لـ " جيش لبنان الجنوبي " في عمق المنطقة المحتلة على مقربة الحدود اللبنانية – الإسرائيلية ، واحداً تلو الآخر ، بعدما فقدت قوات الاحتلال السيطرة على هذه المواقع لتنقسم منطقة القطاع الأوسط في قضاءي بنت جبيل ومرجعيون شطرين : شمالي شرقي وجنوبي غربي وزحف الأهالي ابتداء من ساعات الصباح الأولى في اتجاه القرى المحررة مشياً عبر الأودية والجبال الوعرة ، وفي مواكب سيارة في ظل مواكبة لسيارات الاسعاف تتقدمها جرافات تابعة لمؤسسة " جهاد البناء " (حزب الله) كانت تزيل الأتربة من الطرق ، واستقبل الوافدون بالأهازيج ونثر الأرز والورود وسط صيحات التكبير ، وتمكن الأهالي من دخول القرى المحررة على رغم القصف الكثيف للمدفعية الإسرائيلية ولسلاح الجو للحؤول دون تقدمهم ، مما أدى الى مقتل أربعة وإصابة نحو عشرة آخرين بجروح مختلفة ، ورافقت ذلك مواجهات بين المقاومين ووحدات من جيش العملاء (جيش انطوان لحد) كانت تنسحب في اتجاه مرجعيون ، وأفاد شهود عيان ان أكثر من مئة عنصر من " الجنوبي " سلموا أنفسهم الى الجيش اللبناني ، وعدد مماثل الى "حزب الله" ونقلت وكالة فرانس برس عن مصادر أمنية ان مئات من عناصر الجنوبي فروا عبر الوديان من مواقعهم بعدما نزعوا ثيابهم العسكرية وارتدوا ثياباً مدنية وسلموا أنفسهم الى حزب الله والأجهزة الأمنية ، في حين توجه ضباط وعائلاتهم عبر الحدود الى إسرائيل ، وشهد الطريق الساحلي الذي يربط بيروت بالجنوب زحمة سير خانقة بوفود المواطنين والأهالي المتجهين الى القرى المحررة .

أولى البلدات التي تحررت (حولا) ، حين تجمع عدد من أهاليها مع ساعات الصباح الأولى في بلدة (شقرا) القريبة منها ، ولما علموا ان عناصر " الجنوبي " بدأوا بإخلاء

مواقعهم المحيطة ببلدتهم ، اندفعوا نحوها ، مما حمل القوات الإسرائيلية على قصف الأودية والطرق المؤدية اليها بالقذائف ورشقات القنص الغزيرة ، لمنعهم من التقدم ، ثم شنت طائرات حربية إسرائيلية غارتين متتاليتين على محيط البلدة بعدد من الصواريخ ، الا ان الأهالى واصلوا اندفاعهم نحو البلدة مشياً ، سالكين الأودية والجبال الوعرة ، فيما كانت جرافات تابعة لمؤسسة " جهاد البناء " (حزب الله) تشق طريقها لاختصار المسافة ، فعبرتها السيارات وتمكن الأهالى من دخول البلدة فاستقبلهم سكانها بالزغاريد فيما سلم من تبقى من عناصر " الجنوبى " وعددهم نحو ٤٠ سلموا أنفسهم الى المقاومة والأهالى وصودر العتاد والأسلحة التى كانت فى مواقعهم ، ومن (حولا) الى (مركبا) حيث سبق دخول الأهالى اطلاق المروحيات الإسرائيلية النار على مداخلها لمنعهم من ذلك ، الا انهم أصروا على متابعة طريقهم نحوها عبر المسالك الجبلية وبالسيارات وفور وصولهم الى مداخلها احتشد الأهالى لاستقبالهم ونثر الأرز والورود عليهم وكان فى مقدمة الواصلين النائبان على خريس (حركة أمل) ونزيه منصور (حزب الله) ومسئولون من قيادة الحزب الذين استمعوا الى مطالب الأهالى ، فأبلغوهم بضرورة استعجال دخول الشرعية اللبنانية والاهتمام الانمائى ، وسلم عدد من عناصر الجنوبى أنفسهم فيما التزم عدد آخر منازلهم فأرشد الأهالى عناصر المقاومة الى منازلهم .. واعتقلوهم.

والمشهد كان يتكرر فى كل قرية ، إذ راحت المدفعية الإسرائيلية تقصف محيط كل قرية متاخمة لقرية أخلاها الجنوبى لتوه ، وبينما كانت المعلومات تتوالى عن بدء عناصر "الجنوبى" بالفرار ، كان أهالى القرى المحيطة يحتشدون استعداداً لدخولها ، بعد ابلاغ ساكنيها لهم ان الطريق أصبحت آمنة وهذا ما حصل فى بلدتى بنى حيان وطلوسة اللتين فر من مواقعهما عناصر من الجنوبى نحو الشريط المحتل ، وسلم آخرون أنفسهم تباعاً للأهالى والمقاومة ، وبلدة بنى حيان كانت شبه مهجورة اذ بقى فيها نحو ٣٠ شخصاً ، وحين سمعوا أبواق السيارات ، خرجوا الى الطريق التى بدت

قديمة ، مزغردين وراحوا ينثرون الأرز والورود ، وقال بعضهم ان بلدتنا ولدت اليوم من جديد ، ولم يستطع بعضهم وصف السعادة التى اعترتهم وخصوصاً الوافدين الى البلدة بعد أكثر من ١٥ عاماً غياباً عنها .

وفى بلدة (طلوسة) ، تجمع الأهالى فى ساحتها ونحروا خرافاً وأطلقوا زغاريد وبثوا أناشيد (حزب الله) الذى رفعت اعلامه فيها ، وقال بعض أبناء البلدة العائدين ، غداً تأتى الدولة وتفرض الأمن والنظام هنا ، ودخل شبان موقع مشعرون فى البلدة وأحضروا منه عتاداً .

ومن هناك زحف المواطنون وسكان القرى المحيطة الى بلدتى رب ثلاثين وميس الجبل ، وبدءاً من ساعات الظهر ، كثف الاحتلال الإسرائيلى قصفه على محيط المنطقة ، لوقف تدفق الحشود التى تجمعت فى الساحات العامة ، وفيما راح البعض يغرس اعلام المقاومة فيما أدى البعض الآخر الصلاة ، وباشر شبان يحملون لوائح اسمية ، البحث عن عناصر من "الجنوبى" بقوا داخل هذه البلدات ولم يسلموا أنفسهم.

وكان أهالى ميس الجبل فى (قضاء مرجعيون) أكبر قرى المنطقة بدأوا فى ساعة مبكرة من الصباح بالتجمع فى ساحة البلدة ، استعداداً للتوجه فى موكب من السيارات الى حولا المجاورة التى أخذ أهاليها يدخلونها فجراً ، وانضم اليهم ٢٥ عنصراً من البلدة كانوا فى أعداد "الجنوبى" وساروا فى مسيرة واحدة الى حولا حيث سلم هؤلاء أنفسهم الى عناصر من المقاومة الإسلامية داخل البلدة ولم يتخلف منهم سوى شخصين تردد انهما تركا البلدة فجراً وتوجها مع أفراد عائلتيهما الى إسرائيل عبر بوابة الـ ١٧ ولدى عودة الوفد من حولا انضم اليهم المئات من أبناء البلدة كانوا وفدوا من بيروت ، ودخلوها قبل التاسعة صباحاً وراحوا يتفقدون منازلهم ويتبادلون التهانى مع أبناء بلدتهم المقيمين الذين لم يغادروا وبقوا فيها صامدين ، ويقدر عددهم بنحو ٢٥٠٠ من أصل ٢٧ ألفا .

ونحو التاسعة صباحاً ، وأثناء تزاحم السيارات للعبور من حولا الى ميس الجبل ، بدأ الطيران المروحى الإسرائيلى يحلق على ارتفاع منخفض فوق مواكب العائدين ، لتغير بعدها مروحية من طراز " أباتشى " وتدمر دبابة وآلية تركهما "الجنوبى" على الطريق الدولية الواقعة بين البلدتين .

وسرعان ما التهمت النيران الدبابة والآلية ، وأعقب ذلك انفجارات على مرأى من المارة الذين اضطروا الى ترك سياراتهم على الطريق واللجوء الى أمكنة آمنة ، خصوصاً ان جيش الاحتلال عمد من مواقعه فى مستوطنة المنارة التى تطل على البلدة، الى اطلاق النار من أسلحة رشاشة وصاروخية حتى ان الأهالى شاهدوا بأم العين انفجار الذخائر التى كانت فى داخلها ، مما أدى الى تطاير الشظايا التى أصابت المواطن مسلم عبده مصطفى طه (٢٦ عاماً) بجروح . واللافت ان حركة العبور لم تتأثر بترهيب الاحتلال الأهالى للوهلة الأولى خاصة ان جيش الاحتلال كان يحاول ترهيبهم لمنعهم من الاحتفال بتحرير بلدتهم ، لكنهم فوجئوا بأن النيران أخذت تستهدفهم مباشرة مما أدى الى وقوع ضحايا ، وأفاد شاهد عيان انه تولى بالتعاون مع اخوته نقل جريح أصيب عند مدخل البلدة الى المستوصف لإسعافه ، وشاهد جثة شاب ملقاة عند حافة الطريق ، علم فى وقت لاحق انه استشهد متأثراً بجراحه البليغة التى أصابته فى معظم أنحاء جسده .

وفى (العديسة) حاول الأهالى الذين قدموا من بلدات مركبا والطيبة وحولا دخولها لكنهم تعرضوا لنيران من أسلحة رشاشة وقذائف صاروخية ،وأدى القصف الى اصابة شخص اسمه عباس صولى من الطيبة كان يستخدم جرافة لفتح الطريق بين الطيبة والعديسة ، وأفاد شهود عيان ان قوات الاحتلال التى بقيت داخل البلدة طلبت من الأهالى البقاء فى منازلهم وحذرتهم من الخروج الى الساحة تحت طائلة تعريض حياتهم للخطر .

وأكد هؤلاء ان عناصر من الاستخبارات الإسرائيلية صادرت عدداً من أجهزة الهاتف الخلوى ، وأشاروا الى ان قوات الاحتلال تولت حماية قافلة عسكرية تابعة لـ " الجنوبى" عبرت من بلدة "كفر كلا" الى العديسة ، وتولت حماية جرافات إسرائيلية رفعت السواتر الترابية لعزل العديسة عن المناطق المحررة وإبقاء الطريق الدولية ما بين العديسة وكفر كلا مفتوحة من دون السماح بعبورها الا للذين يحملون أذونات خاصة من الاستخبارات الإسرائيلية التى أقامت مركزاً لها فى منطقة (مسكاف عام) .
وأفاد شهود عيان ان الأهالى سمعوا من داخل منازلهم ، أصوات قذائف تنفجر على مقربة منهم وتحدثوا عن احتمال سقوط جرحى بين الأهالى .
ونحو الثالثة انسحب عناصر "الجنوبى" من البلدة وفر قسم منها الى كفر كلا فيما تموضع قسم فى تلة الثغرة ، وهى عبارة عن مرتفع عال محاذ لمسكاف عام عزز بالآليات وسلم ١٧ آخرون أنفسهم ، وبينما تردد ان مسئول المنطقة الأمنية فى "الجنوبى" (روبين عبود) أصيب بجروح خطرة ونقل الى مستشفى مرجعيون ، وذكرت وكالات الأنباء الأجنبية انه أصيب بانهيار عصبى . بالمقابل كانت السعادة تنتشر فى القرى التى تربط الشريط بالمناطق المحررة ، وبينما أعلنت الاذاعة الإسرائيلية انكفاء عناصر الجنوبى منه ومن مركبا الى مقر قيادة الفوج العشرين فى مرجعيون ، أفاد الأهالى ان عشرات من العملاء تركوا مواقعهم وأسلحتهم وتوجهوا نحو المراكز التابعة للجيش اللبنانى . وما بين بلدتى بيت ياحون وتبنين راحت المدفعية الإسرائيلية تقصف المنطقة بالقنابل ، وفى هذا الوقت كانت طلائع قوافل الأهالى تتجه نحو بلدتى بيت ياحون وميس الجبل حين أغارت طائرات حربية إسرائيلية على محيط البلدة الاخيرة أثناء دخول الأهالى اليها مما أدى الى مقتل شخصين هما : عبد الكريم على عساف وابراهيم ماروني من بلدة شقرا فى حين قتل على عبد الله جفال وحسين كرتيب فى رشاق وحداثا ، وجرح ٢٠ مواطناً عرف منهم حسام فرحات وصادق فرحات وابراهيم على شهاب وجعفر حسين فرحات وناريمان سمير عظيمى وابراهيم محمد

شرى وخليل رياض دقيق وعلى حسين فرن وغالب سليم بيضون ونبيه محمد بروبع والطفل حسين محمود عباس ورضا سعد .وفى ساعات بعد الظهر زحف الأهالى فى اتجاه قرى (كونين ورشاف ومحبيب وصف الهوا) وسط احتفالات بالغة الحفاوة من الأهالى الذين وصلوا بالسيارات وسيرا ، على رغم القصف الذى استهدف محيط هذه المناطق ، ودارت اشتباكات بين عناصر من المقاومة الإسلامية وعناصر من "الجنوبى" على مدخل كونين التى استهدفت أيضاً بالقذائف الصاروخية وبالرشاشات الثقيلة مما دفع الأهالى الى الاختباء فى المنازل ، وفيما أعلن " حزب الله " فى بيان انه بناء على قراره وجوب محاكمة كل المتعاملين مع العدو الإسرائيلى سلم الحزب مديرية المخابرات فى الجيش اللبنانى دفعة أولى مؤلفة من ١٢ عميلاً استسلموا له خلال الأيام الأخيرة ، وأفاد ان نحو مئة من عناصر الجنوبى استسلموا لمقاتليه فى القرى التى تحررت .

يوم الثلاثاء ٢٠٠٠/٥/٢٣ :

تقدم مقاتلو حزب الله نحو القرى المحررة بجنوب لبنان لليوم الثانى على التوالى بعد انسحاب الجيش الإسرائيلى والميليشيا العميلة منها ، وذكر مراسل وكالة الأنباء الفرنسية ان مئات من الأهالى دخلوا صباحاً برفقة مقاتلين من المقاومة الإسلامية اللبنانية (حزب الله) بلدة الناقورة حيث مقر قيادة قوات الطوارىء الدولية التابعة للأمم المتحدة ، وذلك بعد انسحاب ميليشيا جيش لبنان الجنوبى التابعة للاحتلال من عدد من قرى القطاع الغربى المحتل ، وقد أغلقت قوة الطوارىء الدولية مقرها فى البلدة وقطعت الدخول اليه بإحدى الآليات ومنعت الصحفيين والمصورين من الاقتراب ، وأمام موقع "ميليشيا لحد" فى الناقورة الواقعة على الحدود الدولية بين لبنان وإسرائيل ، ترك عناصر الميليشيات عشرات الآليات وعدداً من الشاحنات العسكرية كان مقاتلون من حزب الله ومن حركة أمل يعملون على إفراغها من الذخيرة تمهيداً لنقلها ، كما دخل الأهالى قرى البياضة وطير حرفا وشمع المحيطة بالناقورة بعد أن اجتازوا

بالسيارات معبر الحمرا ، وباتت قرى القطاع الغربي المحتل معزولة عن منطقة مرجعيون حيث مقر قيادة ميليشيا لحد والخيام المجاورة حيث معتقل الخيام ومنطقة حاصبيا الدرزية فى القطاع الشرقى ، وذلك بعد ان انسحبت ميليشيا العملاء من كامل القطاع الأوسط ، وبعد ان دخلت المقاومة أكثر من عشرين قرية أصبح حزب الله يسيطر على أكثر من نصف المنطقة المحتلة حسبما أكدت وكالة رويتر للأنباء ، وقال الشهود ان قوات المقاومة اتخذت مواقع لها داخل قرى بيت ياحون وكونين وعيناتا وبنت جبيل ورفعوا أعلام حزب الله ولبنان وقد اصطف سكان القرى المجاورة فى الشوارع لاستقبال رجال المقاومة الإسلامية اللبنانية رافعين أيديهم بعلامات النصر ، وأخذوا يلقون على المقاومين حبات الأرز استبشاراً بقدومهم ، وذكر الشهود ان رجال المقاومة تقدموا صوب القرى فور انسحاب القوات الإسرائيلية والميليشيا العميلة لها فى الجنوب اللبنانى ، وأعلن جيش الاحتلال ان قواته انسحبت من مواقع بجنوب لبنان وعبرت الى داخل إسرائيل تحت جنح الظلام فى الساعات الأولى من صباح ٢٠٠٠/٥/٢٣ ومعها دباباتها وأسلحتها الثقيلة ، واعترف الجيش بانسحابه من قرية بنت جبيل فى القطاع الغربى من الجنوب اللبنانى انسحاباً غير منظم ، وقامت قوات الاحتلال بإعادة انتشار قواتها فى المنطقة الأمنية طبقاً للموقف الجديد للقطاع وذكر الشهود ان المقاومة اللبنانية (حزب الله) سيطرت على عدة قرى انسحبت منها إسرائيل وميليشيا لحد العميلة ، وقالت المصادر الأمنية ان نحو ١٢٠ فرداً من الميليشيا العميلة سلموا أنفسهم الى الجيش اللبنانى بالمنطقة ولقد استقبل سكان القرى فى القطاع الأوسط قوات المقاومة بالأحضان أثناء تقدمهم على مدى اليومين الماضيين ، وشق مقاتلو حزب الله المنطقة المحتلة بجنوب لبنان الى شطرين ، ولاحت فى الأفق يوم ٢٠٠٠/٥/٢٣ بوادر أعمال عنف دامية حين انسحبت ميليشيا لحد من جبشيت وقصفت عدداً من القرى وفتحت نيران أسلحتها الآلية مما أدى الى مقتل ستة مدنيين واصابة ٢٠ ، ورغم ذلك أحجم حزب الله عن تصعيد الموقف ولم يشن هجمات صاروخية

على إسرائيل ومع تنامى أعداد ميليشيا لحد العميلة التى انشقت وسلمت نفسها ووصل عددها الى نحو ألف شخص خلال أيار / مايو ، ومع تقدم حزب الله الى مزيد من المواقع قالت مصادر سياسية فى إسرائيل ان هناك تسريعاً واضحاً للانسحاب الذى كان مقرراً فى السابع من يونيو ، وقال جندى إسرائيلى منسحب لراديو إسرائيل (فى النهاية أنزلنا العلم على عجل ورددنا النشيد القومى الإسرائيلى حتى لا يطغى على مشاعرنا ذل الانسحاب) ولجأت إسرائيل مساء ٢٠٠٠/٥/٢٣ الى اخلاء مواقع لها مستعينة بقصف الطائرات والمدفعية لتأمين خروج جنودها من هذه المواقع التى باتت محاصرة بطرق وقرى يسيطر عليها رجال المقاومة اللبنانية ، وأكدت مصادر أمنية ان القوات الإسرائيلية اضطرت لاستخدام غطاء جوى ومدفعى مكثف لتأمين انسحاب جنود فى " الريحان " و" تلة زغلة " ، وقال المراسل العسكرى للتليفزيون الإسرائيلى – فى تقرير له مساء ٢٠٠٠/٥/٢٣ – ان انسحاب القوات الإسرائيلية قد تم عملياً وان المواقع المتبقية لا تتجاوز ثمانية ولا يلزم لاخلائها سوى بضع ساعات ، وأكدت مصادر أمنية فى بيروت لدى حلول مساء ٢٠٠٠/٥/٢٣ ان قلعة الشقيف من بين المواقع التى بقيت إسرائيل تحتفظ بها ، وبشأن ميليشيا لحد قال تقرير للتليفزيون الإسرائيلى ان نحو ألفين من عناصرها وعائلاتهم عبروا الحدود الى داخل إسرائيل بينما قدرت مصادر مدينة صيدا اللبنانية عدد من سلموا أنفسهم من العناصر المسلحة التابعة للحد بنحو ألف عنصر ، ومن جانبه أعلن ايهود باراك رئيس وزراء إسرائيل آنذاك ان الجيش الإسرائيلى سوف يستكمل الانسحاب فى غضون الأيام القليلة القادمة بعد احتلال دام أكثر من ٢٢ عاماً ، وكان مجلس الوزراء المصغر قد خول باراك ترتيب عملية الانسحاب من جنوب لبنان ، فى حين أكد ديفيد ليفى وزير الخارجية الإسرائيلى آنذاك ان الانسحاب من جنوب لبنان يعيد زمام المبادرة الى بلاده ، وانه اذا تعرضت إسرائيل للخطر فستعمل على الدفاع عن نفسها مهدداً بضرب أى مكان أو قوة تعمل على تعريض أمن إسرائيل للخطر على حد تعبيره ، وقال فى تصريحات

لراديو إسرائيل انه " من المقرر إرسال قوات دولية الى جنوب لبنان خلال ساعات لكن إسرائيل ليست بحاجة الى هذه القوات " .

وقام حزب الله بتنفيذ أربع هجمات صباح ٢٠٠٠/٥/٢٣ على مواقع للجيش الإسرائيلى وميليشيا جيش لبنان الجنوبى التابعة له فى القطاع الشرقى من المنطقة المحتلة التى لم تشهد حتى ساعتها انسحاباً لميليشيا الجنوبى ، وأكد الحزب فى بيان له ان مجموعاته هاجمت بالأسلحة مواقع ميليشيا الجنوبى فى زامريا وعين قنيا وزعلة محققة اصابات مباشرة .

يوم الأربعاء ٢٤ أيار (مايو) ٢٠٠٠ : انسحب آخر جندى إسرائيلى من أرض لبنان ، لينتهى احتلال دام ٢٢ عاماً .

فى الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر ٢٤ أيار/مايو ٢٠٠٠ ، استعادت الشرعية اللبنانية الجنوب اللبنانى " الذى صلب على خشبة الصراع العربى – الإسرائيلى منذ عام ١٩٦٩ " حين زاره رئيس الجمهورية اميل لحود ، هكذا كانت عناوين صحف الصباح فى لبنان المحرر وتفاصيلها كالتالى :

" آخر من رحل من جنود الاحتلال قائد وحدة الارتباط فى المنطقة الحدودية (سابقاً) الجنرال بنى جينز فى سيارة ترافقه دباباتان وجرافة قطعت الطريق مع لبنان ، بعد اغلاق نقطة العبور عند بوابة فاطمة المؤدية الى مستعمرة المطلة ، ومع حلول ساعات الفجر الأولى كانت عشرات المدرعات الإسرائيلية تعبر الحدود ناقلة الجنود من المواقع المحاذية لها ، وفى المقابل واصل اللبنانيون الاحتفال بإقامة أعراس النصر احتفاء بالتحرير ، فى مختلف قطاعات الجنوب والبقاع الغربى ، ودخلت قوافل المهجرين مرجعيون وحاصبيا والعديسة والريحان والعبثية والعرقوب والخيام التى احتفل سكانها وأهالى المنطقة الذين وفدوا اليها بتحريرها ومشاهدة المعتقل الذى ارتبط باسمها ، وتوجت العودة بجولة للرئيس لحود شملت قرى علما الشعب ورميش وعين إبل وبنت جبيل ، عابرا خلالها فى محاذاة الشريط الشائك بين لبنان وإسرائيل ، ووقف

خلال جولته على أوضاع هذه البلدات لمشاركة اللبنانيين فرحتهم بالتحرير ، واتصل بالوزارات والادارات المعنية لتسريع الخدمات والمتطلبات المعيشية ، وتحدث الى الأهالى مثمنا أجواء الوحدة الوطنية التى فوتت على العدو فرصة إيقاع الفتنة ، داعياً الى وعى متطلبات المرحلة والتحلى بروح المسئولية على المستويات كافة ، حماية لهذا الانتصار ، ونوه ببطولات المقاومة فى التحرير ، وقد حققت النصر تلو النصر ، موحدة مع الشعب والجيش والدولة ومساندة سوريه ، ووجه دعوة الى كل أبناء القرى الذين غادروها للعودة اليها والى الدولة والشرعية والتقى لحود الأهالى فى القرى التى زارها فى جو عاطفى وحاشد لم تشهده منذ الاستقلال ونثر عليه الرز وقدمت اليه باقات زهر وتحدث الى الأهالى الذين احتشدوا فى كنيسة رميش قائلاً : [نعتبر ان رميش ، كما بعلبك وكل لبنان ، اطمئنكم الى انكم أصبحتم فى كنف الشرعية] .

فى هذه الأثناء واصل مجاهدو " حزب الله " دخول مواقع الإسرائيليين وجيش العملاء السابقة ، لإخراج الغنائم التى خلفوها وراءهم ، وسحبوا عشرات الدبابات والملالات والسيارات العسكرية وكميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة والعتاد والمدافع الثقيلة التى أتت من المناطق التى أخليت ليل أول من ٢٠٠٠/٥/٢٣م خصوصاً فى ثكنة مرجعيون وتل النحاس على الحدود اللبنانية – الإسرائيلية (وبعد أسابيع كانت هذه الغنائم تسير فى مواكب فى جميع أنحاء لبنان فرحة بالنصر) وفجر المقاومون ظهر ٢٠٠٠/٥/٢٤ مواقع عدة كانت لاتزال سالمة ، وكانت قوات الاحتلال فجرت ما كان تبقى لها من مواقع فى الشريفى والزفاتة والعزية وبرج الملوك والمثلث والشقيف والدبشة ، ولاحق المقاومون القوات الإسرائيلية خلال انسحابها ليلاً بالأسلحة الصاروخية وقذائف المدفعية ، وهاجموا فى آخر عملياتهم الآليات الإسرائيلية أثناء فرارها منتصف الليل من موقعى الدبشة وقلعة الشقيف ، وأعلنت الاذاعة الإسرائيلية فجر ٢٠٠٠/٥/٢٤ ان الجيش الإسرائيلى انهى انسحابه من جنوب لبنان ، وقالت ان كل المواقع اخليت وتم تفجير بعض التحصينات قبل الانسحاب ، وذكرت وكالة فرانس برس ان الجيش

الإسرائيلى أغلق نقطة العبور العسكرية عند بوابة فاطمة السابعة صباح الأربعاء ٢٠٠٠/٥/٢٤ إيذاناً باستكمال الانسحاب .

وارتفع عدد أفراد الجنوبى الذين سلموا أنفسهم الى الجيش اللبنانى والمقاومة الى نحو ١٦٠٠ من أصل ما يقارب ٢٥٠٠ فى مرجعيون ، (فى حضور مطران الروم الأرثوذكس الياس كفورى الذى أسف للجوء عناصر منهم الى إسرائيل) و٤٥ من الفارين فى قضاء حاصبيا ، وعبر آخرون الجدار الى الداخل الإسرائيلى مع عائلاتهم، وقالت الاذاعة الإسرائيلية ان عدد الذين لجأوا الى إسرائيل نحو خمسة آلاف شخص توزعوا بين مستوطنة جيشر فى الجليل الغربى ومدينة نتانيا ، فيما أقامت إسرائيل مخيماً جديداً لعدد من أفراد الجنوبى عند الطرف الشمالى الشرقى لبحيرة طبريا ، وأبلغ عناصر من الجنوبى من منطقة الناقورة ، أقرباء لهم هاتفياً ان ما دفعهم الى الهرب الى إسرائيل الاشاعات التى بثت عن ان حزب الله دخل البياضة وقرى اخرى وبدأ يذبح المتعاملين ، وهو ما لم يحدث مطلقاً ، وبعد ساعات قليلة اكتمل تحرير الجنوب ، وارتفعت اعلام حزب الله والقوى المقاومة الاخرى ، وعلم لبنان عاليا فوق أرضه المحررة ، ليعلن انتهاء ٢٢ عاماً من الاحتلال الدامى للجنوب الصامد .

******

لحد : كل شىء انتهى ولا تنادونى " جنرال " بعد الآن !!

قال قائد " جيش لبنان الجنوبى " الموالى لإسرائيل انطوان لحد فى حديث إلى صحيفة " يديعوت أحرونوت " إن رئيس الحكومة الإسرائيلية ايهود باراك غشنا وهو الآن يتجنبنى " .

وتحدثت الصحيفة عن غضب لحد مما سماه "خدعة باراك" ونقلت عنه قوله: " قلتم لنا دائماً إننا حلفاؤكم ، لكننى فجأة أدركت أن إسرائيل لا تبحث إلا عن نفسها ، سافرت إلى باريس قبل أسبوعين وقلت مسبقاً كم من الوقت سأغيب. كنت أريد متابعة قضية رجالى وموضوع قوات الطوارىء الدولية مع اقتراب موعد الانسحاب ، وكنت أتصل

كل بضع ساعات ، وكانوا يردون : الأمور تحت السيطرة وكل شيء على ما يـرام ، وإلى أن غادرت باريس لم يكن لدى أية فكرة أن الجيش الإسرائيلى بـدأ انسحابه ، وحتى حين اتصلت من مطار باريس قالوا لى : كل شيء على ما يرام ، فقط عندما استقللت الطائرة فهمت أن كل شيء انهار ، إن خبـراءكم محرجـون مـن انهيـار (الجنوبى) ، وقد سمعتهم يقولون إن (الجنوبى) يمكنه الصمود أكثر ، إلا أن أتباعى ما إن بلغهم ، وسط الدهشة ، تفكيك موقع إثر موقع ، حتى بدأت شكوك كبيرة تنتشر ، لم تكن هناك أى خطة منظمة ، ولم يتحدث معهم أحد، ولم يكلف أحد نفسه عناء إبلاغهم مسبقاً ، وأنا كنت بعيداً ، وكان على كل واحد أن يتدبر أمر عائلته ونفسه ، لا شـيء عندى ضدهم ، ماذا كان يمكن أن تفعل لو كنت مكانهم ، واكتشفت أن ثمة من خـان الوعد ؟ لقد أحس جنودى أنهم لم يبق لهم من يثقون به فهربوا " .

وتابع لحد قائلاً : " إن حكومتك وجيشك ضدى ، لقد تركتم الشريط الحدودى من دون وضعى فى الأجواء وتركتمونا خلفكم مثل الحيوانات ، الناس تركوا أقاربهم ومنازلهم وأرضهم الزراعية وممتلكاتهم وحياتهم ، وأصعب مشاهد انحفرت فـى ذهنـى منـذ عودتى ، تلك التى رأيتها على تليفزيون لبنانى عن أطفال يبكون على معبر الحدود ، وعلى الفور سمعت وزراءكم ومسؤولى الجيش يقولون إن ما حصل هـو السـيناريو الممكن ، ويتفاخر باراك بقوله إن الوضع كان يمكن أن يكون أسوأ بكثير ، فإذا كـان الأمر كذلك لماذا لم تحذرونا ؟ لقد سمعت رئيس وحدة الارتباط فى جنوب لبنان بنـى غينز يقول إن الأمر كان بمثابة مأساة ، وأفكر ماذا يمكننى القـول لأتبـاعى عنـدما أزورهم؟ متى سيتم توزيع العائلات والأطفال على الفنادق ؟ آسف .. عن أى فنـادق أتحدث ؟ إنكم أحضرتموهم إلى مخيمات " .

وتابع " إنكم تثيرون ضجة كبيرة فى الإعلام عن أنكم تعطون أتباعى طعاماً وشـراباً وبطانيات ، لكن هذا الأمر هو من البديهيات الإنسانية ، ألا تفهمون أن هذه العـائلات لن ترى أحباءها بعد اليوم ؟ وأن منازلها حطمت ونهبت ؟ هى المأساة التى عليكم دفع

ثمنها ، الأمر سيرتد عليكم بالتأكيد لأن الطفلة الصغيرة التي تنتحب على الحدود لن تنسى " .

وقال لحد " قالوا لي إنني ملوم لمغادرتي إلى باريس من أجل الترفيه وأنني لم أستعجل العودة ، وأقول لك : هؤلاء الذين تحدثوا معي في باريس ، ولن أذكر أسماء ، وعدوني بأنه ما من تغيير سيحصل في خطة الانسحاب، وإن كل شيء تحت السيطرة، لقد خدعوني ، الآن أنا غاضب ومصاب بخيبة أمل ، كل شيء انتهى ، وبما يعنيني لا تنادوني " الجنرال " بعد الآن ، أنا الآن رجل من دون خطة ومهمش ، لقد أعطاني باراك موعداً للقائي قبل ليلتين ولم يظهر ، لكنه يعرف كيف يتصل بي .. بالهاتف " .

ملحقات الفصل

ملحق رقم (١)

أبرز الأحداث والعمليات العسكرية التي قامت بها المقاومة الإسلامية (حزب الله) منذ عام ١٩٨٢ وحتى التحرير ٢٠٠٠/٥/٢٥

العام	الشهر	الأحداث
١٩٨٢	حزيران/ يونيه	الاجتياح الإسرائيلي للبنان ، ووصول الحرس الثوري الإيراني الى لبنان وتشكيل خلايا المقاومة الإسلامية .
	تموز / يوليو	البدء في تشكيل الاطار السياسي لحزب الله
	آب / أغسطس	مواجهات شعبية مع قوات الاحتلال في بلدة جبشيت
	تشرين الثاني/ نوفمبر	الاستشهادي الأول أحمد قصير يفجر مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي في صور
١٩٨٣	كانون الثاني / يناير	اطلاق أول دفعة من صواريخ الكاتيوشا ضد المستوطنات الشمالية وأسر أول جندي إسرائيل على يد المقاومة الإسلامية
	آذار / مارس	اعتقال الشيخ الشهيد راغب حرب قائد الانتفاضة الشعبية في الجنوب
	تموز / يوليو	الحكومة الإسرائيلية تقرر الانسحاب من الجبل الى حدود نهر الأولي
	تشرين الثاني / نوفمبر	بدء الغارات الجوية الإسرائيلية على قواعد حزب الله في البقاع
١٩٨٤	شباط / فبراير	اغتيال الشيخ راغب حرب على يد القوات الإسرائيلية
	آذار / مارس	الغاء اتفاقية ١٠ آيار من جانب لبنان
	حزيران/يونيو	الانسحاب الإسرائيلي من المنطقة الجنوبية وإنشاء الحزام الأمني
١٩٨٦	شباط / فبراير	حزب الله يعلن برنامجه السياسي (الرسالة

		المفتوحة) من بلدة جبشيت
		فشل الاجتياح الإسرائيلى الذى امتد ستة أيام لاستعادة الجنديين الأسيرين
١٩٨٧	تشرين الأول/أكتوبر	إسقاط طائرة حربية فوق الجنوب وأسر مساعد الطيار (رون أراد)
		تنفيذ أوسع عمليات اقتحام لمواقع ميليشيات لحد
١٩٨٨	آيار / مايو	مواجهة برية بين مقاتلى حزب الله والجيش الإسرائيلى فى البقاع الغربى
١٩٨٩	تموز / يوليو	اختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد على يد القوات الإسرائيلية
١٩٩٢	شباط / فبراير	– اغتيال الأمين العام لحزب الله السيد عباس الموسوى – انتخاب السيد حسن نصر الله أميناً عاماً للحزب – حزب الله يستخدم الكاتيوشا لحماية المدنيين اللبنانيين
١٩٩٣	تموز / يوليو	الحرب السابعة (حرب الأيام السبعة)
١٩٩٤	تشرين الأول/أكتوبر	اقتحام موقع الدبشة ودخول الكاميرا كسلاح فعال فى الحرب الاعلامية والنفسية
	آيار / مايو	اختطاف الحاج مصطفى الديرانى من بلدته قصر نبا فى البقاع
١٩٩٦	نيسان / أبريل	الحرب الثامنة (عناقيد الغضب)
١٩٩٧	شباط / فبراير	مقتل ٧٣ جنديَ إسرائيليَ فى اصطدام مروحيتين نقل للجنود
	ايلول / سبتمبر	عملية أنصارية وقتل وحدة النخبة على يد مقاتلى حزب الله
١٩٩٩	شباط / فبراير	تفجير موكب قائد الجيش الإسرائيلى فى لبنان ايريز غيرشتاين وقتله

٢٠٠٠	شباط / فبراير	- انسحاب اللحديين من جزين وتحريرها تفجير مقر اقامة الرجل الثانى فى ميليشيات لحد عقل هاشم
	مايو / آيار	بدء حرب التحرير والانسحاب الإسرائيلى وتحرير الجنوب

ملحق رقم (٢)

عمليات المقاومة الإسلامية من ١٩٨٢ : ٢٠٠٠ حزب الله

نوع العملية	العدد الإجمالى
عمليات استشهادية	١٢
تفجير عبوات	٨٥٨
كمائن	٥٥٤
مواجهات	٢٥٨
اقتحام	٦٦
قنص	٦٨
قصف مدفعى	٣٥١٤
قصف صاروخى	٥٧١
هجوم نارى	٢٥٨
صواريخ موجهة	٣٨
قصف مستوطنات	٤٧٦
أسر	١٢
قتلى إسرائيليين ولحديين	٢٢٠٠
جرحى إسرائيليين ولحديين	٧٠٠
إجمالى الأراضى المحتلة التى حررت	١١٠٠ كم٢

ملحق رقم (٣)

استطلاع "مركز بيروت" حول رأى اللبنانيين فى المقاومة

٧٠% مع استمرار المقاومة و٦٦% مع الأسر لتحرير سمير القنطار

أجرى "مركز بيروت للأبحاث والمعلومات" بين الواحد والثلاثين من شهر كانون الثاني/يناير ٢٠٠٤ والرابع من شباط/فبراير ٢٠٠٤، استطلاعاً للرأي حول موقف اللبنانيين من المقاومة بعد عملية إطلاق سراح الأسرى من السجون الإسرائيلية.

شمل الاستطلاع ١٢٠٠ مواطن موزعين على كافة الاراضي اللبنانية. وقد توزع فريق العمل مع الاستمارات على ٣٤٢ مدينة وبلدة في كل الأقضية اللبنانية. وتم اختيار العينة نسبياً بين المناطق والطوائف كما هو معتمد في آخر نسخة رسمية من لوائح الشطب. وقد جرى اعتماد تقنية الاختيار العشوائي البسيط الطبقي النسبي (أي عدم تقسيم الفئات من حيث تركيبتها الاجتماعية)، أما أهمية هذه العينة فتكمن في مراعاتها لتوزع الناخبين لجهة أماكن إقامتهم في المناطق اللبنانية كافة، وعلى قاعدة المقابلة المباشرة.وتمحور استطلاع الرأي حول خمسة أسئلة:

١ – بعد نجاح "حزب الله" في تحرير الأسرى والمعتقلين هل تؤيد استمرار المقاومة لتحرير مزارع شبعا؟

٢ – هل كنت في السابق من المؤيدين لأعمال المقاومة؟

٣ – اذا لم تفلح الجهود التفاوضية بين حزب الله وإسرائيل لإطلاق سراح سمير القنطار، هل تؤيد قيام حزب الله بأسر جنود إسرائيليين من أجل إطلاق سراحه؟

٤ – إذا نفذ الأميركيون تهديداتهم بمعاقبة لبنان اقتصادياً وسياسياً في حال عدم توقيف المقاومة، فهل تؤيد رضوخ الحكومة اللبنانية للمطالب الأميركية؟

٥ – ما هي برأيك أفضل الطرق المؤدية لإنشاء دولة فلسطينية؟

السؤال الأول: بعد نجاح حزب الله في تحرير الأسرى والمعتقلين هل تؤيد إستمرار المقاومة لتحرير مزارع شبعا. (نعم / كلا / لا رأي).

أيّدت الأكثرية الساحقة من المستطلعين (نحو ٧٠) استمرار المقاومة في مزارع شبعا، بينما كان موقف ٢٣% من اللبنانيين ضد استمرار المقاومة في هذه المنطقة، وآثر ٧% من المستطلعين عدم إبداء رأيهم في الموضوع.

السؤال الثاني: هل كنت في السابق من المؤيدين لأعمال المقاومة؟ (نعم / كلا)

بعد ربط إجابات السؤال الثاني مع إجابات السؤال الأول، ظهر تغيُّر في المواقف السابقة عن المواقف الحالية عند كل الطوائف، حيث لُوحظ أن نسب التأييد قد تغيرَّت بين الزيادة والنقصان لدى كل طائفة، ونعني بالزيادة: اؤلئك الذين لم يكونوا مؤيدين للمقاومة قبل تحرير الأسرى، ثم عادوا وأيّدوها بعد تحريرهم. أمّا النقصان فيعني اولئك الذين كانوا مؤيدين للمقاومة قبل تحرير الأسرى، ثم ترجعوا عن تأييدهم لها بعد تحرير الاسرى. وبتعبيرٍ آخر فالزيادة تعني المؤيدين الجدد للمقاومة، بينما النقصان يعني تغير مواقف المؤيدين السابقين للمقاومة.

فعند الطائفة الأرمنية ازدادت نسبة المؤيدين للمقاومة بنحو ١٨% بعد عملية تحرير الاسرى، ونقصت بنسبة ٦% بين الشريحة التي كانت مؤيدة للمقاومة قبل عملية تحرير الاسرى، وعند الدروز بلغت نسبة المؤيدين الجدد ٩% بينما خسرت المقاومة ٦% من مؤيديها السابقين. وعند الأرثوذكس بلغت الزيادة ١٥% والنقصان ٢٠%، وعند الكاثوليك بلغت الزيادة ١٧% والنقصان ١٨%، وأما عند السنة فقد بلغت الزيادة ١٤% والنقصان ٥%، وعند الموارنة بلغت نسبة المؤيدين الجدد ١٨% بينما فقدت المقاومة ١٦% من مؤيديها السابقين، اما عند الشيعة فبلغت الزيادة نحو ١١%، وفقدت اقل من واحد بالمئة من مؤيديها السابقين.

وفي المحصلة النهائية للتغيُّر والتبدل الذى حصل داخل شرائح مؤيدي المقاومة، فقد بلغ المجموع العام للمؤيدين الجدد ١٤%، بينما خسرت المقاومة ٨% من مؤيديها السابقين، لنصل الى نتيجة مفادها حصول ارتفاع عام بنسبة مؤيدي المقاومة بنحو ٦ بالمئة.ويبدو أن هذا التقلب في مواقف اللبنانيين، التنقل بين خانتي التأييد والرفض،

مرده إلى تبدّل المعطيات الواقعية: فالذين لم يكونوا مع المقاومة في السابق وأصبحوا من مؤيديها بعد تحرير الأسرى، تكوّنت لديهم قناعة بأن لغة القـوة ضـد إسـرائيل مجدية. وأما الذين بدّلوا موقفهم وسحبوا تأييدهم للمقاومة، فاولئك هم الذين رأوا بأنه لا حاجة بعد تحرير الأسرى لاستمرار المقاومة، وخصوصاً ان هناك التباساً حول لبنانية مزارع شبعا (٥٨% من الموارنة ضد استمرار المقاومة لتحرير مزارع شبعا).

<u>السؤال الثالث:</u> إذا لم تفلح الجهود التفاوضية بين حزب الله وإسرائيل لإطلاق سراح سمير القنطار، هل تؤيد قيام حزب الله بأسر جنود إسـرائيليين مـن أجـل إطـلاق سراحه؟ (نعم / كلا / لا رأي)

أظهر الاستطلاع أن نحو ٦٦% من المستطلعين يؤيدون أسر جنود إسرائيليين لمبـادلتهم بالأسير اللبناني سمير القنطار، وأن نحو ٢٠% هم ضد خيار أسر جنود اسرئيليين مـن جديد، وفضّل نحو ١٤% عدم الإجابة.وقد برزت في الإجابة على هذا السؤال، تدني نسبة التأييد عند معظم الطوائف لقيام حزب الله بأسر جنود إسرائيليين، وربما كان مردّ ذلـك الخشية من أن ينفذ المسؤولون الإسرائيليون تهديداتهم بالقيام بردّ قاس جداً إذا مـا نفّـذ حزب الله وعده بأسر جنود إسرائيليين، فيما لو فشلت المرحلة الثانية مـن المفاوضـات بإطلاق الأسير اللبناني سمير القنطار.

<u>السؤال الرابع:</u> إذا نفّذ الأميركيون تهديداتهم بمعاقبة لبنان اقتصادياً وسياسياً في حال عدم توقف المقاومة، فهل تؤيد رضوخ الحكومة اللبنانية للمطالـب الأميركيـة؟ (لا أوافق / أوافق مع التحفظ / أوافق / لا رأي).

رفضت نسبة ٦٨% من المستطلعين رضوخ الحكومة اللبنانية للمطالب الأميركية، وقد أيد الخضوع لهذه المطالب الأميركية نحو ٩% فقط ، وأبدى ١٣% موافقتهم على هذا الرضوخ ولكن مع التحفظ، ورفض ١٠% من المستطلعين إبداء رأيهـم حـول هـذا السؤال.

ان اجوبة المستطلعين حول السؤال الرابع، اظهرت تقلبات على مستوى الاجابة بحسب الطوائف، كما انسحبت هذه التقلبات على معظم المناطق: فقد تراجعت نسبة تأييد الطوائف الإسلامية للمقاومة، اذ ان التأييد السني تراجع بنحو ١٧%، وعند الطائفة الشيعية بنحو ١١%، أما الطائفة الدرزية فبلغ التراجع لديها نحو ٧%. أما لدى الطوائف المسيحية فظهر العكس: فعند الموارنة ارتفعت نسبة الرافضين لرضوخ الحكومة اللبنانية للمطالب الأميركية إلى نحو ٤٥% مقابل ٣٠% بالنسبة للسؤال الأول المتعلق باستمرار المقاومة، و٢٣% بالنسبة للموافقين على أسر جنود إسرائيليين. وكذلك الأمر بالنسبة للطائفة الكاثوليكية حيث ازدادت نسبة وقوفها إلى جانب المقاومة بنحو ١٥% نقطة،عما هي عليه الحال بالنسبة للسؤال الأول.

وفي الواقع إن ارتفاع نسبة التأييد عند المسيحيين وانخفاضها عند المسلمين، قد يكون لهما مبرراتهما المنطقية، فعند المسلمين الذين وصلت نسبة تأييدهم للمقاومة إلى الذروة (٩٧% عند الشيعة)، تصبح إمكانية انخفاض هذا التأييد واردة جداً عند كل منعطف صعب. أما عند المسيحيين الذين تدنت نسب تأييدهم للمقاومة في السؤالين الاول والثالث (٣٠% و ٢٣% عند الموارنة)، وارتفعت نسبة رفضهم لخضوع الدولة اللبنانية للإملاءات الخارجية، قد يكون سبب ذلك هو شعورهم العام الرافض لأية هيمنة خارجية على الدولة اللبنانية.

<u>السؤال الخامس</u>: ما هو برأيك أفضل الطرق المؤدية لإنشاء دولة فلسطينية؟ (المفاوضات السياسية / المقاومة / كلاهما / لا رأي).

في هذا السؤال ظهر تقارب في النسب بين مختلف الأجوبة، فقد أيد خيار المقاومة نحو ٣٠% من المستطلعين، وحصل على ذات النسبة خيار المفاوضات السياسية، ورأى نحو ٢٦% أن الخيارين معاً أنجع، ولم يبدِ ١٤% رأيهم حول هذا السؤال.

وبدت نسبة الـ٣٠% الداعية لاعتماد خيار المقاومة من أجل إلزام إسرائيل بالقبول بدولة فلسطينية، هي أقل بكثير من نسبة الذين يرون أن المقاومة هي الكفيلة بتحرير

مزارع شبعا (٧٠%). ومردُّ ذلك إلى أن معظم اللبنانيين يشاهدون يومياً معاناة الشعب الفلسطيني، مع تخلي كل الدول العربية عن تقديم الدعم العسكري للفلسطينيين يضاف الى ذلك تغير قواعد اللعبة على ارض متنازع عليها. كما أن الشروط الموضوعية لنجاح المقاومة غير متوفرة في فلسطين كما كانت متوفرة في لبنان، لذلك تعادلت نسبة المطالبين بخيار المفاوضات السياسية لحل القضية الفلسطينية مع النسبة المنادية بالمقاومة المسلحة كخيارٍ وحيد.

الخلفيات المؤثرة في تكوين آراء المستطلعين

في البعد الوطني: تتفق جميع الطوائف على تأييد المقاومة انطلاقاً من البعد الوطني، خلافاً لبقية الدوافع التي تقوى وتضعف بين طائفةٍ وأخرى.

فالموارنة مثلاً انطلقوا في تأييدهم للمقاومة من هذا البعد فقط، ذلك أن الأبعاد الأخرى (القومي، الديني، الانتمائي) لا تعني الأكثرية منهم.

أما السبب المفترض في انخفاض نسبة تأييد الموارنة لاستمرار العمل المقاوم فهو:

١ – التباس حول لبنانية مزارع شبعا .

٢ – الموارنة بتركيبتهم الاجتماعية والسياسية يخشون ان تلجأ مقاومة مسلحة الى الاستقواء الداخلي وتقوم على الربط بين الوطني والقومي والديني في الصراع مع إسرائيل.

لكن الاستطلاع أظهر ايجابية في التحول عند قسم كبير من الموارنة، وهو اعتبار حزب الله حالة وطنية.

وعند المسلمين السنة والدروز، فنجد أنه إضافةً إلى البعدين الأولين، برز البعد الثالث الديني الذي يدعو إلى الجهاد.

ويتمايز الشيعة عن بقية أبناء الطوائف في تأييدهم للمقاومة، بالبعد الرابع وهو البعد الانتمائي، حيث تنتمي معظم الفصائل المقاومة إلى الطائفة الشيعية.

الفصل الخامس

دلالات استشهاد هادى حسن نصر الله

فى الحادى عشر من سبتمبر/أيلول ٢٠٠١م وقعت أحداث أمريكا التى هزت العالم ولاتزال وفى الثانى عشر من سبتمبر (أيلول) عام ١٩٩٧ ، استشهد (هادى) ابن الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله ، وبين الحدثين فوارق عديدة كما أن لاستحضارهما دلالات عدة فبالنسبة (لهادى نصر الله) فانه حين بلغ والده نبأ استشهاده وكان فى تجمع لأسر الشهداء من مجاهدى المقاومة فى لبنان قال نصاً : " ولدى الشهيد اختار هذا الطريق بملء ارادته ككل شهداء المقاومة ، واذا كان لى أو لأمه أو لأبى أى شهيد أو أمه فضل ، فهو أننا سهلنا ولم نمنع ولم نقطع الطريق على هذا الشاب أو ذلك ليمضى الى حيث يحب ويختار الى حيث يعتقد .. لقد ذهب اليهم ولم يأتوا اليه لقد ذهب بقدم وبندقية وإرادة وهذا هو والفارق هذا ليس ولا يمكن أن يكون نصراً للعدو ، انه نصر لحزب الله وعز ، ان شهادة الشهيد هادى عنوان يؤكد اننا فى قيادة حزب الله لا نوفر أولادنا للمستقبل بل نفخر بهم عندما يذهبون الى الخطوط الأمامية ونرفع رؤوسنا عندما يسقطون شهداء] .

• • •

بهذه الروح ، والصلابة ، والايمان استقبل القائد أصعب نبأ يمكن لأب ان يستقبله ، ومع ذلك وقف شامخاً ، صابراً ، محتسباً ، بل مبتسماً ابتسامة الحسين فى كربلاء.

* إننا ونحن نعيش منذ سنوات أجواء إرهاب ١١ سبتمبر (أيلول) الأمريكى ، نتذكر بالمقابل وبعد مرور عدة سنوات استشهاد (السيد هادى) ؛ ونحاول ان نقرأ فى الدلالات والمعانى وسط انتفاضة شعبية فلسطينية يراد وأدها ، وحكومات عربية عاجزة حتى عن حماية نفسها وأمنها القومى ، ووقاحة أمريكية تفرض نفسها على العالم بالقوة

ويستعصى علاجها الا بالمقاومة ، فى هذه الأجواء نتذكر ونسجل الدلالات ، ونحاول أن نقرأ المشهد وآفاقه المحتملة .

* * * *

فأولاً : فى عام ١٩٩٧ ، كانت المقاومة الإسلامية فى لبنان الجناح العسكرى لحزب الله ، تضرب وبقوة فى قلب العدو وتؤلمه بعمليات نوعية على درجة عالية من الدقة وكانت عملية أنصارية أرقى نموذج لهذا النوع من العمليات حين اصطاد مجاهدو المقاومة الإسلامية يوم ١٩٩٧/٩/٤ (قبل استشهاد هادى بأسبوع واحد) فرقة "الصفوة" فى الجيش الإسرائيلى فى كمين مسلح ببلدة أنصارية بالجنوب اللبنانى أوقع ١٥ قتيلاً من صفوة الصفوة بالجيش الصهيونى (ذكرت اذاعة جيش الاحتلال وقتها ان تكلفة اعداد وتدريب الجندى الواحد فى هذه الفرقة تصل الى ٦ ملايين دولار) ؛ فى هذا التوقيت تساءل المراقبون عن السر خلف هذا التقدم النوعى للمقاومة وقدرتها على اختراق مخابرات وتحصينات العدو ، وتسديد ضربات نوعية قاصمة له ؛ وهل تم ذلك بغير ابتلاء وتضحيات ؟ وكانت الاجابة فى لحظة استشهاد (هادى) بكل ما تحمله وما تكشفه من معان ودلالات ، وقدرة على التضحية ، فحزب ومقاومة يقدم أمينهما العام ابنه للشهادة طواعية ، حزب ومقاومة لا ينهزمان ، هو إذن حزب قادر على صناعة الانتصار ، والذى أتى بعد هذا الاستشهاد بثلاث سنوات فحسب ، وكان ثمرة طبيعية للتضحية والبذل من القائد قبل الجنود .

* * *

ثانياً : ولكن .. هل كان السيد حسن نصر الله عندما بلغه نبأ استشهاد ابنه (هادى) يقف مثل العديد من قادة أحزابنا (ولن نقول حكامنا) يُنظِّر ، ويتفلسف على شعبه ؟ الحقائق التاريخية تقول أن نبأ استشهاد (هادى) وصل فى ورقة صغيرة الى المنصة التى كان يتحدث منها السيد حسن نصر الله فى لقاء مع عوائل الشهداء ، ويحثهم فيه على الصبر والثبات ، وفجأة وبعد أن وصله النبأ ، ابتسم وتحدث كما لم يتحدث من

قبل مؤكداً على ثوابت الصراع ، وأبجدياته ، وتحدث عن النصر القادم ببركة دم الشهداء وحث عوائل الشهداء على الصبر ، والمجاهدين على المقاومة وفى هذا المعنى قال سماحته : [ولدى الشهيد اختار هذه الطريق بإرادته وأقول للعدو وللصديق لا يتصورن أحد ان هذا الشاب لأن والده الأمين العام ضغط عليه وبعث به الى الجهاد ، وان كانت هذه النقطة فى ذاتها قد تعتبر فى وجه من الوجوه شهادة جيدة ، هذا الشاب سار ككل شهداء المقاومة ومجاهديها الذين مازالوا اليوم على خطوط المواجهة ، ولعل بعضهم موجود فى عمق الشريط الحدودى المحتل ، هؤلاء الشرفاء الأطهار اختاروا هذه الطريق بملء وعيهم وارادتهم واختيارهم ، واذا كان لى أو لأمه أو لأبى أى شهيد أو أمه فضل فهو اننا سهلنا ولم نمانع ولم نقطع الطريق على هذا الشاب أو ذلك ليمضى الى حيث يحب ويختار والى حيث يعتقد ، ويمكن ان يفكر الإسرائيلى انه حقق انتصاراً بقتل ابن الأمين العام ، لانه لم يكن يمشى فى حارة حريك وقتلوه ، أو أن هذا انجاز أمنى لانه لم يكن فى عنتيبى يخطف طائرة وقتلوه ، هذا المجاهد مع بقية اخوانه كان فى خط المواجهة الأمامية مع العدو ، هو ذهب اليهم ، ولم يأتوا هم اليه ذهب بقدم وبندقية وإرادة ، وهذا هو الفارق ، هذا ليس ، ولا يمكن ان يكون نصراً للعدو ، هذا نصر لحزب الله وعز ، وهذا هو منطق المقاومة فى لبنان ، أين هو النصر ؟ كنا ومازلنا وسنبقى الى قيام الساعة نفتخر بأننا مسيرة ومقاومة وحركة جهادية استشهد بعض قادتنا وبعض عظمائنا كالشهيد الشيخ راغب حرب والسيد عباس الموسوى وزوجته وطفله ؛ واليوم نقول لهذا العدو أن شهادة الشهيد هادى ، عنوان اننا فى قيادة حزب الله لا نوفر أولادنا للمستقبل ونفخر بهم عندما يذهبون الى الخطوط الأمامية ، ونرفع رؤوسنا عندما يسقطون شهداء ، وشكراً لله على عظيم نعمه أن تطلع ونظر نظرة كريمة الى عائلتى فاختار منها شهيداً ، وقبلنى وعائلتى أعضاء فى الجمع المبارك المقدس لعوائل الشهداء ، الذين كنت عندما أزورهم أخجل أمام آبائهم وأمهاتهم وزوجاتهم وأطفالهم ، وسأبقى أخجل أمام هؤلاء ، الحمد لله الذى قبل ان أكون مواسياً

وان تكون عائلتى مواسية لعوائل الشهداء الذين مازالت أجساد أبنائهم محتجزة لدى هذا العدو ؛ أن أصبح أيضاً بيننا وبينكم شراكة من هذا النوع " ، وقال السيد حسن نصر الله [الأرض أرضنا والمقدسات مقدسات أمتنا ونريد ان نعيش فى منطقتنا بعز وحرية ولا نريد استجداء سلام وأمن ، اننا نريد صنع سلام أمتنا بدمنا وبنادقنا] .

* * *

ثالثاً : مقابل هذه الروح كان العداء والغطرسة الأمريكية ضد العرب والمسلمين وتحديداً ضد حزب الله ، ولنأخذ نموذجاً لأقوالهم فها هو الأمريكى صهيونى الهوى ريتشارد أرميتاج يعلن يوم الجمعة (٢٠٠٢/٩/٦م) وبوقاحة أمريكية معتادة [أن حزب الله مدين لأمريكا بالدم] وأنه يعد الآن لضرب قواعده فى الجنوب اللبنانى ، لأنه حزب (ارهابى) هذه النوايا الأمريكية القديمة والجديدة التى جاءت فى الأسبوع الذى شهد قبل سنوات (أنصارية) و(استشهاد هادى) ، فضلاً عن وقاحتها وغطرستها فهى أيضاً تعكس فهماً أمريكياً صحيحاً للخطر (الذى يمثله حزب الله) على همجيتها وعنصريتها فى المنطقة لأن أمريكا تعلم جيداً حقيقة قوة هذا الحزب السياسية والعسكرية ، فضلاً عن معرفتها بحقيقة عدائه العقائدى لحروبها العنصرية الجديدة فى المنطقة ، وكيف أن حزباً يمتلك أمثال الشهيد (هادى) والسيد / حسن نصر الله ، حزب لابد وأن تكون معارضته للوجود والأطماع الأمريكية فى المنطقة معارضة جذرية ، معارضة من لا يخشى الموت ، بل يحبه كما يحب (أرميتاج) الحياة !!

* من هنا تأتى قناعة حكام أمريكا بأن ما بينها وبين (حزب الله) ، هو (دين الدم) الذى لا حل معه الا بالحرب ، الأمر الذى فهمه أيضاً حزب الله جيداً ورد عليه فى بيان عاجل فى نفس اليوم ؛ بأنه يعلم ذلك وهو مستعد لتسوية الدين بطريقته ومنهجه الذى لا يخشى (الدم) ، بل يعلم جيداً أهميته فى تقريب النصر ، ووأد عنصرية الأعداء وهمجيتهم ، هذا ولقد ازدادت الغطرسة والعدوانية الأمريكية بعد استشهاد الحريرى وصاروا يتربصون بحزب الله وسوريه وإيران فى آن واحد ، هذه العدوانية تؤكد أن

لا مواجهة صالحة مع هؤلاء يمكن تحقيقها الا عبر نموذج (هادى حسن نصر الله) ومقاومته وحزبه ، فالاستعداد للشهادة ، والاقدام عليها ، وفق رؤية عقائدية واضحة تجاه عدو نازى فى وسائله وأهدافه ، هى أمضى الأسلحة وبدونها لا أمل ؛ ان زمن (العولمة الأمريكية المسلحة) فى تقديرنا لا يرد عليها الا بزمن (هادى حسن نصر الله) الاستشهادى ؛ ذلك الزمن الذى قدم فيه القائد ابنه للشهادة برضا كامل ، بل ترك جثمانه الطاهر أسيراً لأكثر من عام لدى العدو الى أن استرده مع مئات الشهداء والمأسورين فى سجون الكيان الصهيونى مقابل بقايا جثة جندى صهيونى سقط فى كمين أنصارية يوم ١٩٩٧/٩/٤ ... فأى قائد هذا ؟ الذى حين عرض عليه الصهاينة تبادل جثمان (هادى) ببقايا جثة الجندى ، رفض قائلاً أنه يفضل أن تكون آخر ما يتم تبادله ، وليتحرر الأسرى الأحياء أولاً ثم الشهداء السابقين على (هادى) ثانياً ، ثم جثمان هادى ثالثاً ، وأضاف فى إيمان وصدق جهادى بالغ لماذا العجلة ، اننا فخورون بأن جثمانه موجود فى أقدس أرض اسلامية .. فى فلسطين ؟

* هذا هو النموذج الوحيد القادر فى تقديرنا على مواجهة زمن الولايات المتحدة الجديد، فلن يفل الحديد الا الحديد ولن يقف أمام زمانهم سوى (زمان) ، و(مكان) هادى ووالده ، وحزبهما والذين على دربهما " وفى ذلك " فليتنافس المتنافسون .

******

وفى ختام أسبوع الاحتفالات الذى أقامته (اللجنة العربية) حول استشهاد هادى نصر الله وعلى مدار أكثر من ثلاث ساعات يوم ١٩٩٧/٩/٢٤ عقدت اللجنة مؤتمراً سياسياً حاشداً فى قاعة الشهيد الدكتور فتحى الشقاقى بالمقر المؤقت للجنة فى مركز يافا للدراسات والأبحاث بضاحية المعادى – القاهرة ، حضره نخبة من كبار العلماء والسياسيين فى طليعتهم الأستاذ الدكتور/ محمد عبد المنعم البرى – رئيس جبهة علماء الأزهر الشريف والأستاذ المستشار / الدمرداش العقيلى والكاتبة المبدعة / صافى ناز كاظم والأستاذ رجب هلال حميدة الأمين العام لحزب الأحرار وعضو البرلمان

المصرى – والقس إبراهيم عبد السيد راعى كنيسة مارجرجس بمصر والدكتور رفيق حبيب المفكر القبطى المعروف والدكتور محمد مورو رئيس تحرير مجلة المختار الإسلامى وغيرهم ، وأدار اللقاء كاتب هذه السطور وقامت بتغطيته العديد من الصحف ووكالات الأنباء العالمية وفيما يلى ملخص لوقائع المؤتمر :

" باسم اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان أحييكم بتحية الإسلام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، هذه الأمة على موعد مع الشهادة ، ونهر الشهادة دفاعاً عن العقيدة والأرض والأفق والتاريخ ودفاعاً عن الحق والعدل لا يتوقف .

هذه الأمة على موعد مع الدم ، ونهر الدم كما قال بحق شهيدنا الراحل الدكتور فتحى الشقاقى لا يتوقف دفاعاً عن الحرية والكرامة ، وكان آخر أبناء هذا النهر الذى يدفع الحياة فى شرايين الأمة ، هو الشاب الغض هادى نصر الله ابن الأمين العام لحزب الله المجاهد حسن نصر الله.

واليوم نلتقى ، لا لنتقبل العزاء فى شهيدنا هادى ولكن لنتقبل التهانى برفعته وسموه وقربه من الله .

هادى نصر الله ولد عام ١٩٧٩ ، وجميعكم فى مصر تعلمون دلالة هذا العام ، عام توقيع اتفاقيات كامب ديفيد .. إن عمر هادى هو تقريباً من عمر ذلك الوجه الذليل للحكام العرب وجه كامب ديفيد ، إلا إن هادى كان الوجه المشرق والمضىء لأمة لا تقبل الانكسار أمة على موعد مع الشهادة ، وبقدر مثالية نموذج هذا الشاب بقدر مثالية الأب الذى أنجبه ورباه على مثل وقيم الشهادة والإسلام ، فحسن نصر الله هو الامتداد الصحيح لسيرة النبى محمد ، وللإمام الحسين عليه السلام ، والامتداد الصحيح للوجه المشرق لأمة العروبة والإسلام ، وجه الانتصار ورفض الدنية فى الدين ، إننا نلتقى اليوم فى هذا المؤتمر لنخلد سوياً ونكبر معاً قيم الأنبياء جميعاً ، قيم الحق والعدل والكرامة ، إننا اليوم نلتقى فى ختام الأسبوع الذى أقامته اللجنة العربية لمساندة

المقاومة الإسلامية فى لبنان وأسمته أسبوع الشهيد هادى نصر الله . نلتقى لكى نتدارس سوياً معنى ومفهوم قيمة الشهادة فى سبيل الله وفى سبيل الوطن .

إن اللجنة العربية كدأبها منذ أن أنشئت عام ١٩٩٥ وحتى اليوم تحاول من خلال الكلمة والكتاب والنشرة والمؤتمر والبيان أن ترد بعض الدين الذى فى أعناقنا جميعاً للمجاهدين فى لبنان وفلسطين .

فجميعنا مدين لهؤلاء الأبطال بدين عليه الوفاء به ، إننا نحاول بقدر ما نملك من جهد ومال ووقت أن نرد بعض الدين لمن يقدم حياته دفاعاً عنا وعن هويتنا وديننا وأرضنا. ولقاء اليوم يأتى فى سياق رد الدين لأصحابه المجاهدين أحفاد الحسين وأبناء عباس الموسوى وحسن نصر الله ، ونرجو أن يتقبلوه منا من القاهرة التى آن لها أن تنفض غبار الصمت وتتحرك وتحية للمقاومة الإسلامية وسلاماً على الشهداء ، سلاماً على هادى نصر الله ، ومن سار على دربه إلى يوم الدين .

اسمحوا لى فى هذه الندوة أن نستضيف نخبة من علمائنا الكرام وأساتذتنا ومفكرينا وهم طليعة هذه الأمة للتغيير والنهضة ، نستضيف الليلة فضيلة الشيخ الدكتور عبد المنعم البرى رئيس جبهة علماء الأزهر ، والمستشار الدمرداش العقيلى الداعية الإسلامى الكبير عضو مجلس الشعب والشورى السابق ، والأستاذة صافى ناز كاظم الكاتبة والناقدة الصحفية المعروفة ، والأستاذ رجب هلال حميدة الأمين العام لحزب الأحرار وعضو مجلس الشعب ، والدكتور رفيق حبيب والأستاذ محمد إبراهيم مبروك والقس إبراهيم عبد السيد والدكتور محمد مورو ونخبة من العلماء ومثقفى هذه الأمة " .

<u>الأستاذ حازم سالم عضو اللجنة :</u> (كثير من الناس يموتون ، ولكن القليل منهم يحظون بمثل هذا المجد فى دنيا الناس وفى الملأ الأعلى على السواء) ، كانت هذه هى كلمات الإمام الشهيد سيد قطب فى كتاب التفسير العميق والحى الذى خطه فى ظلال القرآن وكان قد قال هذه الكلمات عن الشهداء وكأنه يرى مصرعه ومصرع شهداء سبقوه (مثل الشيخ عز الدين القسام والإمام الشهيد حسن البنا) وآخرين لحقوا به مثل

الشهيد الإمام محمد باقر الصدر والشهيد السيد عباس الموسوى والشهيد الدكتور فتحى الشقاقى ثم شهداء شباب المقاومة فى جنوب لبنان الشهيد الشاب هادى نصر الله الابن الأكبر للمجاهد السيد حسن نصر الله أمين عام حزب الله فى لبنان.

فى ظلال هذه الكلمات الحية وفى أكناف الضوء الجميل الشفيف الذى ينير به هؤلاء الشهداء دربنا تأتى ندوة (اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان) تحت عنوان وعقيدة الجهاد ودلالة الاستشهاد فى سبيل الله لتكون خطوة صغيرة نخطوها نحو إضاءة هذه المعانى النبيلة التى يكتبها الشهداء بدمائهم ويخطون بها سطوراً حية فى التاريخ الحاضر والمستقبل الآتى لهذه الأمة ، فلنتأمل كلمات المجاهد السيد حسن نصر الله وهو الوالد الذى استشهد ابنه فقال : (ولدى الشهيد اختار هذه الطريق بإرادته ، هذا الشاب سار ككل شهداء المقاومة ومجاهديها الذين مازالوا على طريق المواجهة ، هؤلاء الشرفاء الأطهار اختاروا هذه الطريق بملء وعيهم وإرادتهم ولختيارهم ، هو ذهب إليهم ولم يأتوا هم إليه ، ذهب بقدم وبندقية وإرادة ، إننا لا نوفر أولادنا للمستقبل ونفخر بهم عندما يذهبون إلى الخطوط الأمامية ونرفع رؤوسنا عندما يسقطون شهداء) ، بمثل هذه الكلمات المضيئة يسقطون شهداء ، بمثل هذه الكلمات المضيئة تحيا الأمم وتستمر وتبقى رغم أنف أعدائها ، وبمثل هذه الكلمات تضرب قيادة حزب الله المثال الصادق والقدوة الحسنة لكل والد يخشى على أولاده طريق الجهاد، وكأنه يؤثر له حياة ذليلة مهينة فى ظل الظلم والقهر والطغيان الذى يعيث فساداً فى كل مكان. من عقيدة الجهاد ينبع نهر الشهادة وتمضى رحلة الدم الذى يهزم السيف ويهزم البغاة والطغاة ويضرب الطاغوت فى نحره ثم يمضى إلى بارئه سبحانه وتعالى وضيئاً نقياً شهيداً سعيداً بما آتاه الله من فضله ، ولأن الشهادة هى الانتصار الأروع ، ولأن الشهادة هى التضحية لا تطاولها تضحية فنحن لا نقبل عزاءً للشهداء ، بل نسعد بهم ونبارك لذويهم الذين منحهم الله هذا الشرف وهذه النعمة ، نبارك للإمام السيد حسن نصر الله استشهاد ابنه الشهيد هادى نصر الله ونقول له تلك الكلمات الوضيئة التى خطها الشاعر الشاب مسعود حامد عضو اللجنة العربية عنـدما قال فى ديـوانه المتميز الذى أصدرته اللجنة :

أعزيك كيف ؟

وأى اللغات تليق ؟

اللغات تضيق ؟

وكيف أطيق انفرادك بالوجد ؟

أعزيك كيف ؟

وأنت هناك

يا أول الأصدقاء

تحدثنا عن شموخ العقيدة

ان لامس القلب حتفاً ؟

أعزيك كيف ؟

أعزيك كيف ؟

أعزيك كيف ؟

محمد عبد المنعم البرى : الجهاد فى سبيل الله من أشرف الطاعات وأجل القربات لا يعرفه إلا من ذاق طعم العزة والكرامة والحرية والإباء والشمم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترك قوماً الجهاد إلا ذلوا " ومنازل الشهداء عند الله عز وجل فوق ما يتصوره الخيال والحسبان فقد روى الامام البخارى عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان لقى العدو فصدق الله تعالى حتى قتل فذلك الذى يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا ، ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوته ، فلا أدرى قلنسوة عمر أراد أم قلنسوة النبى صلى الله عليه وسلم ، ورجل مؤمن جيد الايمان لقى العدو فكأنما ضرب جلده بشوك طلع من الجبن أتاه سهم غرب فقتله فذلك فى الدرجة الثانية ، ورجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً لقى العدو فصدق الله تعالى حتى قتل فذلك فى الدرجة الثالثة ،

ورجلاً مؤمناً أسرف على نفسه لقى العدو فصدق الله تعالى حتى قتل فذلك فى الدرجة الرابعة".

الدرجة الرابعة يتمنى مثلى أن يكون فيها خادماً ، منازل الشهداء عند الله فوق ما يتخيل الخيال حرم الله على الشهيد الموت فينتقل من دار إلى دار ، قال تعالى : " ولا تقولون لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وإن الله لا يضيع أجر المؤمنين " [١٥٤ البقرة] . ثم تؤكد الآيات أن الجبن والهلع ليس من شأن هؤلاء الذين كتب لهم الخلود والشرف والفخار وجعلهم تاجاً فى جبين الأمة أبد الدهر ، قال تعالى بعد آيات الشهداء ومنازلهم " الذين قال لهم الناس (المنافقين) إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا " حسبنا الله ونعم الوكيل " [١٧٣ – آل عمران] . ما معنى حسبنا؟ معناها يكفينى الله ولا أحتاج لناصر أو مؤيد سواه .

لقد رأيت بعينى فى حديقة الحيوان ذئباً أمام غزال وراءها صغيرها ، وشكله مروع وضار ورغم ذلك ردته خائباً واستدار عنها لأنه شعر منها المقاومة عنها وعن وليدها، قلت سبحان الله ! درس غريب .

غزال وذئب ضار ، والله درس لو وعته البشرية ووعاه المسلمون اليوم ما ذقنا طعم كأس المذلة والهوان بهذه الصورة وما كنا جرذان شاردة من وجه كلاب بهذه الصورة. إننى أرى العفن والقذارة والصورة التي تشمئز منها الحيوانات على عين الناس وسمعهم والشباب معى يقولون لا تبد اشمئزازاً أو انبهاراً حتى لا يساء إليك .. إن الأمة الشريفة والنزيهة تهان .

إن الحضارة الغربية تترنح ، وعلماؤهم أكدوا أنه سيأتى اليوم الذى تنهار فيه أمريكا وينهار فيه الطاغوت الغربى الظالم كما انهارت روسيا دون سلاح خارجى ودون طلقة خارجية ، تدمير محلى ذاتي ، سوف تدمر هذه الحضارة لأن الانحطاط الأخلاقى المزعج تلك عاقبته المعهودة ومن يتصفح التاريخ يتأكد من ذلك .. إننا أمة تستنهض

الهمم لشبابها الأطهار ولقادتها ولم شعبها ولابد للفجر مهما طال الليل أن يبزغ ولابد للقيد أن ينكسر ولابد للهمم أن تنهض يوماً ما ولا يصح أن نفهم الدين أنه مذلة وهوان وضياع بهذه الصورة التى نعيشها .

نسأل الله أن يجعلنا طلائع المجاهدين فى نصرة الإسلام ورد السهم فى نحر أهله والعودة براية القرآن لمكانها الأصيل وجمع شمل الأمة بعناصرها موحدة تحت راية الإسلام والإنسانية والإخوة ، والله الموفق والمستعان .

المستشار الدمرداش العقيلى : الحقيقة أن أحداث الجهاد والاستشهاد فى جنوب لبنان أصبحت أحداث الساعة ليس فقط على مستوى الانسان العربى بل على مستوى التفكير العالمى وعلى مستوى أجهزة الرصد التى تحاول الآن أن تجد تفسيراً لانبعاث هذه القوة الهائلة فى المفهوم الانسانى ، لا بمفهوم الأجهزة والمعدات .

القوة الهائلة التى تنبعث فجأة فى زاوية محدودة من زوايا العالم العربى الواسع وفى مجموعة كانت محسوبة فى زوايا النسيان ، مجموعة من المستضعفين ، والفقراء فى كل الامكانيات .. عندما يؤرخ لهذه الفترة من تاريخ الأمة العربية ستكون المعجزة فى أول معالمها تتمثل فى أن الأمة التى استسلمت مراكز قوتها الأساسية الأمة التى ركعت القوى الكبرى فيها وظن العدو أنه وقد نزع سلاح القوى الكبرى فيها أنه لا يمكن أن تنبعث المقاومة من الجناح الأضعف وإذ باللحظة – وكما تفضل الدكتور رفعت ولفت إلى تواكب عقد معاهدة كامب ديفيد وولادة الشهيد هادى حسن نصر الله – كأن هذه الأمة على قدر مع الله عز وجل ألا تسقط راياتها وألا تنتهى من الأرض رسالتها حتى ولو ظن الناس الظن الذى سجله القرآن ظن الاستيئاس .

الشهيد هادى ومجموعة حزب الله فى لبنان ظاهرة تستحق الدراسة ، والدراسة المنصفة لها لا تكون إلا من واقع كتاب الله ، هذه مجموعة انبعثت من أنوار حروف كتاب الله عز وجل فلا يفهمها ولا يقدرها حق قدرها إلا من يزنها بميزان كتاب الله عز وجل.

نقول إذا وجدت هذه الأمة التى تكون على مفاصلة تامة مع أعداء الله وانحيازاً تاماً إلى الله إذا وجدت هذه الأمة تتلقى جائزتها وأول الجائزة قوله تعالى " أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان " .

أى عز أن تكون القلوب صفحات مفتوحة لقلم الرب عز وجل يكتب فيها إيماناً لا يتزعزع؟ هؤلاء الشباب تلاميذ مدرسة الحسين عليه السلام رجع صدى كربلاء ، هؤلاء زهدوا الدنيا وعادوا كل من عاند الله عز وجل وانحازوا إلى ربهم فكتب فى قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بقوة، هذا الواقع المرير الذى يتوالى على الأمة العربية مع مطلع كل شمس يطلب منها أن تستحضر التحدى الا أن حالها يقول أن عليها ان توزع الخزى على نفسها بعدد السكان .

المطلوب هو فهم سر هذه المجموعة لأن فهم سر هذه المجموعة ، هو الذى يعطينا مفتاح النصر فى المعركة ، لماذا صمد هؤلاء ولماذا استسلمت كل الجبهات وصبر هؤلاء المستضعفون لأنهم على ثقة من أن المعركة الحالية مع اليهود معركة حدد الله أبعاد العداوة فيها ، معركة ليس لمسلم خيار الموقف من اليهود ، البعد فى المعركة من حيث تحديد العدو ليس لك خيار فى أن تصف اليهود بأنهم أعداء الله هذا حكم الله ، كما ذكر فى كتابه وعداوتهم للمؤمنين لا تخضع للتسويف أو التخمين ولا للتهميش ولا لمحاولة فتح باب التطبيع لأنها عداوة يرصدها الوحى الصادق فى آية تقول " ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا " .

مطلوب فقه المعركة ، بتحديد العدو وعدم الدخول فى غيبوبة وألح أن اليهود ليسوا فقط كذبة لأنهم يقولون نحن الآن شعب الله المختار ، إنما هم فجرة بأنهم يحاولون الفجر فى قضية حكم الله فيها ، أى نعم كانوا شعب الله المختار ، والله يفعل ما يشاء ويختار وكان هذا الاختيار مرهوناً بأن يكونوا النموذج البشرى الذى يقود البشرية إلى الله لا الذى يصدها عن الله عز وجل . فالعداوة بين حزب الله وإسرائيل عداوة ، كل من الطرفين على بينة بأبعادها .

وعلينا أن نكون على بينة ، نحن نؤمن ولا نرضى للبشرية أبداً أن تساق فى حياتها على أنها تركض فى الأرض بخلقتها وبوجهها البشرى ، وأن لها فى شأنها اختياراً يخرج عن اختيار من خلقها وصورها .

الله تبارك وتعالى اختار يعقوب الذى هو إسرائيل واجتباه ووهب له أسباطاً وتصاعد بالأسباط اختياراً فى الأرض على قاعدة العهد الذى يسجله القرآن فى آياته.

بعض علماء المسلمين يذهب إلى إلغاء فكرة شعب الله المختار من حيث الأصل وهذا ما يريده اليهود لإنهم سيحتجون بذلك قائلين لكم فكركم ولنا فكرنا لكن القرآن يقول إنهم أعطوا ثم حرموا ولما حرموا تمردوا فلعنوا ، ولما لعنوا لم يتوبوا فتأبدت عليهم اللعنة الى يوم القيامة .

لا يستطيع مؤمن برسالات الله أن يأتى فيقول : ما لليهود سابق وعد بفلسطين ، لهم سابق وعد لكنهم تمردوا عليه وجحدوا ، حتى وصلوا إلى قوله تعالى " قال فإنها محرمة عليهم " [٢٦ المائدة] .

الله تبارك وتعالى أعطى لمن جحد عطيته ، وتمرد على قدره فحرمهم الأرض لا يخليها الله ممن يختارهم ليكونوا أمناء على منهجها وعلى قيادة البشرية الى الله وفصلها عن موكب إبليس .

ولا يستطيع المؤمن أن ينفى أنه لم يكن لليهود اختيار فيشاركهم بذلك فى تكذيب الله من وجه آخر ، إنما يقول لهم لقد جحدتم عهد ربكم .

المعركة فى لبنان يعمقها أن الطرفين - اليهود وحزب الله - يؤكدان أن الساعة قد حصحصت وأن قضاء الله غالب ، وسيبقى لليهود فضيلة أنهم بتصميمهم على ما يدعون أنه وعد باق وتشبثهم بالتوراة أقاموا الدليل على أن الأديان قادرة على الحياة وأن الذى يدعى أن الدين رجعية كذوب ، إنهم بهذا التشبث أبقوا قضية الدين من حيث هو دين ثم فتحوا الباب للمسلمين ليقولوا أننا أولى بالتوراة الصحيحة منكم لأننا أصحاب الكتاب المصدق لما بين يديه من التوراة والانجيل .

نحن بهذا نضع المعركة فى موازينها الإلهية ، فالمعركة مع اليهود معركة إلهية والشهداء الذين يقاتلون فى جنوب لبنان ؛ شهداء ربانيون .

وإذا ذكر الجنوب ، وكل صرخة ألم تنبعث من يهودى محتل فلا ينس المنصف والمحايد لا ينس الطاقة الربانية التى ساندت هذا الجهاد اللبنانى والتى تتمثل فى الدعم الإيرانى المسلم الذى لولاه لما استطاع جنوب لبنان أن يصمد فى وجه هذه الهجمة الصهيونية الشرسة .

وأحب أن اقول لكم أن أوروبا وأمريكا لا تحب اليهود ، ولا تصدقوا هذه الأكذوبة . إنما هم والعلمانيون جميعاً فى الأرض ، الشرق فيهم والغرب ، أرادوا إحراق الورقة الدينية ببعضها اليهود يرفعون نجمة داود والمسلمون يرفعون المصحف ووجدوا أن أفضل شىء يريحهم من المد الدينى ضرب اليهود بالمسلمين وضرب المسلمين باليهود، واليهود بذكائهم وتدبيرهم استطاعوا استغلال رغبة الغرب فى الحضور لهذه البلاد وهم بين أنفسهم يبحثون عن أرض التوراة .

وعودة اليهود لا تخيف أى مسلم يفقه دين الله لكى يجتبى الله حزبه الذى يقاتل حزب الشيطان. إن الأرض تتهيأ لمعالم موجودة وأحسب أن الأديان تتفق فى رؤية محددة أن المسيح عليه السلام عائد وهو بالنسبة لليهود الملك القادم الذى ينتظرون منه أن يحكم العالم وأورشليم . وفى المسيحية فإن قيامة المسيح قيامة لا خلاف عليها ، وفى القرآن فإن للمسيح عودة والمعركة فى جنوب لبنان تلخص كل هذه الأبعاد وتهيىء الأرض لمقدم المسيح عليه السلام .

<u>صافى ناز كاظم :</u> فى مثل هذه المناسبات أعتقد أن الكلمات شىء يخجل منه الانسان فى مواجهة الفعل وهو فعل المقاومة على يد أبطالها .

" اللهم تقبل منا هذا القليل من القربان " كانت تلك كلمات السيدة زينب بنت على وهى تتلقى بين يديها شهداء آل البيت واحد بعد الأخر فى مذبحة كربلاء ، تلك المذبحة التى

تأبى إلا أن تتكرر لتكون نموذجاً يحتذى ، الحق فى مقاومته المستمرة للباطل ، الحق الذى يقذف به الله على الباطل فإذا هو زاهق .

من المنطق أن يكون هادى نصر الله فى ربيع عمره مثل القاسم بن الحسن لا يتعدى العشرين . المقاومة ليست اختياراً ، بل هى قدر وفرض وحتمية .. علينا المقاومة وعلى الله النصر وما النصر إلا من عند الله ، قد لا نرى النصر ولكننا نرى الإشارة : استقم كما أمرت ، هنيئاً لمن يرى الإشارة ، وفى زمن الفتنة يكون من الفائزين .

قال الشاعر عن شباب المقاومة : " الأبناء الذين تلدهم أمهاتهم للسكين حباً فى الحياة " والحياة فى مدلولها الأكبر ، هى الاستشهاد فى سبيل الله .

رجب هلال حميدة : نحن نتحدث كثيراً عن ماضٍ بعيد ولكن سأتكلم عن مدلول الشهادة سريعاً وفى الواقع المعاصر .

إن هادى نصر الله نموذج للشهيد الحى ، وكل من يسعى لنيل الشهادة فى سبيل الله، والشهادة واقع عظيم لمواجهة هذا الواقع المتردى المخيم على كثير من القيادات والشعوب أيضاً .

إن ما يحدث فى جنوب لبنان ليس بجديد ، لكن ما يجب أن ندركه أن الإمامة " لا تنعقد " لظالم أياً ما كان هذا الظالم سواء إن كان يهودياً أو مسيحياً أو مسلماً فهو يدعى ذلك ، لكن الإمامة لغة هى كل من يتقدم الناس على الأرض ، فلا تنعقد هذه الإمامة لأى إنسان ظالم . لذلك فإننى أعتقد أن فلسفة ثورة الإمام الحسين وخروجه على يزيد بن معاوية كانت تأكيداً لهذا المعنى ، هو يعلم أنه سيقتل لكنه يتقدم الصفوف حتى يترك أثراً ومثالاً يحتذى به للأمة من بعده لقد خرج ليقاوم ظالماً حتى لا تنعقد الإمامة لظالم فى المستقبل وحتى لا يأتى المسلمون من بعده فيعتذروا الى الله .

والمقاومة الإسلامية فى لبنان تأخذ من ثورة الحسين ومن مسلك الحسين نموذجاً يحتذى به . ونبينا تقدم الصفوف فى كل غزوة قام بها ، مما دفع آلاف المسلمين إلى

التسابق للغزو حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا يجد رجلاً يجلس مع النساء لحراستهن .

وهؤلاء المقاومون فى لبنان يريدون أن يسبقوا الى الله يريدون أن يسارعوا الى الله، فى شهادة لا تنقطع ، الشهيد عباس الموسوى هو وأسرته يتم إحياؤهم ، (لا أقول موتهم) بنص قرآنى ، فإذا آخرون يرفعون الراية من بعدهم ومازالت المقاومة فى جنوب لبنان تلقن الصهاينة درساً لا تنساه ، هؤلاء الصهاينة الشذاذ الذين اجتمعوا من آفاق الأرض وأرادوا أن يصنعوا غطاء لهم من الدين ، كما يصنع الكثيرون من الناس، وهو دليل على أن الدين لو تمكن من القلوب بحق لأصبح غطاء حقيقياً وقوة دافعة لتحقيق النصر والوصول إلى الهدف سريعاً .

فى هذا الواقع المرير نرى من هؤلاء السيد حسن نصر الله يتقدم الصفوف ويحمل المشاعل والرايات ولم يهن يوماً فى الوقت الذى تحدث فيه ضغوط كثيرة عليهم ومازالوا يقاومون .

إنهم يمتلكون سلاحاً لا مثيل له فى أمريكا أو إسرائيل أو الغرب ، هو : سلاح المقاومة . وعندما ندافع عن الأمة اليوم ونطالب فى مقالاتنا ونتكلم عن حتمية المقاومة فلا تفكروا فى النصر بسرعة .

ففى نفس اللحظة التى نجد فيها الواقع فى جنوب لبنان مشرفاً نفاجأ فى الواقع العربى بالقيادات العربية كلها تجتمع فى جامعة الدول العربية ولا تخرج بقرار موحد لمقاطعة المؤتمر الاقتصادى فى الدوحة أليس هذا واقعاً ؟ .

وتأتى أولبرايت وزيرة خارجية أمريكا للمنطقة وتؤكد على مبدأ الأمن مقابل السلام بدلاً من الأرض مقابل السلام، ولا تستطيع القيادة الفلسطينية مجسدة فى ياسر عرفات، لا تستطيع أن تخرج من منطقة الحكم الذاتى المزعومة إلا بتصريح من نتنياهو .

أمة مهلهلة ، متصارعة ، وتؤكد ذلك أولبرايت فى جولتها وتجلس على مائدة المفاوضات فى عجرفة وتلقى بأوامر بأنه لابد من وجود تبادل ثقافى وزراعى

واقتصادى وأن الأمن مقابل السلام ، هذا هو واقعنا الذى يسخر فيه نفر منا لإخماد كل حركات المقاومة فى العالم العربى .

فى الجزائر مثلاً الغرب هو الذى صنع الارهاب الحالى ، الصهيونية العالمية هى التى مهدت له وأمريكا أيضاً .

أشعلوا الحرب العراقية الإيرانية ، أشعلوا حرب الخليج ، إسرائيل تسيطر على البحيرات العظمى ، ونحن هنا نختلف فى تفاهات ، وعندما تضرب إسرائيل لا تفرق بين الجميع. جزيرة حنيش ، باب المندب ، محاولات إبعاد اليمن الشمالى عن الجنوبى، ومحاولة ضرب السعودية باليمن وإثارة النعرات الجاهلية بين الإمارات وإيران ثم البحرين والامارات ثم قطر والامارات ، كل هذه مخططات للقضاء علينا ، أليس فينا من يفهم ؟ أليس فينا من يعقل ؟ إن من يعقل سيجد المقاومة الإسلامية فى لبنان نموذجاً يحتذى به ، الشهيد يسقط يليه شهيد . لابد أن نبقى على روح المقاومة ونأخذ من هؤلاء نموذجاً لنا وثقوا أن النصر لهذه الأمة إن شاء الله .

<u>القس ابراهيم عبد السيد :</u> لعنة السيد المسيح على اليهود واضحة جداً فقد غضب وقال "كم أردت أن أجمع أولادى كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا، هوذا بيتكم يترك لكم خراباً " .

هذا الكلام قبل سنة ٣٤ ميلادية وسنة ٧٠ م دخل القائد الرومانى تيتوس أورشليم ودك الهيكل وتم تخريب المملكة اليهودية وحقت لعنة الله عليهم إلى يوم الدين ولذا فقد رفضهم الله .

وقد حذرت من قبل من أن تتسرب فكرة شعب الله المختار إلى المسيحيين من الفكر الغربى المسيحى المزيف الممتزج بالصهيونية .

الموضوع الآخر الذى أود التحدث فيه هنا هو الاستشهاد ، كنيسة مصر تسمى كنيسة الشهداء وعدد شهدائها على مر التاريخ يفوق عدد شهداء أى دين وأى كنيسة أخرى حتى أنها يبدأ تقويمها القبطى بعام ٢٨٤ فى عصر الظلم الرومانى للمصريين

المسيحيين ويسمى تقويم الشهداء الذى يبدأ بعصر دقلديانوس وما ارتكب فى عهده من مجازر حتى سالت دماء المصريين فى الشوارع .

نحن لا نحتفل فى الكنيسة المصرية بعيد ميلاد أى إنسان نحن نحتفل بعيد الانتقال أو عيد الوفاء أو الاستشهاد وكل يوم نقرأ فى الكنائس ذكرى أحد الشهداء حتى تظل ذكراهم ماثلة أمام عيوننا ، ونحن نودع ابننا الحبيب هادى نصر الله إلى الفردوس ونقول له هنيئاً لك وصولك قبلنا وفى النعيم إن شاء الله عزاء لأسرته ولشعبه ولكل العرب مسيحيين ومسلمين الذين قدموا هذا الشهيد .

ونقول لشبابنا أن يتخذوا من هادى نصر الله نموذجاً مشرفاً لكل الشباب ، وعلينا أن نقدم نفوسنا رخيصة من أجل الوطن ، إن شعبنا العربى فى جنوب لبنان يجب أن يموت واقفاً وليس راكعاً .

د. محمد مورو : استشهاد الشهيد هادى نصر الله ربما يجيب على سؤال طرح كثيراً وهو: لماذا ينتصر حزب الله ؟ ولماذا يستعصى حزب الله على الذبح والتصفية والإبادة التى تخطط وتعمل لها إسرائيل وأمريكا وربما أجهزة واستخبارات أخرى ودول أخرى ؟

حزب الله أضاف إلى أدوات الصراع مع إسرائيل أدوات هامة وخطيرة وفتح بذلك فجر العالمية الإسلامية الثانية (إن شاء الله) وأكد على معانٍ غابت عنا جميعاً وسلاح الاستشهاد ليس جديداً فقد مارسه المسلمون الأوائل .

إن الأجهزة والآلة العسكرية وقوتها تعتمد على شىء واحد هو خوف العدو من الموت فإذا لم يخف من الموت فلا حل ولا قيمة لهذه الأجهزة .

وحزب الله اكتشف هذه الحقائق مما يجعل نهاية إسرائيل قريبة جداً والتى هى أقرب كثيراً مما نتصور ، وإسرائيل وفقاً لتركيبتها كيان هش ، ولو عملنا عمليات استشهادية شهرياً فسوف تنسحب وتحرر البلاد من البحر إلى النهر وتعود القدس إن شاء الله ، وهناك تقارير تؤكد أن بعض الإسرائيليين بدأوا يهربون أموالهم للخارج ويشترون منازل فى دول أوروبا مما يدل على أن المجتمع الإسرائيلى بدأ فى هجرة عكسية وكل ذلك بفضل سلاح الاستشهاد .

وحزب الله عندما فعل ذلك وضع المسلمين على طريق البداية الصحيحة والحقيقية واكتشف حقيقة أن الإنسان أقوى من التكنولوجيا .

مطلوب دعم العمل الاستشهادى وفتح الحدود للعمل الشعبى خاصة أن البعض يروج استحالة الحرب مع إسرائيل لظروف وأوضاع العالم أحادى الأطراف .

حزب الله نشأ فى هذه الظروف لكنه لم يستسلم لأن مفتاح نجاحه كان الإيمان والحرية ، وكون ابن الأمين العام يستشهد يصبح الأمر ليس تجارة بالدم بل جهاداً حقيقياً .

د. رفيق حبيب : بعد كل ما قيل لا يبقى سوى التأمل فى معنى الاستشهاد لأننا فى واقع الأمر أمام لحظة قلبت الصورة كاملة لحظة تعيد النبض لأمة صامتة وجماهير غفيرة عزلت عن الكفاح والمقاومة وأصبحت أنظمتها لا تقوم بأى دور .

ربما تكون هذه اللحظة إذا تأملناها فى عيون البسطاء من الناس ، اللحظة التى يستشهد فيها شهيد آخر من المقاومة اللبنانية بحزب الله ، هذه اللحظة ، هى نفس اللحظة التى ترى فيها فى عيون بسطاء هذه الأمة وكأنهم يعودون للحياة .

كل نقطة دم تعيد الملايين من أبناء هذه الأمة للحياة فى صورة أراها تطرح صورة جديدة غير التى فرضت علينا ، هى لحظة يستطيع فيها إنسان بقوة إيمانه مع محدودية إمكانياته أن يقاوم عدواً تصور أنه الأقوى ويقف فى مواجهة أنظمة استبدت بهذه الأمة وقتلت طاقاتها وأممت إمكانياتها وحرمتها حتى أن تكون أمة ، هى لحظة ذات دلالة تتجاوز فى رأيى المعركة على الحدود فى الجنوب اللبنانى لأنها هى اللحظة التى يتذكر فيها كل مواطن أنه مازال ينتمى لأمة .

لحظة صنعها هذا الشهيد الذى قدم روحه لينقذ أمته برسالتها وتستقبل الأمة هذا الحدث بفرح وكأنه دائماً يوم عيد .

فأصبح الاستشهاد ، الآن هو العيد القومى للأمة ، هو اللحظة التى تتذكر فيها الأمة أنها مازالت أمة وأنها ستظل أمة وأنها ستقوم فى النهاية وتنتصر فى النهاية .

مهندس على عبد الفتاح : إن الشهيد معنى عظيم للغاية لأنه من أسماء الله سبحانه وتعالى وعلينا أن نحتذيه ، وعلينا واجب أن نحول كلامنا النظرى إلى فعل إيجابى

على الأرض وأن نقاوم ، وأن يكون الدعم الحقيقى للمقاومة فى لبنان هو مقاومة التطبيع في مصر .

قالوا عن استشهاد هادى نصر الله :

نماذج من كتابات كبار الكتاب فى مصر :

(الشيخ حسن نصر الله .. أكرمك الله .. وأعز بك العروبة والإسلام)

تصورت إسرائيل أنها تنتقم لهزيمتها الشنعاء عندما أبيدت وحدتها الخاصة فى لبنان ، بقتل ابن الشيخ حسن نصر الله – أمين عام حزب الله اللبنانى – وسحب جثته الطاهرة إلى فلسطين المحتلة .

ولكن تحول هذا العمل العدوانى إلى نصر جديد للمجاهدين ، فلم يكن أحد يعلم أن الشيخ حسن نصر الله دفع بابنه ذى الثمانية عشر ربيعاً إلى خطوط القتال ، ففى وقت يهىء فيه كثير من القادة السياسيين فى الحكم والمعارضة لأبنائهم كل أسباب الرفاهية، فإن النموذج الإسلامى الصاعد ، يقدم هذا المثال الرائع وقد رفض نصر الله عقد أى مساومة خاصة مع إسرائيل لاستعادة جسد الشهيد .

لم ألتق بالشيخ حسن نصر الله إلا مرة واحدة ، ووفق إجراءات أمنية بالغة التعقيد ، وقد لمست – خلال لقائنا القصير – فيه صفاء المجاهد وكان مهتماً بأن يعرف عن مصر واستهلك معظم الوقت فى حديثى ، بينما هو ينصت باهتمام ويسألنى أسئلة متلاحقة وعندما جاء الوقت لنتبادل المواقع فأسأله ويجيب كان الوقت قد قارب على النهاية ، وكان أهم ما قاله لى هو الإعراب عن أسفه لقيام بعض الإسلاميين فى مصر بانتهاج العنف ضد المدنيين أو رجال الشرطة ، وأكد على معنى : إن كل البنادق يجب أن تتجه للعدو الصهيونى .

خالص العزاء للشيخ حسن نصر الله ، وعزاؤه وعزاؤنا أن الشهيد فى الجنة ، ويبقى أن هذا النموذج سيظل ملهماً لكل المجاهدين فى شتى ربوع العالم العربى والإسلامى .

(مجدى أحمد حسين – الشعب – القاهرة ١٩٩٧/٩/٢٣)

بين دودى وهادى

لا يستطيع المرء أن يمنع نفسه من المقارنة بين حظ الرجلين من الإدراك العام : دودى وهادى ، فقد رحل الاثنان صرعى عن عالمنا خلال الأسابيع الماضية غير أن الأول ظل ملء السمع والبصر ، بينما كان نصيب الثانى مجرد سطر فى خبر!.

إذا لم تكن تعرف دودى الآن فلابد أنك خارج الزمن ولا تعيش العصر ، ولم لا ، وقد صار الرجل من المعلوم من الدنيا بالضرورة ؟ ، الأمر الذى قد يعرض منكره يوماً ما إلى ما لا تحمد عقباه ، هو فى ذمة الله حقاً ، لكن أحداً لا يستطيع ان ينفى أنه دخل التاريخ من باب العشق . إذ منذ وقع فى غرام الأميرة ديانا فإنه صار خبراً مقرراً على ملايين البشر ، أصبح اسمه على كل لسان ، وصورته فى كل مطبوعة ، وسيرته وحركاته وسكناته شاغلاً للمخبرين والمصورين ، الذين احتشدوا فى طوابير وقوافل توزعت بين البر والبحر والجو للفوز بصفحة مطوية أو خبر منسى أو لقطة فى أى وضع وحين لقى مصرعه مع الأميرة ديانا ، صار الخبر هم الدنيا والناس ، وظلت وسائل الاعلام تتحدث عن سيرته وعلاقاته وخططه ولم يتوقف الحديث حتى هذه اللحظة .

كان دودى شيئاً منكوراً بالنسبة لعامة الناس على الأقل ، قبل ذيوع أمره مع ديانا ، خاصة أهل الثراء فى الغرب الذين كانوا يعرفونه فى الأغلب ، بحسبانه الوارث المنتظر للملياردير محمد الفايد ، صاحب محلات " هارودز " وفندق " ريتز " فى باريس ، وأشياء أخرى كثيرة . وهو الملياردير الذى رفضت الحكومة البريطانية منحه الجنسية ، فاضطر الى الاحتماء بجنسيته المصرية ، ولايزال متمسكاً بالإقامة فى بريطانيا ، التى اختارها مقراً له ، وكل استثماراته وأمواله موجودة فى أوروبا ، إن كانت الصحف قد أشارت إلى أنه يبعث أحياناً ببعض الصدقات لنفر من المحتاجين بالاسكندرية !

من يكون هادى هذا ؟ كان هذا هو الرد الذى سمعته ممن ذكرت الاسم أمامهم ، وبعضهم من كبار المثقفين والأكاديميين ، وهم معذورون فى الواقع ، لأن اسمه مر كومضة لمعت ثم غابت .

لا علاقة لهادى بدودى من قريب أو بعيد ، وما بينهما لا يتجاوز التشابه فى وزن الاسم ، والاتفاق النسبى فى توقيت الرحيل عن الدنيا ، وإن جاء مشهد الرحيل مختلفاً، وكذلك المساحة التى احتلها كل منهما فى الإدراك العام .

لشح المادة الإعلامية التى تحدثت عن هادى ، لم نعرف عن شخصه سوى أنه شاب غض فى الثامنة عشرة من عمره أصر على أن يشارك فى المقاومة اللبنانية بمناطق الجنوب ، فرابط فى إقليم التفاح ضمن قوات حزب الله التى تقود معركة الدفاع عن الأراضى اللبنانية المحتلة . وقد اشتبك هو وزملاؤه مع وحدة إسرائيلية جاءت تصفى الحساب وتنتقم لإبادة ١٢ من عناصر الجيش الإسرائيلى فى معركة سابقة ، كان هادى ضمن المجموعة القابعة فى منطقة "الجبل الرفيع" ، وحين حدث الاشتباك أصابته قذيفة أودت بحياته ، فحمل الإسرائيليون جثته معهم ، ضمن آخرين ، وعادوا أدراجهم من حيث أتوا .

دخل هادى التاريخ من باب الشهادة ، وهذا كل ما نعرفه عنه الآن ، مرة واحدة ذكرت صحفنا اسمه على الصفحات الأولى فى سطر أو أكثر تحت صورة له ، وبعدها انقطعت أخباره خارج لبنان ، فلم نر له صورة ، ولم نقرأ له سيرة ، ولم نتابع له حلماً وكان السبب فى الإشارة إلى اسمه أنه ابن الشيخ حسن نصر الله زعيم " حزب الله " فى لبنان ، الذى رأيت له صورة وهو يبتسم بعد استشهاد ابنه ، وقد ظهر ملتحياً ومرتدياً عمامة آل البيت السوداء، وقرأت كلاماً قال فيه إنه فخور بـــ " الوسام الإلهى " الذى منح لابنه "بقصد الشهادة" وأضاف: "إننا لا ندخر أبناءنا للمستقبل ، ولكننا نتباهى بهم حين يذهبون إلى الجبهة ، ونرفع رءوسنا حين يسقطون شهداء " .

على الرغم من أن هادى ابن زعيم كبير فى عالم الجهاد ، لا يقل فى قدره عن زعامة محمد الفايد فى عالم الثراء، فإننى لم أجد لاستشهاده صدى فى مختلف وسائل الاعلام، العربية طيلة الأسبوع الذى أعقب مصرعه ، ظللت أقلب الصحف وأتابع قنوات ومحطات البث التليفزيونى ، أبحث جاهداً عن أى ذكر للشهيد ابن الزعيم ، شخصه أو دوره ، لكنى صادفت تجاهلاً شديداً وصمتاً مثيراً ولافتاً للنظر ، من ثم شغلنى السؤال التالى : ما الذى يعنيه للوجدان العام ، إشغال الناس عدة أسابيع أو أشهر بسيرة وقصص ومغامرات دودى الفايد ؟ وما دلالة ذلك التجاهل التام لحدث استشهاد هادى نصر الله فى جنوب لبنان ؟

حين حاولت الإجابة عن السؤال ، خطر لى أن أستعرض القيم التى يمثلها ويزكيها الراحلان، ذلك أن كل واحد منهما ظهر على المسرح فى إطار سياق أو مشهد معين ، محمل بمجموعة من الإشارات والقيم ، وسواء شئنا أم لم نشأ ، فإن الاهتمام بالشخصية وحجم الأضواء المسلطة عليها ، قد يعبر ضمنا عن قدر من التحيز أو على الأقل عدم الانكار للقيم التى اجتمعت فيه ، أو كان هو رمزاً لها ، لذلك ألح على ذلك السؤال : ما هى يا ترى تلك المعانى والقيم التى تتداعى الى الذهن حين يذكر اسم كل من دودى الفايد ، الذى أطل علينا عاشقاً ، وهادى نصر الله الذى قرأنا خبره شهيداً ؟

إن الصورة المستقرة لدودى الفايد فى أذهاننا ، هى تلك التى نشرتها له الصحف مرات عديدة، وهو بثياب البحر فوق ظهر اليخت الذى يملكه أبوه ، وقد تدلت سلسلة ذهبية من رقبته وغطى عينيه بنظارة شمسية ، بينما رقدت الى جواره الأميرة ديانا مستمتعة بأشعة الشمس وبفيض الحب .

أما صورة هادى حسن نصر الله ، اليتيمة التى نشرت له ، فقد قدمته شابا كث الحاجبين ، مرتدياً ثياب الميدان ، وقابضاً على مدفع صغير من طراز كلاشنكوف ، ومرابطاً تحت الشمس الحارقة وسط أحراش إقليم التفاح .

حين تدبرت الأمور وجدت أن المعانى والقيم التى تتداعى إلى الذهن حين يسمع المرء اسم دودى الفايد هى : الوسامة – النعومة – الفراغ – الثراء – المجون – النساء – العشق – لاس فيجاس – هوليود – ديانا – هارودز – فندق ريتز – السائق المخمور – المرسيدس ٢٨٠ .

أما هادى نصر الله ، فإن اسمه والسياق الذى ذكر فيه يستدعيان إلى الإدراك المعانى والصور التالية : الرجولة – التضحية – الجهاد – الشهامة – الخشونة – الوطن – المقاومة – التحرير – فلسطين – الجبهة – الجنة .

كان دودى مشغولاً بلذاته ، أما هادى فقد أعطى روحه لأمته ، والأول جاءه الموت على حين غرة فأفسد عليه حلمه ودنياه ، والثانى ذهب إلى الموت فاتحاً ذراعيه ومشترياً آخرته بدنياه ، الأول مات ، وغادر الدنيا قتيلاً ، بينما الثانى لم يمت وودعنا شهيداً .

حين رحل دودى فإنه أطفأ حلم أبيه فى أن يخلفه على عرش مملكة المال والثراء ، أما حين رحل هادى فإنه أضاء وجدان أمته وأنعش أملها فى غد تظلله الكرامة والكبرياء ، من ثم فلا غرابة فى أن يبكى محمد الفايد ابنه وينفطر قلبه حزناً عليه وحسرة ، ولا عجب من أن يفرح حسن نصر الله ويعتبر فوز ابنه بالشهادة وساما يبعث على الاعتزاز والفخار .

هكذا فإن كلا الراحلين يعد رمزاً لمنظومة معينة من القيم ، دودى يمثل قيماً فردية وخاصة ، وهادى يمثل منظومة أخرى للقيم مجتمعية وعامة ، الأولى محورها الذات ، ووثيقة الصلة بثقافة المتعة واللذة المهيمنة على النموذج الغربى ، أما الثانية فالذات فيها تراجعت بينما تقدم المجتمع ، فى تعبير جلى عن ثقافة أخرى مغايرة ، ربما جاز لنا أن نسميها ثقافة التكليف القابعة فى خلفية النموذج الحضارى الإسلامى .

وثقافة المتعة هى نتاج طبيعى للمشروع العلمانى الرأسمالى الذى جعل من إشباع رغبات الفرد وإذكاء نوازعه الاستهلاكية ركيزة ومحوراً ، وحين نحت العلمانية الدور

المركزى للإله وهمشت من دور الدين حتى ألغت مرجعيته ، فإنها من الناحية العملية نصبت الانسان ذاته إلهاء جعلته المطلق الأوحد ، حتى صار هو مصدر الأخلاق والقيم .

هكذا فإنه بعد أن حققت العلمانية هدف " تفكيك سوق الخلاص " والتعبير للباحث الاجتماعى الفرنسى " جاك لميتر " أصبح بمقدور الناس أن يخترعوا " الديانات " الوثنية التى حذرت الكنيسة الإنجليزية الناس منها قبل حين (وتحدثنا عنها فى هذا المكان قبلا) ، الأمر الذى أدى إلى بروز خريطة عشوائية روحية أفرزت " متدينين " بغير أديان حقيقية ، يتعبدون بالمتعة ويشبعون أشواقهم الروحية بالخرافة ، التى تمثلت حيناً فى تلفيق انتقائى بين الملل والنحل (المسيحية مع الهندوسية والبوذية مثلاً) وتمثلت أحياناً أخرى فى التعبد بواسطة كرة الكريستال أو أوراق اللعب (الكوتشينة) أو فى عبادة الشيطان ! .

ثقافة التكليف لها شأن مختلف ، إذ هى وثيقة الصلة بالدور المركزى الذى تؤديه العقيدة فى منظومة قيم المجتمعات الإسلامية ، وهى العقيدة التى قررت أن الله لم يخلق الكائنات عبثاً ، واعتبرت أن لكل كائنٍ حكمته ووظيفته ، وتلك الكائنات سخرها الله للإنسان ، الذى استخلفه الله عنه فى عمارة الأرض .

والأمر كذلك ، فإن الثقافة الغربية بالذاتية التى أعلت من شأنها ، والحرية الواسعة التى وصلت إلى حد التفلت التى اتسمت بها ، باتت تحتمل وتحتفى بنموذج فتى لعوب أو امرأة متهتكة أو نجم شاذ جنسياً فى عالم السينما أو الأزياء ، مادام قد حظى بقبول الناس لسبب أو آخر ، لذلك فإن دودى وديانا وفرساتشى يمكن أن يصبحوا نجوما فيه دون أى حرج ، إذ ليس فى سجل أى من هؤلاء ما يمكن أن يخجل منه ، أو ينكره عليهم المجتمع ، حيث ممارساتهم لها شرعيتها ، وهى تعبير طبيعى عن القيم السائدة فى المجتمع ، التى اتسعت لهم ووضعتهم جنبا إلى جنب مع الأم " تريزا " !

أما الثقافة الإسلامية برؤيتها المتميزة للإنسان ودوره ، والسقف الدينى والأخلاقى الحاكم لها ، ومنظومة القيم المجتمعية التى تبثها وتروج لها ، فإن النموذج الإنسانى فيها لابد أن يختلف . نعم ، هى لا تصنع ملائكة ، ولكنها تشكل مجتمعا يربى على قيم إيمانية مطلقة ويميز بين الحلال والحرام والصلاح والفساد ، الأمر الذى يضفى ثباتاً على القيم العليا ، التى تظل نجوماً سامقة يهتدى بها الناس ويتطلعون إلى تمثلها ما أوتوا إلى ذلك سبيلاً ، ولذلك فإن هادى نصر الله ويحيى عياش وفتحى الشقاقى ومحيى الدين الشريف ، يعدون نتاجاً طبيعياً لها ، وهم التعبير الوفى عن مثلها .

والأمر كذلك، فإننى أفهم لماذا يولى الإعلام والمجتمع فى الغرب اهتماماً كبيراً بدودى الفايد، ولا أنكر دور صحافة الإثارة التى تغنت فى جذب اهتمام الناس وإذكاء فضولهم، مستثمرة مقولة : إن الناس يحبون الخوض فى سيرة الناس ، ولكن الذى لم أفهمه هو لماذا ننساق وراء النموذج الغربى الى ذلك الحد ، الذى يجعلنا نسلط الأضواء على رموز تمثل قيما تتناقض مع كل ما نحاول أن نثبته وندافع عنه من قيم فى مجتمعاتنا وبين شبابنا ، ويزداد المرء دهشة حين يجد أن النموذج الذى يمثل قيمنا ونتطلع إليه ، هو بين أيدينا وتحت أبصارنا ، ولكنه لا يحظى منا إلا بالإعراض والصد .

وحين يكون هذا هو حظ الحقيقة الملهمة فى مجتمعاتنا ، فإن الذى ينبغى أن نفكر فيه هو : هل هى أزمة الإعلام اللاهث وراء النجومية والنميمة والإثارة ، أم أنها أزمة مجتمع تتعرض منظومة قيمه لامتحان عصيب ؟

علينا أن نختار فى النهاية النموذج الذى ننشده لشبابنا : هل هو دودى أم هادى ؟ وسيظل من غرائب زماننا ، وأخشى أن أقول من علامات الساعة ، أن تنتابنا الحيرة ونحن نحاول المفاضلة بين الاثنين ! .

(فهمى هويدى / الأهرام ٢٣/٩/١٩٩٧)

(الشيخ نصر الله والمجد للمقاومة)

لا يملك المرء ، فى هذا الزمن الردىء ، الذى تدنت فيه القيم واضمحلت ، سوى أن يمعن التأمل فى موقف ووقفة أمين عام حزب الله ، الشيخ حسن نصر الله الذى لم يضن بنجله البكر على ساحة المقاومة والفداء ، فهادى مثله كمثل سائر أبناء الجنوب اللبنانى ، إن القائد الوالد فى موقعه هذا يجسد مثالاً من القادة عز وجوده ، ولم نعد نعهده ، منذ قرون بعيدة ، فعادة ما ينهل أبناء الأمراء والقادة والمسئولين من لذات الحياة ، على اختلاف مشاربها .

وقف الوالد متماسكاً ، شامخاً ، كالطود ، يتلقى العزاء فى ابنه هادى من جمهور ، جله فى ميعة الصبا ، أخذ يؤكد إصراره على الاستمرار فى مقاومة الاحتلال الإسرائيلى بجنوب بلاده لبنان .

وفى خطوة غير مسبوقة قامت القوات الإسرائيلية بسحب جثث الشهداء الأربعة فى محاولة سافرة للابتزاز والمساومة .

ولم يحاول الشيخ استثمار فجيعته ، لم يقم الدنيا ، مطالباً باستعادة جثمان فقيده الشاب ، بل لم يبد لهفة أو لوعة على ضرورة احتضان جثمان ابنه ، ولو لمرة أخيرة من يدرى؟ ، لعل الشيخ وجد فى موقف أسماء بنت أبى بكر أسوة حسنة ، حين أشاحت بوجهها عن الحجاج بن يوسف الثقفى ، مرددة مقولتها الشهيرة " ماذا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها " لإصرار الأول على إبقاء جثة ابنها ، عبد الله بن الزبير ، مصلوبة أمام عينيها ، لأيام طويلة .. إن أمين عام حزب الله يعلم جيداً أن أبناء جنوب لبنان خلقوا ، مثل سائر البشر ، من تراب وهم إلى تراب يعودون ، وأن التراب المحيط بالشريط الحدودى المحتل ، فى كافة الاتجاهات ، يظل تراباً عربياً ، أياً كانت اللافتة . وسرعان ما أنجز أتراب هادى ورفاقه ما وعدوا ، ليوقعوا قتيلين من الجنود الإسرائيليين فى الشريط اللبنانى المحتل ، ولايزال الحبل على الجرار .

لقد أصبح جنوب لبنان لقمة مُرة فى حلق إسرائيل ، لا تقوى على ابتلاعها ، ولا تستطيع لفظها .

تحية إلى أبناء جنوب لبنان ، الذين يواجهون قوات الاحتلال وجهاً لوجه وليس من وراء حجاب ، الذين جعلوا لجثث شهدائنا قيمة وشأناً .. ومن يهن يسهل الهوان عليه .

(هالة العورى ١٩٩٧/٩/٢٤ – الأهالى)

(هادى نصر الله شهيد اختار صحبة يحيى عياش)

" أشكر لله عظيم نعمه أن نظر نظرة كريمة إلى عائلتى ، فاختار منها شهيداً " .

بهذه الكلمات تحدث حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله عشية استشهاد ابنه "هادى" – ١٨عاماً – على أيدى الصهاينة ، جاء استشهاد " هادى " زلزلة تنشق لها سماوات الواقع العربى المعفرة بوثائق الاستسلام والتخاذل والتفريط الرسمى بمقدرات هذا الوطن !!

منذ طفولته كان " هادى " شخصية تتميز بالشجاعة والذكاء ، وفى شبابه بحث عن الشهادة واختار بكامل وعيه وارادته طريق الخلود والمجد حيث ينتظره يحيى عياش وفتحى الشقاقى والشيخ راغب حرب ، والسيد " عباس الموسوى " وآخرون ممن عاشوا قضيتهم كالعشاق . وأعطوها كل لحظة من حياتهم !!

هادى نصر الله ، لم يحلم له والده بأن يكون رجل أعمال أو أن يكون علامة عصره وزمانه ، أو أن يتقاضى أجره بالدولار والاسترلينى ، لم يغلق عليه أبواباً من حديد ، لم يبن له أسواراً تعانق السماء كى يبعد عنه طوفان الموت ، مثلما يفعل غيره ممن يعيشون مغيبين عن واقعنا العربى الأليم ، بل دفع به فى الصفوف الأمامية ، مثله مثل غيره من أعضاء حزب الله . ممن جعلوا للمقاومة معنى آخر ، فلم يجعلوا منها مجرد بوابات لحراسة العرب ، بل صفوفاً مستعدة لاختراق الأرض المحتلة ، وكان يحلم منذ صباه بأن يكون فدائياً ينصب كميناً فى الجليل أو استشهادياً يفجر جسده وسط تل أبيب،

وبالفعل أصبح الطفل الصغير قائداً لمجموعته ، وانطلق بينما تتردد داخله صدى، كلمات والده " بأن الاستشهاد وسام إلهى لا يناله إلا المستحق " ، وقد كان حيث استشهد فى اشتباك مع إحدى الفرق العسكرية الإسرائيلية بجنوب لبنان ، ليتحول استشهاده إلى صفحة جديدة تدك عرض الأسطورة المزيفة حيث أعلن كهلانى – وزير الأمن الإسرائيلى الداخلى – أن على الجيش الإسرائيلى الانسحاب من جنوب لبنان بدون أى شروط ، على أن تنتشر قوة دولية عبر الشريط الحدودى لأن البقاء فى لبنان يعنى ذبح أفراد الجيش الإسرائيلى فرداً فرداً ، وهو ما أكده الرئيس اللبنانى السابق "أمين الجميل" من أن حكومة نتنياهو تتجه بسرعة نحو تنفيذ اقتراح لوزير البنية التحتية الإسرائيلى اريل شارون يقضى بالانسحاب من الجنوب بدون أى مفاوضات مع لبنان بعد أن رفضت بيروت اقتراحاً تقدم به اسحاق موردخاى يدعو إلى إبرام اتفاقيات على ترتيبات أمنية وعسكرية مشتركة تفضى إلى انسحاب شامل من الجنوب ، فاستشهاد " هادى " تحول إلى شىء يحلم بمحاكاته جميع أعضاء حزب الله !! وفى الوقت الذى حاول فيه الصهاينة ارتداء زى المتهم البرىء من دم ابن نصر الله كشفت مصادر فرنسية وبريطانية أن مصرع " هادى " كان من صناعة الموساد الإسرائيلى ، وليس صدفة كما صرح الناطق بلسان الجيش الإسرائيلى وأن الموساد علم بأن هادى أحد أفراد المجموعة الى كانت تشن عملياتها عن طريق عميل مزدوج !!

تقارير الموساد تؤكد أن إسرائيل أرادت بقتل " هادى " ضرب عصفورين بحجر واحد، أولهما الانتقام لمقتل أعضاء فرقة الكوماندوز الاثنى عشر ، والانتقام من حسن نصر الله ، لامتصاص غضب بنى صهيون وثانيهما ، إبعاد أنظار اللبنانيين عن مبادلة أشلاء الإسرائيليين الاثنى عشر بمعتقلين لحزب الله فى سجون إسرائيل ، والاكتفاء بمبادلة أشلاء الإسرائيليين بأشلاء هادى ورفاقه !!

وأضافت الأوساط البريطانية والفرنسية أن استشهاد هادى نقطة تحول جديدة فى الصراع بجنوب لبنان من شأنها دفع وتيرة الاضطرابات والعمليات وإسالة الدماء ، لن

تنتهى إلا بأحداث خطيرة ضخمة ، وأضافت بأن لديها تقارير صادرة عن الموساد ، تؤكد أن إسرائيل طلبت من مخابرات حلفائها فى لبنان مثل " C.I.A " و" F.B.I " الأمريكيتين والمخابرات الفرنسية والبريطانية والألمانية والايطالية تعاونا أوسع مع الموساد . رداً على توحد مخابرات الجيش اللبنانى فى الجنوب والمخابرات السوريه ومخابرات حزب الله وحركة أمل ضد إسرائيل ، وهو ما جعل الصحف اللبنانية تصف استشهاد " هادى " بأنه بداية حرب مخابراتية بين الطرفين من نوع جديد ، تحاول إسرائيل من خلالها تبييض صفحتها الداكنة ، وتحسين صورتها التى أصيبت بتشوهات عميقة منذ انفجارى القدس وعملية الانزال الفاشلة ، وأنها تريد تنفيذ مخطط تخريب جديد فى لبنان وبالتحديد فى قلب العاصمة بيروت ، وصيدا وطرابلس وحتى " بعلبك " القلب النابض لحزب الله والواقع على مرمى حجر من قيادة الجيش السورى فى البقاع.

"هادى نصر الله" ليس أول الشهداء، ولن يكون آخرهم، وهنيئاً لروحه بانضمامها لأرواح شهداء كتبوا بدمائهم أروع صفحات النصر، وأكدوا أن هذه الأمة لن تموت، وليتحول سرادق العزاء إلى حفل كبير لتبادل التهانى لأن الأشجار دائماً تموت شامخة!!

(هانى إبراهيم – الأسبوع – ١٩٩٧/٩/٢٢)

الفصل السادس

من علمه فقه الانتصار ؟

لماذا انتصر حسن نصر الله وحزبه ؟

بعد ان مرت عدة سنوات على اكتمال الانتصار اللبنانى على العدو الصهيونى ، وبعد أن لقن حزب الله ، هذا العدو ومن صار فى ركبه من حكام ومثقفين ودول ، دروساً فى جدوى الصمود ، والاصرار على المقاومة للوصول الى هدف التحرير ؛ وإخفاق ما دون ذلك من أساليب المهزومين التى يطلقون عليها زيفاً اسم " المفاوضات " ومبادرات التسوية والسلام .

* الآن وبعد أن مر على يوم اكتمال الانتصار (٢٠٠٠/٥/٢٥) أكثر من ستة أعوام ، يعود السؤال جديداً : لماذا انتصر حزب الله فى حين هزم الآخرون ؟ انه السؤال الذى يفجر عشرات من الأسئلة التى علينا أن نجيب عليها ونحن نعيش أجواء اشتداد المؤامرات الاقليمية والدولية على مقاومة الشعب الفلسطينى ، ومحاولة وأدها ، من خلال استهداف رموزها الكبيرة تارة أو من خلال تنفيذ المؤامرات الأمريكية والإسرائيلية باسم الاصلاحات الديمقراطية واصلاح الشرطة والأمن تارة آخرى .

ومن أبرز هذه الأسئلة التى فجرتها تجربة الانتصار اللبنانى : هل تختلف الأوضاع فى فلسطين اليوم عنها فى الجنوب اللبنانى إبان الاحتلال الإسرائيلى (١٩٨٢ - ٢٠٠٠) ؟ هل كانت تجربة حزب الله ومقاومته تجربة تصلح لأن تعمم عربياً أم هى شأن لبنانى بحت ؟ وفى ضوء هذه التجربة .. ما هى التحديات الجديدة التى تواجهها فى ظل الهجمة الأمريكية الجديدة على حزب الله وعلى سوريه ولبنان ؟

تساؤلات نحاول ان نجيب عليها عبر هذا الفصل فى المحاور التالية :

* * *

أولاً : الجنوب الذى كان محتلاً : حديث بالحقائق :

١ – قاد المواجهة فى الجنوب كل القوى الوطنية وفى طليعتها حزب الله الذى أسس مع بدايات الاجتياح الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢ وأعلن عنه رسمياً بعد عامين من العمليات النوعية المؤثرة أى عام ١٩٨٤ .

٢ – اجمالى العمليات العسكرية [شاملة الاستشهادية] للجناح العسكرى للحزب واسمه [المقاومة الإسلامية] يقترب من ١٩ ألف عملية خلال الفترة من ١٩٨٢ حتى مايو/أيار ٢٠٠٠م .

٣ – كان تعداد قوات المقاومة الإسلامية ولايزال يتراوح بين ١٠ آلاف الى ١٥ ألف مجاهد.

٤ – عدد الشهداء فى صفوف المقاومة وصل الى ١٥٦٠ شهيداً منهم ابن الأمين العام للحزب [هادى حسن نصر الله ١٩٩٧] وشيخ المجاهدين (راغب حرب ١٩٤٨) والأمين العام السابق للحزب الشهيد السيد/عباس الموسوى ١٦/٢/١٩٩٢].

٥ – تكبد جيش انطوان لحد قرابة الـ ٢٠٠٠قتيل وحوالى ٣٠٠٠جريح وكانت قواته تصل الى حوالى عشرة آلاف جندى فضلاً عن تواجد نوعى للعدو يقترب من ٢٠ألف جندى بأحدث الأسلحة.

٦ – اجمالى الأرض اللبنانية التى كانت محتلة ١١٠٠ كم يوجد بها ٦٠ مدينة وقرية وضيعة مع ربع مليون لبنانى مهجر .

٧ – من الكلمات الشهيرة لقادة الاحتلال [ان هذا الحزب (يقصد حزب الله) لم يصب الجيش الإسرائيلى فحسب بالجنون بل أصاب الدولة كلها بالجنون ومن ثم علينا أن ننسحب فى أسرع وقت !!]

٨ – من الكلمات ذات المغزى التى تبقى فى الذاكرة عن هذا الانتصار ، ما قاله قائد المقاومة السيد حسن نصر الله [بعد هذا الانتصار بدأ بإذن الله زمن زوال إسرائيل ، لقد أضحت مستوطناتها تحت أقدام مجاهدينا .. انها أوهن من بيت العنكبوت] .

تلك كانت وباختصار قصة الجنوب الذى انتصر ، والذى نأمل أن يتم استيعاب درسه النضالى العظيم !!

* * *

ثانياً : لماذا انتصر حزب الله :

ان الحديث عن أسباب انتصار حزب الله فى حين هُزم الآخرون ، يكمن فى تقديرنا فى امتلاك الحزب لمقومات الانتصار الرئيسية من قبيل قيادة سياسية مضحية وواعية بالقضية وبالمرحلة التى تمر بها ويقف على قمتها السيد حسن نصر الله الذى ضحى بابنه الشهيد (هادى) ، فى سبيل الله والوطن ، ثم يأتى امتلاك الحزب لترتيب صحيح (لفقه الأولويات) وعدم التورط فى القضايا الثانوية الداخلية أو الاقليمية ، وتركيز على الصراع مع العدو الرئيسى ، يضاف الى ذلك بل يسبقه ايمان دينى وعقائدى عميق ، جعل كل عناصر المقاومة تنطلق نحو هدفها فى ثبات وصدق وعزيمة غير قابلة للهزيمة لأن الأمر لديها كان إما نصر أو استشهاداً .

ويكمل هذا جميعه قدرة الحزب على توحيد الشعب اللبنانى والقيادة اللبنانية خلف نضاله ، بل امتلك أيضاً شعبية عربية واسلامية جارفة جمعت الأمة كلها خلفه .

هذه العوامل مجتمعة كانت هى عوامل الانتصار الفذ لحزب الله ، وبغيابها هزمت القوى الأخرى التى كانت تقاتل ومعها من الأسلحة (المادية) ما فاق كل ما لدى حزب الله ، هزم عرفات وجماعته واتجهوا الى طريق الذل ، طريق التسوية البائسة التى أوصلتهم الى الحال الراهنة من المهانة والضياع ، فى حين انتصر لبنان وشعبه ومقاومته ، بهذه العوامل التى سبق وأشرنا اليها وتصلح لأن تعمم عربياً واسلامياً لأن عوامل انتصارها هى (الروح) و(الارادة) ولا يتعلق الأمر هنا بالجغرافيا واختلاف الظروف ، ولكنه أمر (روح) و(إرادة) ، وهما ما كانا متوفرين بوضوح فى حالة حزب الله ، ولم يكونا موجودين لدى ذلك الفريق البائس من منظمة التحرير الفلسطينية ، الذى ارتكب فى النهاية (معصية) المفاوضات و(إثم) التسوية .

ثالثاً : لماذا يحاولون اغتيال تجربة حزب الله ؟ :

ما العمل حين يصبح " المجرم " قاضياً ، ويكون مناط " العدل " فى أيدى اللصوص ، ويطلب بل ويُجبر – بمعنى أدق – المظلوم على الاعتذار الى من ظلمه ، هـذا هـو تحديداً المشهد الراهن فى علاقة " التوتر المقصود " بين الولايات المتحدة وحزب الله ، فتارة يفتعل السفير الأمريكى فى بيروت صراعاً سياسياً مع الحزب انطلاقاً من ادانـة مقاومته فى مزارع شبعا ورده على عدوان الطائرات الإسرائيلية التى تهوى اختـراق حاجز الصوت والضمير والقانون فوق الجنوب كل يوم ، متجاوزاً (أى السفير) دوره وحجمه الدبلوماسى فى سابقة لا مثيل لها فى العلاقات الدولية ، الا إبان عهود الانتداب والاستعمار ، وتارة اخرى " تفبرك " الـ " واشنطن بوست " ، وبتسريب معلومـاتى مغلوط ومقصود من الـ C . I . A معلومات عن علاقات لوجستية بـين القاعـدة و(حزب الله) ، وتارة ثالثة يخرج السناتور الأمريكى ، صهيـونى الهـوى (بـوب جراهام) رئيس لجنة الاستخبارات فى مجلس الشيوخ ، على الملأ معلناً أن (حـزب الله هو أكثر التنظيمات الارهابية فى العالم قسوة وفاعلية) ومطالباً بحرب لا تذر على مخيمات " الارهاب " فى لبنان !! ثم تلا ذلـك – ولاتـزال – عشـرات التهديـدات الأمريكية ذات النفس والروح الإسرائيلية الجلية .

* هذه التوترات ، والتصعيدات الأمريكية فى لهجة العداء للمقاومة اللبنانية التى يقودها "حزب الله " وتجاوزها حدود اللياقـة السياسـية والـذوق الحضـارى أو الأعـراف الدبلوماسية والقانون الدولى العام ؛ دفعت الكثيرين للتساؤل بعد الادانة لها باعتبارهـا حملة جوبلزية – نسبة الى وزير الدعاية النازية الهتلرية فى الأربعينات – ضد حزب الله حول دلالاتها ومقاصدها فى هذا التوقيت : لماذا ؟ وماذا بعد هذا التصعيد الاعلامى – السياسى ؟ ذلك ما نحاول أن نجيب عليه .

* * *

بداية ، هناك حقيقتان ينبغى التأكيد عليهما منذ البداية :

الأولى: هى أن العداء الأمريكى لحزب الله ، ولكل قوى المقاومة العربية ليس وليد اللحظة ، ولا هو من بنات أفكار ذلك الصهيونى القابع فى بيروت (السفير الأمريكى) أو شريكه المتحدث من واشنطن (بوب جراهام) ومن حذى حذوه ، فهو عداء قديم،وربما يتجاوز فى قدمه تاريخ نشأة حزب الله ذاته ، يعنى العام ١٩٨٢ .

الثانية: انه لا يمكن استبعاد (إسرائيل) من دائرة المساهمة فى هذا التصعيد، وتوسيعه، بل وتكتيكه بانتظام ، وإسرائيل مثلما هى حاضرة هنا ، هى أيضاً حاضرة وبقوة فى صناعة القرار الأمريكى تجاه المنطقة .

** هاتان الحقيقتان ؛ البديهيتان ، يسبقان أى حديث عن التصعيد الحالى فى لهجة العداء الامريكى ضد " حزب الله " ، فهو يأتى منطقياً ، وطبيعياً فى سياق الانحياز الامريكى الكامل ضد مشروعية المقاومة العربية بإجمال وضد الحق العربى بخاصة فى فلسطين ولبنان ؛ الا ان ثمة جديداً فى المشهد التقليدى ، جديداً ، أتى بعد أحداث ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١م ، وظل يتطور حتى الأيام الماضية ليبرز أكثر الوجه القبيح الذى كان مختبئاً تحت منضدة الصراع ، لهذه الاستراتيجية الأمريكية فى المنطقة ، الراغبة فى اعادة تشكيلها ،وترتيبها بما يحمى احدى ركائز أمنها القومى فى المنطقة : "إسرائيل"، والتى تعد بحق أرخص حاملة طائرات أمريكية فى العالم ؛ ان الجديد الذى نقصده يتمثل أولاً فى أن هذه الحملة سبقت ثم واكبت عملية غزو العراق ٢٠٠٣ ثم قتل الحريرى (٢٠٠٥) ، وكانت الحادثة الأخيرة الهدف منها بالأساس هو الوصول إلى سلاح حزب الله ونزعه لصالح إسرائيل .

* * *

أما الهدف الامريكى الثانى من التصعيد مع حزب الله ، فتنيره لنا المصابيح الأمريكية المنطفئة فى شوارع القضية الفلسطينية ؛ اذ ان عدم امتلاك امريكا حتى اليوم لرؤية شجاعة مستقلة ومنصفة لحل هذا الصراع بعيداً عن الرؤية الإسرائيلية (ولنتأمل رؤية بوش المعلنة يوم ٢٤/٦/٢٠٠٢ بكل تفاصيلها المنحازة ضد الحقوق العربية فى

فلسطين كنموذج لما نقول) ، هذا الأمر يجعل القرار الأمريكي وماكينة صناعته [مجلس الشيوخ والنواب والخارجية والبيت الأبيض والأمن القومي والمخابرات وغيرها] ؛ أسيراً للرؤية الإسرائيلية لطبيعة الصراع في هذه المرحلة وخاصة بعد ١١ سبتمبر (أيلول)،وللحلول المقترحة بشأنها (وهي طبعاً ليست حلولاً بالمعنى السياسي أو الانساني للكلمة ولكنها املاءات وشروط) وربطها كافة أشكال المقاومة المشروعة للاحتلال بالارهاب كما تراه الادارة الأمريكية وروجته عالمياً ، واستطاعت هذه الرؤية الإسرائيلية ان تنفذ الى مسارب العقل الأمريكي الرسمي وتسيده ؛ وأن تفرض عليه أجندة أولوياتها ومخاوفها ، وهو أصلاً كما سبق وأشرنا ، عقلاً ، عداؤه تاريخي ومزمن للمقاومة العربية والإسلامية ، ومن ثم هو عقل سياسي مهيأ لاستقبال كل ما تضخه آلة الحرب الإسرائيلية من رؤى وخيارات وسياسات ، بل ويتلذذ بهذا الاستقبال، كمن يعاني من عقد جنسية أونفسية تحتاج الى علاج أكثر من حاجتها الى شروح وتفسيرات تقدمها زيارات أمراء ورؤساء عرب الى واشنطن محاولين فيها تحليل المسألة أمام من أغلق عقله وضميره عن مجرد السماع !!

** في هذه الظروف قدمت إسرائيل ، (حزب الله) الى الادارة الأمريكية باعتباره حزباً ارهابياً له امتدادات خارجية بل وهذا هو المضحك في كل هذا المشهد الباكي – لدى كافة المراقبين – لديه علاقات خاصة (لوجستية وعسكرية) مع تنظيم القاعدة السني السلفي (!!)، بقيادة أسامة بن لادن واستطاعت إسرائيل استثمار علاقتها الخاصة – وهي معروفة وموثقة مع عدد من السفراء الامريكيين في المنطقة وعدد من النواب في الكونجرس ومجلس الشيوخ الأمريكي (ومنهم بوب جراهام سالف الذكر) والصحف الأمريكية (الواشنطن بوست نموذجاً) والبريطانية مثل (الديلي تلجراف) والادارة الأمريكية وبعض المهيمنين في الاتحاد الاوروبي لتشن حملة شعواء على حزب الله مطالبة بوضعه على رأس قائمة المنظمات الارهابية في العالم : وهي حملة لا يمر يوم تقريباً دون (فبركة) صحفية أو سياسية لها من عينة ما قامت به الواشنطن بوست حين

ربطت بينه وبين تنظيم القاعدة ، رغم ان أى تلميذ فى أصغر مدرسة للعلوم السياسية فى العالم ، اذا ما درس هذه المنطقة جيداً ، يعرف أن الفارق المذهبى والسياسى بين حزب الله والقاعدة ، يحول دون تعاونهما العسكرى او حتى السياسى ، رغم اشتراكهما فى العداء للولايات المتحدة وآلتها الحربية فى المنطقة .

* * *

* ان المخاوف الإسرائيلية من حزب الله وبنيته العسكرية المتنامية ، وقدراته السياسية المتميزة فضلاً عن علاقاته القوية مع القوى الفلسطينية المجاهدة والتى تقود المقاومة كانت هى السبب الرئيسى الثانى والحقيقى الذى دفع الولايات المتحدة لهذا التصعيد " الكلامى " والسياسى ضده ؛ والى شن حملة هتلرية حمقاء عليه ، والى القيام بأكبر عملية خلط أوراق تجاه هذا الحزب المدنى / السياسى / المقاوم ، ونعته هكذا وبالجملة بالارهاب ؛ فى اهانة حتى للعقل السياسى المتابع والمراقب لتجربة حزب الله ، وهى – أى الادارة الأمريكية – وبعد ان هيمنت عليها الرؤية الإسرائيلية تماماً ، لا تريد ان ترى حقائق مادية ملموسة تقول ان حزب الله ليس مجرد جماعة مسلحة فحسب ، بل هو حزب مدنى بامتياز وفقاً لمعايير السياسة المعروفة فهو يمتلك كتلة نيابية [١١ نائباً] تمثل أكبر تكتل فى مجلس النواب اللبنانى ، وهو مجلس أرقى فى مناقشاته ودوره وفاعليته المدنية – مثلاً – من " الكونجرس الامريكى " ذى التوجه العنصرى الواضح عبر تاريخه المديد ؛ ويمتلك هذا الحزب وجوداً سياسياً شعبياً حتى فى الأوساط المسيحية ، وهو أكبر الأحزاب اللبنانية انفتاحاً على مؤسسات المجتمع المدنى المسيحى والاسلامى فى المنطقة ، وهو من دعاة الحوار الجاد بين مستوى الأحزاب الدينية والسياسية ، ولديه بنية مدنية متطورة حيث يمتلك ٥٦ مستوصفاً طبياً و١٦ مدرسة فى كافة مراحل التعليم، وأربع مؤسسات اجتماعية وتنموية وإعمارية أبرزها مؤسسة (جهاد البناء) التى كانت – ولاتزال – لها دور بارز فى إعادة إعمار الجنوب، خاصة بعد الاعتداءات الإسرائيلية على القرى الجنوبية ، والحقول والمؤسسات ؛ وهى

مؤسسة يعلم اللبنانيون انها تتجاوز الدور الاعمارى الى الدور الاجتماعى الأخلاقى والخدمى ، لشعب عانى الاحتلال ولايزال ، وهى ترفع فى طليعة مشاريعها لافتات تحمل كلمة مأثورة للأمين العام السابق لحزب الله الشهيد السيد عباس الموسوى تقول [نخدمكم بأشفار عيوننا] وقد كان !!

* ولحزب الله نسبة الأغلبية فى ١٨ مجلساً من مجالس الطلبة فى كليات الجامعة اللبنانية وله أيضاً نفس النسبة فى ٨٠ مجلساً بلدياً - قروياً - على الصعيد اللبنانى كله، فضلاً عن صحافة واذاعة وتليفزيون ذائع الصيت والدور [المنار] ، فضلاً عن مؤسسات فكرية بحثية رائدة فى مجالها ولها ترخيصها الرسمى من الدولة : مثل (المركز الاستشارى للدراسات والتوثيق) الذى يديره المفكر الدكتور على فياض . حزب بهذا الشكل ، والدور ، والمضمون ، هل يجوز عقلاً،وصفه بأنه مجرد جماعة مسلحة إرهابية وفقاً للرؤية الأمريكية فإذا كان العمل الصحى والاعمارى والنيابى والاعلامى ؛ ليس عملاً مدنياً بحتاً فماذا تسميه إذن ؟ وما هو العمل المدنى السلمى البديل فى هذه الحال ؟

* ان المشكلة الحقيقية الآن هى ان الادارة الأمريكية قد شربت الى حد الثمالة من كأس التعريف الإسرائيلى لحالة (حزب الله) ، وأغلقت عيونها وآذانها وضميرها دون أية تعريفات وحقائق أخرى وقصرتها فقط على التخوفات والهلع الإسرائيلى من حزب الله ، ومن نية الآخير الا يتوقف عن المطالبة باسترداد أرضه المحتلة (مزارع شبعا) واستعادة أسراه ودعمه للانتفاضة ، ومعاداته ، العقائدية - الصائبة - لهذه الغدة السرطانية فى جسد الأمة ؛ هذا التعريف " الوظيفى " صار هو فى تقديرنا (الهدف الثانى) من أهداف الحملة الأمريكية المتصاعدة ضد حزب الله ، والدأب الاعلامى والمخابراتى والسياسى الامريكى اليومى على وصمه "بالارهاب" والمطالبة بتصفيته.

* * *

أما الهدف الثالث ، الكامن خلف هذه الحملة الأمريكية ، ضد حـزب الله - مستغلة حادثة اغتيال الحريرى - (وهو فى تقديرنا أخطر الأهداف وأشدها حضوراً) ، فيتمثل فى الخوف من هذا النمط من " الاسلام السياسى " الذى يطرحه الحزب ، بكل جـرأة وشجاعة عبر نموذجه الجهادى ، سواء تمثل ذلك فى النموذج الذى تشكل عبر الفتـرة من ١٩٨٢ حتى مايو (أيار) ٢٠٠٠ (عيد الانتصار) أو خلال فترة الانتفاضة (٢٠٠٠ - ٢٠٠٥) عبر أداء فعال على كافة المستويات وبكافة الوسائل بدءاً من مستوى الدعم السياسى او الاعلامى وانتهاءً بالدعم المادى المباشر ، ولنتأمل كنمـوذج لـذلك أحـد ادعاءات رئيس الأركان الإسرائيلى السابق "موشيه يعالون" عن حزب الله حين أعلـن ان هذا الحزب استطاع ان يزرع أكثر من مائة خلية داخل الأرض الفلسطينية المحتلة، وانه لم يقتصر فقط على عملية الاختراق المخابراتى للجيش الإسرائيلى (قضية نسـيم نسر وغيرها) بل تعداه الى دعم عسكرى مسلح للانتفاضة وللمقاومة الفلسطينية ودعم سياسى معنوى هائل (قضية تبادل الأسرى) وفى هذا الصدد فإنه من المهم الاشارة الى ان الاعلام الامريكى والغربى عندما يقولون ان لحزب الله امتدادات خارجية فعالـة ، يقصدون تحديداً - وفقاً لهاآرتس الإسرائيلية - دعمه للانتفاضة ولا يقصدون أى شىء آخر قد يتبادر الى الذهن مثل امتدادات مثلاً فى أمريكا الجنوبية أو آسيا ، ولنتأمل الى أى مدى صار دعم فلسطين فى انتفاضتها وجهادها المشروع لاسترداد ذاتهـا وعـن حقوقها عملاً خارجياً غير مشروع فى القاموس السياسى للغرب الحديث !! .

ان الخوف الامريكى هنا يأتى من كون (حزب الله) يطرح نموذجاً اسلامياً فذاً ، يختلف فى طبيعته ومراميه ووسائله عن ذلك الذى تطرحه (طالبان) ، حيث هو نموذج يؤمن بما نسميه (بفقه الأولويات) ووحدة القوى فى مواجهة العـدو الخـارجى ، والجبهـة الواسعة لمواجهة التحدى المفروض إسرائيلياً وغربياً على الأمة ، وإرجاء الخلافـات والصراعات السياسية والعقائدية بين القوى المناضلة الى مرحلة تالية لما بعد الانتهاء من مواجهة هذه الهجمة الإسرائيلية / الأمريكية .

وهو (نموذج اسلامى) يعى جيداً أهمية الاجتهاد ، والانفتاح الفكرى على الواقع والعالم والتاريخ أيضاً ، ولا يقع فى أسر المذهبية الضيقة ، وهو (نموذج) يستقطب القـومى والشيوعى والليبرالى العربى والمسلم ، بل يستقطب من هم خارج هذه الدائرة العربية الإسلامية ، ممن يرفضون النموذج الأمريكى فى الهيمنة وفـرض (الأمركـة) علـى الصعيد الانسانى ، وهو (نموذج اسلامى) يضحى فيه القائد بنفسـه (السـيد عبـاس الموسوى) ويسترخص فى سبيل ما يؤمن كل شىء حتى أعز ما يملك (ابنه) (السـيد هادى حسن نصر الله) ويطلب فيه هذا القائد الشهادة ، ويفلسف لمريديه وشعبه وأمتـه عظمتها ، وضرورتها فى هذه المرحلة ويتواضع فى عزة ويسمو فوق محنه الخاصة ويطلب من أمته وبأعلى صوت الصمود والثورة ، فيردد صدى دعوته المئـات فـى الجنوب الفلسطينى بعد ان شاهدوا ثمار هذه العزة فى الجنوب اللبنانى .

** هذا النموذج ، يخشى الغرب فى طوره الأمريكى الجديد ، ان ينتشر وأن يستقطب فى انتشاره الجماهير المتعطشة لقيادة ضد عدوها خاصة فى منطقة عربية تعيش لحظة هزيمة حضارية ، وانكساراً رسمياً ، محزناً ، أمام غطرسة واستكبار أمريكى ، لم يعد يخشى غضبة النفط أو الاقتصاد (٨٠٠ مليار دولار من الدول العربية مُسـتغل فـى شركات وأسواق الغرب) لأنه يضمنها ويعلم مدى الانحناء الرسمى والخنوع المجـانى الذى أدمنه "أولو الأمر" فى هذه الأمة ، أمام الولايات المتحدة خاصة بعد ١١ سـبتمبر (ايلول) ؛ يواكب هذا جميعه عدوان همجى دائم يمارسه مجرمو حرب ، على شـعب فلسطينى أعزل بقيادة مهزومة ومحيط عربى مكبل جماهيرياً ومغشوش نخبوياً (حيث النخبة الثقافية والسياسية للأسف تمارس الغش المتقن على الأمة ففقدت من ثم الـدور والرأى والرؤية الصادقة) .

* فى هذا الإطار، تخشى الولايات المتحدة ، صعود هذا النموذج من الإسلام السياسى، الاسلام الحقيقى وتشعر بأنه (الأشد فاعلية) على المستوى العالمى ، وهنا نستطيع ان نؤيد جراهام (السيناتور السابق ذكره) فى وصفه ، ولكنها قسوة لو أنصف فى وصفها؛

تمتد الى المعتدى والمنتهك لحقوق الغير وحرياته وكرامته وليس لسواه ، مــن هنــا اشتدت الحملة الأمريكية ، وستشتد على (حزب الله) لإفراغه من مضمونه ونموذجيته، أو على الأقل لتحييده وشل (فاعليته) و(قسوته) أمام جمهوره وأمته ، لأن ما دون ذلك، وبلا مبالغة ، اجهاض لكافة المخطط الأمريكى فى المنطقة بدءاً من العراق ومــروراً بنفط الخليج والحكومات الصديقة ، وانتهاء بفلسطين ولبنان ، ان المطلــوب اذن هــو "اغتيال النموذج" ، أو فى الحد الأدنى تحييده ، وتفريغه ، من مثاليته .

• • •

** ونحسب انه ورغم كافة المؤامرات والحملات الأمريكية والإسرائيلية التى تحاك حول حزب الله والتى أتت عملية اغتيال الحريرى (٢٠٠٥) كــأبرز حلقاتهــا ، رغــم هــذه المؤامرات التى تتطلب يقظة عربية واسلامية لمواجهتها ، وليس فقط يقظة لبنانية ، فــإن مآل هذا جميعه هو الفشل ؛ لأنه يفتقد لمبررات الانتصار ، خاصة أن لحظــة المــوات الرسمى العربى الراهنة ، والتسليم المجانى للأعداء لن تدوم ، وهذا الحزب ، فى ظننا ، يستعصى على الهزيمة الأمريكية ، لأنه يمتلك قاموساً مغايراً وفقهاً جديــداً للانتصــار ، ومعايير مختلفة تحتم البقاء ، والفوز ، فى أى مواجهة محتملة مع الولايــات المتحــدة ، سواء مباشرة أو عبر حاملة طائراتها فى المنطقة : إسرائيل .

الفصل السابع

حزب الله وزلزال اغتيال الحريرى

(قضايا مشتعلة)

ربما كان آخر ما توقعه قادة حزب الله أن يتم تغييب (الحريرى) عن ساحة العمل السياسى اللبنانى بهذا الشكل الدرامى الذى قلب المعادلات ، وقلص مساحة المناورة السياسية أمام قوى الموالاة والمعارضة كافة ، وأمام الحزب خاصة ، وهذه النتيجة على العكس مما ذهب البعض من المحللين السياسيين ، الكارهين بالفكرة والفطرة لحزب الله ، خسارة كبيرة للحزب لدور رجل سياسة مؤثر مثل الحريرى ، خسارة كبيرة لم يعوضها شيء بما فى ذلك ما أعلن بعد أيام من استشهاد الحريرى من تحالف سورى إيرانى جديد لرد التهديدات الخارجية (دون تسميتها) إبان زيارة رئيس الوزراء السورى لطهران ، لقد كان الحريرى ، صمام أمان أمام انفلات مارد الحرب الأهلية من عقاله الطائفى ، وهو مارد يستهدف وبالأساس (حزب الله) قبل غيره .

* بحث مستقبل حزب الله وسط الأمواج المنقلبة للسياسة اللبنانية من اليوم التالى لاغتيال الحريرى تحتاج الى قدر عالى من التأمل للمشهد السياسى الراهن فى المنطقة ككل وفى لبنان على الأخص ويفتح ملفات العديد من القضايا الساخنة والمثيرة للجدل ، قضايا تتصل بلبنان وسوريه وحزب الله معاً فماذا عنها ؟

****

القضية الأولى : دلالات زلزال الاغتيال :

أولاً : يذهب فريق من المراقبين إلى أنه من المحتمل أن الجهة التى استهدفت الحريرى، كانت تعلم أن اغتياله ليس نهاية المطاف لسيناريو سياسى رُسم للبنان ، ووقع فى أفخاخه المنصوبة أطراف اللعبة السياسية على اختلافهم معارضين وموالين ، هذه الجهة كانت تريد أن تبدأ فصلاً جديداً فى قصة لبنان الحديث ، لا أن تنتهى تلك

القصة ، وهو فصل يقف فى قلب المستهدفين فيه : حزب الله ؛ حيث مثّل الحزب بالنسبة لقوى دولية واقليمية عديدة مشكلة كبيرة يصعب شطبها الا من خلال استحداث سيناريو دام ؛ ويرى هؤلاء المراقبون أن القرار ١٥٥٩ الذى يحتوى على هدفين متلازمين [خروج القوات السوريه وحل ميليشيا (هكذا سماها القرار) حزب الله] هذا القرار كان يحتاج الى آلية لتنفيذه ، ولأن أغلب الآليات التى درستها واشنطن وباريس ثبت من التجربة العراقية فشلها ، وتحديداً آلية الحرب المسلحة المباشرة ؛ فكان لابد من إبداع آليات جديدة ، تتناسب وأهمية القرار المذكور الذى به يعاد ترتيب الشرق الأوسط الكبير ؛ ويذهب هؤلاء فى تحليلاتهم الى مدى بعيد حين يقدمون عملية اغتيال الحريرى باعتبارها إحدى أبرز تلك الآليات ، خاصة أن المستوى التقنى لها تعجز أجهزة دول المنطقة عن الوصول إليه (باستثناء إسرائيل) ، فضلاً عن أن الحملة الشرسة على سوريه بعد دقائق من وقوع الجريمة ، وبأداء صاخب من الخارج ومن قوى المعارضة (تسمى أحزاب البريستول نسبة الى فندق البريستول الذى شهد عقد أول اجتماعاتهم المعارضة للوجود السورى وللحكومة اللبنانية الحالية) ، كل ذلك كشف وفقاً للمراقبين عن المستفيد الأول من جريمة بهذا الحجم وفى هذا التوقيت .

ولكن وأياً من كان يقف خلف الجريمة ، فإن رسالتها قد وصلت وبدأت تُقرأ جيداً ، بل ونُسج على هوامشها واقع جديد للبنان وسوريه ، وحزب الله ، واقع مطلوب فيه من الحزب أن يدفع فاتورة مواقفه السابقة ومعاندته الراهنة للمخططات الأمريكية فى العراق ، وفلسطين .

<u>ثانياً :</u> من المعروف أن لحزب الله موقفاً رافضاً للاحتلال الأمريكى فى العراق ، وهو موقف أغضب واشنطن وأغضب أيضاً العديد من القوى الشيعية فى النجف ، والتى كانت – ولاتزال – ترى أن المقاومة السلمية وعبر صناديق الانتخاب هى الأصوب لمواجهة الاحتلال والتخلص منه ، الا إن الحزب فى أدبياته ومواقفه رفض ذلك ، بل تجاوز القول الى الفعل حين أعلن وزير الداخلية العراقى فى أثناء انعقاد المؤتمر

الدولى عن الارهاب بالسعودية نهاية يناير / كانون الثانى ٢٠٠٥ إلقاء القبض على ١٨ عنصراً من حزب الله اللبنانى يقومون بأعمال مقاومة ضد قوات الاحتلال الأمريكى ويساندون جيش المهدى التابع للسيد مقتدى الصدر ؛ هذه المواقف المباشرة لحزب الله تتكامل مع سلسلة الاتهامات الموجهة اليه من كونه المحرك الأبرز للعديد من الأجنحة المسلحة للمقاومة الفلسطينية سواء لدى حماس أو الجهاد الاسلامى أو كتائب شهداء الأقصى بل وصلت الاتهامات الإسرائيلية له الى حد القول أنه هو المحرك (والممول) الرئيسى لعمليات كتائب شهداء الأقصى ، بل وأكد أحد الكتاب الغربيين المحسوبين على الليكود فى شباط / فبراير ٢٠٠٤ الزعم أن الحزب كان يستهدف فى الآونة الأخيرة اغتيال أبى مازن بهدف إيقاف عجلة التسوية الجديدة فى المنطقة .

كل هذه الاتهامات والتحركات الاقليمية للحزب ، اذا ما وضعت على طاولة صانع القرار الأمريكى بتركيبته المتشددة الحالية (المحافظون الجدد) ، فإنه بالضرورة سيستعجل التخلص من هذا الحزب ، أو على الأقل تحييد قوته السياسية والعسكرية الى الحد الذى تصبح فيه بلا فاعلية ، واغتيال الحريرى ، يمثل فرصة ثمينة للولايات المتحدة وإسرائيل لتفعل ذلك ، ولا بأس من أن يتم التوزيع الجيد للأدوار بينهما لنفى التهمة عنهما وتوجيه الأنظار لغيرهما ، فتتهم أمريكا سوريه بأنها خلف عملية الاغتيال ويتهم موفاز وزير الدفاع الإسرائيلى وكذا شالوم وزير الخارجية الإسرائيلى حزب الله بأنه هو الذى يقف خلف الاغتيال لأن الحريرى كان يعد خطة للتوقيع على اتفاقية سلام بين لبنان وإسرائيل الأمر الذى مثل تهديداً للوجود المسلح لحزب الله !! هذا التوزيع الجيد للأدوار والضغط الاعلامى والسياسى المؤثر على أعصاب السياسة السوريه واللبنانية من خلال وضعها فى موضع الاتهام ، يمهد جميعه لعمليات أخرى قادمة تصب فى اتجاه تحجيم قوة حزب الله السياسية والعسكرية .

ثالثاً : أدركت قيادة الحزب ، أبعاد هذا المخطط الذى يستهدف قوة الحزب العسكرية وحضوره السياسى على الساحة ، فبادرت بدعوة عاجلة – وذكية – للحوار المفتوح بلا شروط بين قوى الموالاة والمعارضة ، وكانت الاشارة الهامة لهذه الدعوة هى خطاب الأمين العام لحزب الله (السيد حسن نصر الله) فى ذكرى عاشوراء (يوم ٢٠٠٥/٢/١٩) وسيادة اللغة التصالحية على خطابه وعدم تخوينه لرموز المعارضة كما فعلت بعض أطراف الحكومة، بل وصل به الأمر الى حد إسباغ أوصاف النضال على وليد جنبلاط رغم مواقفه الأخيرة، التى اتسمت عقب وفاة الحريرى، بالتهور الشديد والاندفاع المحموم ناحية الصدام مع سوريه بل نحو استحضار قوى خارجية، والدعوة لمحاكمة رستم غزالة (قائد القوات السوريه فى لبنان) بتهمة اغتيال الحريرى! هذا الأداء السياسى المحنك لقيادة الحزب ،كان يستهدف تفريغ الهجمة الأمريكية / الإسرائيلية من مضمونها ، وهى هجمة كانت ولاتزال تستخدم بعض رموز المعارضة اللبنانية (بالتحديد ميشيل عون وأنصاره) كمخلب قط فى معركة الداخل ؛ ويأتى هذا الخطاب والأداء السياسى للحزب ليمثل أيضاً ادراكاً منه لكون المعارضة اللبنانية ليست جماعة واحدة بل هى (معارضات) قلوبهم شتى ، ولا يجمعهم سوى العداء لسوريه والعاطفة الجياشة لدى البعض والرغبة المشتركة فى الثأر والانتقام لمصرع الحريرى ، بعد ذلك مشاريع هذه (المعارضات) مختلفة ، والمواقف متباينة خاصة تجاه حزب الله ومقاومته ، لقد أدرك الحزب ذلك فبادر بالهجوم السياسى وطرح أمينه العام مبادرته آملاً أن تلقى قبولاً من أوساط معارضة عديدة ، وأن يترتب عليها لقاء حوارى مفتوح بين المعارضين والموالين الذين بادرت جماعتهم أيضاً (جماعة الموالاة) الى اعلان مبادرة موازية للحوار فى نفس اللحظة التى كان نصر الله يتحدث فيها عن مبادرته .

رابعاً : فى هذه الأجواء الملتهبة التى تحيط بحزب الله لبنانياً ودولياً عقدت إيران وسوريه عدة اتفاقات سياسية واقتصادية توجت بما سمى (بالتحالف ضد المؤامرات

الخارجية) ، وذلك أثناء زيارة رئيس الوزراء السورى لطهران مؤخراً ، ومن القراءة السريعة لهذا التحالف الجديد نجده يمثل دعماً غير مباشر لحزب الله ، وتأكيداً لقوة المظلة الإقليمية الحامية له ولدوره القادم فى معادلة السياسة اللبنانية ، وتأثيره السياسى على الأوضاع فى فلسطين والعراق ، واذا ما تأملنا جيداً الضغوط الفرنسية والأمريكية التى أعقبت الاغتيال مباشرة ؛ وتوجت بلقاء القمة بين شيراك وبوش يوم الاثنين ٢٠٠٥/٢/٢١ ، وما أعقبه من قرارات تستهدف حصار سوريه وتحويلها الى عراق جديد ولكن بالضغوط الاقتصادية والسياسية ولا بالقوات العسكرية ؛ هنا يفهم السياق الذى دفع سوريه لتأكيد تحالفها مع إيران وحزب الله ، خاصة بعد الضعف الشديد الذى أصاب الخاصرة العربية التى كانت مؤازرة لسوريه وانشغال دولها بهمومها الداخلية فلم يعد أمام سوريه من خيار سوى الاندفاع ناحية إيران ، والترابط الاستراتيجى معها، ولا بأس من أن يكون حزب الله هو حلقة الربط الاستراتيجية فى هذه العلاقات ، ويصبح من ثم تقوية الحزب وحمايته فى المرحلة المقبلة الخيار السورى الأول وأحياناً الوحيد أمام الهجمة الخارجية التى أعقبت مصرع الحريرى ؛ من ناحيته تلقى الحزب هذه الاشارة وبادر بالقيام بدور رسول الوئام الوطنى اللبنانى ، ورسول العلاقات السورية / اللبنانية فى طورها الجديد ، طور ما بعد الحريرى .

****

* أياً ما كانت السيناريوهات الاقليمية والدولية التى تعد لحزب الله ومستقبله فى الآونة الأخيرة، والتى يريد أصحابها تحويله الى حزب سياسى مدنى هامشى ومطيع فحسب دون شقه العسكرى وهو حزب سياسى مدنى بامتياز سواء على مستوى الوجود النيابى أو العمل الاجتماعى والنقابى !! ؛ ورغم مرارة اللحظة التى تمر بها لبنان بعد اغتيال الحريرى والتى ستنعكس سلباً على دور الحزب ووجوده ، فإننا نعتقد أن قراراً بشطب حزب الله من الحياة السياسية اللبنانية ، لا يعد فحسب قراراً خاطئاً ، بل يراه كثير من المراقبين قراراً مستحيل التحقيق ، ويعدونه قراراً بلا معنى لأنه يفتقد القدرة على

التطبيق ، مع استحالته فى آن واحد ، فالتخلص من الحزب أو حتى تقليص دوره ووجوده فى الجانب السياسى فحسب ؛ بات أمراً صعباً للغاية، فلقد تجذر الحزب فى التربة اللبنانية وبات جزءاً أصيلاً منها ، ومن يرد التخلص منه عليه بالتالى أن يتخلص من ثلث سكان لبنان وثلث جغرافيتها ، وأن يفتح أبواب جهنم على نفسه من باب الطائفية وحروبها التى يعلم اللبنانيون نارها جيداً ؛ وباستثناء عناصر محدودة من بين موارنة لبنان ومن التيار العونى لن تجد أمريكا من يساندها فى أن يتحول مطلب خروج القوات السوريه من لبنان الى خروج حزب الله من المعادلة اللبنانية . القراءة الأمريكية ، ومن ثم الإسرائيلية ، هنا ناقصة ، وتحتاج الى اعادة قراءة للواقع اللبنانى الذى نشأ خلال الربع قرن الماضى ، وهو ربع قرن شهد ميلاد ظاهرتين تعايشتا رغم الفرق الهائل بينهما فى الرؤية والهدف : ظاهرة رأت أن لبنان بإمكانه أن يتحول الى (هونج كونج الشرق) أى بلد التجارة والانفتاح على الغرب ؛ وظاهرة رأت فيه (هانوى الشرق) أى بلد المقاومة والتحرير؛ الأولى مثلها الراحل رفيق الحريرى بتياره ، أما الأخرى فمثلها حزب الله ومناصروه ؛ الغريب أنه رغم رحيل قائد التيار الأول ، وابتلاء التيار الثانى برحيل العديد من قادته (من راغب حرب حتى عباس الموسوى) فإنهما لايزالان يتعايشان ؛ على العكس مما تصور البعض من محدودى الرؤية السياسية من استحالة تعايشهما ، ولعلنا لا نبالغ فى أنهما سيتعايشان فى المستقبل، رغم قسوة التحديات والضغوط ، أما لماذا فلأن هذا وببساطة شديدة هو سر لبنان السياسى،وسر عبقرية أهله التى عجز الكثيرون عن فهمها ولايزالون عاجزين!!

****

القضية الثانية : لبنان أمام خيارين .. إما ساترفيلد أو حسن نصر الله !! (*)

كما هو معروف خرجت (المعارضة) ، و(الموالاة) طيلة عامى ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦ ، ولم يبق أحد فى لبنان إلا وعبر عن رأيه وموقفه إثر مقتل رفيق الحريرى ، والجميع رفع قميص الرجل ودمه ، منهم الصادق ومنهم من هو غير ذلك بشهادة التاريخ والواقع ، والسؤال : إذا كان الجميع ولأكثر من شهر كامل على استشهاد الحريرى ، قد قال كلمته ؛ فلماذا هذا الإصرار العجيب من قوى بعينها (يحسب أغلبها على من يسمون بالمعارضة) على الاستمرار فى الحوار عبر " التظاهر " والحشد اليومى فى ساحة الشهداء ؟ ومن له مصلحة فى إيقاف الحياة السياسية الاقتصادية (التى بدأت فى التأثر السلبى) وتعطيل الوطن بأكمله عن الحياة ؟ ولماذا هذا الفرح الأمريكى والفرنسى (وبالطبع الإسرائيلى) لتظاهرات المعارضة ثم تحفظها وغيظها من تظاهرات (الموالاة) رغم أن الأخيرة كانت سلمية ، وكانت الأكبر ، والأكثر تنوعاً وعدداً !!

تساؤلات تحتاج الى قدر من التحليل ، والرشد فى الاجابة ، لأن الحدث جلل ، والمستقبل اللبنانى غامض وملتبس ، ولم تعد تجدى معه عاطفة المحبة فقط للبنان أو للمقاومة ، إن الأمر يحتاج الى حوار وتأمل واستشراف عقلانى هادىء لسيناريوهات المستقبل .. فماذا عنه ؟

****

أولاً: دعونا نبدأ من أحد أبرز الأحداث فى المشهد اللبنانى ، فلقد خرجت مظاهرة للمعارضة (يقولون إنها ردّ على مظاهرة حزب الله الثلاثاء ٢٠٠٥/٣/٨) يوم الاثنين ٢٠٠٥/٣/١٤ حملت روحاً صدامية فى أغلب كلمات المتحدثين بها ، روحاً تنذر بفتنة، لا بمصالحة ، تنذر باختناق فى الأفق لا انفتاح ، ان من شاهد وعاش لحظات هذه

(*) ساترفيلد هو السفير الأمريكى السابق ل لبنان .

المظاهرة التى وصلت الى عدة مئات ولم تكتمل للمليون كما يشيع البعض ، تحزنه شعاراتها ، ولا ينبغى هنا الوقوف عند كلمات بعض الكتاب الذين ادعوا غير ذلك فإن أغلب هؤلاء ممن لا يحبون المقاومة ويتحسسون (روحهم) كلما سمعوا بالمقاومة (مثال حازم صاغية ووضاح شرارة وجبران توينى فى كلماتهم المتتالية فى صحيفتى الحياة والنهار) والذين بشرونا بأنها مظاهرة الاستقلال الحقيقية وما عداها (طبعاً يقصدون بالمظاهرات الأخرى للموالاة والتى تزيد عدداً وتنوعاً) مجرد مظاهرات مصنوعة..
هكذا وببساطة يتحول المشهد الى دراما عبثية يشارك فيها ويرقص فيها الجميع على جثة الوطن باسم استقلاله ، ويشارك فى الرقصة ، رقصة الموت تلك، بعض الساسة ونفر من الكتاب وتفرح لها إسرائيل وأمريكا .
هذه المظاهرة التى خرجت الى ساحة الشهداء لم يكن بها من كلمة عاقلة متزنة سوى كلمة بهية الحريرى (شقيقة رفيق) والتى أكدت فيها على احتضان المقاومة رغم مهاجمتها للحكومة (وبالمناسبة لا توجد حكومة ولا نظام لبنانى فاعل منذ مصرع الحريرى بسبب تلك الحالة العبثية من المظاهرات والمظاهرات المضاده) : لقد قالت (شقيقة الفقيد) كلاماً مهماً يستحق أن يسجل لأنه بالفعل يمثل نقطة اللقاء الوحيدة بين ما قاله سابقاً حسن نصر الله ، وبين الشرفاء فى فريق المعارضة ، وهو قول يستحق أن يبنى عليه أما باقى كلمات المتحدثين أمثال مروان حمادة وغيره فلقد كانت تصب النار على الزيت ، وتباعد من شقة الخلاف ، وتتجه بالأمور ناحية التصعيد ونحسب أن هذا تحديداً ما يريده ديفيد ساترفيلد (مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية) والذى يمثل بحق القائد الميدانى لمن يريدون التصعيد وهم بالطبع من يريدون رأس لبنان حتى لو لم يقل هؤلاء المتحدثون ذلك .. نعود إلى بهية الحريرى والى كلماتها الهامة فلقد قالت : نعاهدك (تقصد شقيقها رفيق الحريرى) أن نحافظ على أسطورة شعب لبنان العظيم بإعادة بناء دولته وتحرير أرضه مساراً واحداً حيث كان اللبنانيون يبنون ويقاومون .. يزيلون الاحتلال ويصنعون المستقبل ، يطردون الأعداء ، ويفتحون الأبواب للإخوة والأصدقاء ، فعلت هاماتهم أمام كل شعوب العالم ،

ونالوا احترام العالم وتقديره وصنعوا أسطورة قيامة لبنان بإعادة بنائه وتحريره " نعاهدك ألا نفرط بهذه المسيرة العظيمة ٠٠ وأن اجتماع اللبنانيين حـول استشـهادك مـن كـل الطوائف والمناطق هو صفحة تضاف الى هذه المسيرة العظيمة ٠٠ ووفـاء لتضـحياتك ولتضحيات الأبطال المقاومين ٠٠ فإننا لن نضحى بأبطال التحريـر ، المقـاومين ، ولا بصمود أهلنا ، ولا مقاومة أهلنا بصمودهم تحت القهر والاحتلال فى الجنـوب والبقـاع الغربى ، وإننا نتمسك بهذا الانجاز الكبير الذى شرف اللبنانيين جميعاً واحتضنوه وتوحدوا حوله ومنعوا استهدافه ، وشرع حق اللبنانيين بمقاومة المحتل واسترداد سـيادتنا علـى أرضنا .. إن أسرتك ، وتيارك ، ومحبيك ، وأهلك فى صيدا ، كـل صـيدا ، عاصـمة الجنوب ، عاصمة المقاومة والتحرير ، وكل اللبنانيين معهم ، سـيحافظون علـى هـذا التاريخ ، وإننا هنا نمثل أيضاً دولة الرئيس نبيه برى وسماحة السيد حسن نصر الله وكل المقاومين الوطنيين من أحزاب وأفراد وإنهم معنا هنا ، لأنهم فى قلوبنـا ووجـداننا ٠٠ وسطروا لتاريخنا صفحات مشرقة بيضاء ، ستعتز بها أجيالنا القادمة ، وإننـا مصـرون على ان نبنى معهم مستقبل لبنان العظيم .. لبنـان المقـاومتين : مقاومـة الاحـتلال ، ومقاومة أعداء البناء والنهوض وقيام الدولة الحديثة الآمنة التى تؤمن للبنان دوراً راشـداً فى محيطه والعالم ٠٠ ان اللبنانيين الذين انتصروا في كلا المعركتين على الاحتلال وعلى الدمار وعلى أعداء لبنان هم أكبر من أن يفرطوا فى انتصاراتهم وقد أصـبحوا نموذجـا للشعوب التى تأخذ حقوقها بيدها وتبنى مستقبلها ٠٠ ان كل شعب لبنان البطل هـو كمـا كنت دائماً سيكون آخر من يوقع معاهدة سلام] ٠

هذه الأقوال لبهية الحريرى تمثل فى تقديرنا نقطة لقاء حقيقية مع ما سـبق وطرحتـه مظاهرة الثلاثاء (٢٠٠٥/٣/٩) التى دعى اليها ونظمها حزب الله ومعه ٢٧ حزباً وقوة من قوى الموالاة ، أما الفاعليات الأخرى المتشنجة فإنها تصب فى تقديرنا فـى غيـر صالح لبنان ، تصب فى صالح الولايات المتحدة وإسرائيل ونحسب أن هاتين الدولتين لم تدخرا جهداً فى ضرب وحدة لبنان بل ربما يقفان بقوة خلف كل ما جرى وبخاصة مصرع الحريرى ، انهما لا يعملان لصالح لبنان أو الديمقراطية فى أى منطقـة فـى

العالم وهذا ثابت فى العراق كما فى فلسطين . فماذا تقول لنا مظاهرة الثلاثاء ٢٠٠٥/٣/٩ ؟ وما هى دلالاتها الرئيسية التى لا ينبغى أن تبعد عن ذاكرتنا بفعل مظاهرات أخرى أقل حجماً وتنوعاً وإن كانت أعلى صوتاً وصخباً إعلامياً لا يفيد .

****

ثانياً : فى البداية ان مظاهرة الثلاثاء العظيم ، تعدى المشاركون فيها رقم المليون والنصف ، وفى حشد غير مسبوق فى تاريخ لبنان (والعرب بالضرورة) وتحدث فيها ممثلو الشعب اللبنانى من مسيحيين وسنة وشيعة ودروز بلغة توحيدية جامعة غير متعصبة مثل تلك التى تحدث بها طيلة الشهر السابق من سموا بقادة المعارضة (باستثناء بهية الحريرى) ، ثم ختم اللقاء السيد حسن نصر الله الذى أعلن بوضوح رفض المظاهرة المعارضة ورفضه للقرار ١٥٥٩ لأننا (**نشتم منه انقلاباً على الاجماع الوطنى وعلى دم الرئيس الشهيد رفيق الحريرى وعلى الأسس التى قام عليها لبنان بعد الحرب**) وجدد مطالبته بضرورة كشف أسرار وأبعاد جريمة اغتيال رفيق الحريرى ودعا إلى إخراجها من التجاذب والتوظيف السياسى ، الذى قام به البعض طيلة ثلاثة أسابيع مقدمين (ذريعة) للتدخل الأجنبى الوقح فى شئون لبنان ، واعتبر (نصر الله) أن المخرج الوحيد من المأزق اللبنانى الحالى هو حكومة اتحاد وطنى وإلا (**فلنذهب الى طاولة الحوار**) وأكد رفض التوطين وقال (**إنه لا يمكن لأحد أن يفرض بالقوة خياره على غيره**) وطالب الرئيس الفرنسى (شيراك) بأن ينظر بعينيه الاثنتين الى اللبنانيين من موقع محبته للبنان ، كما طالب الولايات المتحدة بعدم التدخل فى الشئون اللبنانية وبإبعاد (**أصابعكم ، أصابع الفتنة عن بلدنا**) وختم نصر الله خطابه التاريخى بقوله : (**أيها اللبنانيون نحن هنا اجتمعنا لنؤكد موقفنا ورؤيتنا وموقعنا . ان سوريه التى تجمعنا بها مشيئة الله وحقائق التاريخ والجغرافيا والمصير الواحد نجدد لها شكرنا وتمسكنا بها ونطلب لها العيش الكريم والرأس المرفوع وأن تبقى عرين الأسود كما كانت ، ولسوريه نقول عاشت سوريه الأسد**

وسيبقى عرين الأسود فى دمشق عريناً لكل أسود لبنان ، وأما العدو المتربص على حدودنا والذى يحتل أرضنا ويسجن اخواننا من سمير القنطار الى يحيى سكاف وسمير النسر نقول لهذا العدو مجدداً ودائماً وأبداً لا مكان لك عندنا ولا حياة لك بيننا) .

* ترى ما هى الدروس والدلالات من مظاهرة المليون والنصف ، ومن كلمات سيد المقاومة السيد حسن نصر الله :

الدلالة الأولى : أن من خرج فى هذه المظاهرة كان أغلبية لبنان بعكس ما سبقها وما تلاها من مظاهرات ، أغلبية لبنانية وليس شباب وأعضاء حزب الله فحسب ، كانت هناك (صلبان) مرفوعة بجوار (العمائم) الإسلامية وغطاء الرأس الدرزى ، كان الحضور وطنى شامل ، وكذلك كانت اللافتات والشعارات من قبيل [بيروت حرة حرة، أمريكا اطلعى برا] و(على راسك يا لبنان شعبك صامد ما بينهان) و(أحرار بنبقى أحرار بنحيى الأسد بشار) و(لا تقسيم ولا توطين وحدتنا أكبر من ١٥٥٩) و(من دمشق لبيروت شعب واحد ما بيموت) و(بدنا نقول الحقيقة سوريه يا شقيقة) ؛ ان هذه اللافتات والهتافات التى استمرت لأكثر من ٦ ساعات ، وختمها (نصر الله) بخطابه / الوثيقة ، تقول لصحفيى وخبراء الاحباط الذين ظلوا يتكلمون بالعبرية الفصحى وبلا حياء طيلة الأسابيع الثلاثة التالية لاغتيال الحريرى ؛ ناعين وناعقين وقاصرين لبنان على بضعة تظاهرات يحبونها لأنها ترفع شعارات أمريكية تقول ان لبنان كله كان حاضراً ، وكله قال نفس الكلمات التى قالها نصر الله وآمن بها ، وأى مزايدة رخيصة من البعض أو ادعاء بأن هذه مظاهرة لـ (بعض) اللبنانيين الذين أمرهم زعماؤهم بالخروج والحشد فخرجوا بلا تفكير ، فهذه الرؤية فضلاً عن أنها اهانة لشعب عظيم ، صاحبها يكيل المظاهرات بمكيالين فمن يخرج ملبياً نداء المقاومة فهو (مصنوع) خارج لبنان ومن يخرج ملبياً نداء أمريكا أو ملوك بعض الطوائف التى وقعت اتفاق ١٧ أيار/مايو فهؤلاء شباب ساحة شهداء صناع الاستقلال على حد وصف السيد حازم

صاغية فى الحياة ٢٠٠٥/٣/١٥ ، هؤلاء الكتاب فى الواقع لا يحبـون لبنـان انهـم يريدون لبناناً خاصاً على مقاس أفكارهم المتصهينة التى تزينها شعارات زائفة باسـم الاستقلال والحرية وهى قيم بريئة مما يدعون ، ان لبنان فى أغلبه كان هناك ، ولبنان قال كلمته فى التدخل الأجنبى، وفى العلاقة مع سوريه ، وفى جريمة اغتيال الحريرى والمستفيدين منها والمتاجرين بها ، الذين يريدون إعادة (لبنان الطائفى العنصرى) الى أحضانهم ثانية بعد أن أضحى عربياً خالصاً ، ان هؤلاء عرباً أو عجماً ممن يشبهون أحمد الجلبى العراقى/ الأمريكى (هل تتذكرونه ؟!) تلقوا صدمة شديدة ولاشك لا يخفف منها مظاهرات لاحقة أو مقالات ساقطة فى صحف تمولها المخابرات الأمريكية تصدر من لندن وبيروت ولكن يخفق منها التراجع عن الخطأ والعودة إلى الصواب كما فعلت بهية الحريرى ٠

ثانية الدلالات : أن فريقاً رئيسياً من الشعب اللبنانى (نحسبه الأغلبيـة وفقـاً للأرقـام المتاحة من خلال هذه التظاهرة المليونية التى لم تحدث من قبل) قد أضحى : حـزب الله، ولم يعد هذا الحزب مجرد مجموعة شيعية صغيرة تقطن الضـاحية الجنوبيـة أو البقاع أو بنت جبيل (مثلاً) بل أضحى المسيحى اللبنانى (الوطنى) القادم من زغرتـا ، حزب الله ، والدرزى اللبنانى القادم من الجبل ، حـزب الله ، والسـنى القـادم مـن طرابلس، حزب الله، لقد صار حزب الله رمزاً وليس اسماً أو تنظيماً، رمزاً لعزة لبنان وعروبته ، رمزاً لوحدته وتماسكه ، ورفضه للتدخل الأجنبى ، وصـارت مقاومتـه ، عنواناً للبنان ، ودلالة على عافيته وعلى قدرته على البقاء ٠ إن لبنـان فـى مسيرة الثلاثاء ، قال وبشكل قاطع وبدون مزايدة رخيصة : كلنا حزب الله ، انه ذات الشعار البليغ الذى قرأناه وشاهدناه وعشناه إبان تحرير الجنوب قبل أربع سنوات ، إنه بهـذا يضع سياجاً حقيقياً يحمى به وجوده ، وليس فحسب يحمى به حزب الله ، لأن لبنـان الذى خرج ظهر الثلاثاء (٢٠٠٥/٣/٨) أراد أن يبلغ أمريكا وفرنسا وبالطبع إسـرائيل رسالة نتمنى أن يكونوا قد فهموها: ان ضرب حزب الله أو مقاومته يعنـى مباشـرة

ضرب الوجود اللبنانى وأن الشعب اللبنانى بكل طوائفه (الشريفة) وبكل أحزابه (الصادقة) سيقف ضد ذلك وسيقاومه لأنه ببساطة يدافع عن نفسه

ثالثة الدلالات : التى نخرج بها من المظاهرة التاريخية ، أن لبنان وسوريه لا يشبهان فى حالتهما الراهنة (عراق صدام حسين) ، بحيث يغرى الأمر أمريكا ومن معها ، بتكرار نفس السيناريو الذى جرى فى العام ٢٠٠٣ مع العراق ، لبنان (وبالطبع سوريه فهى التى ساهمت وبقوة فى صناعة قوة لبنان الحديث : سياسياً وعسكرياً) عصى على الهزيمة ، عصى على أن يفرض عليه مجرمو واشنطن وتل أبيب أجندتهم مثلما فعلوا مع العراق ، الحالة هنا مختلفة والقوة هنا مختلفة ، انها نابعة من أسفل لا من أعلى، نابعة من الشعب وليس من النظام ، وإذا ما فكرت أمريكا ومعها (إسرائيل) فى تكرار السيناريو – وهذا محتمل جداً – فعليها كى تنجح أن تستعد لشطب لبنان كله من الوجود ومعه سوريه ، وهذا هو الجنون بعينه ولكن عليها ساعتها وبالضرورة أن تستعد لشطب إسرائيل أيضاً من الوجود ، إن لبنان بدا لمن فى عقله ذرة وعى يوم الثلاثاء العظيم ، حالة غير قابلة للهزيمة ، وغير قابلة لأن يكرر معها نفس السيناريوهات العقيمة (وهى سيناريوهات بالمناسبة لم تنجح فى الوصول الى أهدافها الرئيسية رغم إسقاطها لنظام صدام إذ لايزال العراق يقاوم !!) .

الدلالة الرابعة والأخيرة : أن لبنان وسيد المقاومة معاً بهذا اليوم الهام فى تاريخهما قد أعطيا للعرب وللمسلمين درساً بليغاً فى العزة والكرامة والسيادة الحقيقية ؛ وليست تلك المفتعلة أو المشتراة أو المدعومة بوصاية أجنبية ؛ لقد قالا ببساطة وقوة إن هذه الأمة لاتزال بخير ، وإنها قادرة على أن تصحو من السبات والصدمة ، وأن تقول (لا) فى الوقت الذى يفترس الخوف قلوب وعقول حكام الصدفة فى عالمنا العربى ، إن دلالة أن يخرج أصغر بلد عربى (مساحة وعدد سكان فقط وهو الأكبر قيمة ودوراً الآن) ليقول (لا) فى الوقت الذى صمتت فيه دول أكبر حجماً وأكبر ومساحة وبشراً ووهماً فى مسألة الزعامة ، ودول تجاوز بعضها الصمت ليشارك وبرخص لا مثيل له فى

الضغط على سوريه مثلما ضغطت على العراق من قبل ، إن لهذا دلالة كبيرة علـــى قدرة (لبنان الصغير) ان يكون هو قاطرة الأمة فى مرحلتها الراهنـــة ضـــد الهجمـــة الأمريكية / الصهيونية ، وربما يكون هو من حيث لا يدرى البعض أو يريد ، المعول الذى ستنهار به هذه المشاريع الاستعمارية الجديدة : من قبيل الشرق الأوسط الكبير .

* خلاصة ما جرى .. وخلاصة ما بدا لنا فى مظاهرة حزب الله وفى كلمة بهيـــة الحريرى بعدها ، أن هذه الغطرسة الأمريكية / الإسرائيلية ، لها آخر وأن آخرها يبدأ من هناك من بلد صغير مساحةً كبير كرامةً وعزة، يبدأ من كلمات (سيد) من آل بيت الرسول (ص) ومن نسل الامام الحسين (ع) ، ضحى بابنه شهيداً ضد العدو الصهيونى ومستعد لأن يضحى بنفسه فى سبيل الله والوطن سيد اسمه : حسن نصر الله ، ومـــن شقيقة شهيد يقوم البعض بالتجارة بدمه لكى يصب الدم وحصيلة التجارة فى بنك اسمه الحركى (ساترفيلد) الذى يعنى الولايات المتحدة وإسرائيل . انها بهية الحريرى شقيقة الشهيد رفيق الحريرى وكلماتها المعبرة .

* لا ينبغى أن يستغرب أحد ما جرى ، خاصة خبراء الاحباط ، والمتصهينين العرب من سياسيينا ومثقفينا والذين صدعوا رؤوسنا تحليلاً ، وتفسيراً لوهم اسمه (انتفاضـــة الاستقلال) ، حين تفاجئهم حقيقة اسمها انتفاضة الكرامة والاستقلال معاً ؛ ان أخلاقية وأمانة الكلمة والمسئولية السياسية تدعو هؤلاء وتدعونا جميعاً داخل لبنان وخارجه إلى أن نعترف بالحقيقة وأن ننحنى احتراماً لهذا الشعب العظيم ، الذي نـــدين لـــه دائمـــاً بالبشارة ، فى زمن عز فيه الفرح ، ونعق فيه البوم ، وتحول فيه الجلاد الى ناصـــح ديمقراطى أمين .

ان لبنان على مفترق وأمام خيارين لا ثالث لهما : فإما السير إلى خندق وخيار ديفيـــد ساترفيلد الذى تم تغييره واستبداله بآخر (مندوب أمريكا وقائدها الميدانى فى احـــداث الفوضى فى لبنان) وإما السير الى خندق وخيار حسن نصر الله بكل شـــرفه ورفعتـــه وصدقه ونحسب أن كل لبنانى وعربى مخلص يعرف الخيار الصحيح .

القضية الثالثة : بعد أن نفذت سوريه القرار ١٥٥٩ : ماذا يحاك لحزب الله ؟

ما إن خطت أقدام آخر جندى سورى إلى خارج لبنان مساء يوم الاثنين ٢٠٠٥/٤/٢٦ تنفيذا للقرار الإسرائيلى (باعتراف وزير خارجية إسرائيل) رقم ١٥٥٩ ، وبمجرد أن أعلن وزير خارجية سوريه أن بلاده قد نفذت كل ما هو مطلوب منها وفقاً لهذا القرار الصادر عن مجلس الأمن ، إلا وخرج على العالم الأمين العام للأمم المتحدة (كوفى أنان) والذى تحول فى عهده مجلس الأمن إلى ألعوبة فى أيدى واشنطن ، تلهو بها وقتما تشاء وكيفما تشاء ، ليعلن أن باقى (مقتضيات) هذا القرار لم تنفذ ، وبخاصة الشق المتعلق بحل الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية والتى تشتمل – وفقاً لقوله – حزب الله والفصائل الفلسطينية المسلحة الموجودة فى المخيمات الفلسطينية داخل لبنان، ثم يخرج بعده مباشرة شيمون بيريز نائب رئيس الحكومة الإسرائيلية ليتواقح بطريقة شديدة الفجر هذه المرة حين يصف وجود حزب الله فى الجنوب اللبنانى ، الذى هو حزب شعبى لبنانى أصيل ، بأنه احتلال يجب إزالته بعد أن انتهى (الاحتلال السورى!!) .. ثم يعزز بوش وطاقم إدارته "صهيونيو الهوى" ، هذه المطالب فيؤكد على ضرورة إنهاء وجود حزب الله ليس العسكرى فحسب بل السياسى أيضاً لأنه حزب "إرهابى"!! ، وليؤكد على أن ثمة مطالب أخرى جديدة لاتزال على سوريه تلبيتها ، من بينها المساعدة فى نزع سلاح حزب الله ، ولا ندرى كيف لسوريه أن تفعل ذلك وهى الآن خارج لبنان ؟ ، وكيف يطلب منها ذلك وكل يوم يلح "بوش" على ضرورة ألا تتدخل فى الشأن اللبنانى ؟

* هذه الرياح السامة القادمة ، من واشنطن ، وتل أبيب تجاه حزب الله ماذا تحمل فى جعبتها بعد أن انتهى الشق الأسهل من القرار ١٥٥٩ ، شق سحب القوات السوريه التى حمت لبنان واستقراره وساهمت فى تحريره رغم إنكار السماسرة وتجار السياسة

الجدد والقدامى ومنتهكى حرمة استشهاد الحريرى الرافعين لقميصه المتاجرين بدمه لذلك ؛ ماذا ينتظر حزب الله ؟ وماذا يحاك له ؟ أسئلة تحتاج إلى إجابة .

****

فى البداية يهمنا التأكيد أنه من أبسط قواعد التحليل السياسى فى نطاق الصراعات الدولية ، أنه إذا ما شهد أحد الأطراف المتصارعة ضد الطرف الآخر فإن هذه الشهادة تؤخذ باهتمام ، لأن الحق هو ما شهدت به الأعداء ، من هنا من المفيد تأمل ما أوردته الصحافة الإسرائيلية ، ومصادر صناعة القرار فى تل أبيب من ردود أفعال على الانسحاب السورى : فى البداية أعرب بيريز – وفى وقاحة لا يحسد عليها – عن أمله بأن يقود انتهاء "الاحتلال السوري" إلى قيام لبنان حر وديموقراطي !! يتخذ التدابير الأمنية للسيطرة على المناطق الحدودية التي يعمل فيها مسلحون. وقال انه "بعد وصول الاحتلال السوري للبنان إلى نهايته، نأمل أن نرى انتهاء احتلال حزب الله للمنطقة أيضاً، وأن نرى لبنان حراً وديموقراطياً يعيش بسلام وازدهار إلى جانبنا !! ".

وأشارت الصحف الإسرائيلية إلى أن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية تراقب بحذر انسحاب القوات السورية من لبنان، وتتعامل مع هذا التطور بتحفظ. ومع ذلك نقلت "معاريف" عن مصادر عسكرية إسرائيلية قولها ان الانسحاب السوري "خطوة مهمة". وقال ضابط رفيع المستوى للصحيفة ان "هناك الكثير من الأسئلة حول هذه الخطوة. وأحد هذه الأسئلة هو ما الذي دفع الرئيس السوري بشار الأسد إلى الانسحاب من لبنان. هل هو الضغط اللبناني؟ أم الضغط الغربي وخصوصاً الأوروبي؟ أم أن هناك مشكلة سورية داخلية) ؟ وكأن التزام سوريه بالقرارات الدولية – رغم خلافها وخلافنا مع هذه القرارات – يحتاج إلى تفسير ودوافع وأسرار .

وليس من المستبعد أن هذه التساؤلات الإسرائيلية تحاول استباق ما سيتردد بعد حين عن إخفاق استخباري إسرائيلي في تقدير نوايا الرئيس السوري بشأن لبنان. فقبل أسابيع قليلة كان رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية الجنرال أهارون

زئيفي فركش يشيع بأن بقاء القوات السوريه في لبنان قضية حياة أو موت بالنسبة للنظام السوري. وكان يكرر القول بأن القيادة السورية لن تأمر بسحب القوات السوريه بالكامل من الأراضي اللبنانية. ويبدو أن هذا التقدير الذي ردده القادة السياسيون والعسكريون الإسرائيليون، لا يجد الآن في الواقع ما يسنده وثبت فشله تماماً مثل كل التنبؤات التي تحدث عنها لاحقاً فركش بشأن سورية ودول المنطقة!!

ولكن الضابط الإسرائيلي يواصل بوقاحة وغطرسة المحتل خط التشكيك نفسه فيقول ل"معاريف" ان الانسحاب قد يفسر "كمؤشر ضعف، الأمر الذي يضر بمكانة الأسد. كما أن قدرته الردعية تضعف". ولذلك سربت المؤسسة الأمنية الإسرائيلية أنباء عن حيرة في صفوفها حول ما إذا كان الانسحاب السوري حقيقياً أم تظاهرياً، وأن الأسد ينوي إبقاء "الاستخبارات" في لبنان كقناة مع السلطة والشعب اللبناني ؛ رغم أن كل الأدلة بل ما يسمى بلجان التحقق أكدت انسحاب كل القوات السورية : عسكرية أو استخباراتية من لبنان .

وقال الضابط "ان الأسد لن يتنازل بسهولة عن السيطرة في لبنان. والأساس أنه لن يسمح بالمساس بقدرته الردعية. ولذلك قد يكون توصل إلى استنتاج بأن وجود جيش كبير في لبنان لا يخدم مصالحه " ، وما يهمنا في تحليل العدو الصهيوني هو ما أكدته صحيفة "معاريف" بأن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ، ترى أنه سيكون للانسحاب السوري من لبنان أثر مباشر على حزب الله. فـ" الامين العام للحزب نصر الله يعيش مشكلة جدية. والشعب اللبناني ركز على السوريين وأفلح في إخراج قواتهم العسكرية". و"هناك تطورات داخلية ضد حزب الله، الذي يضطر للبحث عن مكانه من جديد. فعندما نظم حزب الله تظاهرة المئتي ألف، (وهذا الرقم كاذب فهى وصلت إلى مليون و٦٠٠ ألف لبنانى) قامت القوى الأخرى بتنظيم تظاهرة المليون. وكان لذلك مغزى هائل. فحزب الله من ناحية يسعى لتبرير وجوده وتسخين الحدود مع إسرائيل، ومن

ناحية ثانية بات "مقيداً"، وقد يبدو في نظر الشعب اللبناني كمن يصعّد الأجواء مع إسرائيل".

ومع ذلك قال الضابط انه وفق الإحصائيات، فإن حزب الله لا يقوم بعمليات استفزازية لإسرائيل في الصيف بسبب السياحة وعدم قطع أرزاق اللبنانيين.

وعدد السفير الإسرائيلي السابق في واشنطن البروفسور ايتمار رابينوفيتش الأسباب التي تدفع إسرائيل للسير على "حبل دقيق" في أعقاب الانسحاب السوري من لبنان ، فيرى أنه بخصوص لبنان، فإن الانسحاب السوري لن يقود بالضرورة إلى الديموقراطية والاستقرار. فطوال أكثر من عقدين – يدعى الصهيونى رابينوفيتش – إن سوريه لم تعط لبنان الحرية ولكن أعطته في المقابل قدراً كبيراً من الاستقرار. (ولا نفهم كيف يكون هناك استقرار فى بلد بل وفى بلد به ١٩ طائفة متصارعة كلبنان دون أن تكون به حرية حقيقية !) إلا إن هذا السفير الصهيونى يعود فيقول انه الآن بعد نزع السدادة من القمقم فإن سلسلة من القوى وفي مقدمتها حزب الله والطائفة الشيعية يمكن أن تقوض الاستقرار. ومن الجائز أن يطلب الشيعة خلط أوراق دستورية، وإجراء إحصاء سكاني وتوفير تمثيل مناسب للطائفة الأكبر. وهذا يشكل تحدياً للمعارضة التي أفلحت في توحيد الصفوف ضد سوريه ولكنها باتت مضطرة لبلورة قدرة على العمل بعد الانسحاب.

ويمثل الانسحاب السوري إنجازاً لدى الإدارة الأميركية – وفقاً للسفير الإسرائيلى – التي تدعو إلى الديموقراطية في المنطقة وتطالب بشكل شبه صريح بإسقاط النظام في دمشق. ولكن رابينوفيتش يتساءل حول ما إذا كانت الولايات المتحدة مستعدة للصراع في لبنان. ويقول ان أميركا ليست بحاجة الآن إلى فتح جبهة أخرى يسقط فيها ضحايا أميركيون. ومع ذلك يرى أن أميركا لا يمكنها اتخاذ موقف سلبي من الأحداث في لبنان التي توفر لها فرصة تحقيق إنجاز مهم لسياستها المعلنة.

ويشير رابينوفيتش إلى أن إضعاف مكانة سوريه في لبنان يزيد من مكانة إيران كراعية للطائفة الشيعية وحزب الله. وأشار إلى أن سوريه وإيران تعاونتا في لبنان، ولكن كانت تظهر بينهما أحياناً منافسة حول الهيمنة هناك. ولا يستبعد رابينوفيتش أن تستخدم إيران في المستقبل "عملاءها" في لبنان كرافعة ضد الضغط الأميركي والفرنسي عليها في الموضوع النووي.

ويخلص رابينوفيتش إلى أن الاستقرار الذي جلبه الوجود السوري في لبنان شكل بالنسبة لإسرائيل قواعد لعب معروفة حتى لو لم تكن مرضية. والآن ثمة خطر يتمثل في قيام حزب الله وقوى أخرى، (وفي سياق معين سوريه بنفسها)، باستغلال لبنان وحدوده ضد إسرائيل كأداة في الصراع حول هوية لبنان، ومكانة سوريه وإيران وفي مواجهة أميركا. ويقول ان الحذر هو سيد الموقف لإسرائيل التي "ينبغي عليها أن تسير على حبل دقيق وأن تراقب باهتمام كل ما يجري من دون أن تنجر ثانية إليه، وأن تسعى لاستقرار الوضع وعدم الإسهام في ما يقود إلى توتير الوضع".

هذه هى الرؤية الإسرائيلية ، رؤية الأعداء ، تؤكد أن ثمة قلقاً واضطراباً إسرائيلياً من ملف حزب الله ، وهو قلق يعكس خوفاً إسرائيلياً من تطورات الأوضاع اللبنانية خاصة من حزب الله ، أكثر مما يعكس شماتة مما جرى فى العلاقات السوريه / اللبنانية ، يؤكد هذا أكثر ما كشفته صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية يوم ٢٠٠٥/٤/٢٧ من أن الجيش الإسرائيلي قرر استمرار مواصلة الطلعات الجوية في سماء لبنان حتى بعد انسحاب الجيش السوري منه، مشيرة إلى أن واشنطن "حذرت تل أبيب من الاستجابة إلى مبادرات الرئيس السوري بشار الأسد وطالبت بعدم الدخول معه في مفاوضات".

ونقلت الصحيفة عن مصادر عسكرية قولها إن هذا القرار يعبر عن "حاجة عملياتية حيوية" لاستمرار الطلعات. وربما يعود موقف المؤسسة العسكرية الإسرائيلية من اختراق الأجواء اللبنانية إلى استمرار الجدل حول نتائج الانسحاب السوري على الاستقرار في الحدود الشمالية.

ونقل المراسل العسكري ل"هآرتس" عن قائد رفيع المستوى في سلاح الجو الإسرائيلي قوله إنه "فقط إذا تم تجريد حزب الله من سلاحه فإن هناك ما يمكن الحديث فيه". وذكر المراسل أن الضغط الأميركي الفرنسي على سوريه لسحب قواتها من لبنان أثار من جديد أمر الطلعات الجوية الإسرائيلية. وأشار إلى أن إسرائيل أوقفت هذه الطلعات لفترة قصيرة بعد إعلان انسحابها من الأراضي اللبنانية في أيار/مايو ٢٠٠٠، ولكنها سرعان ما عادت للتحليق بعد اختطاف الجنود الثلاثة في مزارع شبعا.

وأوحى المراسل أن هناك مطلبا دوليا من إسرائيل بوقف طلعات سلاحها الجوي فوق الأراضي اللبنانية وأن هذا المطلب مرتبط بالانسحاب السوري. وكتب أن الولايات المتحدة طرحت الأمر مع إسرائيل ولكنها لم تعرضه كمطلب أميركي، ولذلك جرت مناقشة القضية في هيئة الأركان العامة بحضور الجنرال موشيه يعلون.

وأبلغ ضابط كبير في سلاح الجو الإسرائيلي الصحيفة بأن حصيلة النقاش كانت قاطعة. وهي أنه "طالما بقي في لبنان عنصر إرهابي (حزب الله) يعرضنا للخطر، فلن نتنازل عن هذه الطلعات الرامية إلى جمع معلومات استخبارية. وفقط إذا تم تجريد حزب الله من سلاحه فإن هناك ما يمكن الحديث فيه".

إن هذا الهلع الإسرائيلى من سلاح حزب الله ، وهذا الغموض والاضطراب فى المواقف تجاه مرحلة ما بعد الانسحاب السورى ، والتزام دمشق بتنفيذ الشق الخاص بها من القرار ١٥٥٩ ، يؤكد أننا إزاء مرحلة جديدة فى تساؤلاتها ، وأحداثها ، مرحلة ستختلط فيها الحقائق بالأوهام ، والرغبات بالقدرات ، وستتداخل فيها قضايا الشأن اللبنانى الداخلى بقضايا الورطة الأمريكية فى العراق ، والورطة الإسرائيلية فى فلسطين خلال عام التهدئة .. إزاء هذا الوضع يأتى الحديث عما يحاك لحزب الله من خطط ، ومؤامرات ، وما يراد منه من نزع لأسلحته مع تمييع لهويته ودوره ، انه وضع ملتبس على كافة الصعد والمستويات إلا أن الحزب خرج منه حتى اليوم (٢٠٠٦) سالماً معافى من دون الفتن والحروب الأهلية كما كان يخطط له .

القضية الرابعة : دلالات دخول حزب الله للحكومة اللبنانية بعد اغتيال الحريرى :

* لا يمضى يوم إلا ويثبت فيه (حزب الله) أنه الأجدر والأذكى من بين أغلب قوانا وحركاتنا الإسلامية ، ويثبت فيه أنه القادر على قراءة صحيحة ومعرفة اتجاه الريح والتعامل الذكى مع هذه الريح خاصة إذا كانت ريحاً معاكسة وضد مصالحه ويتولى قيادتها شيطان رجيم اسمه الولايات المتحدة الأمريكية ؛ فقبل أيام أعلن حزب الله عن مشاركته ولأول مرة فى الحكومة اللبنانية الجديدة من خلال وزيرين هما [طراد حمادة ومحمد فنيش] ، وأن ذلك جاء لكى يفوت على أمريكا وعملائها الفرصة كى يعزلوا الحزب ويحاصرونه داخل لبنان ويصوروه باعتباره حزباً لا يفهم ولا يعمل بالسياسة وإنما فقط فى السلاح (رغم أن هذا شرف له) . جاءت مشاركة حزب الله فى الحكومة لتمثل صفعة جديدة على وجه واشنطن ، صفعة من تلك الصفعات النوعية التى أتقن حزب الله صناعتها وتوجيهها فى الزمان والمكان الصحيحين ؛ فى هذا السياق وحول دلالات هذه المشاركة كانت الندوة الهامة التى عقدتها اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان (لجنة مصرية مستقلة) يوم الخميس الموافق ٢٠٠٥/٧/٢١ وحضرها لفيف من كبار الخبراء والسياسيين فى مصر ، فى هذه الندوة أكد الخبراء على أن مشاركة حزب الله فى الحكومة اللبنانية الجديدة يحمل العديد من الدلالات أولاها : هى القدرة السياسية لحزب الله على التأقلم مع المستجدات الجديدة فى لبنان بعد استشهاد الحريرى وضرورة أن يكون الحزب فى قلب صناعة الحدث السياسى الذى يتحكم فى مصير البلاد حتى يضمن أكبر قدر من الموضوعية وعدم الانحراف فى سياسات الحكومة عن الثوابت الوطنية، والثانية: أن مشاركة الحزب فى العمل السياسى ليست جديدة ، ولكن الجديد هو المشاركة فى قمة هذا العمل السياسى وهو العمل الوزارى وبشكل مباشر من خلال النائبين : طراد حمادة ومحمد فنيش ؛ وفى ذلك إفشال للمخطط الأمريكى الذى كان يستهدف الانفراد بحزب الله بعيداً عن العمل الحكومى الرسمى وحتى يسهل وصمه وباستمرار أنه حزب ارهابى لا يريد ولا يقدر على المشاركة فى الأعمال السياسية المدنية ، إن مشاركة الحزب بهذا

المستوى وفى هذا التوقيت صفعة مدوية على وجه السياسة الأمريكية الحمقاء التى لا ترى المنطقة وأهلها وقضاياها إلا من خلال العيون الإسرائيلية . هـذا وقـد أكـد الخبـراء والسياسيون المصريون أن الاعتراض الأمريكى السريع على مشـاركة حـزب الله فـى الحكومة يعكس أولاً : وقاحة أمريكية متوقعة وغير مستغربة من إدارة يحكمها طغمة من المتصهينين الذين يعملون ضد مصالح الشعب الأمريكى ذاته ولصالح إسرائيل بالأسـاس وثانياً: يعكس مدى الغيظ الأمريكى من ذكاء ووعى وقدرة حزب الله السياسية العالية التى أصابتهم بالإحباط وكانوا يتمنون أن يفعل عكس ما قام به ، حتى يسهل حصاره وضربه. وخلص الخبراء والسياسيون إلى القول أن مستقبل لبنان فى المرحلة المقبلة مرتهن بمدى وعى القوى السياسية الفاعلة فى الساحة اللبنانية لأهمية إفشال البند الخاص بنزع سـلاح المقاومة والموجود فى القرار ١٥٥٩ وضرورة عدم الانسياق خلف الرغبات والضـغوط الأمريكية والإسرائيلية لأنها سوف تؤدى بلبنان إلى الجحيم ، فالمقاومة وسلاحها بالأساس للدفاع عن لبنان ضد الاعتداءات الإسرائيلية المستمرة [ألف انتهاك إسرائيلى للجو والبحر والبر اللبنانى فى العام الواحد منذ عام التحرير مايو/أيار ٢٠٠٠] وسلاح المقاومة لم ولن يستخدم ضد اللبنانيين ، فلماذا الانشغال به هكذا تلبية للمصالح الأمريكية والإسرائيلية التى لا تريد خيراً لهذا البلد أو لهذه الأمة .

****

القضية الخامسة : حزب الله والمخالفون له فى الساحة اللبنانية (وليد جنبلاط نموذجاً):

ما الذى جرى للنائب والسياسى اللبنانى وليد جنبلاط ؟ ما الذى دفعه لأن يرتمى هكذا فى أحضان المخطط الأمريكى ؟ ما الذى جعله ينقلب على تاريخ والده المناضل القومى كمال جنبلاط فتصل به الحال إلى حد الطلب من أمريكا أن تبادر باحتلال سوريه (لتحريرها) كما فعلت فى العراق ؟

دعونا فى البداية نسجل باسم الأحرار فى الشعب العربى الإدانة الكاملة للشتائم وعبارات السباب التى دأب النائب اللبنانى وليد جنبلاط على التفوه بها كلما زار

مسئول أمريكي لبنان تارة ضد سوريه وأخرى ضد حزب الله ، فمن دعوته وبوضوح للولايات المتحدة الأمريكية كي تحتل سوريه لتنشر فيها الديمقراطية مثلما نشرتها في العراق [حديثه الى صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية أوائل عام ٢٠٠٦] الى وصفه سلاح حزب الله بأنه سلاح الغدر وأنه يستخدم لصالح إيران وسوريه ، وهي المواقف المتناقضة مع كلامه ومواقفه السابقة التي ظل طيلة عام ٢٠٠٥ يدعو فيها الى حماية هذا السلاح ، والى اعترافه الكامل بأن هذا الحزب المقاوم ورجاله هم الذين أوصلوه الى مقاعد مجلس النواب اللبناني ، فإذا به يتناقض مع كل تاريخه ويوجه السباب والشتائم الى الحزب الذي أعاد له وللجوقة المحيطة به والمتحدثين بلغته كرامتهم التي سلبها العدو الصهيوني ؛ تحدث جنبلاط بروح وبلغة عبرية فصحى وفي توقيت مريب (وكأنه يقصده) وهو توقيت وصول اليهودي المتصهين (ديفيد وولش) مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية والذي كان أحد جواسيس منظمة إيباك الصهيونية في أمريكا وكان ضمن مجموعة تجسست على الخارجية وأجهزة صناعة القرار وحتى على البيت الأبيض لصالح السفارة الإسرائيلية والقضية معروفة ومثارة منذ عامين في واشنطن !! اختار جنبلاط لحظة وصوله ليعلن من تصريحاته ضد حزب الله وضد السلاح الفلسطيني وكأنه يقدم قرابين المحبة والطاعة الى ديفيد وبني صهيون ، فيصف سلاح الحزب بسلاح الغدر ويطالب أمريكا بالتدخل لنزعه والقضاء عليه ، فتصفق له واشنطن وتل أبيب ، فالرجل تحدث بما عجزوا هم عن قوله ، ولم يتجرأوا على الخوض فيه ، ولا يفيد هنا تراجعه المخزي عن سقطاته وقوله أنه كان يقصد بذلك سلاح الفلسطينيين (وهذه سقطة أخرى لا تقل سوءاً عن سابقتها) وسبق له أن استفز المناضل سمير القنطار منذ لمس التحولات الدراماتيكية لوليد بك جنبلاط ، فأعلن رفضه لهذه اللغة ولتلك الاتهامات وطالبه بالتراجع عنها واعتبر أي هجوماً على حزب الله هجوم عليه وأنه يمثل تناقضاً مع خط عبد الناصر وكمال جنبلاط العروبي وخيانة له (نورد بعد قليل نص رسالة سمير القنطار الى وليد جنبلاط) .

والواضح لكل منصف ان أحرار الأمة العربية يستنكرون ما تفوه به جنبلاط ويستنكرون ما يجرى فى لبنان تحت دعوى "البحث عن حقيقة من قتل الحريرى" ، انهم لا يريدون هذه الحقيقة أبداً ، انهم يستخدمون قميص الحريرى كوسيلة لتحقيق مشروع الفوضى البناءة الأمريكى ، يريدون رأس حزب الله وسوريه وإيران ، ورأس السعودية ومصر لاحقاً ان لم تسيرا فى فلكهم ، انهم يريدون رأس المقاومة العربية ولا يشغلهم لا دم الحريرى ولا راحة بال أسرته، انهم يستخدمون هذا الدم بابتذال شديد يهين صاحبه وأهله ومن يحبه وينتمى الى تياره ، فى مؤامرة تستهدف لبنان وحزب الله تطال الجميع وستدفع المنطقة كلها ثمنها ، وإذا كان من كلمة هادئة تقال هنا لسعد الحريرى وجنبلاط ومن سار على دربه ، فهى أن عليهم أن يدركوا جيداً وفى كل لحظة ان حزب الله ليس بحاجة الى مدافعين عنه ، فمواقفه وجهاده كفيلة بذلك أما العملاء الجدد ، العملاء النائمون الذين لا يستيقظون الا عندما يُريد مستخدميهم لهم ذلك ليقوموا بالدور المنوط بهم فى التخريب والعمالة فهؤلاء هم الذين يحتاجون الى من يبرر لهم زلاتهم وسقطاتهم التى تطال شرفهم وتاريخهم وكرامتهم الوطنية .

ان هذا المعنى هو الذى أدركه بحسه القومى والوطنى المناضل الكبير الأسير سمير القنطار فأرسل من سجنه الإسرائيلى (وهو بالمناسبة مسجون منذ ١٩٧٩/٤/٢٢ ويعد أقدم أسير عربى فى سجون العدو الصهيونى وكان محسوباً على تيار كمال جنبلاط القومى) رسالة مؤثرة للغاية يوم ٢٠٠٦/١/١٠ إلى وليد جنبلاط عندما شاهده وهو يهاجم حزب الله قال له فيها :

[اليوم ها انا اجلس حزينا في غرفتي في معتقل هداريم اشاهد على التلفاز ابن المناضل الكبير كمال جنبلاط الذي قال يوما «ان السلاح زينة الرجال والنصر يا رفاقي آت لا محال» أراه واقفا يخطب على بعد امتار من المكان الذي يرقد فيه كمال جنبلاط.

وليد كمال جنبلاط، يعزّ عليّ ويحزنني ان اسمعك واراك متوترا تطلق تصريحات لا تمت الى تاريخك النضالي في حرب الجبل ولا الى التراث السياسي العريق لهذا البيت

الذي اصابته النكسات تلو النكسات منذ قرون وبقي قلعة المقاومة والصمود في وجه الغزاة.

وليد كمال جنبلاط، انا الموقع ادناه سمير القنطار، ابن مدرسة كمال جنبلاط وجمال عبد الناصر، ابن جبل العروبة الذي انبت حماة الثغور، اعلن بان اي كلام تخوين بحق سلاح المقاومة وبحق الإخوة في حزب الله يطاولني في الصميم وهو طعنة عميقة اصابتني بجرح لن يندمل الا حين تعود الى موقعك الطبيعي، وليد جنبلاط حفيد شكيب ارسلان وابن كمال جنبلاط وسليل الجبل الذي لن يكون الا جبل المقاومة. وآمل بان يلقى هذا النداء الاستجابة الفورية وألا يفسر ابدا في خانة التخوين او التضليل.

ما دفعني الى الكتابة هو شوقي لان يكون يوم حريتي ويوم استقبالي على ارض وطني وفي بلدتي يوما يكون فيه الغزاة في العراق قد عادوا الى حيث اتوا لا ان يكونوا في انتظاري على مدرج المطار لكي يقتادوني الى معتقل جوانتانامو] .

الاسير سمير القنطار معتقل هداريم، فلسطين

* وبعد .. ان رسالة (سمير القنطار) تغنى حين تقرأ عن أى تعليق إنها أبلغ من كل قول أو نصيحة لكل من يسير الآن فى لبنان على خطى واشنطن وتل أبيب ، خطى الفتنة و(الفوضى البناءة) ، فهل يعى هؤلاء السياسيون جوهر ما طالب به سمير القنطار وهل يعودون إلى رشدهم ليدركوا أن سلاح حزب الله هو رمز الشرف والكرامة العربية وأن من يدعو إلى نزعه فى هذا التوقيت لا يمكن وصفه بأقل من أنه يفتقد ذلك الشرف وتلك الكرامة ، حتى لو ادعى العقلانية والواقعية والتى لا تعنى فى هذا الزمن الأمريكى الردىء الا (وقوعية) رخيصة تحت أقدام السادة الجدد فى تل أبيب !!

* وهل بإمكاننا أن نقول باسم الشعب العربى لوليد بك جنبلاط – كما يحب أن يخاطب – (عيب يا وليد بك) أو نقول له ما قاله بيان حزب الله بعد سماع تصريح جنبلاط الذى

سمى فيه سلاحه بسلاح الغدر : " **أيها اللبنانيون لو تجسد " الغدر " فى هذا الزمان الردىء رجلاً لكان اسمه وليد جنبلاط !! "** .

****

كان للمؤامرة التى يقودها النائب اللبنانى وليد جنبلاط مع عدد من العملاء الكامنين الذين تنشطهم أمريكا عادة حين تريد الفتنة والدمار لبلد بعينه ، المؤامرة التى لاتزال مستمرة والتى وصف فيها النائب وليد جنبلاط سلاح حزب الله بأنه سلاح الغدر كان لها أبلغ الأثر فى الأوضاع اللبنانية وجعلت حزب الله أمام عاصفة تستدعى استحضار قيم الجهاد والمواجهة فى آن واحد وهو الأمر الذى دفع السيد حسن نصر الله الى الحديث والتذكير المستمر بشكل قاطع أن الحزب سيستمر فى مقاومة مشروع الهيمنة الأمريكى والإسرائيلى وأن من حقه أن يستمر فى ذلك ومن يشكك فى وطنية الحزب لا ينبغى الالتفاف إليه ، هذه الخطابات والمواقف الجديدة لحزب الله مع دخول قضية (الحريرى) منعطفاً جديداً بعد تقرير ميليس (الصهيونى الجذور والهوى) بتقريره الجديد، ترى ماذا ينتظر حزب الله بعد كل هذه الأحداث وأمام هذه العاصفة الأمريكية/ الإسرائيلية التى تستهدف نزع سلاحه .

فى البداية كان واضحاً أن قرار مجلس الأمن رقم ١٥٥٩ عام ٢٠٠٤ يستهدف تفكيك حزب الله وأسلحة المخيمـــات الفلسطينية فى لبنان وهو ما يعد تدخلاً فى شئون دولة عضو فى الأمم المتحدة .

وكان السيد حسن نصر الله قد أكد أن الغاية القصوى للموفد الدولى رود لارسن هى نزع سلاح حزب الله والفصائل الفلسطينية مشيراً إلى أن تقرير لارسن بشأن لبنان اطلع عليه من الصحافة الإسرائيلية قبل إعلانه رسمياً فى مجلس الامن !! مما يعنى أن إسرائيل هى الفاعل الرئيسى خلف هذا المشهد الإجرامى كله .

فهل تنجح الضغوط الأميركية الصهيونية فى نزع سلاح حزب الله أم أن الحزب قادر على الخروج من هذا المأزق دون الرضوخ للإملاءات الدولية المجحفة ؟ .

فى البداية تؤكد الدراسات الاستراتيجية المتاحة أن الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل تسعيان جاهدتين إلى محاولة نزع سلاح حزب الله باعتبار أن الحزب يمثل المقاومة المسلحة الوحيدة التى استطاعت بالفعل أن تهزم جيش الكيان الصهيونى وتجعله يهرب تحت جنح الظلام ٠

فالكيان الصهيونى يعتبر المقاومة الإسلامية فى لبنان هى الخطر الرئيسى ضد تحقيق أهدافها الاستراتيجية فى إقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات ، ونزع سلاح حزب الله سيعجل بتحقيقها ، وهذه الأهداف هى :

أولاً : إضعاف قوى المقاومة الوطنية تجاه العدو الإسرائيلى وبالتالى فقدان الشعب العربى لقيمة المقاومة التى تستطيع تحرير الأراضى العربية المحتلة ٠

ثانياً : تحقيق القوى الصهيونية العالمية أهدافها فى إمكانية السيطرة على المنظومة العربية ٠

ثالثاً : قيام الكيان الصهيونى بأعمال عدوانية تجاه الدول العربية ، والبداية لبنان ثم سوريه وتنتهى بعمليات عسكرية تجاه مصر ٠٠ بل يمكن القول بأن إسرائيل ستقوم بإلغاء معاهدة كامب ديفيد وإعادة احتلال أرض سيناء مرة أخرى وبذلك تحقق إسرائيل الكبرى ٠

رابعاً : توجيه ضربة عسكرية مباغتة تجاه إيران والقضاء على برنامجها النووى ٠

خامساً : زيادة التوتر فى المنطقة ودخول الدول العربية فى صراعات مع بعضها البعض وبروز الكيان الصهيونى كقوة إقليمية ٠

لذا فإن نزع سلاح حزب الله يمثل خطراً لا على المقاومة فقط بل على الأمة العربية بأسرها ٠

وفى هذا السياق يرى الخبير الاستراتيجى اللواء د٠ محمود خلف المستشار بأكاديمية ناصر العسكرية العليا بالقاهرة : " لا يستطيع أحد أن ينزع سلاح المقاومة الإسلامية فى جنوب لبنان ، فحزب الله ليس بالحزب الهين ، فالمقاومة لها ثقل داخل الشارع

اللبنانى ، وتبلور دوره الجهادى بعد الاجتياح الإسرائيلى لجنوب لبنان عام ١٩٨٢ وقد تكلل بالنجاح بعد أن انسحب الجيش الإسرائيلى من جنوب لبنان عام ٢٠٠٠ كما أن الحزب يدير شبكة من البرامج الاجتماعية والتعليمية والخيرية فى مناطق نفوذه فى كل لبنان.. هذا الوجود المتميز على الساحة اللبنانية يكفل لحزب الله البقاء والاستمرارية.

ولا يمكن فصل ملف سوريه عن ملف سلاح حزب الله عن ملف المخيمات الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية ممثلة فى حركتى حماس والجهاد ، فهذه الملفات مجتمعة تريد أميركا إنهائها خدمة للكيان الصهيونى ، وأعتقد أن الرئيس بشار الأسد قد أوضح ذلك فى العديد من تصريحاته .

ويضيف : " إرادة المقاومين وصلابة المقاتلين تكفل بقاء سلاح المقاومة وكما قال السيد حسن نصر الله : من يريد ان ينزع سلاح حزب الله فليأت وينزعه " .. فالحديث عن سلاح المقاومة يأتى كجزء من مؤامرة كبرى تحاك للمنطقة العربية من قبل أميركا وإسرائيل تستهدف إخماد المقاومة الشريفة حتى تنفذ مخططها الساعى إلى تفتيت المنطقة العربية إلى مجموعة من الدويلات وما يحدث فى العراق خير دليل على ذلك .

وحول ذات المعنى تؤكد الدراسات الإسرائيلية ذاتها أن حزب الله لن يوافق على نزع سلاحه ، وإذا حصل ضغط داخلى بإيعاز أميركى لإكراه الحزب على تسليم سلاحه سيرفض ، مما سيثير أزمة بين حزب الله والحكومة اللبنانية وربما تتصاعد الى مواجهة بين الدولة والحزب ، تبدأ سياسياً بانسحاب وزراء حزب الله وحركة أمل من الحكومة ثم من البرلمان مما سيؤدى الى أزمة سياسية ، واستكمالاً لهذا المخطط ستتدخل الولايات المتحدة وربما إسرائيل إلى جانب الحكومة اللبنانية لتبدأ حرب أهلية جديدة فى لبنان .

ومن وجهة نظر استراتيجية اخرى يؤكد اللواء زكريا حسين / الخبير الاستراتيجى المصرى البارز أن الأحداث والتطورات التى تمر بها لبنان فى الفترة الأخيرة منذ

صدور القرار ١٥٥٩ الصادر عن مجلس الأمن الدولى فى عام ٢٠٠٥ ، أثرت وتؤثر تأثيراً شديداً داخل الساحة اللبنانية ، حيث جعلت معظم الأطراف تعدل من مواقفها حتى تتلاءم مع المستجدات على الساحتين الإقليمية والدولية باستثناء حزب الله الذى رفض الانحناء للامبريالية الأميركية .

والسيد حسن نصر الله يصف المقاومة بأنها تمتلك " السلاح والبندقية والصاروخ والخبرة العسكرية والرجال الأشداء والإيمان الطاهر النقى ، فإن لديها خبرة وعقلاً وتجربة راقية – وهى تعرف كيف تتعامل مع العدو فى الليل وفى النهار : ماذا يقول ، وماذا يفعل ، وماذا يخطط ، وهى مقاومة يقودها قلب وعزم ٠٠ وهى ليست جبانة فتتخلى عن المسئولية ، ولا هى مجنونة فتذهب بوطنها وشعبها إلى وديان الهلاك " .

ويضيف السيد حسن نصر الله : " ليس هناك مقاومة عشوائية ولا عمليات فردية ، ولكن تخطيط محكم وتصميم دائم على حماية لبنان ، وأن تجعل العدو لا يستطيع التفكير فى العدوان عليه ٠٠ وأن المقاومة لن تدخل فى خصومة ولا تنافس ولا محاولة إلغاء لأحد ، ولا محاولة الحلول مكان أحد " .

ويضيف زكريا حسين : ما قاله السيد حسن نصر الله فى خطاباته التى ألقاها مؤخراً يؤكد أن حزب الله وصل إلى مرحلة النضج السياسى والعسكرى ، بعد أن فطنت المقاومة مبكراً للمؤامرات التى تحاك فى الخارج ضدها فقام السيد حسن بطمأنة القوى اللبنانية من وجود سلاح حزب الله .

واستطرد قائلاً : نزع سلاح حزب الله تنفيذاً للقرار ١٥٥٩ أمر صعب التحقق ، فليس فى وسع القوى الأمنية اللبنانية ان تجرد حزب الله من سلاحه ، ذلك أن الحكومة لا يمكنها بقرار من هذا القبيل أن تجازف بزج الجيش اللبنانى فى مواجهة مع المقاومة ، يكون من نتائجها تعريض المؤسسة العسكرية اللبنانية للتفكك وانعدام الفعالية .

* بناء على هذه الرؤية فإن حزب الله لن يتخلى عن سلاحه ، فالحزب ضلع رئيسى ومهم فى المقاومة العربية ضد الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل ٠٠ وهو حزب لم يؤخذ

عليه أى تجاوزات داخل لبنان وخارجه فهو يمثل المقاومة العربية الإسلامية المشروعة ، ويلقى قبولاً فى الشارع اللبنانى والعربى وقد ظهرت قوة الحزب داخل الأوساط اللبنانية من خلال تمثيله المتميز فى مجلس نواب ٢٠٠٠ و ٢٠٠٥ .

والحديث الدولى المتزايد عن سلاح حزب الله ناجم عن إلحاح إسرائيلى متزايد على كافة القوى الدولية ، خوفاً من المقاومة الإسلامية .

ونعتقد أن الغاية القصوى للسيد رود لارسن هى نزع سلاح حزب الله والفصائل الفلسطينية وهذا لا يلقى قبولاً لدى بعض التيارات اللبنانية التى تحفظ جميل حزب الله بعد أن نجح فى إزاحة إسرائيل عن جنوب لبنان .

ان الهجمة الشرسة التى تتعرض لها المنطقة هدفها وأد ثقافة المقاومة .. التى بزغت كطاقة نور بعد نكسة ١٩٦٧ من خلال المقاومة الفلسطينية ثم ظهرت المقاومة الإسلامية فى لبنان .. وإذا فقدنا هذا الخط الدفاعى الذى يحاول الصمود أمام الهجمة الأميركية – الصهيونية فالمنطقة العربية – وفقاً لرأى الخبير الاستراتيجى المصرى اللواء / نبيل فؤاد – ستصبح فى عداد الموتى والشعوب العربية تصبح معرضة للذوبان فيما يسمى بالشرق الأوسط الكبير .. لذا يجب على القيادات العربية أن تتفاعل بإيجابية مع الأحداث الدولية المتلاحقة وأن تقف جميعاً بجوار سوريه ضد الهجمة الأميركية التى تحاول ان تجعل النظام السورى يرضخ لمطالبها وأن يكف عن دعم خط المقاومة وإلا يتعرض لحصار اقتصادى يتبعه ضربات عسكرية .. فالولايات المتحدة تريد أن تتعامل مع الدول العربية فرادى والحكام العرب فى سبات عميق .. واستهداف سوريه من قبل أميركا سيؤدى إلى وقوع المنطقة العربية كلها فى جب عميق لن تخرج منه.

ولو عدنا إلى حزب الله ، الذى يعد ركيزة جبهة الصمود العربى ، فإن الحكومة اللبنانية قالت إن سلاح حزب الله سلاح لبنانى وأنها مقاومة شرعية مادام هناك أرض لبنانية محتلة .. ومادام يستهدف الكيان الصهيونى الذى يحرض المجتمع الدولى ضد المقاومة الإسلامية اللبنانية وهذا السلاح قوة لجبهة الصمود العربية وحماية للمنطقة الحدودية مع العدو الإسرائيلى بعد أن نجح فى طردهم من الجنوب اللبنانى .

إن حزب الله قادر على الحفاظ على سلاحه ، دون الدخول فى صراعات مع بعض التيارات اللبنانية الداخلية التى تأثرت بالأوضاع الدولية الآن ٠٠ فالمقاومة اللبنانية صاحبة إرث نضالى كبير خلفته حزب الله خلال حربه الطويلة مع الصهاينة طوال عشرين عاماً٠ ويجب أن يكون الحديث عن نزع سلاح المقاومة ناتجاً عن حوار لبنانى داخلى خال من التدخل الخارجى بعد الانسحاب الإسرائيلى من مزارع شبعا وهضبة الجولان ٠٠ وكان السيد حسن نصر الله قد أكد مراراً وتكراراً أن حزب الله لن ينزع أسلحته إلا بعد أن تفرج إسرائيل عن الأسرى المعتقلين فى سجون الاحتلال وتنسحب من مزارع شبعا وأن الحزب لا يتحدى العالم ولكنه يطالب بتحقيق هذه المطالب قبل التفكير فى نزع سلاح المقاومة ٠

* تريد الولايات المتحدة استغلال القرار ١٥٥٩ ، لاختبار موقف الشارع العربى وباقى فصائل المقاومة العربية ومحاولة تأليب الحكومة اللبنانية على الحزب ، بل تهديدها بالحصار الاقتصادى ، خاصة أن لبنان فى لائحة الدول الأكثر مديونية فى العالم ٠٠ هذا يهدف إلى إحياء روح الطائفية من جديد فى لبنان ، والظاهر أن هناك رغبة أميركية فى عدم فتح ملف جديد من النزاع فى المنطقة قبل غلق ملف العراق ٠

* وفى هذا المعنى يؤكد اللواء محمد جمال مظلوم مدير مركز الخليج للدراسات السياسية والاستراتيجية أنه ليس لأحد الحق فى نزع أسلحة المقاومة الإسلامية ، فى ظل احتلال إسرائيل لمزارع شبعا والاختراقات الجوية الإسرائيلية للأراضى اللبنانية والتى تصل لـ ١٠ اختراقات يومية ٠ والحكومة اللبنانية والشعب اللبنانى يعترفان بالمقاومة التى استطاعت أن تجعل الجيش الإسرائيلى يقرر الانسحاب من جانب واحد من الجنوب اللبنانى فى الرابع والعشرين من مايو/أيار ٢٠٠٠ بعد بقائها عقدين من الزمن ٠٠ وقد جاء هذا الانسحاب بعد حرب استنزاف طويلة دفع الإسرائيليون ثمنها من جنودهم ٠

* هدف الضغوط الأميركية على الحكومة اللبنانية لنزع سلاح المقاومة ، إزالة الهاجس الأمنى لدى إسرائيل من بقاء حزب الله قوة حاكمة على الحدود الشمالية للكيان الصهيونى وهو ما يعد من وجهة النظر الإسرائيلية تهديداً مباشراً لأمنها ٠٠ فالتصور السائد لدى

الكيان الصهيونى عن حزب الله هو أن المقاومة الإسلامية لن تتردد فى استخدام قدرتها الاستراتيجية وأنها تنتظر الفرصة كى تستخدمها .

كما أن الكيان الصهيونى يتهم حزب الله بدعم المقاومة الفلسطينية بالأموال والتدريب .. ففى أغسطس/آب ٢٠٠٤ ، نقلت صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية عن أحد كبار ضباط الجيش قوله : إن حزب الله وراء ٧٥% من العمليات الفلسطينية المسلحة فى الضفة الغربية .

إذن ووفقاً لآراء الخبراء الاستراتيجيين طالما أن سلاح المقاومة لا يشكل تهديداً للقوى اللبنانية فى الداخل.. فلماذا ننزع سلاحه الموجود فى الجنوب للدفاع عن كيان لبنان؟.

وعموماً لا يستبعد وجود مؤامرة داخلية فى لبنان لنزع سلاح حزب الله .. وهذه المؤامرة الأميركية تستهدف تدويل لبنان .. لذا يجب على الحكومة اللبنانية أن تدعم المقاومة وأن يحتفظ حزب الله ، بمواقفه الداعمة لأمته العربية وأن يحافظ على تماسكه الداخلى أمام الضغوط الدولية .

ان حزب الله إذن أمام عاصفة أمريكية / إسرائيلية واضحة ، عاصفة تستخدم قضية اغتيال الحريرى بكل ملابساتها ، أداة للتدخل والهيمنة ،عاصفة تتوسل بتقارير (ميليس ولارسن) لفرض مشروعها على سوريه ولبنان لاصطياد (حزب الله) تمهيداً لضرب إيران، حتى يتم اكمال مشروع السيطرة الأمريكية على المنطقة بعد احتلال العراق .

وليس أمام حزب الله لإفشال كل هذا المخطط ، سوى المقاومة .. سوى التمسك بالحق فى الجهاد والدفاع عن النفس ، وهو جوهر ما قاله وأكد عليه الأمين العام للحـــزب ، سيد المقاومة السيد حسن نصر الله ،وما أبلغه من قول لو كانوا يفقهون .

الفصل الثامن

مثقفون يطلقون النار

(ردّاً على أطروحات تنتقد حزب الله وتطالب بنزع سلاحه)

النموذج الأول للمثقف الذى يطلق النار صباح مساء على حزب الله : حازم صاغية :

من نافلة القول ، أن للسيد حازم صاغية ، ومن لايزال يرى رؤيته كامل الحق فى أن يكتب عن تجربة حزب الله ، وأن يهجوه كما يشاء ، فكما يقولون النخل المثمر حتماً سيقذف بالحجارة، خاصة اذا كان الراغب فى بلحه أو ثمرة لا يتقن الصعود(!!) ولكن ما ليس من حق حازم صاغية أو من سار على دربه ، أن يقدم لنا حاله باعتبار ما يقوله (منذ سنوات بالمناسبة) عن حزب الله ، ومن قبل عن قوى المقاومة العربية فى فلسطين والعراق ؛ هو "الحق المبين" وما عداه باطلاً ، وأن يقيم من جملة حكايات أو حواديت صغيرة أغلبها غير صحيح ، منهجاً حاكماً يفرض من خلاله النظر الى تجربة حزب مقاوم ، تقول الحقائق ، والمعلومات بما فيها المعادية أنه مَثّل علامة فارقة فى تاريخ النضال العربى المعاصر وأن ما ساقه (صاغية) عنه إن كان حسن النية بشأنه فهو غير صحيح ، وأن الصحيح منه منتزع من سياقه ، أو موظف برؤية عدائية ملتبسة لا تريد أن ترى الحقيقة حتى لو كانت ماثلة أمامه وبات يقرأها حتى شاؤول موفاز !!

• مناسبة هذا القول ، تلك الدراسة التى نشرها الكاتب الأستاذ / حازم صاغية فى صحيفة (الحياة) وحملت عنوان (فصول من قصة حزب الله اللبنانى) ونشرتها الصحيفة على حلقات خلال الفترة من ٢٠٠٥/١/٤ حتى ٢٠٠٥/١/٩ (على ستة ملفات) ؛ وحفلت بالعديد من الأخطاء المعلوماتية والمنهجية نستغرب أن يقع فيها

الكاتب وهو العالم بخفايا التاريخ اللبنانى ، اللهم الا اذا كان هو يريد ذلك ربما لحاجة فى نفس يعقوب !

• على أية حال ودون الانجرار الى تلك (الحواديث) وأصولها ، فإننا نود أن نسجل ما يلى على قصة حزب الله اللبنانى كما كتبها فصولاً ؛ حازم صاغية .

****

فأولاً : من الناحية المعلوماتية : حفلت دراسة (صاغية) بأخطاء تاريخية تحتاج الى تصويب، ورغم اننى لست لبنانياً مثله، فإن فداحة الأخطاء والتى يعلمها أصغر دارس للتاريخ العربى الحديث تجعلنا نشفق على القارى إن هو واصل الدراسة العلمية (!!) تلك وهى تحمل هكذا أخطاء:

١ - فمثلاً فى الحلقة الأولى والمعنونة بـ (صعود حركة أمل والتمهيد العاصف لانفجار الراديكالية السياسية الشيعية ٢٠٠٥/١/٤) يرجع صاغية نشأة - حركة المحرومين - للامام موسى الصدر الى العام ١٩٧٥ فى حين الصواب أنها نشأت عام ١٩٧٤ ، وأن الجناح المسلح لهذه الحركة المسمى (أفواج المقاومة اللبنانية - أمل) هو الذى نشأ فى ١٩٧٥/٧/٦ ، ويومها جاء الاعلان - وهنا الخطأ الثانى - ليس كما ذهب صاغية (لأن ثمة اسلاميين تؤرقهم عودة الامام الثانى عشر من غيبته ... وقريباً من هؤلاء وقف ماويون وفدوا من تنظيمات اليسار يحبون الشعب ويتلمسون صن يان صن فى عباءة الصدر !!) وهكذا يُلبس صاغية الحقائق فى بعضها حتى يبدو البناء وكأنه صواب ، رغم أن الحقيقة وببساطة تقول غير ذلك وأن الأمر على نقيض مما أراد أن يصوره (صاغية) على أنه مجرد تعبير عن حرمان وصراع طائفى وسياسى طبقى صغير (!!) واقع الأمر والتاريخ وببساطة يقول إن الاعلان عن "أمل" جاء على إثر انفجار لغم بدورية عسكرية أدى الى استشهاد ٢٦ وجرح أكثر من ٧٠ فى معسكر عين البنية يومها قدم (الصدر) اعلانه عن أفواج المقاومة بقوله إنه **[يقدم" أمل " باعتبارها أزهار الفتوة والفداء ممن لبوا نداء الوطن الجريح الذى تستمر**

إسرائيل في الاعتداء عليه من كل جانب وبكل وسيلة فيما لم تقم السلطات المسئولة بواجبها الدفاعي مقابل تلك الاعتداءات التي بلغت ذروتها على الوطن والمواطنين !]

فالأمر لم يكن – إذن – هروباً دينياً أو ماركسياً من الاحباط والحرمان ٠٠ بل رؤية ناضجة فى مواجهة عدو متربص ومعتد أهمله (صاغية) عمداً ؛ طيلة دراسته ولم يضعه كمتغير رئيسى لصعود حركات المقاومة بدءاً بأمل وانتهاءً بحزب الله ٠

٢ – ومن المعلومات التاريخية المغلوطة التى تعمد (صاغية) زجها وتكبيرها ثم توظيفها – عمداً فى سياقات آخرى ما قاله فى الحلقة الثانية (٢٠٠٥/١/٥) عن (عماد مغنية) وجعله أقرب إلى عميل إيرانى منه الى مجاهد رأى بلاده تُجتاح بالكامل وتقع تحت سنابك يبدو أنها محببة الى البعض الى الحد الذى دفع كاتباً كان يسارياً ماوياً ثم صار ليبرالياً مثل صاغية إلى ألا يراها فى كل فصول قصته ، ونقصد بها سنابك الاحتلال الإسرائيلى ونفس الأمر يقال عن تنقية هواء ضاحية بيروت الجنوبية من المسيحيين (الحلقة الثالثة ٢٠٠٥/١/٦) لحساب مشروع إيرانى يحمل حزب الله ، متناسياً عن عمد ظروف الحرب الأهلية ومسئولية الأطراف كافة عنها وبخاصة الطرف المارونى الذى ساهم بفاعلية فى تنقية تاريخها ليس من الهواء بل من الأرواح البشرية ذاتها ، نفس المغالطات التاريخية – والتى يستطيع أعضاء حزب الله الرد بالوثائق عليها أقوى منا نحن المراقبين للمشهد من خارجه – ما يتصل بقصة الشيخ صبحى الطفيلى وثورة الجياع التى قادها عام ١٩٩٧ ومحاولة صاغية تأويلها بالتباسات لفظية ومعلوماتية تكاد تكسبها صفة الصراعات الكبرى التى حدثت داخل حزب الله (ولنتأمل قول صاغية : " لكن من توهموا أن السماء صفت من غيومها داهمهم فى أيار (مايو) ١٩٩٧ برق لا سيطرة عليه ذاك أن الأمين العام السابق صبحى الطفيلى أعلن عن ثورة جياع سلح لها أكثر من ألف مقاتل استمرت حتى شباط (فبراير ١٩٩٨) مع صدور مذكرة توقيف بحقه" (انظر الحلقة الرابعة من الدراسة ٢٠٠٥/١/٧) ، ورغم أن هذه الحركة التى يشببها بـ (البرق الذى لا سيطرة عليه)

انتهت كفقاعة هواء ، لأنها بالأصل لم تكن سوى ظاهرة إعلامية محدودة للاحتجاج أساساً على الدولة – وليس على الحزب كما حاول صاغية أن يصورها ويضخمها – ماتت فور ولادتها ؛ فإن السيد حازم صاغية كدأبه طيلة الدراسة ظل يلح عليها وعلى أمثالها من الحوادث الصغيرة المنعزلة عن سياق الأحداث مثل خلافات السيد محمد حسين فضل الله مع الشيخ جعفر مرتضى العاملي ، ومثل استقالة نايف كريم من تليفزيون المنار ، وتضخيم قصته الى حد أن جعلها صاغية نموذجاً لحملات التفتيش التي يقوم بها الحزب من أجل تنقيته ممَّن له صلة بالسيد محمد حسين فضل الله وأضحى الصراع من وجهة نظره بين (جماعة قم) وجماعة النجف (انظر الحلقة الرابعة من دراسته ٢٠٠٥/١/٧) في حين تقول المعلومات المجردة أن حقيقة الأمر بالنسبة للسيد/نايف كريم لا تعدى تغييرات (ديمقراطية) طبيعية داخل مؤسسات الحزب، لتجديد العناصر والأماكن وتطوير الأداء .. (أليس صاغية من أنصار الديمقراطية والتجديد ؟! أم أنه في هكذا واقعة قد أضحى سلفي الهوى والرأى ؟!) على أية حال نُقِل (نايف كريم) الى موقع حزبي آخر ، ثم عرض عليه العمل في إحدى الفضائيات العربية الخليجية فقبل ، وبالمناسبة هذه الرواية من فم نايف كريم لكاتب هذه السطور مباشرة ؛ فلماذا يؤول (صاغية) ما لا يؤول ، ولماذا يلبس الحق بالباطل؟! ثم ألا يشككنا هذا التأويل واللبس في باقي (الحواديت) التي ساقها عبر فصول قصته تلك؟

٣ – الا ان أمر اللبس في (حواديت صاغية) يزداد ويتضخم حين يخصص الحلقة الخامسة من دراسته (٢٠٠٥/١/٨) عن شخصية السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله ، ويقدم معلومات خاطئة من أول سطر حين يتحدث عن ميلاد حسن نصر الله في بلدة البازورية في النبعة في حين تقول الحقائق الأخرى أنه ولد يوم ١٩٦٠/٨/٣١ في حي شرشبوك شرقي بيروت ثم نشأ بعد ذلك في النبعة وأنه درس المرحلة الابتدائية في مدرسة النجاح في النبعة ثم تابع دراسته التكميلية التربوية في سن الفيل وأنه ترك حي شرشبوك مع عائلته سنة ١٩٧٤ عائداً الى بلدته الأصية

البازورية وأنه تعلم فى (النجف) ثم فى (قم) وحصل منها على درجة علمية فى الفقه عام ١٩٨٦ اسمها [درس خاص] ، والخطأ هنا ليس فحسب فى مجرد إيراد الأماكن الخاصة بالميلاد أو الدراسة ، الخطأ هنا يمتد به (صاغية) ليرتب عليه تلك العبارة الماكرة التى ركب عليها الكاتب حكايته المُدعاة عن حسن نصر الله ليبدو وكأنه مجرد زعيم سياسى لجماعة محرومة اقتصادياً ينسحب عليها التعريف الماركسى الذى كان يحبه صاغية زمان !! منزوعة منه الجوانب العقدية ولننظر كيف (ركبها) صاغية [أما الأمين العام حسن نصر الله فلم يتخرج من قم ولا من النجف (وهذا غير صحيح !!) وربما كانت سيرته آية فى دلالاتها على نضالية عالمثالثية فى ظروف عاصفة سياسياً وديمغرافياً ، فهو المولود عام ١٩٦٠ ابن المهاجر من بلدة البازورية قرب صور عاش فى النبعة مثله مثل والد عماد مغنية هناك ولد حسن ٠٠٠ (الحياة ٢٠٠٥/١/٨) ولننظر حجم اللبس الذى قصد الكاتب وضعه عن السيد حسن نصر الله ، سواء فى (مكان الميلاد) أو فى درجة تعليمه الدينى ، ترى ما السبب هل هى مجرد أخطاء لا يقصدها؟ أم هو يريد أن يُخدِّم من خلالها على فكرته المركزية : أننا أمام زعيم سياسى مطارد شبيه بذلك المطارد (الارهابى) عماد مغنية على حد وصف صاغية وتقديماته لقصته فى الحلقات الأولى ، وأن نصر الله هذا يتولى أمر حزب سريع الانفعال خالٍ من القيادات الفكرية عالية الكعب (على حد وصفه) يستقبله " جمهور شكلته قلة التجارب وكثرة السير المتقطعة ٠٠ والقائد والمقودون تجمعهم معرفة محدودة بتاريخ الصراع العربى – الإسرائيلى ، معلومات خاطئة مقصود عمداً ايرادها وتركيبها ، فى سياق ملتبس ، لتخرج النتائج شائهة كما أرادها صاغية أو فى الواقع كما كان يريدها منذ بدأ قبل عشر سنوات يكتب عن حزب الله بكل هذه الروح العدائية المشبوبة التى تخرج صاحبها حتماً عن (الموضوعية) والرصانة العلمية ، ناهيك عن الأمانة التاريخية التى لا يفتأ السيد صاغية يذكرنا بها كل صباح عبر صحيفته الغراء طيلة العقد الماضى للهجوم على سوريه، والمقاومة اللبنانية ، والفلسطينية والآن العراقية !!

٤ - وحتى تكتمل الحبكة الدرامية فى قصة صاغية عن حزب الله إذا هو فى الحلقة الأخيرة (الحلقة السادسة ٢٠٠٥/١/٩) ودونما مبرر علمى أو منهجى يتهم حزب الله بتجارة المخدرات فى البقاع وتجارة الماس مقابل السلاح فى أنجولا ثم تجارة السلاح فى دول أمريكا اللاتينية ٠٠ والغريب أن يأتى إقحام هذه الاتهامات فى سياق حديثه عن محاولات لبننة الحزب فى السياسة والاقتصاد ، المثير للريبة هنا والذى يجرح مصداقية هذه الاتهامات أن السيد (صاغية) قد حصل عليها من تقرير للمخابرات البلجيكية وتصريح للمتحدث باسم إدارة مكافحة المخدرات الأمريكية!! والسؤال ألا يعلم (صاغية) أن هذه المصادر المعلوماتية مشكوك فى صدقيتها ، وأنها تستهدف حزب الله وتضعه ليس على قوائم تجار السلاح بل على قوائم الارهاب الدولى لأنه حزب مقاومة وهم لا يحبون هذا اللفظ ؟ وإذا علمنا ذلك فهل يليق بباحث مخضرم مثل (صاغية) أن يستند الى تقارير كهذه يلوى عنق الحقيقة ويركب قصة وصورة يريدها عن الحزب !

• تلك فقط بعض (الأخطاء) فى المعلومات ٠٠ ماذا عن الأخطاء فى المنهج أو ما نسميه المسكوت عنه فى كل رواية (صاغية) عن حزب الله ، الذى يشكل بالنسبة لجيلنا - على الأقل- واحدة من أنبل ظواهر النضال العربى والاسلامى المعاصر ، حتى لو غضب "صاغية" ومن قبله وضاح شرارة ؟!

****

<u>ثانيا : أخطاء فى المنهج :</u> يريد السيد حازم صاغية أن يقنعنا بأن ما أورده فى دراسته المعنونة بـ (فصول من قصة حزب الله اللبنانى) أنها مجرد (فصول) من (القصة)، لكن القارئ المتأمل جيداً لها ولشخصية الكاتب وعلاقاته وكذا مواقفه المسبقة ، بإمكانه أن يكتشف وببساطة أن هذه هى (كل) القصة ، وهى (كل) الرؤية التى يبطنها الكاتب قبل سنوات ،للأمانة ليس تجاه حزب الله وحده - وان كان هو أعلاها درجة - بل تجاه كل حركات المقاومة العربية ضد العدوان الأمريكى / الصهيونى ، فهى جميعاً لديه

ليست سوى تنويعات على نغم واحد هو " الإرهاب الاسلامى " وأنها ليست مقاومة والتسوية هى الخيار الأمثل أمام الأمة حتى لو ترادفت هذه الأيام مع (التصفية) لغة وفعلاً للقضايا العربية؛على أية حال٠٠ثمة أخطاء رئيسية فى منهج حازم صاغية الذى تناول به قضية حزب الله ، نود تسجيلها فيما يلى:

(١) طيلة القصة سكت (صاغية) عمداً عن الدور الإسرائيلى فى لبنان وفى صناعة التاريخ اللبنانى (موالاة ومعارضة – على حد الوصف اللبنانى الحديث والرائج هذه الأيام) ، وقدم لنا حزب الله باعتباره فحسب نتاج تمدد الأصولية الإيرانية ، والبعثية السوريه – لاحقاً – طبعاً مع بعض الحشو والحواديت التى لا تسمن ولا تغنى من جوع المعرفة ؛ والباحث الموضوعى الذى لا يحركه هوى أو مصلحة أو طائفة ، يعلم جيداً أن (حزب الله) لا يمكن فهمه : طبيعة وبناء وأداءً ، ولا يمكن فهمه تاريخاً ومستقبلاً ، بمعزل عن هذا الصراع بل وفى قلبه ، وأية محاولة للقفز على أو لتهميش هذا المتغير الأصيل فى نشأة (الحزب) وفى تطور أدائه السياسى والاجتماعى تصبح محاولة فاشلة وغير أمينة ، ان الفهم المنهجى السليم لتجربة وقصة حزب الله تتم فى تصورنا ليس انطلاقاً من تلك الرؤية التآمرية للتاريخ والواقع التى قدمها صاغية فى دراسته ، بل انطلاقاً من فهم قرآنى رائع للجهاد ، عجز صاغية عن رؤيته وأحسبه سيظل عاجزاً عنه لفترة طويلة مقبلة ، تلخصه الآية الكريمة (والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) (العنكبوت ٦٩) ، التى أكدت من جملة ما أكدت (أن الجهاد وليس إيران أو سوريه أو صراع الأشباح والمرجعيات الذى تخيله صاغية وبنى عليه منهجه فى البحث) هذا الجهاد وحده يهدى سُبل الانجاز الصحيح فى كافة مناحى الحياة (بما فى ذلك الأدب والفن والتعليم وقطعاً : العسكرية) وهذا ما تم تحديداً فى كل فصول قصة حزب الله خلال الـ١٨ عاماً السابقة للتحرير ٠

(٢) فى مجمل قصة صاغية عن حزب الله لا قصة حزب الله الحقيقية – وهذا هو التعبير الأدق عما كتبه فى " الحياة " – لم يُفصل لنا حقيقة وضع الجنوب اللبنانى تحت

الاحتلال الإسرائيلى واللحدى ، بنفس التفصيل الذى وصل الى حد الملل حين كان يقدم حواديته عن صبحى الطفيلى وثورة جياعه، أو الشيخ نعيم قاسم وعزلته عن الحزب(!!) أو حسن نصر الله وكاريزميته السياسية (!!) أو محمد فنيش وتأثره بتجربة حزب الوسط المصرى ومغامرات عماد مغنية فى تهريب المخدرات والماس ! لم يفصل (صاغية) ونعتقد عن عمد ، فى مأساة الجنوب طيلة ١٨ عاماً من الاحتلال ، تلك المأساة التى تقف وحدها شاهداً بالمقابل على قيمة ونبل الانجاز الذى قدمه حزب الله ، وحاول صاغية أن يُقزمه فى مجرد دردشات وحواديت طائفية صغيرة ؛ ولم يضعه مع انجازه الحقيقى فى تحرير هذا الجنوب فى ميزان تاريخى واحد للحكم وللقياس خاصة بعدما عجز الآخرون ممَّن نعتهم (صاغية) بصناع لبنان الحقيقى، لبنان الذى ان لم يجيء على مقاس أفكاره ورؤاه الطائفية فليس بلبنان، بل هو صناعة خومينية أو بعثية!! ، عموماً تقول الحقائق أن مأساة هذا الجنوب كانت العلة الحقيقية الرئيسية لعدم الاستقرار السياسى فى لبنان طيلة العقود الماضية وأن ١١٠٠ كم٢ منه تحتوى على ٦٠ مدينة وقرية وضيعة كانت محتلة مع نصف مليون لبنانى مهجر ، وأن قوام جيش الاحتلال مع رجال لحد قد ربا على الـ ٣٠ ألف جندى يكتم الأنفاس والتاريخ ويصادرهما مع الأرض والبشر؛ وأن هذا الحزب الذى لا يروق للسيد حازم صاغية ومن لف لفه ، قد استطاع أن يحرر الجنوب من خلال تقديم قرابة الـ ١٨٠٠ شهيد منهم ابن الأمين العام للحزب (الذى لم يسلم حتى هو من السخرية المبطنة للسيد حازم صاغية فى الحلقة الخامسة من دراسته ٢٠٠٥/١/٨) ؛ وهو إن أحسن قراءة استشهاد هادى نصر الله لفهم معنى أن تكون شهيداً أو تقدم أولادك للشهادة ولأدرك – إن أراد – قيمة الشهادة فى الاسلام ودورها فى البناء السياسى والحضارى !! على أية حال استطاع الحزب أن يحرر الجنوب من خلال عشرات العمليات الاستشهادية والنوعية ولمجرد التذكرة فقط نقول [١٢ عملية استشهادية – ٨٥٨ عملية نوعية لتفجير عبوات – ٥٥٤ كمائن – ٢٥٨ مواجهات مباشرة – ٦٦ اقتحام – ٦٨ قنص –

٣٥١٤ قصف مدفعى – ٥٧١ قصف صاروخى – ٢٥٨ هجوم نارى – ٣٨ صواريخ موجهة – ٤٧٦ قصف مستوطنات – ١٢ عملية أسر – ٢٢٠٠ قتلى إسرائيليين ولحديين – ٧٠٠ جرحى إسرائيليين ولحديين ٠٠ الخ) ترى هل كان الحزب ومقاوموه فى كل هذا الجهاد يلعبون لعبة طائفية صغيرة تستهدف "الماس" وإيران وسوريه ؟! ونضيف لذلك أن الحزب وهو يحرر الجنوب استطاع أن يدير معركة اعلامية وسياسية عالية الأداء وأن يبنى ما يمكن تسميته (بفقه الأولويات) فى الصراع السياسى مع الخارج وليس مع الداخل ، وخلق علاقة تكاملية مع (الدولة) ومؤسسات المجتمع المدنى، لا كما زعم (حازم صاغية) فى عبارات تحمل نفس التفكير الملتبس الذى أسس عليه دراسته : أن نصر الله كان حين استقبل الأسرى اللبنانيين المحررين كان هو الضوء ورئيس الدولة انعكاساً لهذا الضوء !! لقد كان الأمر طيلة تجربة المقاومة وحتى اليوم ، أمر (تكامل) وتوزيع جيد للأدوار أمام عدو استراتيجى ، لم يغفر ونحسبه لن يغفر لحزب الله أن جعله يهرب بليل وفى الخفاء أمام جنوده من الجنوب الذى كان محتلاً !! وجعل المانشيت الرئيسى لصحيفة هاآرتس الإسرائيلية عن يوم الهروب هذا هو [يوم الذل فى إسرائيل] ٠

هذا التجاهل لقصة الجنوب المحرر ، وهذا الجانب المسكوت عنه فى كل رواية (صاغية) ومن رأى رؤيته وسار على دربه ، نقص من موضوعية المنهج وجرح فى علميته ونصبح أمام حالة انتقام مع التاريخ ، وعزل عمدى لوقائعه وحقائقه عن سياقاتها ، بل وتعمد إغفال كامل للسياق ذاته لتركيبه على هوى الكاتب ومشاعره التى لا يخفيها منذ سنين عدة !!

٣ – الملاحظة الأخيرة والتى نأخذها على منهج (صاغية) وآخرين فى نطاق تحليلهم لتاريخ وواقع حزب الله وعلاقاته الاقليمية سواء مع سوريه أو إيران أو مع الفصائل الفلسطينية المقاومة (حماس – الجهاد الاسلامى الفلسطينى – كتائب شهداء الأقصى) أو مع بعض أجنحة المقاومة العراقية الحديثة (مقتدى الصدر نموذجاً) أنهم يفصلون

بالكامل الاستراتيجية الأمريكية الجديدة فى المنطقة ، وكيف أنها تضع (حزب الله) فى قلب المستهدفين منها مستقبلاً وأن كل القرارات التى صدرت خلال العامين الماضيين (قانون محاسبة سوريه – قرار مجلس الأمن ١٥٥٩ وغيرها) كان المقصود منها اعادة تمهيد جغرافيا المنطقة وإزالة (النتوءات المقاومة) التى لاتـزال تمثـل مطبـات ، أو حواجز تحول دون سير القوات والتاريخ الأمريكى الجديد ، فى هذا السياق يصبح من المُستغرب ، والمُستهجن أن تتم قراءة تجربة حزب الله بمثل ما قرأ (صاغية) ؛ فحتى لو حسنت النية لديه ، فإنها قراءة تصب فى سيارات النقل والدبابات الأمريكية التـى تريد تمهيد المنطقة من مطبات المقاومة ، وبدلاً من تقوية هذه المصـدات والحـواجز التى بكل أخطائها بل وحتى بكل خطاياها (إن وجدت وهى ليست سوى بطولات حقة من وجهة نظرنا) ، تمثل الضمانة الوحيدة ، الآن ، لأن يكتب ، كاتب ما ، وهو فـى قلب شارع الحمراء فى بيروت ، ضد حزب الله ، وهو مطمئن أن طائرات الأباتشـى الأمريكية والـ إف ١٦ الإسرائيلية لن تقصف قلمه ، ليس خوفاً من قلمه أو حباً له ، بل لأنها ببساطة تعلم أن ذلك الحزب الذى لا يعجب البعض منا ، أضحى يمثل قـوة ردع تحمى هذا القلم ، وصاحبه ، وعائلته ، وصحيفته ، والغريب أنه – أى الحزب – لا يتفاخر بذلك ، بل يتواضع الى الحد الذى دفع الزميل (حازم صـاغية) لأن يتّجـرأ عليه كل هذه الجرأة وهو فى لندن ٠٠ وليس فى جزين أو بنت جبيل مثلاً !! ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

النموذج الثانى : رؤية مصرية تطالب بنزع سلاح حزب الله : الصحفى جمال الجمل :

* كتب الكثيرون ؛ فـى لبنـان ، وخارجهـا ، بعـد استشـهاد رفيـق الحريـرى (٢٠٠٥/٢/١٤) ودخول لبنان الى فتنة القرار ١٥٥٩ ، عن قضية نحسبها لن تتحقق ، ودونها ستنشأ حرب أهلية حقيقية فور محاولة تطبيقها ومع ذلك هناك إصرار عجيـب لدى هؤلاء على طرحها ، وهى (قضية نزع سلاح حزب الله) ، أى تجريد لبنان مـن

مقاومته الشعبية وأحد أهم عوامل مناعته الاستراتيجية ، وتجريد حزب الله من أحد أبرز مصادر شعبيته ، ومشروعيته ، البعض ممن كتب ، كان بالفعل يقف فى خندق أمريكا ، وإسرائيل مهما قال لنا وساق من حجج ظاهرها الرحمة وباطنها (موفاز) أو (شارون) ، والبعض الآخر ومنهم الأخ والزميل العزيز الأستاذ / جمال الجمل ، كتب من منظور المحبة الحقيقية لحزب الله وللمقاومة (الدستور ٢٠٠٥/٣/٢٣) ، رغم أن الصواب جانبه فيما كتب ؛ ولأن الأمر بات يحتاج الى تحرير للمفاهيم – كما يقول علماء اللغة – والى مناقشة هادئة لهذه الدعوة الجديدة : دعوة تسليم سلاح حزب الله أو نزعه ، فإننا سنستثمر مقال الزميل العزيز للرد من خلالها على مفجرى هذه القضية:المحبين منهم والأعداء؛فهل تسمحون لنا بذلك ؟

****

<u>أولاً :</u> ثمة أخطاء فى الشكل وقع فيها الأستاذ / جمال / حين وصف الداعين لتمسك حزب الله بسلاحه (بالعناد الطفولى) ، وأنهم من أصحاب (المزايدة الوطنية) المتربصين دوماً بمن يخالفهم الرأى ، و(سيجدون الفرصة لاعتبارى من الخوارج) وسيستنكر (أكثرهم فزلكة أن قلبى مع حزب الله وسيفى عليه "ثم يعود ليقول " انما لا بأس فهذا أفضل من السكوت على كربلاء جديدة "يعنى أمراً سلبياً ، كله دمار واستشهاد رغم أن جمال يعلم أن كربلاء كانت نقطة تحول ايجابية كبرى فى تاريخ الاسلام ، كل هذا لمجرد أن الأستاذ / جمال سيجد من يقول له : تحليلك خطأ واستنتاجاتك أكثر خطأ ؛ ولا ندرى لماذا تصور الصديق العزيز كل هذا ؟ ولماذا اعتقد بأن من سيختلف معه لابد أن يكون من (المزايدين) أو المعاندين عناداً طفولياً وليسوا من المحبين مثله لحزب الله ، وشديدى الواقعية (وليس الوقوعية نسبة الى حالة الانبطاح الرسمية الراهنة أمام العدو) تجاه قضايا الصراع المفتوح مع هذا العدو الصهيونى ، سواء فى لبنان أو خارجه ؟ ، ونحسب أنفسنا من هؤلاء ، ترى لماذا يتخيل الزميل العزيز أن كل من بات مدافعاً عن المقاومة قد أضحى طفولياً وسريعاً فى

اتهامه بالعمالة كما تصور ، لماذا يا عم جمال كل هذا الظلم للمخالفين لـك إننـا يـا صديقى العزيز مثلاً وبكل المحبة نختلف معك فهل ترانا هكذا معانـدين أو كـارهين بالفطرة حتى لنيكول كيدمان أو حتى كونداليزا ؟ على أية حال وبكل الموضوعية تعال لنناقش جوهر حججك لنرد عليها ٠

ثانياً : يبنى الأخ العزيز الأستاذ جمال نظرته ودعوته لتسليم حزب الله سلاحه [آخرون غيره لا يفكرون لمن ولماذا ومتى يسلم السلاح المهم يسلم ويتحـول إلـى حـزب سياسى!!] على أن أمريكا تتربص بالحزب ، وبمقاومته المسلحة وأنه لا طاقة لنا بهـا ولذلك من الأفضل للحزب بعد أن أدى الأمانة وحرر الأرض أن يستجيب للضـغوط الأمريكية وللقرار ١٥٥٩ ، وأن منطق المعاندة من قبل الحزب سوف يقدمـه وهـو الجنوب اللبنانى على مذبح الانتحار العسكرى ، وأننا بإمتلاك الحزب للسلاح نبرر له مالا نبرره لأى تيار سياسى آخر ، ونعتقد ان هذه الحجة من رأسـها (الخـوف مـن المخطط الامريكى وكأنه قدر لا راد له) الى أخمص قدميها (امتلاك حزب الله لسلاح) خاطئة فأمريكا يا سيدى ليست بهذه (العافية) والقوة التى تجعلنا نخضـع لكـل قـرار تصدره من "الكونجرس" أو الأمم المتحدة ، فهى فى ورطة حقيقية فى العراق ، كمـا هى فى فلسطين ولكن مطلوب منا (أمريكياً ورسمياً) ألا نرى هذه الورطة ، وأن نرى فحسب نصف الكأس الفارغ ، والمُرعب ، والذى يصيب أولاً النفس بالهزيمة قبـل أن يصل السلاح الى الرأس ، ثم لنفترض أن (الحزب) قد استجاب للضـغط الأمريكـى و(فوت الفرصة) – وفقاً لتعبير الأستاذ جمال – هل ستتركه واشنطن ؟ هل تركت من قبل أحداً قاومها أو حاول أن يقاومها؟ وهل نحن نتعامل مع دولة ذات مروءة سياسية أو مع عقلاء يفهمون معنى تفويت (الفرصة) ، أم نتعامل مع ادارة ودولة يسيطر عليها مجانين حرب ، ولوبى يهودى ينفذ أجندة إسرائيلية بالأساس ؟ ومَـن أدرنـا أن هـذا الطلب (تسليم سلاح المقاومة) سيكون آخر طلب وبعدها يُترك الحزب لشأنه ويدمج فى الحياة السياسية مثل الشين فيت ؟ ما المانع بأن تطالب أمريكا – مثلاً – غداً بترحيـل

حسن نصر الله وقيادات الحزب للمحاكمة فى جوانتانامو؟ وأن الجنوب سيُنحر ويذبح بهدوء هذه المرة وربما معه لبنان ولن يفيد هنا حكاية تسليم السلاح ثم دعنا نسألك هل تضمن يا أستاذ جمال ؟ أنا أكاد أسمعك تقول لا؟ إذن لماذا تقدم لها هدية مجانية (نقصد سلاح المقاومة) الذى يمثل على الأقل حماية للنفس من (مجرمين) (قتلة) ومن عملاء خونة سلموا لبنان من قبل الى إسرائيل (تذكر اتفاق ١٧ مايو / آيار ١٩٨٣) ؟!

* ثم نأتى الى (أخمص الحجة) بعد أن تحدثنا عن رأسها : وهو (أخمص) يقول لماذا هذا الحزب بالذات يمتلك السلاح دوناً عن سواه من الأحزاب والتيارات اللبنانية ؟ وردنا على ذلك أنه ولمعلومات الأستاذ جمال ٩٠% من الأحزاب والتيارات والعشائر اللبنانية تمتلك السلاح ؛ فهل سألت نفسك لماذا هم (أقصد طبعاً أمريكا وبعض موارنة وصهاينة لبنان) يركزون على الحزب دون سواه ؟ صحيح هو الأقوى والأكثر تسليحاً وتنظيماً ولكن السبب الأهم الذى ينبغى أن ندركه جميعاً أن هذا هو هدف إسرائيل بالأساس ، ومطلب كافة الادارات العسكرية الإسرائيلية وليست السيدة كونداليزا رايس سوى منفذة للمطلب ، ثم ان السؤال المهم هنا ليس هو لماذا يمتلك حزب الله (السلاح) حتى يقوم بتسليمه ، ولكن الأصوب هو السؤال: ما هو دور هذا السلاح ؟ وهل استخدم مثلما فعل العديد من القوى اللبنانية إبان الحرب الأهلية المشئومة (١٩٧٥ - ١٩٨٩) ضد الأحزاب والطوائف الأخرى ؟ لقد اُختبر سلاح حزب الله فى ذروة الحرب الأهلية (تحديداً الفترة من ١٩٨٢ - ١٩٨٩) واختُبر فى فترة السلم الأهلى والتحرير (١٩٨٩ - ٢٠٠٠) ثم فى الفترة التالية للتحرير (مايو/أيار ٢٠٠٠ - حتى اليوم) ولم تسجل عليه حادثة واحدة لضرب لبنانيين (باستثناء العملاء) أو تهديدهم أو ابتزازهم السياسى كما يحاول أن يصور بعض أعداء الحزب داخل لبنان .. ومن هنا لعلك تلاحظ معى أخى العزيز أن ذلك الوعى برسالة سلاح المقاومة التى حررت الجنوب (٦٠ قرية ومدينة وضيعة و ١٢٠٠ كم² كان محتلاً) هذا الوعى ، كان هو السبب الرئيسى فى وجود اجماع شعبى واسع حول سلاح المقاومة لإنه سلاح كان

ولايزال لحماية لبنان وليس لتحقيق أهداف حزبية ضيقة أو للمناورة به لصالح سوريه أو إيران كما يشيع بعض المتصهينين داخل لبنان (رغم أن هذا شرف كبير للحزب ولكل عربى مسلم) ؛ هذا الاجماع تمثل حتى فى كلمات المعارضين كافة (من وليد جنبلاط الى بهية الحريرى) ربما باستثناءات قليلة لبعض فرسان الحرب الأهلية ومهندسى اتفاق العار ١٧ مايو / أيار (مثل أمين الجميل والمطران صفير) ، إذن قبل أن نسأل لماذا يمتلك حزب الله سلاحاً لابد أن نسأل عن وظيفة هذا السلاح وتاريخه ودوره وعلاقة هذا السلاح بالمجتمع وبالاجماع الوطنى حوله واذا كنا ديمقراطيين حقاً فهل سنكون بالنسبة لهذا السلاح ، ملكيين أكثر من الملك ، أقصد من اللبنانيين أنفسهم وبكافة طوائفهم وأحزابهم الذين أجمعوا على ضرورة بقائه وضرورة حمايته واحتضانه ؟

ثالثاً : ولكن الأهم من كل هذا .. بالنسبة لسلاح حزب الله هو السؤال هل انتهى التهديد الخارجى للبنان (إسرائيلياً وأمريكياً) حتى تسلم المقاومة سلاحها ؟ ان إسرائيل تخترق الأجواء البحرية والأرضية اللبنانية يومياً بمعدل (١٢٥٠ اختراقاً سنوياً) ولاتزال تهدد أمن العاصمة بيروت لا قرى الجنوب وحدها ، ولاتزال تحتل مزارع شبعا (والتى تمثل ١١% من مساحة الجنوب اللبنانى ولها موقع استراتيجى لمن يسيطر عليها) ولاتزال تحتجز أسرى لبنانيين (سمير القنطار ورفاقه) ولايزال ملف العودة لـ ٣٥٠ ألف فلسطينى لاجىء فى ٢٣ مخيماً تنتشر على أرض لبنان (وبالمناسبة كان هذا الملف تحديداً هو الذى فجر اجتياح ١٩٧٨ و ١٩٨٢ وهو قادر على تفجير الأوضاع مرة أخرى بدون حتى وجود سلاح حزب الله اذا لم يحل عملياً أى بعودة الفسطينيين الى ديارهم التى هُجروا منها) .

* ان الخطر الإسرائيلى القائم يكفى وحده لاستمرار سلاح المقاومة ، وهى مقاومة شعبية وليست مصنعة فى المعامل وبالتالى قرار حلها قرار شعبى وليس قراراً حزبياً ووجود التهديد الإسرائيلى يكفى وحده لبقاء السلاح لأن فى ذلك حماية لأمن لبنان ،

وهو وحده الذى مثل سلاح ردع استراتيجياً أمام العدو الإسرائيلى طيلة السنوات الماضية منذ التحرير ؛ ولنتخيل أنه غير قائم كيف يكون حال الجنوب الآن وسط الغطرسة الإسرائيلية المعروفة ؟ هل تعلم أن لبنان فى ظل سلاح المقاومة الذى لم يستخدم ضد شعبها أبداً أو فى مجال الابتزاز السياسى كما فعل الآخرون قد حقق أعلى مواسم سياحى خلال السنوات الماضية (على سبيل المثال) والأمر ذاته فى الزراعة وغيرها من المجالات !

* ثم نأتى الى حجة آخرى يقدمها الأخ العزيز الأستاذ جمال ويرددها آخرون بأنه لا يستقيم أن يكون هناك (جيش للدولة وفى نفس الوقت يوجد حزب مسلح داخل هذه الدولة) ، وأن الأجدى أن يندمج فى الجيش ويحل قواته (تقدر بـ ٢٠ ألفاً) لأنه بذلك يمثل دولة داخل الدولة وهو بذلك يمثل عبئاً عليها ، وما لا يدركه البعض (ومنهم صديقنا جمال) أن حزب الله منذ ١٥ عاماً ينسق عملياته العسكرية ضد العدو الصهيونى مع الجيش ، وأن الأمر بينهما (وفقاً لوزير الدفاع اللبنانى الحالى نفسه / عبد الرحيم مراد (وهو ناصرى مثل الأخ جمال) أمر " توزيع أدوار " وليس أمر تناقض أو ازدواجية ، إن المهم هنا ان لبنان امتازه الله بهذا التوزيع الجيد للأدوار بين الجيش والشعب والمقاومة ، وهى ميزة وليست عيباً ، المهم كيف ننظر نحن الى الأمر وما هى مدى معرفتنا بأدوارهما وبوظيفتهما وحدودها ، وبكيفية توزيع الأدوار بينهما لدرء خطر لايزال ماثلاً ، بل الآن وبعد استشهاد الحريرى ودخول أمريكا وفرنسا على الخط باتت الخطر يتهدد الجميع داخل لبنان ، ولاراد له إلا بالتمسك أكثر بخيار المقاومة وسلاحها ، وليس بتقديم تنازل مجانى لأمريكا (ولإسرائيل بالطبع) أو بافتعال تناقض غير موجود أصلاً بين الجيش والمقاومة التى يحميها الشعب والدولة اللبنانية : ان مجرد صدور طلب نزع سلاح حزب الله من شاؤول موفاز وشارون ومعهما بوش وكونداليزا رايس يدفع كل انسان محترم فى هذا العالم المُبتلى بأمريكا أن يتحسس رأسه ، كى يرفعه ليقاوم لا كى يخضع ويتنازل ، إن مطلبهم لا ينبغى أن أنظر له

باستخفاف ، أو (بعناد طفولى) ، ولكنه يجعلنى على الأقل أعيد النظر وأتأمل جيداً ما يقولون، فتجربتهم معنا مريرة فى كافة المجالات ، فلماذا أصدقهم فى هـذا المطلـب تحديداً وأفترض نبل هدفهم وأنسج على منواله رغم أن النسيج والمنوال فاسدان مـن الأصل ، ورغم وضوح خباثة الهدف من ورائه ؟!

* **خلاصة القول :** إن لبنان ولاشك على مفترق طرق ، إما طريق ساترفيلد (وطبعـاً جمال الجمل يعلم من هو !!) ومعه القرار ١٥٥٩ بكل أفخاخه وألغامه ومنها لغم نزع سلاح حزب الله مصدر القوة والعزة والردع الوحيد الآن للبنان أمام (إسرائيل) وإمـا طريق حسن نصر الله بعقلانيته وإخلاصه وجهاده · وله ولنا وللبنانيين الخيار !! .

الفصل التاسع

كيف ترى النخبة المصرية حسن نصر الله وحزبه (*)

(الدور ـ التحديات ـ سبل الدعم)

* نقدم فى هذا الفصل رؤية قرابة الـ ٥٠ قيادة وشخصية سياسية واعلامية واستراتيجية مصرية لحزب الله : الدور – التحديات – سبل الدعم لصموده ، والهدف من هذا الاستطلاع الموسع للرأى هو التأكيد على حقيقة أن حزب الله مازال يحتل مكاناً بارزاً مقدراً فى قلب وعقل الشعوب العربية والإسلامية ولدى نخبتنا المثقفة والواعية ، وهو استطلاع يستهدف أيضاً الرد على ترهاب المتصهينين الجدد من السياسيين والمثقفين الذين باعوا دينهم بدنياهم ، والذى ساندوا – ولايزالون – المخطط الأمريكى / الصهيونى الذى بدأ بقتل الحريرى وإخراج سوريه من لبنان ، وسيختتم بضرب إيران والحؤول دون حصولها على السلاح النووى . هذا الاستطلاع جاء ليرد على هؤلاء السماسرة مؤكداً لهم أن الأمة كلها – طبعاً باستثنائهم – تقف مع حزب الله وفى ذات الخندق ، خندق الحق ، والمقاومة.

والى الاستطلاع :

يقول المهندس إبراهيم شكرى رئيس حزب العمل المصرى : حزب الله يمثل المقاومة الوطنية ويقودها فى مواجهة التهديدات الإسرائيلية والاحتلال الصهيونى لمزارع شبعا اللبنانية وإذا كان الجنوب قد تحرر فإن مزارع شبعا مازالت محتلة وهى أرض لبنانية وتتحمل المقاومة الوطنية اللبنانية وحزب الله المقاوم المجاهد مسئولية تحريرها

(*) شارك فى اعداد هذا الاستطلاع أمانة الاعلام فى اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان (لجنة مصرية مستقلة) يتشرف مؤلف هذا الكتاب برئاستها .

وبالتالى دوره لم ينته مادامت هناك أراض لبنانية محتلة ولا يمكن أن يتخلى حزب الله عن دوره المقاوم فى تحريرها .

ووجه " شكرى " نداءً إلى القوى اللبنانية المختلفة أن توحد جهودها وصفوفها دعماً لحزب الله والحفاظ على سلاحه لأن الانقسام بين القوى اللبنانية يهدد أمن وسلامة لبنان وخلاف بعض هذه القوى حول دور حزب الله لا يصب فى صالح لبنان وأمنه القومى، وكذلك ناشد هذه القوى اللبنانية أن تحرص على علاقاتها التاريخية والأخوية مع سوريه كقطرين عربيين شقيقين ولا يمكن الحفاظ على أمن لبنان وسوريه الوطنى والقومى إلا بالتعاون والتنسيق والإخوة ومساندة المقاومة والوقوف خلفها ودعمها ، وناشد شكرى كل القوى الوطنية اللبنانية أن تكون حريصة على المقاومة ودعمها والحفاظ على سلاحها فالتخلى عنها يعنى التخلى عن لبنان .

وقال : " إن ما نسمعه من حين لآخر من تشكيل محكمة دولية لمحاكمة مسئولين سوريين وكذلك محاكمة مسئولين لبنانيين وبعض رموز حزب الله .. أمر لا يقبله وطنى ولا قومى لأن المحكمة الدولية شكل من أشكال التدخل الأجنبى والهيمنة سواء بالنسبة للبنان أو سوريه تحت عباءة الشرعية الدولية ، ومادامت سوريه قد تعاونت بشكل تام مع لجنة " ميليس " والقرارات الدولية فهذا موقف إيجابى منها ولا يعنى ذلك أن نحاكم سوريه وأن يوجه إليها الاتهام قبل معرفة الحقيقة وهو أيضاً لا يعنى أن نحاكم حزب الله ورموزه على دورهم الوطنى المقاوم المجاهد ضد الاحتلال الصهيونى لتحرير الأرض وأن نطالب بنزع سلاحه فهذا شيء مرفوض وغير مقبول وبالتالى علينا حماية حزب الله من خلال تفعيل الدبلوماسية اللبنانية والعربية إقليمياً ، ودولياً علينا دعمه مادياً وإعلامياً وسياسياً واجتماعياً ومطلوب تحرك عربى موحد وخاصة من جامعة الدول العربية لحماية حزب الله والمقاومة العربية وحماية سوريه من الممارسات والضغوط الأمريكية والمؤامرات الإسرائيلية .

يقول وحيد الأقصرى رئيس حزب مصر العربى الاشتراكى : "فى الواقع تقرير ميليس الثانى وتقرير لارسن هما استمرار لحلقات التواطؤ ضد سوريه ولبنان ويؤدى إلى إثارة الفتنة والصراع داخل لبنان من ناحية وضرب العلاقة بين سوريه ولبنان من ناحية ثانية ، وإحكام حلقات المؤامرة على سوريه من ناحية ثالثة لأنها لم تستجب لأمريكا وللمشاركة فى الحرب على العراق وضرب الوطن العربى كله .

ومن هنا فنحن نرى مستقبل حزب الله بخير رغم كل هذه المؤامرة الكبيرة عليه ، فحزب الله له رجال آمنوا وصدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم بالفعل يحملون كرامة الشعب اللبنانى والعالم العربى ولم ينحن حزب الله لغطرسة امبراطورية الشر الأولى فى العالم (أمريكا) ولا الكيان الصهيونى كما هى الحال بالنسبة للمقاومة العراقية التى لم تنحن لقوات الاحتلال ، ومصير حزب الله حتى بعد خروج وزرائه من الحكومة اللبنانية لن يؤثر لا من قريب أو بعيد على المقاومة اللبنانية ، وحزب الله يكفيه أنه جعل الصهاينة يفرون تحت جنح الظلام من جنوب لبنان ومن ثم فنحن مستبشرون خيراً بمستقبله السياسى والجهادى والنضالى ضد الكيان الصهيونى وضد هذه القوة الشريرة فى العالم التى تسمى أمريكا !

مضيفاً أن اشتعال الملف الإيرانى واشتعال الملف السورى وإشعال نار الفتنة فى لبنان والمنطقة برمتها وقبلها غزو واحتلال العراق كل ذلك جاء نتيجة الضعف والتواطؤ العربى وهذا شىء مفهوم للجميع !

وأكد الأقصرى على أن الولايات المتحدة لن تستطيع الآن ضرب أى دولة عربية لأنها غارقة حتى أذنيها فى المستنقع العراقى ووجه نداءً للأمة العربية بقوله : يا عرب لا تخشوا شيئاً فأمريكا ضربت العراق ولن تكررها ضد أى دولة عربية أخرى لأن المقاومة العربية قادرة على ردعها فالتفوا خلف المقاومة وادعموها مادياً ومعنوياً وسياسياً وعلى المستوى المحلى والإقليمى والدولى .

واتهم جامعة الدول العربية بالضعف وبأنها ديكور سياسي يعمل من خلال دبلوماسية تخدير ولا تستطيع فعل شيء وعليها أن تثبت عكس ذلك وأن يكون لها دور فعال وقوى ومؤثر فى حماية حزب الله والمقاومة العربية لأنها الشيء الباقى من كرامة هذه الأمة وإذا ضربت هذه المقاومة وحزب الله فقدت هذه الأمة كرامتها وهيبتها " .

ويؤكد حلمي سالم رئيس حزب الأحرار المصرى : " حزب الله من الأحزاب المقاومة والمناضلة ضد العدو الصهيونى ونعتبر ما أقدم عليه من جهاد فى سبيل القضية اللبنانية والفلسطينية أيضاً أمراً يشكر عليه وقد اتخذ طريق الشهادة والاستشهاد فى سبيل تحرير الأراضى اللبنانية وهو مستمر فى نضاله لاسترداد مزارع شبعا .. ونحن كعرب يجب أن نتوقع كل هذه الأمور التى تجرى الآن على الساحة اللبنانية والسوريه فنحن أمام مؤامرة دولية لعمل خريطة جديدة لمنطقة الشرق الأوسط ومن ملامح هذه الخريطة القضاء على كل عناصر القوة العربية وبالتالى هناك محاولة أمريكية للقضاء على الحزب كهدف استراتيجى لصالح الكيان الصهيونى .

والمطلوب منا نحن العرب أن ننتبه الى خطورة هذا المخطط الصهيونى وتوحيد جهودنا على الساحة الدولية لحماية حزب الله والمقاومة العربية بشكل عام مطلوب أيضاً تفعيل الدور الشعبى ومؤسسات المجتمع المدنى والأحزاب السياسية من المحيط إلى الخليج للدفاع عن حزب الله ومساندة سوريه ضد الهجمة الأمريكية الصهيونية المتصاعدة للنيل من المقاومة وقلعة الصمود والتحدى سوريه .

ويقول مهدى عاكف المرشد العام للإخوان المسلمين : كل صاحب حق وكل الذين يرفعون لواء الإسلام ويقولون كلمة الحق فى وجه الباطل تشن عليهم حرب شرسة لأنهم يدافعون عن الديمقراطية والأرض والوطن وحزب الله حزب مجاهد يقود لواء المقاومة الإسلامية ، ورغم اختلافنا معه فى بعض الأمور فإننا نعتبره ثروة قومية يجب الحفاظ عليها من الهجمة الإمبريالية الصهيونية الشرسة التى تتعرض لها هذه الأمة .

ويضيف : نحن ندافع عن الحق وحزب الله يدافع عن الحق وتحول دفاعه إلى نضال ومقاومة وصار رمزاً يحتذى به للمقاومة العربية والإسلامية لذلك مطلوب حمايته ودعمه ومساندته والحفاظ على سلاحه .. كذلك مطلوب تحرك شعبى عربى وإسلامى من المغرب العربى حتى الهند وباكستان وبالتالى فالتعويل الآن على الجماهير العربية والإسلامية للدفاع عن حزب الله والمقاومة العربية والإسلامية بشكل عام لأنها جميعاً تتعرض للمؤامرات .

ويقول الدكتور السيد البدوى سكرتير عام حزب الوفد المصرى : حزب الله يمثل المقاومة فى لبنان ضد الكيان الصهيونى والذى مازال يغتصب جزءاً من لبنان وهى مزارع شبعا ولذلك هو مستهدف من الولايات المتحدة الأمريكية ومسألة كيل الاتهامات لسوريه هدفها استهداف حزب الله ولكنه رغم كل هذه المؤامرات وحجمها فإن حزب الله سيستمر فى دوره المقاوم لأنه يستمد قوته ووجوده وشرعيته من الشعب اللبنانى وأنا أجد أن حزب الله يجسد المقاومة منذ نشأته فنشأته تأثرت بها المقاومة الفلسطينية حتى المقاومة العراقية حالياً تسير على النهج المقاوم لحزب الله.

ويضيف : للأسف الشديد العالم حالياً تسيطر عليه قوة واحدة أصبحت تمثل الشرعية الدولية ولكنها شرعية القوة والغطرسة والنظم العربية فى حالة ضعف شديد جداً وفى حالة تبعية للولايات المتحدة ولا تملك الاعتراض على أى قرار أمريكى لأن هؤلاء الحكام لا يمثلون شعوبهم ولم يتم اختيارهم وفق الارادة الشعبية حتى يكونوا أقوياء وقادرين على الوقوف فى وجه الولايات المتحدة عندها أستطيع أن أطالبهم بحماية حزب الله والمقاومة العربية من المؤامرات الخارجية ولكن الحال كما نراها فإن من سيحمى حزب الله ليس إلا حزب الله نفسه والشعب اللبنانى وتماسك الحزب وإصراره على الاستمرار فى مقاومة المحتل وتوحيد الصفوف والجهود الشعبية العربية خلف حزب الله .

وأكد حسين عبد الرازق الأمين العام لحزب التجمع المصرى : حزب الله هو أصلاً حزب مقاوم لتحرير الجنوب اللبنانى صحيح أن الجنوب لم يتحرر كله باعتبار أن مزارع شبعا مازالت تحت الاحتلال إلا أن الحزب عملياً تحول إلى أحد الأحزاب السياسية اللبنانية التى تشارك فى الميدان السياسى مثله فى ذلك مثل بقية الأحزاب السياسية اللبنانية والحزب يعبر عن طائفة من الطوائف اللبنانية إذا جاز هذا التعبير وهم شيعة لبنان وبالتالى مستقبل الحزب متوقف على الصراع الداخلى فى لبنان وهو صراع له امتداداته الخارجية سواء إقليمياً أو دولياً .. فسوريه رغم خروجها من لبنان لازالت لاعباً أساسياً وحزب الله مازال قريباً من دمشق وإيران وله وجهة نظر تعترف بالدور السورى فى لبنان له ارتباطاته الشعبية والسياسية مع سوريه وإيران وفى نفس الوقت هو خصم سياسى لأمريكا وإسرائيل ، لذا فمستقبله مرتبط بالدور العربى فى لبنان وهل سيكون دوراً فاعلاً أم مجرد صدى للسياسة الأمريكية ومرتبط بدور سوريه خصوصاً ودور إيران ومدى تأثيرهما فى الحياة الداخلية اللبنانية ومرتبط كذلك بالسياسة الأمريكية التى تعتبر حزب الله عدواً لها لكن على أى حال من الأحوال لا يمكن تجاهل حزب الله ودوره المقاوم ضد إسرائيل .

ويضيف عبد الرازق : حزب الله هو الذى يعرف الساحة اللبنانية وموقفه منها وموقعه فيها والضغوط الدولية عليه أكثر من أى جهة أخرى وبالتالى هو الذى يختار السبيل الذى يحمى نفسه به ولكن فى نفس الوقت على كل الأحزاب العربية مسئولية الضغط على حكوماتها لكى لا تكون صدى للسياسة الأمريكية فى المنطقة فهذه الحكومات العربية عليها دور يجب أن تؤديه لدعم هذه المقاومة اللبنانية ويجب أن يكون هناك نوع من الحماية الشعبية لحزب الله وللمقاومة العربية عموماً .

يقول أبو العلا ماضى وكيل مؤسسى حزب الوسط المصرى : هناك إشكالية متعلقة بمزارع شبعا اللبنانية إذ تم حلها وخرج الاحتلال وقتها ستكون الأمور أقل حدة وسيكون هناك نمط ونهج سياسي آخر فى المنطقة عموماً ولبنان خصوصاً وطالما ظلت شبعا محتلة سيظل حزب الله يقاوم الاحتلال.

ويضيف : "هناك حرب وتحامل غير موضوعى وتحريض واضح من إسرائيل والولايات المتحدة ضد حزب الله وسوريه وتناسوا أن حزب الله له مؤيدوه وله جذور شعبية داخل لبنان وله تعاطف شديد داخل الوطن العربى والإسلامى وهذا يمثل نوعاً من الحماية لحزب الله ولكن فى نفس الوقت لابد من تفعيل دور الأحزاب السياسية العربية والدور الشعبى والدبلوماسية الشعبية وجامعة الدول العربية وتوحيد الجهود والصفوف اللبنانية ذاتها خلف حزب الله والمقاومة للحفاظ على سلاحه لأن حسب ما نرى حالياً هناك صراعات لبنانية داخلية واتهامات متصاعدة ضد سوريه ونحن نعلم أن حزب الله صديق لسوريه ومن ثم هذا الهجوم غير المبرر من بعض الأطراف اللبنانية بالضرورة ينعكس على حزب الله ودوره المقاوم ويمكن الأعداء منه ومهما كان اختلافنا معه أو حوله فإن الحزب الآن بين سندان الداخل ومطرقة الخارج وعليه يجب الكف فوراً عما تقوم به هذه الأطراف المعارضة ضد سوريه لأنه بالضرورة موجه أيضاً ضد حزب الله وعلى جميع اللبنانيين والقوى السياسية التوحد خلف المقاومة لأنها كرامة لبنان والأمة العربية .

<u>يقول المهندس أحمد بهاء الدين شعبان القيادى البارز فى حركة (كفاية) المصرية ومسئول لجنة المقاطعة ضد إسرائيل :</u> ما يحدث ضد سوريه هو بالضرورة يؤثر على حزب الله ، والمؤامرات التى تتعرض لها سوريه هدفها الرئيسى حزب الله ونزع سلاحه بأى شكل من الأشكال وبالتالى ما يحدث على الساحة السوريه سينعكس بالضرورة على حزب الله .

وأتصور أن الساحة اللبنانية شديدة الحساسية والوضع متفجر والجميع يتذكر انفجارات ١٩٧٥ وأنا مندهش من أحوال العالم العربى الذى ترك سوريه تتعرض لمؤامرة بهذا الشكل .

ويضيف : " القضية ليست سوريه وحزب الله بقدر ما هى إعادة رسم خريطة المنطقة من جديد وللتغطية على الفشل الأمريكى والمخطط الأمريكى فى المنطقة ومطالبة

اليمين المتطرف فى الإدارة الأمريكية بحفظ ماء وجهه أمام العالم " بفبركة " قضايا والذين لهم مصلحة فى اغتيال "الحريرى" و" توينى " هم خصوم سوريه وبالتالى فالمنطقة مقبلة على حروب وصراعات طويلة لا يعلم مداها إلا الله " .

ويقول : أنا لا أرى فى الموقف العربى الرسمى أملاً لأنه سيخذل حزب الله كما خذل العراق ويخذل سوريه حالياً لذا مطلوب استنهاض الأمة العربية لحماية حزب الله لأنه صاحب الانتصار اليتيم على الكيان الصهيونى والعالم العربى سيدفع ثمناً باهظاً إذا تخلى عن دوره فى حماية حزب الله ودعمه ومساندته وكذلك مساندة سوريه ، لابد من تحرك القوى الشعبية فى العالم العربى وتشكيل لجان شعبية لدعم حزب الله وتخرج مظاهرات فى الشوارع لابد من رفع شعار " كلنا حزب الله " لأن المؤامرة سريعة جداً ضدنا قد لا تستغرق أسابيع أو أشهراً ونفاجأ بالواقع المر والأليم على غرار ما حدث فى العراق .

يقول إبراهيم بدراوى من القيادات الشيوعية فى مصر : مستقبل حزب الله مرتبط بالسياسات الداخلية والخارجية اللبنانية وحزب الله له طابع وطنى وعروبى مناضل ضد الامبريالية والصهيونية ويحمل لواء هذا النضال منذ سنوات وموقفه شديد التميز الصامد سيؤدى إلى تسريع عملية الفرز فى لبنان ويعطى لحزب الله نفوذاً وثقلاً كبيراً جداً فى الشارع اللبنانى أكثر مما هو عليه الآن ومن هنا أرى فى ظل هذه التطورات الجارية بأن مستقبل حزب الله سيكون رائعاً لأنه يقدم نمطاً كفاحياً نضالياً سواء سلمياً أو عسكرياً لكثير من القوى العربية المعادية للمشروع الأمريكى فى المنطقة والمستقبل يحمل مزيداً من التأييد على المستوى الشعبى اللبنانى والعربى ومواجهة المشروع الامبريالى الصهيونى لن تتم بشكل ناجح إلا إذا دخلت الجماهير العربية في الصراع ضد العدو لأنها الطرف الأصلى فى المعادلة دون أن ينوب عنها أحد فالجماهير العراقية غيرت معادلة الصراع فى العراق ضد العدو وقلبت الموازين بشكل لم تتخيله أمريكا وبالتالى الرهان الآن على الجماهير التى عليها أن تقف بجوار المقاومة وحزب الله ضد المشروع الامبريالى الصهيونى .

يقول فاروق العشرى أمين التثقيف بالحزب العربى الناصرى المصرى : فيما يتعلق بحزب الله المطلب الأمريكى بشأنه واضح ومطلب " بوش " وإدارة المحافظين الجدد الهيمنة والسيطرة بالكامل على الوطن العربى وإخضاع كل صوت معارض لسياستهم العدوانية من خلال تمكين إسرائيل من قيادة المنطقة والتطبيع بالإكراه معها ؛ هذه الخلفية كان لابد منها لفهم خلفيات الأمر وكيف تسير الأمور تجاه حزب الله فالولايات المتحدة تسعى إلى حل حزب الله ونزع سلاحه على أن تسمح له بعد ذلك بالمشاركة السياسية – على مضض – فى الحياة النيابية اللبنانية إذن هو مخطط للهيمنة ولأن حزب الله إشعاع ونور قوى للمقاومة اللبنانية ضد الرغبات الأمريكية الصهيونية التى تستخدم أدوات التركيع والهيمنة فلابد من القضاء عليه " .

ويضيف : للأسف لبنان الآن يكاد يكون استسلم بالكامل ولجأ إلى الحماية الأمريكية والقوى الحاكمة فى لبنان دخلت تحت العباءة الأمريكية باستثناء رئيس الجمهورية " إميل لحود " الذى يرفض الهيمنة والاستسلام لذلك يلوحون الآن بوجوب عزله من منصبه وبالتالى حزب الله موقفه الآن صعب للغاية لأن الحكومات اللبنانية القادمة التى ستشكل فى عهد الحماية الأمريكية غير قادرة على حمايته وخصوصاً بعد مطالبة مجلس النواب والمعارضة بتشكيل محكمة دولية وبالتالى لن نعول على هذه الحكومات ولكن على الشعب اللبنانى .

ويضيف العشرى : نحن مع حزب الله لأنه يمثل رمز القوة والانتصار على المخططات الصهيونية وهذا كان درساً سياسياً وعسكرياً للحكومات العربية ولكنها لم تتعلم منه .

ويقول : سوريه أصبحت حالياً القلعة الأخيرة للصمود والتحدى وبالتالى مطلوب إسقاطها لأنها تدعم حزب الله الذى أصبح موضوعاً حالياً بين شقى الرحى الأول أمريكا وضغوطها والشق الآخر مواقف الحكومات اللبنانية التى تتعاقب على لبنان من الآن ومطالبتها بترسيم الحدود مع سوريه وأن شبعا سوريه حتى تصفى القضية ولا يكون للمقاومة دور !!

والأمل الوحيد الآن هو في اليقظة الشعبية العربية والإسلامية وعليها أن تشكل ضغطاً على الحكومات لدعم سوريه وحزب الله .

ثم تحدث اللواء جمال مظلوم مدير مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية بالقاهرة : موقف حزب الله موقف قوى من الناحية العسكرية والاستراتيجية وتهديد الولايات المتحدة وإسرائيل والاتحاد الأوروبى وحلف الناتو لن يحد من مكانته عند الشعب اللبنانى وكل الدول العربية وحتى الحكومة اللبنانية تعترف بأنه حزب مقاوم وهو الوحيد الذى يقوم بحماية لبنان طالما بقى الاحتلال فى مزارع شبعا وهذا شىء مهم فى معادلة الصراع مع الخارج ومن هنا أرى مستقبل حزب الله مبشراً بالخير وسوف يستمر فى المقاومة لأنها خطه الاستراتيجي .

والمطلوب الآن من الشعب اللبنانى كله بطوائفه المختلفة الوقوف خلف حزب الله ودعمه لأن المقاومة كلها متركزة فى حزب الله والجيش اللبنانى من الناحية العسكرية تسليحه وقدراته محدودة والقوة الوحيدة القادرة على حماية أمن واستقرار لبنان هى حزب الله وهذا أمر لا يختلف عليه اثنان لدرجة أن هذا الحزب أصبح نموذجاً للمقاومة العربية حتى المقاومة العراقية بدأت تتبع نموذج واستراتيجية حزب الله عند تنفيذ عملياتها وتقوم بتصويرها وعرضها للجماهير وهذا أمر يعيد الثقة والطمأنينة للشعوب العربية ويبث الرعب والخوف فى نفوس الأعداء .

ويقول الخبير الاستراتيجي المصرى اللواء عثمان كامل : الرغبة الأمريكية المعلنة تتفق مع الرغبة الإسرائيلية تماماً فى أن يتحول حزب الله من حزب مقاوم وعسكرى الى حزب سياسى ولكن الباطن يقول إن هذه القوى تريد مسح حزب الله من الوجود لكن الواقع على الأرض ومن خلال القدرات العسكرية والتكتيكية والخططية يقول أن حزب الله كيان عسكرى منظم له استراتيجيته وله قواعده الشعبية – وهذا شىء مهم – فى الشارع اللبنانى وهو الأمر الذى يحتم على الشعب اللبنانى الإبقاء على حزب الله حتى

تحرير مزارع شبعا المحتلة ، الحزب له عدد من النواب فى البرلمان وعدد من الوزراء فى الحكومة اللبنانية وهذا دعم آخر لخطه الاستراتيجى فى مقاومة المحتل .

وأضاف : هناك رغبة لبنانية جامحة فى الحفاظ على حزب الله ودوره وسلاحه رغم هذه الضغوط الأمريكية والإسرائيلية والشعب اللبنانى سيكون له دوره فى حسم الأمر لأن الحزب عملياً هو الذى يتولى حماية الأمن القومى اللبنانى وهو عامل التوازن والردع الوحيد ضد إسرائيل .

وقال : لابد أن يكون هناك موقف من داخل لبنان نفسه للحفاظ على أمنه* واستقراره بالحفاظ على المقاومة وكذلك لابد من موقف عربى موحد فى وجه القوى الخارجية وخاصة أمريكا وإسرائيل وفرنسا التى تنادى بتفكيك حزب الله .

أما اللواء محمد عبد الغنى الحصرى الباحث العسكرى المصرى فيرى أن حزب الله حزب له جذور راسخة فى الأراضى اللبنانية ومن الصعب على أى جهة أو قوى عالمية أن تنتزع هذه الجذور من الأراضى اللبنانية سواء فى المستقبل القريب أو البعيد لأن الحزب له شعبية كبيرة وله استراتيجية ثابتة فى مقاومة المحتل ولديه مشروع وهدف يسعى إلى تحقيقه هو تحرير الأرض ومن ثم فالشعب اللبنانى يقف خلفه ويدعمه ويسانده من أجل تحقيق هذا الهدف .

ويؤكد : حزب الله لديه قدرات خاصة حيث لديه عقول استراتيجية لديها فكر تخططى وتكتيكى وسياسى هام والحزب سيحاول الوصول الى حل وسط خصوصاً أنه متكاتف مع سوريه وإيران وأى موقف غير مدروس من قبل أمريكا وإسرائيل ضد حزب الله أو الملف السورى اللبنانى سيكلفهم كثيراً جداً .. الثمن سيكون فادحاً.

ويقول : حزب الله يسعى حالياً الى الخروج بسوريه من مطب الحريرى " الملفق " وهو يعلم تماماً أن كوادره يدها نظيفة من أى دماء لبنانية وهو ما يرسخ من قوته واستراتيجيته على الساحة اللبنانية والاقليمية والدولية رغم كل ما يثار من حوله وسيرسخ ذلك بشكل أكبر عند الانتهاء من ملف الحريرى خاصة أن حزب الله هو

حامى حمى الجنوب اللبنانى فضلاً عن أنه حزب اجتماعى وله جذور شعبية عميقة فى الشارع اللبنانى وعليه يجب حمايته والحفاظ على سلاحه " .

ويقول الخبير الاستراتيجى المصرى اللواء عبد المنعم كاطو : " حزب الله حزب مسلح تدعمه إيران وهو خط الدفاع الأول عن لبنان وسوريه والعرب جميعاً فى مواجهة إسرائيل وحزب لديه القدرة على البقاء والاستمرار فى الحياة مقاوماً وفق استراتيجية حرب العصابات التى يتبعها وهذه الاستراتيجية تربك حسابات أى جيش منظم فى العالم" .

ويؤكد : حزب الله بالنسبة للبنان هو حزب مسلح قوى وقدرته أكثر وأقوى من الجيش اللبنانى ووجوده فى الجنوب اللبنانى أبعده عن المنطقة الخطرة التى تدور فيها الصراعات الداخلية اللبنانية وهذا شىء مهم أبقاه على ثباته الاستراتيجى ضد إسرائيل.

أما بالنسبة لسوريه وإيران فلا أحد ينكر أن حزب الله مدعوم تماماً من الدولتين ، فسوريه وما يحدث لها من ضغوط أمريكية حليفها فى لبنان هو حزب الله وبالتالى دمشق وطهران سيحافظان على حزب الله لأنه يمثل بالنسبة لهما خط الدفاع الأول وأنا هنا لا أقول أنه يحارب بالنيابة عنهما لا ولكن حزب الله بمقاومته ومشروعه العسكرى ضد إسرائيل عطل الاستراتيجية الأمريكية والإسرائيلية وفرملها قبل أن تصل الى سوريه وإيران .

ويقول اللواء كاطو : أمريكا صنفت حزب الله على أنه حزب إرهابى وإسرائيل فعلت نفس الأمر لأنها تعتبر وجوده على حدودها يمثل نوعاً من تهديد أمنها القومى ولذلك تعمل إسرائيل على حث أمريكا لإزالة حزب الله من الوجود لأن وجود حزب الله فى الجنوب أيضاً يؤمن الجبهة الجنوبية اللبنانية والسوريه والعربية وهو ما لا تريد إسرائيل والولايات المتحدة وبالتالى هناك موازنة استراتيجية عربية إسرائيلية وعامل الموازنة هو حزب الله .

ويرى كاطو : أن مستقبل حزب الله يتحدد من خلال ثلاثة أشياء :

أولاً : استمرار الضغوط على سوريه التى لا يقبلها أى عربى بأى حال من الأحوال لذا نحن نريد عودة نظام عربى شامل موحد للتضامن مع سوريه وحزب الله .

ثانياً : هل يقبل حزب الله أن يتخلى عن دوره المقاوم ويتحول إلى حزب سياسى ؟ هذا السؤال مهم الاجابة عليه خاصة أن أمريكا تريد تحويل لبنان إلى نموذج للديمقراطية الشرق أوسطية بعد فشلها فى العراق لذلك سنرى نوعاً من الضغوط على لبنان وسوريه وحزب الله بالذات لأن استمرار هذه الضغوط على لبنان حتماً سيؤدى الى حرب أهلية وحرب مع إسرائيل وبالتالى حزب الله قادر على حماية نفسه بنفسه ، ونحن كعرب علينا أن نحاول بقدر الامكان تخفيف الضغوط عن سوريه ودعمها لأن ذلك سيخفض بدوره الضغوط على حزب الله .

ثالثاً : لابد ان تقوم جميع الدول العربية بالاتصال بحزب الله وعمل علاقات معه كما تفعل مصر مع الفصائل الفلسطينية والهدف من ذلك دعمه وحمايته .

ثم تحدث اللواء المصرى حسن اللبيدى : حزب الله عنصر فاعل فى الساحة اللبنانية وقوة تعرف دورها تماماً والجميع يعرف ثقل حزب الله على الساحة اللبنانية أما الرهان على الخارج وتقرير ميليس "المضروب" تكتيكياً واستراتيجياً فأمر يضر بأمن لبنان القومى ومصالحه العليا وأعتقد ان الداخل اللبنانى بعد تجربته المريرة عام ١٩٧٥ من الصعب عليه التنصل من حزب الله ومقاومته كما يتصور البعض ، فهذا الحزب من الناحية العسكرية هو ميزان القوى الوحيد فى معادلة الصراع مع إسرائيل ومن الناحية السياسية هو رمانة ميزان الحياة السياسية اللبنانية لأنه يحتفظ بعلاقات ممتازة وطيبة مع كل القوى اللبنانية العاملة فى الساحة لأن معادلة القوى الداخلية اللبنانية معادلة حساسة ومعقدة ومعروفة للجميع وأعيد تشكيلها من جديد بعد حرب طاحنة يعرف الداخل والخارج تفاصيلها .

وقال اللواء اللبيدى لا يستطيع أحد أن يحمى حزب الله أكثر من حزب الله نفسه بسبب قدرته فى استقطاب الشعب اللبنانى وثباته فى موقفه والمعادلة الخارجية وهو يعلم هذه

الحسابات جيداً ويعرف كيف يدير اللعبة السياسية والعسكرية والاستراتيجية محلياً وإقليمياً وعالمياً .

<u>يقول الخبير الاستراتيجي المصري اللواء إبراهيم البحبوحي :</u> الولايات المتحدة تخطط لسلب حزب الله سلاحه ولكن حزب الله وعى الدرس جيداً ويعرف خيوط اللعبة وتفاصيلها وخروج وزراء حزب الله وحركة أمل من الحكومة اللبنانية هدف تكتيكى عالى من حزب الله وصدق من قال (هذه عمائم تحتها عقول وخبراء) .

ويضيف : عمليات الاغتيالات والتفجيرات التى تجرى فى لبنان " الموساد " الإسرائيلى هو الذى يقف خلفها بهدف ضرب العلاقات اللبنانية السوريه وإزاحة سوريه من لبنان ليتسنى لإسرائيل وأمريكا الانفراد بحزب الله .

وقال : هذه الجرائم ينفذها مأجورون لتنفيذ مخططات إسرائيلية وهذه طريقة الموساد فمعظم الجرائم التى يفعلها اليهود فى العالم تتم بهذه الطريقة دون أن يلوثوا أيديهم وكأنهم لم يفعلوا هذه الجريمة وهو ما حدث فى اغتيال " الحريرى " ثم " توينى " وغيرها من الاغتيالات التى ينفذها الموساد بهذه الطريقة البشعة وبالتالى على الداخل اللبنانى أن ينتبه إلى هذه الطريقة الإسرائيلية وألا يتهم سوريه بالباطل لأنه سيدفع ثمناً باهظاً جداً من صراعات وحرب أهلية .

ويؤكد اللواء " البحبوحى " : حزب الله استطاع أن يجبر إسرائيل على الانسحاب من لبنان دون مفاوضات أو اتفاقيات دولية ، وهو ما لم يحدث منذ ١٩٤٧ وحتى الآن وبالتالى لابد أن يجدوا طريقة للتخلص منه ولكنهم لن يستطيعوا لأنهم لو حاولوا ضربه فالشمال الإسرائيلى تحت أقدام مقاتلى حزب الله وسيحولونه إلى كتلة من النيران وبالتالى هم مرعوبون من ذلك ويبحثون عن طريق وحل آخر يبدو للعالم وكأنهم ليس لهم دخل فيه للتخلص من حزب الله، فى مواجهة ذلك مطلوب تحرك دبلوماسى لبنانى، وتحرك عربى فاعل متمثل فى الجامعة العربية إقليمياً ودولياً لحماية حزب الله.

أما اللواء المصرى عبد الرحمن الهوارى فيرى أن: الولايات المتحدة استطاعت استصدار القرار ١٥٥٩ من مجلس الأمن وهذا القرار فيه بند ينص على نزع سلاح حزب الله وهى تلعب الآن على هذا البند بعد أن استطاعت بطريقتها الملتوية إخراج سوريه من لبنان ولكن حزب الله يمثل قوة وطنية للدفاع عن الأراضى اللبنانية وهو جزء من القوات المسلحة التى تدافع عن أرض لبنان بل هو القوة الوطنية الوحيدة التى تدافع وتقاوم المحتل لذلك يجب على الحكومة اللبنانية أن ترسل رسالة واضحة إلى المجتمع الدولى هى : رفض القرار وعدم تنفيذه " .

ويقول : على المدى القريب والبعيد حزب الله سيبقى لأنه قوة شعبية وعسكرية مدافعة مقاومة وليس من السهل حل حزب الله أو نزع سلاحه ولكن عند خروج المحتل من شبعا ربما يتحول الحزب إلى حزب سياسى يكون له دور على الساحة السياسية اللبنانية والإقليمية والدولية .

أما فيما يخص دعمه وحمايته فحزب الله قادر على حماية نفسه وقادر على التماسك الداخلى فى وجه إسرائيل وأمريكا ومشروعهما فى المنطقة .

ثم يقول الخبير الاستراتيجي المصري اللواء ممدوح عطية (أكاديمية ناصر العسكرية) :

سوريه مستهدفة من القوى الغربية ونحن نعلم مبدأ " بوش " الجديد من ليس معنا فهو ضدنا، وحزب الله حليف سورية وبالضرورة استهداف سوريه فى حزب الله ، ولبنان معروف بالطائفية وخلافاته المزمنة والمعقدة أيضاً وأتصور أن حزب الله هو رمانة الميزان بالنسبة لمعادلة السياسة الداخلية اللبنانية ويستقطب كل القوى من حوله فهو عامل تهدئة فى الداخل حتى يتفرغ لمقاومة الخارج .

وقال : حزب الله قادر على المحافظة على نفسه وهنا نقطة فى غاية الخطورة تقوم بها إسرائيل حالياً وعلى حزب الله تفويت الفرصة بأن يعلن بأنه غير ضالع فى أى عمليات عنف داخل لبنان لأن إسرائيل وأمريكا من الواضح أن خطوتهما القادمة إن لم يجدا طريقة لتوريط حزب الله والتخلص منه فستعملان على اتهامه بأنه يقف وراء

الاغتيالات التى تتم فى لبنان وهذا أمر لو حدث نكون أمام مؤامرة أخرى جديدة على حزب الله من شأنها ان تشعل لبنان بأكمله . ومن هنا نحن ندق ناقوس الخطر بأن تتحرك القوى اللبنانية وتوحد صفوفها وكلمتها خلف حزب الله وحمايته ودعمه ومساندته فى مواجهة هذا المخطط حفاظاً على الأمن القومى اللبنانى " .

يقول ضياء الدين داوود رئيس الحزب العربى الناصرى المصرى : تعليقاً على وصف وليد جنبلاط لسلاح حزب الله بأنه سلاح الغدر أن هذا يعد موقفاً سيئاً وتصرفاً أسوأ ليس له ما يبرره .. فما تلفظ به وليد جنبلاط ونعته سلاح المقاومة وحزب الله بسلاح الغدر خيانة عظمى يجب أن يعاقب عليها هذا " الجنبلاط " فهو شخص انتهازى متقلب المزاج السياسى وهو بتصرفه هذا يمهد الطريق أمام المشروع الأمريكى الإسرائيلى فى المنطقة الرامى إلى نزع سلاح حزب الله والقضاء عليه وعلى المقاومة العربية بشكل عام .. الآن هم يصفون المقاومة الوطنية العراقية والفلسطينية بالإرهابية وأمثال هذا "الجنبلاط" هم الذين مهدوا الطريق لهذا الوصف حتى صار كأنه حقيقة واقعة لا كذبة أمريكية إسرائيلية يرددوها فى كل وقت وللأسف تخرج أصوات محسوبة على العرب والقومية العربية ترددها معهم !!

وقال داوود : يجب عدم السكوت على تصريحات جنبلاط هذه مهما نفى وتراجع وزعم أنه كان يقصد بهذه التصريحات الجبهة الشعبية لأنها جريمة كبرى فى حق اليد التى مسكت السلاح وحررت الأرض والوطن من أعدائه .

ويضيف : علينا أيضاً محاسبة الذين أفسحوا لشخصيات شاذة بهذا الشكل من المتصهينيين المتأمركين المتآمرين ضد المقاومة وسوريه ولبنان لأنهم يستخدمون كأداة لتنفيذ المخططات الغربية ضد قلاع الصمود والمقاومة الباقية فى الوطن العربى .

وحول نفس المعنى يقول د. فوزى غزال رئيس حزب مصر ٢٠٠٠ : وليد جنبلاط خالف الدرب الذى كان يسير عليه والده " كمال " وأمريكا والقوى الأجنبية تلعب وتدفع بجنبلاط فى هذا الاتجاه لأن إسرائيل تريد الهيمنة على لبنان وتريد نزع سلاح حزب

الله بعد خروج سورية لأنها لم تكن تجرؤ على ذلك فى ظل وجود سورية فى لبنان فكانت المؤامرة عليها بقرار مجلس الأمن ١٥٥٩ القاضي بخروجها من لبنان ليخلو الجو لإسرائيل تلعب كما تشاء فى الملعب اللبنانى وكان لابد من إيجاد لاعبين يجيدون فن اللعب على المسرح اللبنانى وهل هناك أفضل من لاعب متقلب مص دماء اللبنانيين مثل وليد جنبلاط ؟!

ويضيف : بطبيعة الحال نحن لا نوافق على هذه التصريحات التى تفوه بها جنبلاط ضد حزب الله والمقاومة لأنه لا يخدم إلا المشروع الأمريكى الصهيونى الفرنسى فى المنطقة العربية وبالتالى هذا الرجل يلعب بالنار التي حتماً سيكون أول من يحترق بنارها !

وردا على وليد جنبلاط أيضاً يقول المفكر المصري البارز اللواء طلعت مسلم : تصريحات جنبلاط قبل وبعد الأزمة تصريحات متقلبة مجنونة لا مبرر لها وبالتالى أصبح يردد كل حين وآخر تصريحاً سيئاً كان آخرها هذه الخزعبلات ، ووصف المقاومة وسلاحها وحزب الله بسلاح "الغدر" ليس مستغرباً عليه لأنه رجل سليط اللسان وأمريكى صهيونى ! " .

ويضيف : رغم أنه نفى ذلك فيما بعد فإنه بتصريحه هذا يصب الزيت على النار ويمهد لحرب أهلية ويروج فى نفس الوقت للمشروع الأمريكى الإسرائيلى فى المنطقة لأن تصريحه هذا جاء فى وجود ديفيد وولش مساعد وزير الخارجية الأمريكية فى لبنان وعموماً سواء كان هذا الكلام أمام وولش أو غيره فهو تصرف أحمق من شخص أحمق وعلينا تجاوزه وننظر للخطوة القادمة أى ماذا نحن فاعلون من أجل حماية المقاومة ؟!

وتأكيداً للمعانى السابقة وتعليقاً على كلام وليد جنبلاط يقول اللواء على حفظى الخبير العسكرى المصرى بأكاديمية ناصر العسكرية العليا : هناك توجهات من بعض السياسيين اللبنانيين تبتعد عن البعد القومى والعربى ومنهم " وليد جنبلاط " هؤلاء السياسيون لا يريدون وجود شكل من أشكال الضغط فى إدارة الأمور السياسية اللبنانية

وهذا التوجه مرتبط بالمصالح الغربية دون النظر للبعد القومي العربي وما قام ويقوم به " جنبلاط " يسير في هذا الاتجاه فما معنى أن يصف المقاومة وسلاحها بسلاح الغدر وماذا يهدف من وراء هجومه المتواصل ضد سوريه والزعم بأنها هي من اغتالت الحريري رغم أن الجهة التي اغتالت الحريري معروفة للجميع وجنبلاط يعرفها أكثر من غيره ومن ثم ما قاله جنبلاط خطيئة كبرى وخيانة عظمى لا يمكن السكوت عليها!!

أما عبد الحليم قنديل رئيس تحرير جريدة الكرامة الناصرية القاهرية فيعلق على كلام جنبلاط ضد حزب الله بقوله : هو تصريح لشخص مجنون يهذى في أي وقت لأنه موصوم بالعمالة فوصفه سلاح المقاومة وحزب الله بالغدر إدانة لجنبلاط نفسه لأنه كان مع المقاومة وسلاحها وحليف لسوريه ويبارك وجودها في لبنان فما الذي تغير؟! حتى عندما تراجع عن تصريحاته وقوله أنه لم يكن يقصد حزب الله بل يقصد الجبهة الشعبية كان بدافع الخوف من الوطنيين والشرفاء في لبنان والضغط الشعبي اللبناني وهو ما يدل على أن المقاومة وسلاحها فوق أي خلافات في لبنان .

ويضيف : أخطر ما يفعله جنبلاط أنه يغذى فكرة الانشقاق الداخلي في لبنان ويمهد للحرب الأهلية في لبنان .. هو يقوم بذلك نيابة عن أمريكا وإسرائيل وفرنسا !

ويؤكد قنديل أنه إذا قامت حرب أهلية سيكون أول الخاسرين هو جنبلاط نفسه !

أين هو من والده ؟

وحول ذات القضية يقول الدبلوماسي السيد أبو زيد مساعد وزير الخارجية المصرية السابق للشئون العربية : بداية هو جنبلاط بتصرفه هذا يمهد للمشروع الإسرائيلي في المنطقة لكن الأهم منه والخطير في هذا التصريح الذي حاول نفيه بعد ذلك أنه بالفعل كان يقصد المقاومة وحزب الله بالفعل وأي كلام غير ذلك كلام غير صحيح وكاذب لأنه جاء من خلال شخص " جنبلاط " المعروف بالاندفاع والتهور وأنه كان ينصح دائماً بأن يفكر قبل أن يطلق تصريحاته المعروفة وتاريخه مملوء بمثل هذه

التصريحات التى يتراجع عنها بعد ذلك ووالده كمال يستحق الرحمة لأنه كان من حكماء العرب ومن ثم عندما كنت أسمع تصريحاً من " وليد " أترحم على والده.

ويضيف السفير أبو زيد : ما يقوم به جنبلاط يأتى ضمن أهداف الهيمنة والهجمة الأمريكية على المنطقة والمقاومة العربية والهدف الأول من ورائها هو محاولة تأمين إسرائيل بنزع سلاح المقاومة اللبنانية وإضعاف الدول التى لها مواقف قومية وعروبية مثل سوريه والعراق ولهذا فإن تصريح جنبلاط يخدم التحرش الأمريكى الصهيونى فى المنطقة ونحمد الله أن ردود الفعل قد بينت أن الحس الوطنى والقومى مازال ينبض فى لبنان .

يجب محاكمته

أما الدكتور عبد الله الأشعل المساعد السابق لوزير الخارجية المصرى فيعلق على ذات الموقف قائلاً: وليد جنبلاط كان مختبأ طوال الوقت تحت شعار اليسار والتقدمية إلا أنه تبين أنه يعمل لحساب الغرب وأن الخيانة أصبحت أهم مبادئه !

ويضيف : هذا الرجل الذى يعلو صوته ضد سوريه وهو يعلم قبل غيره أن سوريه لم تقتل الحريرى ، ليس مستغرباً عليه أن يفعل السيئات وأن يعلو صوته على المقاومة التى حررته من براثن الاحتلال الصهيونى الذى يعمل لحسابه الآن وحساب أمريكا وفرنسا .. هو يلعب دور أمريكا وإسرائيل ضد سوريه هو يحارب معركة إسرائيل ولتحقيق أهداف إسرائيل وبالتالى يجب عدم السكوت على ذلك وعلى القوى اللبنانية السياسية والشعبية محاكمة جنبلاط بتهمة الخيانة العظمى لبلاده لأنه يعمل ضد أمنها القومى وعلى الدول العربية أن تعلن موقفها بكل صراحة ووضوح من دعم المقاومة وحزب الله وسوريه ، وعلى الشعب اللبنانى لفظ جنبلاط وتأديبه على خرافاته ضد المقاومة اللبنانية .

وتساءل د. الأشعل أين كان جنبلاط والمقاومة اللبنانية تحرر جنوب لبنان ؟! أين كان ومجاهدو حزب الله يهاجمون إسرائيل ويستشهدون فى سبيل الدفاع عن هذا الوطن ويضحون بالغالى والنفيس من أجل تحريره من الاحتلال ؟ عليه أن يخرس ويعلم أن

اليد الطاهرة المناضلة المجاهدة التي قاتلت بشرف وأمانة وحررت الأرض والوطن من عدو دموى صهيوني كان يمتص دماء اللبنانيين ومنهم جنبلاط لا يمكن أبداً أن تكون هذه اليد ، غادرة بل هى طاهرة ولم تلوث بدماء أى لبنانى مثلما لوثت يد جنبلاط بدماء اللبنانيين .

مريض عقليا

وأخيرا تعليقا على وصف جنبلاط لسلاح حزب الله بأنه سلاح الغدر يقول د. أحمد ثابت أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة : تصريح غير موفق وغير مبرر وليس له أى معنى لأنه يتفق مع تقلبات جنبلاط والمشروع الأمريكى الغربى فى المنطقة .

ويضيف : تغيير تحالفات جنبلاط باستمرار يدل على مرضه العقلى أكثر مما يدل على رؤية سياسية ومحترمة فهو من قبل قال إن مزارع شبعا ليست لبنانية رغم أن إسرائيل اعترفت بلبنانية مزارع شبعا واليوم يطالب بلبنانية شبعا وترسيم الحدود مع سوريه وبالتالى هو لا يعرف ماذا يريد بالضبط وهو بهذا التصريح "الغبى" يمهد بالفعل للمشروع الأمريكى الصهيونى الغربى فى المنطقة العربية الرامى للقضاء على المقاومة اللبنانية وحزب الله بصفة خاصة والعربية بصفة عامة لأنه يعمل بالوكالة لحساب أمريكا وإسرائيل وهذا أمر مرفوض تماماً وغير مبرر ولا يقبله أحد وإذا كان هناك (غدر) فالغدر هو " جنبلاط " نفسه بتصرفاته وتقلباته الحمقاء .

الفصل العاشر

كيف يقرأ حسن نصر الله التحديات الجديدة ؟

كما سبق أن أكدنا فإنه بداية من منتصف شهر فبراير / شباط ٢٠٠٥ بدأت الأزمة فى المشهد اللبنانى ، فعلى أثر استشهاد الرئيس الحريرى فى ٢٠٠٥/٢/١٤ ارتفعت أصوات بارونات الحرب الأهلية وتجار الوطن يتباكون كالتماسيح على الوطن المستلب / المحتل منذ الطائف بفعل الوجود السورى ، هؤلاء الذين عادوا ليطالعونا بوجوههم القبيحة بعد غياب قرابة عقد كامل ، عادوا ليطالبوا ، أو ليقرأوا الوصفة الأمريكية على أسماع جميع اللبنانيين ، وهى كالتالى :

– على سوريه أن ترحل وتجلو عن ....

– وعلى حزب الله أن يلقى سلاحه وسوف نسامحه هو وقيادته ونسمح لهم بالتواجد السياسى والانخراط داخل اللعبة السياسية !!

هذا الحديث الذى يقدمون له ألف حجة وحجة وألف مقولة ومقولة وأن ٢٥ مايو / أيار ٢٠٠٠ أنهى كل مشاكلنا وأنهى طموح حزب الله وقد جاء العصر الأمروصهيونى فلنول وجهنا شطر البيت الأبيض بواشنطن وتل أبيب .

لنعرف موقف الحزب من هذه الوصفة فإننا نطالع خطابين لسماحة السيد / حسن نصر الله الأمين العام للحزب قراءة نتلمس من خلالها كيف يعمل حزب الله لمواجهة العاصفة والخطابان كانا بمناسبتى " يوم القدس العالمى " و" تشييع الشهداء " فى مجمع الشهداء فى الرويس إثر عملية الغجر فى نهايات عام ٢٠٠٥ .

وفى خطابى سماحة السيد نجد دلالات أربعاً هامة ومبدئية لم يتخل الحزب عنها يوماً وبالإشارة إليهم يمكن معرفة لماذا يصب العدو جام غضبه وكل سهامه على الحزب وأنه يدفع الحزب ليتخلى عن هذه الدلالات التى تخلى عنها الكثيرون سواء كانوا رسميين أو غير رسميين .

الدلالة الأولى : تأكيد سماحة السيد على انتمائه الدينى (الإسلامى) الذى يمثل لديه حالة المرشد والفهم ويستمد منه القوة يستمد القوة من أيام الله : من الجمعة من رمضان من السير على نهج سلفه الصالح المتمثل فى التذكير بيوم القدس الذى دعا إليه الإمام الخمينى ، ونصر الله يحافظ على هذا المدد المعنوى (البركة) مقدماً نموذج للعمل الإسلامى الحق الذى يوجه بأسه إلى أعدائه لا إلى مخالفيه فى الرأى كما تفعل تيارات تدعى أنها إسلامية فى أغلب أقطارنا العربية .

الدلالة الثانية : التأكيد على انتمائه العربى فى وحدة القضية ووحدة الصراع والهدف والمصير ففى خطاب سماحته " القدس " يقول (فعلى مدى ٢٥ عاماً من الصراع والذى يقع مباشرة على عاتق الشعب الفلسطينى وعلى لبنان وسوريه " ونفس الإشارة نجدها فى الخطاب الثانى فى مقولته " أمام أجساد الشهداء وهذا المشهد مألوف فى مسيرتنا ومقاومتنا وبلدنا فى لبنان كما هو مألوف فى فلسطين " فسماحته يحسم إشكالية الإسلام والعروبة من وجهة نظر الحزب الذى حسمها منذ زمن طويل بدءاً بشباب خلدة وشباب ١٩٨٢ الذين رباهم سماحة السيد المغيب / موسى الصدر ، فالعلاقة ما بين الإسلام والعروبة كما يشير سماحته علاقة تبادلية واضحة لا تحتاج إلى بيان أو شرح وهما فى مواجهة العدو الصهيونى معاً فلبنان وطن عربى يضم قوى وجماعات وطوائف إسلامية .. وغيرهم .

الدلالة الثالثة : الحوار الوطنى أساس للشراكة الوطنية ، ورفض مبدأ الاستقواء على الدولة أو على أى فئة وترجيح الحوار وهذا يتضح من حرص سماحة السيد على حضور ممثلى الدولة (الرؤساء الثلاثة) والأحزاب والطوائف فى كل فاعليات الحزب وأفراحه وأتراحه يقول سماحة السيد فى خطاب يوم القدس " تمكنت لبنان والشعب وكل قواه الوطنية ووحدته ووحدة الدولة والجيش والشعب من تحقيق انجاز تاريخى فى الخامس والعشرين من أيار (مايو) ، وقبلها من إسقاط المشروع الأمريكى الصهيونى وإلغاء اتفاقية السابع عشر من أيار وطرد الصهاينة أذلاء من أرضنا على مراحل .

الدلالة الرابعة : المحافظة على الذاكرة حية دون غياب أو غفلة وهذا من شأنه تحفيز الهمم وتقويتها لا بنظرة سلفية ماضوية ولكن كمدد للمجاهدين والمناضلين فسماحته يذكر الشهداء ليأخذ المدد من الذين قضوا نحبهم للمنتظرين يقول " قدمت أمتنا في سبيل انقاذها مئات الآلاف من الشهداء ، وسقط على طريقها قادة كبار كعز الدين القسام ، وفتحي الشقاقي ، وأحمد ياسين، وعبد العزيز الرنتيسي ، وأبي علي مصطفى ، وأبي جهاد الوزير ، وعباس الموسوي ، وراغب حرب هذه القدس لن تضيع طالما في أمتنا قادة كهؤلاء .

هذه الذاكرة الغضة التي جعلت سماحته يتحدث عن الصراع باعتباره صراعاً عربياً إسرائيلياً صراعاً ضد الاستكبار والاحتلال ويتذكر ويذكر بتواريخ مثل الحرب الأهلية ٧٥ وأحداث الاجتياح ١٩٨٢ ، وإسقاط ١٧ آيار/مايو ١٩٨٧ ، عن التحرير ٢٠٠٠ ، هذه الذاكرة هي التي تشحذ الهمم وتقوي العزائم وتحقق النجاح لأنه لا يمكن أن تكون الأمة بلا ذاكرة .

هذه الدلالات الأربع المبدئية والهامة لا تغيب في أي من خطابات سماحة السيد تشكل جزءاً هاماً من نجاحات الحزب وعقيدته وقدرته على المواجهة والانتصار .

إن سماحة السيد الأمين العام باعتباره زعيماً وطنياً وقائداً لحزب يعد علامة فارقة في تاريخ الصراع وتاريخ كفاح الشعب اللبناني ومقاومته هو أيضاً سيد المقاومة التي مايزال يقودها بنظرة جهادية داخلية وخارجية غير مسبوقة على الاطلاق في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي ، والخطابان محل الدراسة هما دالتان نستطيع من خلالهما قراءة ومعرفة الموقف على الساحة السياسية السوريه اللبنانية ، وكذلك مستقبل الحزب على مستوى الصراع أو السجال السياسي الدائر في لبنان وتشابك الأوضاع واختلاط الأوراق وسوف نناقش هذين الخطابين من خلال محورين اثنين هما :

المحور الأول : المعرفة :

وهو اعتماد المعرفة مصدراً من مصادر القوة وخاصة معرفة العدو وذلك حسب ما صرح به سماحته فى خطابه الثانى عن متابعته لعدوه و" ما يقوله العدو الصهيونى وما يفعله على الأرض من خلال التصريحات والمقالات " والاعتماد على القوة الذاتية والتدريب مع القادم والمفاجئ من جانب هذا العدو المتربص وخاصة بعد أن فقد الحزب الثقة فى المجتمع الدولى الذى لا يرى فى إسرائيل طرفاً معتدياً " هذه الخروقات لم يرها المجتمع الدولى ، كل الخروقات الإسرائيلية لا يراها العالم ، قتل أو خطف الصياد اللبنانى لا يراه العالم ، وانتهاك سيادة لبنان لا يراه العالم ! هذا الأمر بالنسبة لنا ليس جديداً " إذن سماحته يوضح الموقف من هذا المجتمع الدولى الذى لا يمكن الاعتماد عليه فى أن يأتى بحق لبنان أو العرب والمسلمين يوماً " ان المجتمع الدولى غير عادل ، ونحن لا نريد أن نقاتله ، ولكن لا نريد أن نسلم بظلمه" فهذا المجتمع هو الذى ترك لبنان فى ٨٢ ، ٨٥ و٩٥ وحين وقعت مجزرة قانا وحين صدر القرار ٤٢٥ ولم يعد إلى لبنان أسراها ، والدافع وراء هذا وبشكل واضح دون مراوغة أو هروب أو تنميق للعبارات هو الحفاظ على " إسرائيل " يقول سماحته " ان المطلوب فى مجلس الأمن أن تحمى إسرائيل وأن تكون إسرائيل قوية أما لبنان وسوريه والعرب فعليهم دائماً أن يدفعوا الأثمان تحت السيوف التى يسلطها عليهم مجلس الأمن والمجتمع الدولى حامى إسرائيل " ، إذن فغياب العدالة الدولية وقيام مجلس الأمن بحماية إسرائيل لجعلها متفوقة عما حولها هو الذى جعل هذا المجتمع الدولى و" مجلس الأمن " هنا يصدر قراره ١٥٥٩ وهذا الذى جعل مجلس الأمن يعين لهذا القرار ناظراً ومتابعاً ومسئولاً لأنه يتطلب استحقاقات من سوريه ومن لبنان ، كما أنه طلب من هذا الناظر أن يقدم له تقريراً للمتابعة كل ستة أشهر ، ويتعجب سماحته من هذا المجتمع ومن مجلس أمنه " ان كل قرارات مجلس الأمن المتعلقة بإسرائيل لم يعين لها ناظراً ولا متابعاً ولا مسئولاً ولم يحدد لها مدة زمنية ولم يطلب فيها تقريراً ولم يسأل عنها مجلس

الأمن منذ عشرات السنين فيما يتعلق بقرارات عـدة وكثيـرة ١٩٤، ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، ٤٢٥ .

هذه هى الرسالة التى يبعث بها سماحته للأصدقاء والحلفاء وشركائه فى الوطن والتى يهدم بها أضحوكة المجتمع الدولى أمام أعينهم وأعين الناظرين وهذه المسلمات التـى عرفها الحزب جيداً وتعامل معها على أرض الواقع الحقيقى والعملى هى مـا جعلتـه يعرف عدوه ، جيداً ويتعامل على أساس هذا العلم لا على أساس من الوهم والخداع ، وكانت النتيجة تفوق الحزب على هذا العدو واستدراجه وتلقينه الدرس بعـد الـدرس وكان آخرها مواجهة الغجر حين أطال الهدوء أمام العدو حتى ظن أن تغيير الأوضاع فى الداخل اللبنانى فى ظل الضغوط الدولية على لبنان حكومة وشعباً وعلى المقاومـة وحزب الله هى التى جعلت الحزب يكمن .

وكان تصور العدو أن هذه لحظة مناسبة للتدخل فى لبنان وتغيير قواعد اللعبة وفرض إرادته على لبنان وسوريه .. فكان الرد قاسياً وشديداً وكانت كل قراءاتهم " سـراب فى سراب " والنتيجة على شاشات التلفاز " آلياتهم فى موقع العباسـة تصـرف بهـا مجاهدو المقاومة الإسلامية وكأنهم فى لعبة " فيديو جيم " هذا العدو المتربص المفترس المحمى أمريكياً ودولياً والذى يخشاه الكثيرون بفعل المعرفة والدراسة الحقة " اعـرف عدوك " فقدت قيادته الشمالية السيطرة على سير المعارك ٤٥ دقيقة كاملة ولم يعرفوا ماذا يجرى على الأرض وهذه المعرفة على الجانب الآخر هى التى مكنت الحزب من فضح مجلس الأمن وقاضى التحقيق المعين من جانبهم "ميليس" الذى كتب تقريره من نسختين منفصلتين ومختلفتين ، أسهب فيهما وفى بيان عوارهما سماحته فى خطابه يوم القدس وقال بصراحة ان التحقيق ما هو الا تكئة لأمريكا لاعلان الحـرب الصـريح والمباشر على سوريه وإن مجلس الأمن ليس له إلا إصدار ما يـراه الأمريكـان وأن الأمريكان جلسوا فى موقع الاتهام وموقع الادعاء وموقع القاضى وموقـع الشـرطى المنفذ هذه الفضيحة الثقيلة هى التى جعلت ميليس يتراجع قليلاً ويقول إن اللجنة تـرى

أن جميع الأشخاص بمن فيهم أولئك الذين اتهموا بجرائم يجب أن يعتبروا أبرياء الى ان تثبت إدانتهم وهذا أيضاً ما يجعل الأمريكان يزيدون من حقدهم وتآمرهم لدفع المجتمع اللبنانى الى مزيد من الفوضى والقتل وليس مقتل " توينى " رئيس تحرير النهار اللبنانية عن هذه الأحداث وعن أصابع الامريكان ببعيد .

المحور الثاني : التأكيد على الخيارات الاستراتيجية :

التأكيد على الخيارات الاستراتيجية وبقاء واستمرار الحزب والمقاومة أكد سماحته عليه حينما قال " إننا أشرف وأرفع وأنقى وأصفى وأطهر وأخلص وأكبر من أن يجرؤ أحد على اتهامنا فى خلفياتنا الوطنية نحن كنا أصدقاء لسوريه ومازلنا .. ونعتز بهذه الصداقة منذ العام ١٩٨٢ كنا أصدقاء لسوريه والى اليوم لا نخفى هذه الصداقة ولم نخجل منها بل نؤمن بها وندعو كل اللبنانيين الى توثيقها وتعزيزها وهذا مصلحة للبنان أولاً :

نحن نقول علناً أننا أصدقاء وحلفاء طهران كما نحن أصدقاء وحلفاء سوريه منذ العام ١٩٨٢ الى الـ ١٩٨٥ الى الـ ١٩٩٠ إلى الـ ٢٠٠٠ الى ٢٠٠٥ وما عندنا شىء مخبأ " .

هذه الرؤية الاستراتيجية تدرك تماماً أن ما يلحق بسوريه من ضرر يصيب فى المقام الأول لبنان " هل نتصور نحن فى لبنان أن الحصار والعقوبات على سوريه وإقفال الدنيا حولها لن يلحق الضرر بلبنان ؟ أول بلد يتضرر من العقوبات هو سوريه وثانى بلد هو لبنان ، هل نسعى لضرر أنفسنا بأيدينا " .

أ – هذه الرؤية الاستراتيجية والمستقبلية بين سوريه وإيران ولبنان من جانب حزب الله لخدمة لبنان وتحرير لبنان وقوة لبنان ، هى فوق مستوى الشبهات وهى دائمة وباقية يسمح فيها بالاختلاف " من يريد ان يناقشنا سنتواضع له ونقول له حقك الطبيعى ان تخالفنا وتناقشنا وتحاورنا ، وأن يكون لك تقييمك المختلف هذا حق لشركاء الوطن لكن الاستراتيجيات تكون فى مهب الرياح والتشكيك ، وألا يسمح فيها بالاتهام " .

" أما الذى يريد أن يتهمنا فنسأله أنت من ؟ ما تاريخك قبل عام ١٩٨٢ وما تاريخك بعده ؟ أين كنت ومع من تحالفت ؟ وفى أى موقع كنت ؟ وماذا قدمت من تضحيات لهذا البلد وما علاقتك بالسفارة الإسرائيلية والأمريكية ؟ .

ولكن فى رأى السيدُ منطق الاتهام مرفوض ولكن الإباء والشرف والتمسك بالخيارات الاستراتيجية هى أهم أطواق النجاة .

ب - رفض الاستسلام والخضوع للشروط الأمريكية والصهيونية وبقاء المقاومة وفاعليتها : إن أحداث شبعا والغجر وما نتج عنها من وقائع ميدانية وكيف تصرف المقاومون بآليات الصهاينة فى العباسة وكيف فقدت القيادة الصهيونية سيطرتها على الأرض والمعركة وكيف استطاعت المقاومة الإسلامية استدراج العدو وهزيمته هزيمة نكراء كانت رسالة سماحته الى كل أحبائه ومناصريه التى تضمنت نقاطاً ثلاثاً هى :

١ - كانت المقاومة فعالة وقوية وقاسية فى ظل حرب أهلية داخلية ولم يفت هذا فى عضد المقاومة أطمئنكم انه لن يرجع التاريخ بنا الى الـ ٨٢ أو الـ ٨٥ أو الـ ٩٦ .

٢ - يجب ان يعرفوا اننا لم نضعف ولن نضعف ، ولم نهن ولن نهون ، ولم تخف ولن نخاف ، ولم نجبن ولن نجبن " .

٣ - يجب أن تعلموا أن إسرائيل أوهن من بيت العنكبوت .

****

مما سبق ومن حصيلة قراءتنا لتاريخ وأفكار السيد حسن نصر الله نستطيع أن نؤكد أنه يتميز بصفتين تجعلانه فى طليعة القيادات التاريخية رغم ضيق المساحة التى يتحرك خلالها :

١ - الصفة الأولى : وعيه بمعطيات الواقع وقبضه على اللحظة التاريخية .

٢ - والصفة الثانية : قدرته على خلق علاقة فاعلة مع هذا الواقع ، وهو بذلك يختلف اختلافاً جذرياً عمن يسمون بالقادة العرب الذين يكتفون بدور المشاهد على أحسن

الفرضيات ، إن لم يكونوا مشاركين ومتواطئين فى تكريس سياسة الرضا بالأمر الواقع .

وفى كل خطاب يلقيه السيد / حسن نصر الله نزداد يقيناً بأن الزعامات لا تصنع من خلال الدراسات الأكاديمية ، بل هى بتعبير هيجل عن القيادات بأنهم (الضرورة التاريخية) ، وبتعبيرنا نحن "الاصطفاء" أو صناعة السماء فى الأرض ، قال تعالى "ولتصنع على عينى" .

فى الكلمة التى ألقاها السيد حسن نصر الله فى الاحتفال بيوم القدس العالمى ، بدأ سماحته باستدعاء المرتكز الدينى فى قضية الصراع بين المشروع الغربى الصهيونى والمشروع الإسلامى بقوله : " إن أفضل الشهور عند الله هو الشهر المبارك ، وأفضل أيامه ولياليه العشر الأواخر ، وأفضل الأيام هو يوم الجمعة لهذا اختاره الإمام الخمينى أعظم يوم وأقدس يوم وأشرف يوم ليكون يوماً للقدس العظيمة والشريفة والمقدسة ".

بهذا الاستدعاء الدينى المقدس ، يقوم حسن نصر الله بإنعاش الذاكرة الإيمانية ، باعتبارها وقود المقاومة ومحركها الأول ، وهو بهذا الاستدعاء يتناص مع ما نادى به " مالك بن نبى " فى حديثه عن " الفكرة الدينية " فى معادلة قيام الحضارات ونشئها .

فالقضية عند مالك بن نبى ليست قضية أدوات أو إمكانيات ، بل القضية فى أنفسنا ، فإذا تحرك الانسان تحرك المجتمع ، واذا تحرك المجتمع تحرك التاريخ وإذا سكن الانسان سكن المجتمع والتاريخ .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن ثمة أصواتاً مازالت تصر على استبعاد الدين من بؤرة الصراع ، وتغييبه عن استراتيجية التحدى .

هل لا يعلم هؤلاء أن استبعاد الدين من الصراع يعنى الهزيمة الساحقة ، وهل فات هؤلاء أن استجابة الشعوب للتفاعل تتوقف على خطورة التحدى وكما قال جمال الدين الأفغانى : الأزمة تصنع الهمة " وربما قادنا ذلك أيضاً إلى ما قاله أرنولد توينبى فى نظريته الشهيرة ، التحدى والاستجابة " إذ يعتبر توينبى أن نشوء أى حضارة أو

استمرارها يتوقف على رد معين يقوم به الشعب لمواجهة تحدٍ ما ، وتكون هناك ثلاثة احتمالات فى مواجهة هذا التحدى ، حسب "مستوى التحدى " وفعالية الرد :

١ – إما أن تقوم الشعوب بوثبة للأمام .

٢ – أو تصاب بالتوقف والجمود .

٣ – أو تذهب أدراج الرياح .

فهل نحن على مستوى التحدى الغربى الذى يريد أن يبتلع هذه الأمة ، ثقافياً من خلال مشروعه الحداثى ، واقتصادياً من خلال الشرق الأوسط الكبير والاتفاقات الدولية الموجهة ، وسياسياً من خلال تفكيك الخريطة العربية ، والإسلامية ، وإعادة ترتيبها وفق المنظور الامبراطورى البراجماتى ؟ .

أليس هذا المستوى من التحدى يتطلب تعبئة كل القوى الفاعلة والمؤثرة لهذه المعركة المصيرية ؟ وإذا كان هيجل قد قال : " ان المسيحية هى الطريق المطلق للثورة الفرنسية ، أليس من حقنا أن نقول ان الإسلام هو الطريق المطلق للتحرر العربى .

يستمر حسن نصر الله فى تجييش وحشد وشحن البارود الدينى حين يقول : " وأى فحشاء وأى معصية أكبر وأشد من أن تسكت أمة المليار مسلم عن احتلال مقدساتها، وهتك حرماتها فى بيت المقدس وفلسطين وجنين وطولكرم وقطاع غزة ، تسفك دماؤهم فى كل يوم ، ويقصفون فى كل ليل ، ويقتلون فى كل صباح ، ألا تكون هذه الأيام حجة إلهية على أمة المليار مسلم، وهى تشهد أعظم الفساد ، وأعظم المنكر دون أن تحرك ساكناً ودون أن تأمر بمعروف أو تنهى عن منكر أو تنطق بكلمة أو تغير بيد .

فى هذه العبارات القصيرة المتلاحقة التى تُشبه مطارق الحديد ، كأن نصر الله يضع أمامنا حديث النبى صلى الله عليه وسلم .

مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

إنه بهذا الخطاب يحاول استثمار كل الطاقات المعطلة فى أمة المليار ، فهو لا يوجه خطابه إلى النخبة المثقفة فقط ، انما يحاول مد خيوط إلى كل أبناء الأمة ، كما أنه يحمل مسئولية ما حدث وما يحدث للجميع كل حسب موقعه .

ومن خصائص الخطاب عند حسن نصر الله كذلك أنه لا يعول على المجتمع الدولى كثيراً ، بل إنه يعتبر أن المجتمع الدولى أحد الأطراف المتواطئة فى نصب الشباك لهذه الأمة من خلال براجماتية فجة تدوس مبادىء العدالة بحذاء المصلحة فهم جميعاً أبناء المدرسة النفعية والمذاهب الميكافيلية يقول نصر الله :

إن المجتمع الدولى لا يريد مصلحة الفلسطينيين ولا اللبنانيين ولا العرب،ولا هذه المنطقة،إن المجتمع الدولى يبذل كل جهده ليحقق مصالح أمريكا وإسرائيل فقط وفقط،ان المجتمع الدولى يدفع بالفلسطينيين الى التقاتل والتصارع من أجل أن تأمن إسرائيل وترتاح فى فلسطين المحتلة.

يبارك المجتمع الدولى عدوان إسرائيل وهمجيتها وقتلها وتشريدها للناس أو بالحد الأدنى يسكت ، ولكنه يسارع إلى إدانة الفلسطينى الذى يدافع عن شعبه ويتهمه بالإرهاب ، وبذلك يضع نصر الله الأمة كلها أمام الأمر الواقع مثلما فعل طارق بن زياد من قبل لكنه هذه المرة يقول : المشروع الصهيونى الغربى أمامكم والمجتمع الدولى وراءكم .

وإذا كانت المؤلفة الأمريكية فرانسيس سوندر فى حديثها عن الحرب الباردة الثقافية، قد كشفت أبعاد المؤامرة التى تقوم بها المخابرات الأمريكية فى محاولة تمويل بعض المنظمات الثقافية فى مختلف بلدان العالم لضرب الخصوصية الذاتية الثقافية ولبلورة اتجاهات معينة ، وقد أشارت إلى ذلك فى كتابها من الذى يدفع للزمار ؟ Who Paid The Piper .

ثم توالت فضائح تمويل أو تجنيد صحف عراقية تعمل كبوق تأييد للاحتلال ، ألا يدل ذلك على أن المجتمع الدولى قد قبض أجرة العزف ؟ .

من خصائص الخطاب التعبوى عند حسن نصر الله كذلك أنه يبحث دائماً عن نقاط الاتفاق ويركز عليها ، إنه يحاول التركيز على الخطر المشترك والمصير المشترك،وهو بذلك يستدعى الآية القرآنية " وان هذه أمتكم أمة واحدة،وأنا ربكم فاعبدون " [٩٢ – الأنبياء] .

لذلك يبتعد دائماً عن كل ما من شأنه تفتيت الجبهة الداخلية حتى لا يتم التآكل من الداخل وهى المحاولة التى يجيدها دائماً أعداء الأمة عندما يفشلون فى القضاء عليها خارجياً ، فتكون محاولتهم الأخيرة استقطاب عناصر الأمة الى كيانات متنازعة طائفياً وعرقياً ، يقول حسن نصر الله هل ينقصنا فى لبنان جوقات تحريض جديدة بين السنة وبين الشيعة ؟ وهو يشير بذلك إلى شريط مسجل يدعى تقرير ميليس أنه يمس شخصية شيعية كبيرة .

ثم يتابع نصر الله حديثه قائلاً : أنا اعتبر ما ورد فى تقرير ميليس إهانة وطنية كبيرة ، وتحريضاً طائفياً بامتياز ، ثم يختم كلمته بالمطالبة بالتمسك بالوحدة الوطنية وبالتعاون وبالتآخى هو بذلك يثبت أنه يقبض على اللحظة الراهنة بوعى وتفاعل إيجابى .

وفى نص الخطاب الثانى الذى أقيم لاستقبال جثامين الشهداء تدور مضامين كلمته حول ذات المحاور التى تعمل على توظيف الطاقات الدينية وإعادة الوعى المقاوم لمشاريع الهيمنة .

يقول نصر الله : " الشهادة فى ثقافتنا وفكرنا هى بوابة العبور من الحياة المزيفة إلى الحياة الحقيقية " .

وهو بذلك يحاول أن ينفض الغبار عن مصطلح الشهادة فى سبيل الله باعتباره أعلى الأوسمة التى توضع على صدر الانسان فى تاريخه الإنسانى العريق ، باعتبار انها تضحية بالروح أغلى ما يمتلك الإنسان لإرضاء خالقه .

وهذا يذكرنا بالمقولة الشهيرة لأحد القادة العظام " لقد جئتكم برجال يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة " .

لذلك يقول نصر الله : " لقد رأيتم آلياتهم في موقع العباسة كيف تصرف بها مجاهدو المقاومة الإسلامية وكأنهم فى لعبة أتارى " .

هؤلاء المقاومون هم فخر هذه الأمة إذن بعد أن كانت رؤوسنا منكسة فى الوحل ، فإذا بدماء الشهداء تتحول إلى سفينة أمل وسط هذا الانهيار المزرى .

ويتوجه نصر الله كعادته الى الطابور الخامس الذى يراهن عليه العدو بمواجهة حاسمة وصريحة :

من يرد أن يتهمنا فلن نتواضع له بعد اليوم ، من يرد أن يناقشنا فسنتواضع له ونقول له هذا حقك الطبيعى ان تخالفنا وتناقشنا وتحاورنا أما الذى يريد أن يتهمنا فنسأله أنت من ؟ ما تاريخك قبل عام ١٩٨٢ وما تاريخك بعده ، أين كنت ومع من وحليف من كنت وفى أى موقع كنت ، ماذا قدمت وضحيت لهذا البلد وما علاقتك بالسفارات وبالإسرائيلى والأمريكى وبالأجنبى .

وبذلك فإن السيد نصر الله الذى يقرأ المشهد الدرامى قراءة واعية يعلم جيداً متى يلمح ومتى يصرح ، ويعرف كذلك متى يعزف بنبرة هادئة ، ومتى يصرخ ويهدد ويحذر ، إنه يعرى هنا الطابور الخامس ، كما عراهم المتنبى من قبل حين قال مخاطباً سيف الدولة :

وسوى الروم خلف ظهرك روم ،

فعلى أى جانبيك تميل ؟

لقد سمى أبو الطيب المتنبى الطابور الخامس باسم العدو فى ذلك الوقت ، سماهم الروم، وها هو حسن نصر الله يسمى الطابور الخامس بحلفاء الصهاينة والأمريكان هؤلاء الذين قبضوا ثمن العزف ولايزالون يقبضون ، على استعداد لا فقط لأن يعزفوا لأعداء الأمة ، بل لأن يتعروا أيضاً ، ويرقصوا رقصة سالومى لكن ليس طمعاً فى رأس يوحنا المعمدان هذه المرة ، بل رأس الأمة ذاتها ، والأمثلة على هؤلاء عديدة للأسف فى هذا الزمن الأمريكى القبيح .

الخاتمة

لماذا يتآمرون على حسن نصر الله وحزبه ؟

ربما ليس جديداً أن تجد كاتباً يحمل اسماً عربياً ، أو صحيفة تكتب بالعربية أو فضائية ناطقة بالفصحى ، لا يجدون – جميعاً – ذواتهم ، وتحققهم إلا عندما يوجهون سهام كلماتهم لكل ما هو مضيء ومشرف فى أمة المفترض أنهم ينتمون إليها ، فالمقاومة (كل المقاومة) لديهم: إرهاب ، ورفض التطبيع مع العدو الصهيونى : مراهقة سياسية، وعدم الرضوخ للهيمنة الأمريكية : تهور واندفاع وهكذا .. !! هذا الجلد للذات – والذى يعكس فى أحد أوجهه حالة مرضية تحتاج إلى علاج نفسى أكثر من حاجتها إلى حوار فكرى أو نقاش سياسى – ليس بجديد ولكن الجديد هو هذا القدر من الانحطاط اللفظى والعقلى الذى اتسم به جديد هؤلاء فى مجال هجومهم على المقاومة العربية المعاصرة .

* هؤلاء جميعاً ، وجهوا منذ عام ونصف سهامهم على واحد من أشرف قوانا العربية المقاومة، ودأبوا على التفتيش فى النوايا ، والبحث فى صناديق القمامة السياسية والفكرية ليحاولوا أن يجدوا فيها ما يسيء إلى هذه القوة العربية الأكثر شرفاً ونبلاً . ونقصد بها (حزب الله) .

* فها هو صحفى لبنانى يعمل فى صحيفة عربية (تصدر من لندن وتديرها المخابرات الأمريكية عبر وسطاء .. هكذا تقول أسرار تأسيسها فى عهد الموارنة الجدد الذين يسيطرون عليها) لا يألُ هذا الصحفى وإخوته فى ذات الصحيفة جهداً كل أسبوع على الأقل ليلقى بترهاته ونفاياته السياسية ضد حزب الله ، بألفاظ ترفعت عنها حتى (يديعوت أحرونوت) ، وأضحى هذا الصحفى (النموذج) موضوعاً للتهكم من المثقفين فى بلادنا ، فرغم أنه مارونى سابق ، وكان فى شبابه شيوعياً ثورياً ستالينياً ، إذا به

مع ثورة الخمينى يتحول إلى (خمينىّ الرؤية) ويؤلف كتباً تمدح فى الإمام وثورته ، ثم مع الهبة الأمريكية السامة على بلادنا إذا به يتحول إلى أمريكى / إسرائيلى الهوية والنفس ! وكله – وياللعجب – كان يتم باسم الموضوعية والعقلانية – هذا الصحفى من شدة أمركته وإسرائيليته فى التحليل استبدل الصحفيون فى بلادى اسمه من (حازم) إلى (حاييم) تندراً وسخرية وتوصيفاً لحاله البائسة ، وهجومه الدائم على حزب الله وكل ما يمت إلى (المقاومة) ، ثقافة ودوراً ، بصلة .

* وعلى نفس الوتيرة تأتى بعض الفضائيات الهزلية رسالة ومضموناً والتى ترتبط أيضاً إشرافاً وتمويلاً ، بصلة نسب قوية تفيدها بخيرات العرب المصادرة أمريكياً ، وبأموال المخابرات الأمريكية ، فها هى إحدى الفضائيات اللبنانية التى علمت أولادنا الخلاعة والمجون تسخر من سيد المقاومة السيد حسن نصر الله مساء يوم الخميس (١/٦/٢٠٠٦) فى برنامج هزلى وكانت ترمى من وراء هذا البرنامج ومثيله إلى نزع القداسة عن هذه المقاومة ورجالها وعلى رأسهم الأمين العام السيد حسن نصر الله الذى يعلم الجميع مدى نزاهته وإخلاصه وتضحياته (ألم يقدم حسن نصر الله ابنه – هادى – شهيداً من أجل هذا الوطن الذى يمرح فيه هؤلاء الماجنون ويسكرون بليل ؟) !! وليست مصادفة أن نفس الفضائية اللبنانية تنتمى لذات المؤسسة الصحفية اللندنية وبينهما تعاقد رسمى ، وذات الراعى الذى يملكها هو نفسه شريك فى أعمال اقتصادية لبعض القوى الملتفة فى تحالف ما يسمى بـ ١٤ آذار وهو تحالف بدوره لا ينكر صلته بالأجهزة الأمريكية (ألم يكرم هؤلاء قبل أيام بلا خجل جون بولتون أقبح وجه صهيونى فى الإدارة الأمريكية طيلة عقد ونصف من الزمان ؟) .

• هل هى مصادفة أن يلتقى هؤلاء جميعاً ، هكذا فى سيمفونية نشاز من الهجوم على حزب الله، وعلى ما يمثله من قيم ومنزلة عزيزة فى ضمير العرب والمسلمين؟ أم هى المؤامرة التى بدأت باغتيال رفيق الحريرى ، ثم توالت حلقاتها الخبيثة لتصل إلى حد المطالبة بنزع سلاح المقاومة التى تحمى لبنان ، وتجعل أمثال هؤلاء يعيشون مطمئنين

فى بيوتهم ومكاتبهم المكيفة ، بعد أن كانوا يفرون خارجها بل خارج بلادهم بفعل الغزو الصهيونى الذى كان يصل حتى شارع الحمراء حيث يعيشون ويسكرون !!

* على أية حال .. المؤامرة ليست جديدة ، ولكنها هذه المرة تأتى فى سياقات مختلفة تأتى بعد أن فشلوا طيلة عام ونصف فى حصار أو ضرب حزب الله ، ونحسب أنها ستنهزم مثلما انهزمت غيرها ، وفى هذا الإطار تؤكد الدراسات واستطلاعات الرأى الحديثة تلك الحقيقة ، حقيقة أن حزب الله لن يهزم رغم المؤامرة الواضحة عليه ، ويؤكد الخبراء الاستراتيجيون أيضاً على أهمية الدور العربى لحماية حزب الله ، ففى رأى الخبير الاستراتيجى اللواء د. وجيه عفيفى تأتى أخطر الهجمات الأمريكية السياسية وأحياناً العسكرية ضد حزب الله هذه الأيام ، وتتركز فى النقاط التالية :

* الضغوط الأمريكية الشرسة التى تسعى لتصفية الحزب وتعمل وفقاً لأجندة إسرائيلية، خاصة أنه يمثل التهديد الرئيسى لإسرائيل فى المنطقة العربية وبالتحديد فى المواجهة معها .

ويؤكد اللواء وجيه فى دراسة هامة له أن الهدف أيضاً من الحملة على حزب الله من قبل هذه الجهات الإسرائيلية الهوى ، هو السعى لتحقيق الاستقرار للعدو الإسرائيلى المحتل ، لا فى الجنوب اللبنانى فحسب إنما كى ينجح فى التهام الضفة الغربية وفلسطين كلها ، وغداً سنكتشف المؤامرات الكبرى والتى فى إطارها سوف يعلن العدو الصهيونى عن طلبه مبادلة أراضٍ بينه وبين بعض الدول العربية ، من أجل إقامة إسرائيل الكبرى وهذا ما ترفضه الشعوب العربية كلها .

ومن أهداف هذه الحملة أيضاً سعى الحكومة اللبنانية الراهنة بقيادة "السنيورة" إلى تنفيذ السياسة الأمريكية والعمل على خلق مشاكل وهمية وإثارة التوترات من أجل العمل على تصفية حزب الله تحت إطار انضمامه للقوات المسلحة اللبنانية، كذلك العمل على إثارة العديد من المشاكل مع سوريه ووضع تصفية الحزب هدفاً استراتيجياً رئيسياً فى المرحلة الحالية ، بل إن حركة المعارضة التى يقودها وليد جنبلاط تضع السم فى

العسل وترى أن حزب الله منظمة إرهابية تعمل خارج إطار الدولة ، ويقـول اللـواء عفيفي : التساؤل الذى يطرح نفسه هنا : من الذى حرر جنوب لبنـان ؟ هـل وليـد جنبلاط والمعارضة المسمومة هما اللذان حققا ذلك أم أن أبناء حزب الله هـم الـذين ارتوت بدمائهم أرض لبنان الشقيق ؟! .

* بعض القيادات العربية التى تساير الركب ، خاصة ما يرتبط بإنشاء ما يسمى بـ " الشرق الأوسط الكبير " والذى لولا المقاومة العراقية ودخول القوات الأميركيـة فـى الوحل العراقى ، لتحقق هذا المشروع الذى كانت تسعى إليه الولايات المتحدة .. هـذه القيادات تريد هى أيضاً رأس حزب الله .

وهذه القيادات الخارجية تقوم بحملة خبيثة تدعو إلى نزع سلاح حزب الله بدعوى أنـه مؤسسة عسكرية تمثل خروجاً عن الإطار القانونى للدولة ، وأن حمل السلاح خـارج الإطار الشرعى يمثل خروجاً على النظام اللبنانى ، خاصة أن إسرائيل أعلنت وهمـاً أنها على استعداد للخروج من " مزارع شبعا " والجزء المحتل من الجنوب اللبنـانى ، وقبل أن تتم الإجابة عن كيفية إدارة هذه الأزمة بنجاح طبقاً لعلـم إدارة الأزمـات ، يؤكد اللواء عفيفى : أقول لكل من يهمه الأمر وحتى تتحرك الأقـلام العربيـة ضـد الهيمنة الأميركية والإرهاب الصهيونى ، أنه عندما أعلنت إسرائيل عن ضرورة نزع الأسلحة الثقيلة من عناصر المقاومة الفلسطينية سقط عرفات فى هذا الفخ الصـهيونى الماكر ، وبعد نزع الأسلحة الثقيلة باتت المقاومة بلا غطـاء نيرانـى يعتمـد علـى التأثيرات النيرانية فى تدمير الأهداف وأصبحت المقاومة تتسول الأسـلحة مـن هنـا وهناك بعد أن أصبحت الدول العربية عاجزة أن تمد يدها لهذه المقاومة ، فهل نريـد لحزب الله نفس هذا المصير ؟

لذلك يؤكد اللواء عفيفى أن التفكير فى نزع سلاح حزب الله يمثل خطـأ اسـتراتيجياً وسيضع القطر اللبنانى بأكمله تحت السيطرة والهيمنة الإسرائيلية،لذا فإدارة هذه الأزمة تتطلب اتخاذ الإجراءات الآتية :

أولاً : يجب أن يطرح هذا السؤال على الشعب اللبنانى ولا يدخل ذلك فى إطار الحكومة،وفى تقديرى أن هذا الطرح يحقق مساندة كاملة من الشعب اللبنانى لأبطال وعناصر حزب الله.

ثانياً : يجب العمل على وضع استراتيجية ترتبط بجس النبض تجاه إسرائيل وهنا نطرح السؤال : هل يمكن لإسرائيل أن تنسحب من مزارع شبعا خلال جدول زمنى محدد وأن يرتبط ذلك بوضع منطقة خالية ويُطلب من الأمم المتحدة وضع قوات دولية بين كلا الطرفين : اللبنانى والإسرائيلى ؟ وبالفعل ستخرج الإجابة من قبل إسرائيل بعدم الموافقة على ذلك .

ويؤكد اللواء د. وجيه عفيفى أنه ينبغى للعالم أجمع - وبخاصة المنافقين السياسيين منه داخل لبنان وخارجه – أن تقوم عليهم الحجة أن الحزب لم يوجه نيرانه فى يوم من الأيام إلى الشعب اللبنانى ولم تُستخدم قواه العسكريةَ للعمل على الوصول إلى الحكم أو الانقلابات العسكرية ، لأن الحزب وقياداته يقومون بالفعل بنوع من الجهاد المقدس ضد أعداء الله والوطن الذين دنسوا الأراضى العربية والإسلامية .

ثالثاً : يجب أن يجرى حوار علنى تشترك فيه عناصر من المنظمات المدنية اللبنانية ومراقبون من جامعة الدول العربية ، ويتم الاستعانة ببعض المراكز المتخصصة للقيام بدراسات ترتبط بنتائج هذه الأزمة طبقاً لمدى خطورة القرارات التى سيتم اتخاذها .

رابعاً : التأكيد على أن نزع سلاح حزب الله سوف يساعد الولايات المتحدة فى تنفيذ المخططات الصهيونية بالعمل على إنشاء قواعد عسكرية أميركية داخل لبنان ، ويبدو أن هناك عناصر لبنانية تسعى إلى تنفيذ هذه السياسة الأميركية فى الوقت الحالى ، خاصة أنها انشغلت بنوع من القضايا التى لا تقدم ولا تؤخر ونسيت الاحتلال الإسرائيلى .

ويضيف اللواء محمود خلف مستشار أكاديمية ناصر العسكرية العليا فى رأى مهم له : يجب أن تكون هناك نقاط أساسية يتم وضعها فى الاعتبار خاصة بالنسبة للبنان وسوريه وباقى الدول العربية فى اطار ما نراه من حملة أمريكية إسرائيلية على حزب الله وهى :

* إن منطق القوة هو الذى يجب أن يحكم العلاقات بين لبنان وسوريه مع إسرائيل.
* إن المقاومة اللبنانية " حزب الله " هى ورقة التوت الأخيرة فى الجسد العربى .
* إنه لولا وجود المقاومة اللبنانية المتمثلة فى حزب الله فى الجنوب اللبنانى لتكرر الغزو للبنان من قبل إسرائيل ، لأنه لولا وجود هذه المقاومة لكانت إسرائيل قد استغلت مقتل الحريرى لتعيد دخول لبنان .

وهناك نصيحة يقدمها " خلف " للعالم العربى ككل وهى ضرورة أن يكون هناك اقتناع لبنانى أولاً ، وعربى ثانياً ، باستمرار نهج حزب الله فى سياسته لحماية التراب اللبنانى ودعم المقاومة الفلسطينية ، أما الدولة اللبنانية ممثلة فى حكومتها الحالية فعليها أن تتريث فى قضية ترسيم الحدود فى منطقة مزارع شبعا خاصة أنها فى حالة إنهاء ترسيمها ، سوف تكون ذريعة للدول الغربية والعناصر المتشددة داخل لبنان لنزع سلاح المقاومة ، وكسباً للوقت فإنه يمكن أن يتم ترسيم الحدود ما بين لبنان وسوريه فى باقى المناطق الأخرى ودون تدخل دولى ، على أن تقوم سوريه بالوصول إلى تبادل للسفارات بينها وبين لبنان بشكل تدريجى يبدأ بفتح مكاتب رعاية مصالح أولاً ، ثم تمثيل ثقافى ثم تجارى ثم قنصلى ، ويتم تبادل السفراء عند الوصول إلى تسوية شاملة وعادلة مع إسرائيل .

ويؤكد اللواء خلف فى موضع آخر أنه يجب على الطائفة السنية فى لبنان أن تعلن صراحة دعمها لعدم نزع سلاح المقاومة ، وفى هذه الحالة تكون الغالبية الشعبية اللبنانية مساندة لعدم نزع سلاح المقاومة إلا بالوصول إلى التسوية العادلة والشاملة مع إسرائيل ، وفى نفس الوقت يجب أن يكون هناك موقف سورى ولبنانى شعبى شبه

موحد حيال عدم نزع سلاح المقاومة ، وأن تقوم سوريه من جانبها بتصعيد المطالبة بالجولان على فترات قصيرة ،إضافة إلى أنه يجب عليها تخفيف القيود على المعابر وعلى الصيد فى مياه البحر المتوسط .

أما الدولة اللبنانية فيجب عليها أن تقوم بمشروعات التعمير المتوقفة فى الجنوب ، على أن تعاونها سوريه ولو بدعم بسيط .

وعلى حزب الله الاستمرار فى سياسته الحالية ، مع العمل على تحسين صورته أمام العالم الغربى ، واستمرار التذكير بدوره فى إجلاء المحتل وفضح الممارسات الإسرائيلية ، خاصة المتعلقة بالاستيلاء على مياه لبنان .

وعلى الدول العربية والإسلامية – من وجهة نظر اللواء خلف – على الأقل ، أن تدعم معنوياً حزب الله حتى الوصول إلى تسوية عادلة وشاملة مع إسرائيل ، مع استمرار البحث عن المستفيد الحقيقى من اغتيال الحريرى ، ومع الاستمرار أيضاً فى توجيه الاتهام إلى المسؤول الرئيسى " غير المعلن " بطريق مباشر أو غير مباشر وهو العدو الإسرائيلى ، واستغلال الجاليات العربية فى فرنسا والولايات المتحدة والجاليات التركية والإيرانية فى ألمانيا ، ومن خلال خطة إعلامية شاملة يتم تنفيذها طبقاً لمجريات التصعيد السياسى والإعلامى الغربى فى تنفيذ القرار ١٥٥٩ ، وذات المعانى أكد عليها كلا اللواءين : صبرى العشرى وطلعت مسلم ونخبة من كبار الخبراء الاستراتيجيين فى مصر عندما استطلعت اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان (لجنة مصرية مستقلة) آراءهم حول أبعاد المؤامرة التى تحاك ضد حزب الله هذه الأيام إعلامياً وسياسياً وعسكرياً ، وفى المجمل ومن واقع رؤية هؤلاء الخبراء والمهتمين فإن النقطة الأساسية المطلوبة خلال هذه الفترة لحماية حزب الله هى امتلاك القدرة على الصمود وامتلاك إرادة المواجهة للضغوطات الخارجية والداخلية ضد الحزب ، لأن حزب الله اليوم لا يستطيع أحد أن ينزع سلاحه ، سواء كان شخص أم جهة ، بالطرق السياسية أو الدبلوماسية أو حتى العسكرية ، فنزع سلاح الحزب يتم فى

حالة واحدة وهى موافقة الحزب نفسه على ذلك ، فإذا توافرت له الإرادة – وهو بالفعل يملكها من خلال قياداته الأكثر وعياً وأخلاقاً بين القيادات العربية الراهنة – لن يتم نزع سلاحه ، حتى أمريكا نفسها لا يمكنها ذلك وهى تعلم ذلك سواء عسكرياً أو دبلوماسياً .

كما أن قوة الإرادة والصمود فى مواجهة أية تدخلات أو مؤامرات ضد سلاح الحزب هى الضمانة الرئيسية لحمايته وضمان استمراريته ، لأن الحزب استطاع أن يتحدى مؤامرات للالتفاف حول نزع سلاحه فى السابق بشتى الوسائل وبالتالى بإمكانه أن يتغلب على الجديد منها فقط المهم هنا هو الوعى بهذه الالتفافات مع الصلابة والصمود فى مواجهتها .

ومن المؤكد أنه لابد من وجود دعم عربى وإسلامى لحزب الله ، لأنه طالما أن سلاح الحزب موجه ضد الاحتلال الإسرائيلى فمن الواجب استمرار الدعم العربى والإسلامى له، وبالتالى يجب أن يستمر الحزب على نفس المنهج حتى يضمن استمرار هذا الدعم، خصوصاً فى ظل المكايد التى تهدف إلى تحويل سلاحه للداخل اللبنانى .

* إن حزب الله أخيراً سواء أراد (حازم صاغية) – وهو كاتب من المفترض أنه لبنانى وإن كان يعيش فى لندن – أو فضائية (ال – بى – سى) أم لم يردا يمثل ضمير الشعب اللبنانى، ورغم أن بعض القوى التى قد تكون توجهاتها مرتبطة بالخارج لا تريد ذلك ، فإن ضمير الشعب اللبنانى مع المقاومة ويدعم ذلك استمرار إسرائيل فى احتلال جزء غالٍ من الأراضى اللبنانية ، وحتى بفرض أن إسرائيل تركت الأراضى اللبنانية المحتلة ، سيكون من الطبيعى بقاء سلاح الحزب لتأمين الحدود اللبنانية مع إسرائيل أو أن يتفق الشعب اللبنانى فى اطار منظومة دفاعية لا تتعارض فيها المقاومة مع الجيش ، خاصة أن تجربة تعاونهما منذ العام ١٩٨٢ ، تجربة رائدة ، أما الأصوات النشاز من أمثال : وليد جنبلاط ، وسمير جعجع ومن لف لفهما من اعلاميين وسياسيين فمصيرها فى تقديرنا هو (الموت الذاتى) فالذى يعمل لصالح أجندة

غير لبنانية ، وغير عربية ، حتماً سيلفظه لبنان ، والعرب ، وسينخلع مــن هويتـه ، وهذا هو الموت بعينه ، أما الشرفاء الذين يقدمون أنفسهم وأولادهم للشهادة من أجـل الوطن ، فهم لا يحتاجون إلى شهادة حسن سير وسلوك وهكذا كان وهكذا سيظل الثائر القادم من الجنوب الانساني لمواجهة غزاة الشمال ، الثائر المعمم السيد حســن نصـر الله.

ملاحق

١ - خطاب الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله

مهرجان النصر والتحرير - بنت جبيل

الجمعة، ٢٦ أيار - مايو ٢٠٠٠ (*)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم.والحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا، حبيب قلوبنا وشفيع ذنوبنا، أبي القاسم محمد بن عبد الله، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين وعلى جميع أنبياء الله المرسلين وعلى جميع الشهداء والمجاهدين في سبيل الله، منذ آدم إلى قيام يوم الدين.

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

"إن فرعون علا في الأرض، وجعل أهلها شيعا، يستضعف طائفة منهم، يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، إنه كان من المفسدين* ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض، ونجعلهم أئمة، ونجعلهم الوارثين * ونمكّن لهم في الأرض، ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون" [٤-٦ القصص]

أيها الإخوة والأخوات،في يوم المقاومة والتحرير، في يوم الانتصار التاريخي العظيم والكبير، نلتقي هنا في عمق المنطقة التي استعادت الوطن واستعادها الوطن، في أجواء

---

* هذا الكتاب يمثل أهمية سياسية واعلامية كبيرة سواء لمناسبته (يوم التحرير) أو لمضمونه الذى حمل رؤية استراتيجية هامة وعميقة لمستقبل الصراع مع العدو الصهيوني . أما الخطابات التالية فهي تقدم رؤية مهمة لقيادة حزب الله أثناء أزمة اغتيال رفيق الحريري وما بعدها (المؤلف)

أربعين أبي عبد الله سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، لنؤكد من جديد مقولته وخطه، لنثبت من جديد أنّ الدم هنا ينتصر على السيف، وأنّ الدم هنا قهر السيف وهزمه، وأنّ الدم هنا حطّم كل قيد، وأنّ الدم هنا أذلّ كل طاغية ومستكبر.

نلتقي هنا لنحتفل بالنصر الذي صنعته الشهادة، وصنعته الدماء. عندما نتحدث عن هذا النصر، عن تحرير الأرض، عن حرية الإنسان، عن كرامة الوطن، عن عزّة الأمة.. يجب أن نتذكر كل أولئك الذين ساهموا في صنع هذا النصر. قبل كل شيء وبعد كل شيء، نحن عباد الله نعلن أمام العالم كله أن هذا النصر من الله سبحانه وتعالى، هو الذي هدانا إلى طريق المقاومة، هو الذي دلّنا سواء السبيل، هو الذي ثبّت قلوبنا منذ سنوات طويلة، هو الذي ملأ قلوبنا طمأنينة وأنفسنا عشقاً للشهادة وهو الذي ألقى في قلوب أعدائنا الرعب. هو الذي رمى وهو الذي أصاب، هو الذي دمّر المواقع، هو الذي هدم الحصون، هو الذي قتل الجبابرة، وهو الذي صنع هذا النصر. الله، سبحانه وتعالى، الذي نشكره ونحمده ونسبّحه ونستغفره ونتوب إليه ونخضع له وندعوه أن يتم لنا نصرنا بأن يحرر كل الأرض وكل الإخوة وكل هذه الأمة المعذبة والمظلومة.

أيها الإخوة والأخوات،وعندما نأتي إلى الخلائق، لابد أن نذكر أولاً الشهداء، كل الشهداء، شهداء المقاومة من حزب الله وحركة أمل والقوى الوطنية اللبنانية، شهداء الجيش اللبناني والجيش العربي السوري، وشهداء المقاومة الفلسطينية. لا بد أن نتذكر النساء والأطفال في قانا والمنصوري وسحمر والنبطية الفوقا وغيرها. لابد أن نعترف لهؤلاء الشهداء بالفضل الأول والأكبر بعد الله سبحانه وتعالى. لسيد شهداء المقاومة الإسلامية، السيد عباس الموسوي، لشيخ شهدائها الشيخ راغب حرب، ولأخ عزيز كان عاشقاً للشهادة، مقاوماً مجاهداً جندياً مجهولاً، هو فضيلة الشيخ المقاوم والمجاهد الشيخ أحمد يحيى، الذي قضى في الأيام الأخيرة، وهو كان قبل أيامٍ قليلة في بلدة بدنايل في ذكرى "الشهيد الحج كربلاء" يعاتبني أنني لم أفتح له فرصة اللقاء بالشهداء، وكان هذا الشيخ المجاهد والطاهر والعابد، كان يصر أن يكون أول شيخ ينفذ عملية استشهادية

في تاريخ الصراع مع العدو الإسرائيلي.. يجب أن نعترف لهؤلاء الاستشهاديين، من أحمد قصير إلى بلال فحص إلى عمار حمود: هذه الدماء الزكيّة صنعت النصر، يجب أن نعترف للمجاهدين المقاومين المضحين الذين تركوا الديار والأهل والجامعات والمصانع والمزارع وتفرغوا وقضوا زهرة شبابهم وعمرهم في القتال والجهاد. يجب أن نذكر عوائل الشهداء. يجب أن نذكر الأسرى الذين ما زالوا في السجون والذين خرجوا من السجون. يجب أن نذكر الجرحى. وعوائل هؤلاء جميعاً.

يجب أن نذكر كل من ربّى وهيّأ وأسّس لهذا الخط الجهادي المقاوم في لبنان، يجب أن نذكر إمام المجاهدين والشهداء الإمام السيد روح الله الموسوي الخميني (قده)، يجب أن نذكر أول مؤسس لخط المقاومة على الأرض اللبنانية سماحة الإمام المغيّب السيد موسى الصدر (أعاده الله بخير). يجب أن نذكر كل العلماء المجاهدين المضحّين وكل المربين والمفكرين وكل الذين عملوا ليكون هنا في لبنان شعب مؤمن ومجاهد ومقاوم وصامد ومستعد للتضحية.

يجب أن نذكر سكان الشريط الذين عانوا وتحملوا وذاقوا الويلات، وسكان قرى خطوط المواجهة الذي كانوا يُقصفون في كل يوم، ولم يهنأ لهم عيش ولا حياة.

ويجب أن نذكر الموقف الشعبي العام المحتضن للمقاومة: القوى السياسية والجمعيات والشخصيات والأحزاب والنوادي. يجب أن نشيد بالموقف الرسمي العام وخصوصاً في ظل هذا العهد، عهد فخامة الرئيس العماد إميل لحود، وفي ظل هذه الحكومة، حكومة دولة الرئيس سليم الحص.

وإلى جانب لبنان، هناك رجلان يجب أن يُذكرا، وهناك دولتان يجب أن يُعترف لهما بالفضل وأن يُنسب النصر إليهما أيضاً. أعني: الجمهورية الإسلامية في إيران، وسوريه الأسد، والقائد الخامنئي، والقائد العربي الكبير الرئيس حافظ الأسد. هذه حقيقة، من أراد أن يكون منصفاً وعادلاً في تشخيص الحقائق، يجب أن يعترف بهذه الحقيقة.

القائد آية الله العظمى السيد الخامنئي الذي أيّد ودعم وساند ودعا لهؤلاء المجاهدين في الليل وفي النهار حتى ينصرهم الله، والجمهورية الإسلامية التي وقفت إلى جانب لبنان وسوريه وفلسطين، ودعمت، وتحملت الكثير من أشكال التهويل والتهديد من جهة، وأشكال الترغيب والإغراء من جهة أخرى، حتى تتخلى عن دعمها للبنان ولسوريه وللشعب الفلسطيني، فرفضت لأن الموقف هنا هو موقف عقائدي، هو موقف إيماني، هو موقف أخلاقي وإنساني، فوق كل حسابات المصالح السياسية.

وسوريه الأسد التي حمت المقاومة واحتضنتها وحرستها منذ الانطلاقة الأولى وعلى كل المفاصل الصعبة. من يمكن أن ينسى سوريه سنة ١٩٨٢ وهي تقاتل على الأرض اللبنانية؟ من يمكن أن ينسى الرئيس الأسد في حرب تموز ١٩٩٣؟ من يمكن أن ينساه في حرب نيسان ١٩٩٦؟ من يمكن أن ينساه صلباً صامداً في دمشق وقد احتشد العالم كله في "شرم الشيخ" لإدانه المقاومة ووصفها بالإرهاب وللدفاع عن "إسرائيل"؟

إنني هنا في يوم النصر، في يوم المقاومة والتحرير، أقدم الشكر باسمكم جميعاً لكل لبناني ولكل عربي ولكل مسلم ولكل إنسان حر في هذا العالم ساند المقاومة ووقف إلى جانبها ودعمها بالكلمة، بالموقف، بالقلم، بالمال، بالدعاء، بالتأييد، بالابتسامة. لا يمكنني أن أنسى طلاب الجامعات في الدول العربية، والمشهد المؤثر لطلاب جامعة بيرزيت الذين رفضوا أن يتهم حزب الله بأنه إرهاب.

نحن اليوم في بنت جبيل وإياكم واللبنانيون جميعاً هنا نحتفل بنصرين وليس بنصرٍ واحد.

النصر الأول تحرير جزء كبير من أرضنا وجزء كبير من معتقلي سجون الاحتلال وإلحاق الهزيمة بالعدو بفضل الجهاد والمقاومة والصمود والتضحيات، نحن هنا اليوم ننعم بالحرية والأمان ولا تجرؤ طائرات العدو أن تأتي فوقكم، وأنا أقول لكم ذلك، الذين يخافون ويرتعبون من مجسم خشب.. لعبة.. تمثال لمنصّة كاتيوشا في كفركلا هم أجبن من أن يأتوا إليكم في مثل هذا اليوم. اليوم نحن هنا في أرضنا بفضل دماء

شهدائنا، بفضل شعبنا، بفضل الصمود والمقاومة. ليس منّة من أحد، لا من الأمم المتحدة التي عجزت عن تنفيذ قرارها ٤٢٥ مدة ٢٢ سنة. ليس منّة من مجلس الأمن الدولي. وليس منّة من الحكَم غير النزيه (الولايات المتحدة الأميركية)، ليس منّة من المفاوضات. وأيضاً بالتأكيد ليس منّة ولا فضلاً من حكومة باراك الذي خرج من هذه الأرض لأنه لم يكن أمامه سوى خيار واحد وهو الخروج من هذه الأرض. هذا الشعب، هذه الأمة، هذه التضحيات هي التي أعادت وللمرة الأولى أرضاً عربية بالكامل بفعل القوة والمقاومة، وألحقت أول هزيمة تاريخية بهذا العدو الصهيوني المتغطرس. هذا النصر الأول يؤسس لحقبة جديدة ويشطب خلفه حقبة تاريخية ماضية. والنصر الثاني هو كيفية فرض الانسحاب على العدو. أنتم فرضتم عليه التوقيت.. أنتم فرضتم عليه التكتيك.. أنتم فرضتم عليه الكيفية... وأنتم أثبتم، بعد الانسحاب، أنكم شعبٌ لائق بالنصر. لقد كان الإسرائيلي يخطط ليكون انسحابه بعد عدة أسابيع، ويسلّم تدريجياً مواقعه لميليشيا لحد، ويحتفظ ببعض المواقع كقلعة الشقيف والدبشة وبعض المواقع الحدودية، حتى إذا ما قرر مجلس الأمن ما يريد أن يفعل وجاءت قوات الطوارئ تستلم ليتأمن انسحاب هادئ كريم لهذا العدو ليمنّ علينا بإطلاق أسرانا في معتقل الخيام، لكن هذا رفضتموه أنتم ، وكان الاقتحام الأول لبلدة القنطرة ودير سريان والقصير والطيبة، وبدأت البلدات تتحرر والمواقع تسقط وميليشيات لحد تنهار (الواحدة تلو الأخرى)، وفي ليلة واحدة أصبح الشريط الحدودي، أو ما يسميه الصهاينة "الحزام الأمني"، نصفين، وبدأ الانهيار الشامل، واجتمعت حكومة العدو المصغّرة، ووجدت نفسها أمام خيارين: إما أن تعود إلى احتلال المواقع لتواجه المقاومة والمزيد من الخسائر، وإما أن تسرّع بانسحابها، فاختارت الثانية وخرجت على عجل، وتركت لكم كل هذه الدبابات والملالات والمواقع والمدافع، لتؤكد أن ما جرى في جنوب لبنان هو هزيمة إسرائيلية كاملة.

أنتم فرضتم على العدو شكل الانسحاب ووقته، وأسقطتم لغم العدو في ميليشيا أنطوان لحد، هو كان يراهن على أن تتمترس هذه الميليشيا في مواقعها وتطلق النار، ثم يدخل موفد الأمم المتحدة للتفاوض مع الدولة، وفي مقابل إخلاء المواقع يحصل العملاء المجرمون والخونة على العفو. هذا الأمر انتهى أيضاً، انتهى بأذلّ صورة ممكنة لهؤلاء العملاء الذين شاهدتم صورهم، صور إذلالهم عند بوابات فلسطين المحتلة، وشاهدتم كيف تخلى عنهم هذا العدو.

ثم بعد ذلك كان العالم وكان العدو الإسرائيلي نفسه يراهن على أن هذه المنطقة لن تسعد بنصر ولن تحتفل بتحرير. كان يراهن أن هذه المنطقة سوف تدخل في ظلام دامس وفي فتن لا حدود لها.. ستذهب العائلات في هذه القرية لتنتقم من عائلات في القرية نفسها أو غيرها.. أو هذه الطائفة ستعتدي على هذه الطائفة. تصور العدو أن المنطقة سوف تُهدم فيها بلدات (كما هُدمت بلدة حانين) وتُسفك فيها دماء وتُرتكب فيها مجازر، ولكنكم أثبتم وأثبتت المقاومة، بالانسجام مع الدولة اللبنانية، أنّ شعب لبنان ودولة لبنان ومقاومة لبنان وكل الطوائف في لبنان هم جديرون بالنصر، وهم يحتفلون بالنصر.

هذه المنطقة بعد إسرائيل دخلت في موسم النور وخرجت من عصر الظلام بعد ٢٢ سنة من الاضطهاد واعتقال آلاف المواطنين من قبل ميليشيا لحد الذين أهلهم وعيالهم مازالوا هنا، برغم تدمير البيوت والقمع والقهر: هل قُتل رجل واحد؟ لقد قلت قبل أيام: عندما انهار الجيش النازي في فرنسا، أقدمت المقاومة الفرنسية "المتحضرة" على إعدام عشرة آلاف عميل فرنسي من دون محاكمة. إنّ المقاومة في لبنان ولبنان هو أكثر حضارية من فرنسا وكل هذا العالم!

هل قُتل أحد؟ هل ضُرب أحد؟ هل سُفكت قطرة دم واحدة على امتداد هذه الأرض؟ هذا هو المشهد المثالي الذي أذهل العالم.. هذا النصر العسكري والسياسي الذي تحقق. نعم، قد تحصل أخطاء. هم دُهشوا في العالم لأنهم يعرفون أنه في مثل هذه الحالات في

بقية أماكن العالم يحصل قتل، تدمير، مجازر، سرقات، نهب... لكن ماذا حصل عندنا؟ يمكن أن تكون حصلت بعض الأخطاء من قبل لصوص، من قبل متسللين، ولكن هذا جزء بسيط من الصورة. لماذا يصر البعض أن يضعنا أمام مشهدين: مشهد حضاري بهذه العظمة، وبنفس الحجم والمستوى بأن هناك بعض الأخطاء حصلت في هذه المنطقة؟ أقول للبعض: اخرجوا من مخاوفكم.. اخرجوا من أحقادكم.. كونوا لبنانيين حقاً ووطنيين حقاً في هذه اللحظة التاريخية!! هذا هو النصر الثاني الذي تحقق.

أيها الإخوة والأخوات،أمام هذين النصرين الكبيرين عدد من النقاط الواجب إثارتها:

أولاً) يجب الحفاظ على هذا الإنجاز وهذا الانتصار، ويجب تقويته وتحصينه، وهذا يحتاج إلى جهد وتضحية أكبر، وإلى تواضع كبير أيضاً من الجميع.

ثانياً) علينا أن نثبت هذه المنطقة أننا لانتقون بالنصر، وقد أثبتنا ذلك خلال الأيام الماضية، لكن لا تسمحوا لأحد في الأيام والأسابيع المقبلة بأن يدخل على الخط. أنا لا أتحدث عن مخاوف، ولكننا في جوار عدو لا يمكنه أن يتحمل كل هذه البهجة في وجوهكم، وهو الذي اعتاد أن يراها متألمة حزينة.. لا يمكنه أن يرى الفرح في عيونكم، وهو الذي اعتاد أن يراها دامعة.. هنا: يجب أن لا يكون هناك مخاوف لدى أحد، لا من المسيحيين ولا من المسلمين، لن أدخل في تعداد القرى والبلدات، ولكن أقول: هذه مسؤولية الجميع، الكل يجب أن يتحمل المسؤولية، فإن حصلت مسألة بسيطة نحلها، عندما نضخمها نكون قد ضيّعنا الفرصة، وضربنا العيش المشترك، فلنبق الأمور في أحجامها الحقيقية، هذه المنطقة بحاجة إلى تحصين بعد كل هذا التاريخ المظلم، مسؤولية رجال الدين المسلمين والمسيحيين، والقوى السياسية الموجودة في المنطقة، والفاعليات والوجهاء والمثقفين وأهلنا جميعاً.. أن يعملوا على لملمة الجراح في كل بلدة وفي كل قرية وبين العائلات جميعاً.

ثالثاً) العملاء هم عبرة للبنانيين جميعاً، وهذه تجربة جديدة، وشاهدتم كيف أُذلّ هؤلاء، كيف يتهمون قائدهم بخيانتهم. أنطوان لحد العميل يقول: "لقد أخلصنا لـ إسرائيل ٢٥

سنة وخانتنا وتركتنا في ليلة واحدة". هذه يجب أن تكون عبرة لكل لبناني مسلم ومسيحي أنّ إسرائيل لا يعنيها ولا يهمها أحد في لبنان. هي تكذب على المسيحيين وتكذب على المسلمين عندما تدعي الحرص عليهم. ما يهم إسرائيل في لبنان والمنطقة مصالحها ومنافعها وأطماعها. نحن المسلمين والمسيحيين، في نظر هؤلاء الصهاينة، مجرد خدم وعبيد لشعب الله المختار. أما آن لبعض اللبنانيين لأن يفهموا هذه الحقيقية وأن يستفيدوا من كل هذه العبر؟ يجب على اللبنانيين أن يعرفوا أنّ خيارهم يجب أن يكون خياراً وطنياً، ألا يخطئوا في الحسابات الطائفية فتؤدي بهم إلى إسرائيل. إنّ مصلحة كل الطوائف في لبنان أن يكون خيارها وطنياً.. أن يكون خيارها عربياً.

رابعاً) لتحصين الأمن القومي في لبنان، ولتحصين هذه المنطقة، يجب أن يعاقب العملاء أمام القضاء، ويجب أن يحاسَبوا وأن يُنزل بهم أشد العقاب ليكونوا عبرة للمستقبل، لكي لا يكون في هذه المنطقة أي لغم أو فتيل للتفجير يمكن أن يستفيد منه أحد: إما متحسس ثائر أو حاقد متربص.

خامساً) أعلن من هنا في يوم النصر، بالنسبة إلى هذه المنطقة، أننا في حزب الله لسنا في وارد أن نكون بديلاً عن الدولة، لسنا سلطة أمنية، ولن نكون سلطة أمنية، لسنا مرجعية أمنية، ولن نكون مرجعية أمنية، الدولة هي المسؤولة، هذه المنطقة عادت إلى سيادة الدولة، والدولة هي التي تقرر من سترسل: قوى الأمن، تعزز المخافر، ترسل أجهزة أمنية أخرى، نحن لا نتحمل أي مسؤولية أمنية في هذه المنطقة على الإطلاق.

سادساً) المسؤولية الانمائية والإعمارية.. حجم الخراب في هذه المنطقة يحتاج إلى دولة. طبعاً حزب الله قدّم دماً وتضحيات، ونحن من خبز المجاهدين سنمد يد المساعدة إلى هذه المناطق، ولكن المسؤولية هي مسؤولية الدولة، والدولة يجب أن تتعاطى مع هذه المنطقة على المستوى الإنمائي بشكل طارئ واستثنائي. وهنا أؤكد أن حجم العمل المطلوب إنمائيا وإعمارياً وخدماتياً هو أكبر من أي مؤسسة، هو أكبر من أي وزارة ، يجب أن تستنفر كل وزارات الدولة لتأتي إلى هنا وتتحمل مسؤوليتها هنا، يعني: المناطق المحررة من

الجنوب والبقاع الغربي، يعني قرى المواجهة التي تحملت عبء المقاومة أكثر من غيرها لأنها كانت موضع القصف والعدوان والهجوم المستمر.

لكن، اسمحوا لي هنا في بنت جبيل وفي جبل عامل أن أكون وفياً لمنطقة أخرى. عندما نتحدث عن إنماء هذه المناطق كجزء من إنمائها وإعادة أعمارها فهناك منطقة لها فضل كبير في هذه المقاومة، وهي منطقة بعلبك الهرمل، هذه المنطقة التي تأسست فيها المقاومة الإسلامية واحتضنت المجاهدين من الجنوب وبيروت في بعلبك هي التي تعرضت بشكل دائم للقصف الجوي وخسرت على المستوى الإنمائي والاقتصادي وقدمت المئات من أبنائها شهداء، ومن الصعب أن نجد قرية في منطقة بعلبك الهرمل خصوصاً والبقاع عموماً ليس فيها شهداء سقطوا من أجل تحرير الجنوب والبقاع الغربي. هذه المنطقة التي صبرت طوال السنين الماضية لأن أولويتها كانت التحرير، كانت مقتنعة معنا بأن أولوية التحرير جديرة بالصبر والتحمل، ابن بعلبك الهرمل الذي قدم دم ولده لتحرير الجنوب صبر على الجوع والحرمان، والآن إنماء هذه المنطقة يجب أن يتلازم مع إنماء تلك المنطقة، وعند الحديث عن لجنة طوارئ، يجب أن نتحدث عن لجنة طوارئ للمنطقتين إذا كنا نريد أن نكون أوفياء للمستضعفين والمحرومين والمعذبين والفقراء الذين قاتلوا وصنعوا هذا النصر.

سابعاً) أقول للبنانيين جميعاً، يجب أن تتعاطوا على أساس أن هذا انتصار لكل اللبنانيين، ليس انتصار حزب ولا حركة ولا تنظيم، هذا ليس انتصار طائفة وانهزام طائفة. مخطئ وجاهل من يظن ذلك أو يقول ذلك. هذا انتصار للبنان، وهذه المقاومة كانت قوة للوطن، وستبقى قوة للوطن. هذه المقاومة عندما كانت تنتصر كانت تتواضع، وعندما كانت ترتفع بالشهداء كانت تتواضع. وأنا أقول لكم: ستجدون حزب الله والمقاومة الإسلامية بالتحديد أكثر تواضعاً من أي زمن مضى، لأننا في هذا النصر نشعر بعظمة ربّنا وقوّته وجبروته وقدرته، وكم نحن البشر ضعافاً، إذا اتكلنا على أنفسنا نبقى مهزومين، إذا اتكلنا على الله فإنّ الله هو العزيز الجبار. وأنا أعدكم بأنه لن

يُستخدم هذا النصر في يد أحد على حساب هذا الوطن وعلى حساب أي جزء من شعب هذا الوطن العزيز.

ثامناً) اليوم باراك يدعو لبنان إلى اعتبار الانسحاب رسالة سلام! هذا خداع.. هو خرج من دون خيارات، ثم يدعونا إلى اعتبار الانسحاب سلاماً بعد قتل عشرات الآلاف من المدنيين، بعد ما لا يقل عن ١٢٧٦ شهيداً من حزب الله، وإذا ضممنا إليهم آلاف الشهداء من بقية الإخوة في القوى الإسلامية والوطنية اللبنانية ماذا تكون المحصلة؟ بعد عشرات الآلاف من المدنيين الذين قُتلوا في لبنان، بعد أن دُمّر بلدنا واقتصادنا، وهو مازال يحتجز أسرانا في سجونه، ومازال يحتل أرضاً عزيزة علينا هي مزارع شبعا، وهو في الوقت الذي يستقبل فيه المهاجر اليهودي الروسي رقم مليون ويعلن استعداده لتستقبل فلسطين مليون مهاجر في السنوات المقبلة يرفض أن يعيد اللاجئين الفلسطينيين في لبنان وغيره إلى ديارهم وبيوتهم وحقولهم.

عن أي رسالة سلام يتحدث باراك ثم يبدأ بالتهديد والتهويل على لبنان؟ أمام تهويله ووعيده ووعده أقول لكم: الشيخ عبد الكريم عبيد وأبو علي الديراني وسمير القنطار، وكل أسير في السجون الإسرائيلية سيعودون إليكم قريباً إن شاء الله. لا يوجد خيار أمام باراك وحكومته، أنصحه بأن يخرج من مزارع شبعاً ويفض هذه المشكلة، وستُثبت الأيام أنه ليس لديه خيار آخر، ونحن لا تعنينا القرارات الدولية، إنّما نفهم أنّ هناك أرضاً لبنانية محتلة يجب أن تعود إلى لبنان، الأسرى سيعودون، وبقية الأرض ستتحرر، ولن يكون هناك خيارات أمام هذا العدو المهزوم في لبنان.

أما التهديد والوعيد الإسرائيلي فلا نخاف منه اليوم... هم الخائفون على امتداد هذه الحدود وهذا الشريط. لقد خافوا من بعض النساء والأطفال الذين يقفون على الحاجز الحديدي... يخافون من حجر يرمى عليهم... أنتم الآن هنا في بنت جبيل آمنون سعداء، وهم على امتداد مستعمرات شمال فلسطين المحتلة خائفون ومرتعبون أمام المستقبل المجهول... لقد انتهى الزمن الذي كنا نخاف فيه من التهويل والتهديد

الإسرائيلي، وهو يعرف أن الزمن الذي كانت فيه تستبيح طائراته سماءنا قد ولى، وأن الزمن الذي كانت تستبيح دباباته أرضنا قد ولى، وأن الزمن الذي كانت تستبيح فيه زوارقه مياهنا الإقليمية قد ولى، وإنّ أي اعتداء على لبنان لن يقابَل بشكوى إلى مجلس الأمن (من مجلس الأمن هذا؟!) ولا بالدموع... لن يقابَل إلا بالمقاومة.. "إسرائيل" إذا اعتدت على لبنان ستدفع أثماناً غالية.

تاسعاً) أيها الإخوة والأخوات، أيها اللبنانيون، أنتم أمام استحقاقات كبيرة، استحقاق استكمال التحرير، واستكمال استعادة الأسرى، واستكمال بناء مؤسسات الدولة... بهذا الانسجام بين المقاومة والدولة، بهذا الإحساس بالمسؤولية الوطنية، بهذا التوحد حول الوطن يمكننا أن نواجه كل الاستحقاقات ونبني لأنفسنا ولأجيالنا القادمة وطناً اسمه لبنان. لبنان الجديد قوّته في قوّته، قوّته في دمه، قوّته في صموده، قوّته في جبروته، قوّته في رفعته وعصيانه على كل الأعاصير والعواصف. لبنان الجديد وطن للعيش المشترك الحقيقي، فلن يسمح بعد اليوم مسلم ولا مسيحي للصهاينة بأن يلعبوا بنا.. بأجيالنا.. بشبابنا.. لبنان الجديد هو وطن للشدة في وجه الغزاة، ووطن للرحمة في تعاطي أهله وفئاته وطوائفه بعضهم مع بعض .

عاشراً) هذا النصر نقدّمه لشعبنا المظلوم في فلسطين المحتلة ولشعوب أمتنا العربية والإسلامية. ومن هنا، من بنت جبيل المحررة، أخاطب شعب فلسطين المظلوم المعذب المضطهد.

يا شعبنا في فلسطين: مصيرك بيدك، أرضك تستطيع أن تستعيدها بإرادتك، بخيار عز الدين القسّام، بدماء فتحي الشقاقي ويحيى عياش، يمكنك أن تستعيد أرضك، من دون أن يمن عليك هذا الصهيوني بزاروب هنا أو قرية هناك. يمكنكم أن تعيدوا أهلكم إلى ديارهم بفخر واعتزاز من دون توسل لأحد. أنتم تستطيعون أن تستعيدوا أرضكم وحقوقكم المشروعة حتى لو تخلى عنكم كل العالم. دعوا هذه الأدلة والحجج جانباً. إنّ طريق فلسطين، يا شعب فلسطين، إن طريقكم إلى الحرية، هو طريق المقاومة والانتفاضة،

المقاومة الجادة والانتفاضة الحقيقية، لا الانتفاضة في إطار أوسلو، ولا الانتفاضة في خدمة المفاوض المتنازل في ستوكهولم.. الانتفاضة والمقاومة التي لا ترضى إلا بالحق كاملاً كما في لبنان. في لبنان: كل لبنان يرفض أن يبقى جزء بسيط من أرضه تحت الاحتلال. هذا النموذج اللبناني الراقي نقدمه لشعبنا في فلسطين. لتحرير أرضكم لستم بحاجة إلى دبابات ولا إلى توازن استراتيجي، ولا إلى صواريخ، ولا إلى طائرات، ولا إلى مدافع، بل على طريقة الاستشهاديين الماضين الذين هزوا الكيان الصهيوني الغاصب وأرعبوه، يمكنكم أن تستعيدوا أرضكم. أنتم أيها الفلسطينيون المظلومون والعزل والمحاصَرون، يمكنكم أن تفرضوا على الغزاة الصهاينة أن يعودوا من حيث أتوا.. فليذهب الفالاشا إلى أثيوبيا، فليعد اليهود الروس إلى روسيا.. الخيار عندكم والنموذج ماثل أمام أعينكم: المقاومة الصادقة والجادة يمكنها أن تصنع لكم فجر الحرية. يا إخواننا وأحباءنا في فلسطين.

أقول لكم يا شعبنا في فلسطين: إنّ إسرائيل هذه التي تملك أسلحة نووية وأقوى سلاح جو في المنطقة، والله هي أوهن من بيت العنكبوت!

لكن إذا كنتم تريدون الاعتماد على الاتحاد السوفياتي كما كان في السابق فلن تصلوا إلى نتيجة، إذا كنتم تنتظرون المجتمع الدولي فلن تصلوا إلى نتيجة، إذا كنتم تراهنون على المعادلات فلن تصلوا إلى نتيجة.

يا شعب فلسطين: إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم، يا شعب فلسطين: إن ينصركم الله فلا غالب لكم.

وأقول لشعوبنا العربية والإسلامية: أيتها الأمة العربية، يا عالمنا العربي والإسلامي، الخزي والهزيمة والذل والعار من الماضي هذا الانتصار يؤسس لحقبة تاريخية جديدة ويقفل الباب على حقبة تاريخية ماضية.. ضعوا اليأس جانباً وتسلحوا بالأمل، ضعوا الوهن جانباً واشحذوا الهمم والعزائم. إنني اليوم، باسم كل الشهداء في لبنان، باسم كل المظلومين في لبنان، أطالب الحكومات العربية، بالحد الأدنى، أن توقف التطبيع مع إسرائيل، أن تقطع علاقاتها بـ "إسرائيل"، أن تفرض موقفها وقرارها على إسرائيل.

وأطالب الشعوب العربية بأن تقف إلى جانب فلسطين وشعب فلسطين، وأن ترفض أي شكل من أشكال التطبيع مع هذا العدو.. إسرائيل الكبرى هزمتها المقاومة، إسرائيل العظمى تهزمها المقاومة، وأحد أشكالها المهمة مقاومة التطبيع.

في لبنان، لبنان الانتصار، لبنان العزة القومية والعربية الإسلامية، لبنان الشرف، لبنان التضحية، لبنان المقاومة، لبنان الشهادة.. أحيي كل المقاومين المدافعين عن هذا البلد، أقول لهم: أقول للمقاومة الإسلامية، للسرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال، لأفواج المقاومة اللبنانية أمل، لجبهة المقاومة الوطنية.. ومن ورائهم هذا الشعب، أيها اللبنانيون: نحن في جوار عدو متآمر، طبعهم العدوان والإرهاب، طبعهم العنصري يفرض عليهم التآمر الدائم، ولذلك يجب أن نبقى جميعاً في جهوزية دائمة نحفظ مقاومتنا ونحفظ جيشنا ونحفظ دولتنا ونحفظ وحدتنا الوطنية والداخلية، لنحصّن هذا النصر، ولنثبت أن لبنان هو القلعة التي لا يمكن أن تهزمها العواصف ولا الأعاصير ولا يمكن أن تشقّها أعتى الزلازل..

مبارك للبنانيين والعرب والمسلمين والمسيحيين ولكل المظلومين في العالم، مبارك لروح الإمام الخميني، لموسى الصدر، للقائد الخامنئي، للرئيس الأسد، لكل لبناني، لكل شهيد، لكل عربي شريف، مبارك هذا النصر الذي وضع الأمة كلها على بوابة مرحلة الانتصارات الآتية ووضع إسرائيل على بوابة مرحلة الهزائم الآتية

وكل نصر وكل عيد وأنتم بخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ملحق رقم (٢)

خطابات السيد حسن نصر الله خلال شهر فبراير / شباط ٢٠٠٦

ندافع عن النبي بالدم .. والمؤامرة الأمريكية على لبنان مستمرة

(نص الكلمة التي القاها الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله في مسيرة اليوم العاشر من محرم – ١٤٢٧ هـ - الموافق ٢٠٠٦/٢/١٠)

السادة العلماء السادة الوزراء الإخوة والأخوات ،في البداية اعتذر من الإخوة والأخوات الذين ما زالوا في المسيرة ولكننا مضطرون للبدء في الكلمة نظرا للاحتشاد ولظروف الطقس ،اود ان اؤكد للإخوة والأخوات الحاضرين هنا ،ان مسيرة الرجال لم تنتهِ بعد وما زالت عند المشرفية والإخوان ما زالوا على جادة الشهيد هادي .

في البداية أود أن أتوجه اليكم جميعا ،الى السادة العلماء ،والإخوة والأخوات ،والى الرجال والنساء ،والكبار والصغار ،جزاكم الله عن نبيكم خير الجزاء ،وجزاكم الله عن أهل بيت نبيكم خير جزاء ،جزاكم الله عن شهداء كربلاء وسبايا كربلاء خير الجزاء ، لساننا عاجز عن توجيه الشكر اليكم ،انتم الذين خرجتم منذ الصباح الباكر .وتحملتم كل هذه الأوضاع وصبرتم وما زال إخوانكم وأخواتكم يواصلون الطريق ،تحت المطر وفي البرد ،ورغم كل هذه الظروف القاسية والصعبة ،كنت اشاهدكم عندما يهطل المطر يقوى الصوت وتندفع القبضات اكثر في اشارة التحدي ،هكذا كنتم دائما كنتم موضع الامل وعند حسن ظن نبيكم وأنتم الممتحنون ،والمبتلون ،ليس في النزول الى الشارع ،وليس في المشي تحت المطر وانما انتم الذين نجحتم في امتحان عطاء الدم ، وقدمتم اخوانكم وأبناءكم وابائكم وفلذات اكبادكم ،ارواحا طاهرة في لبنان في المقاومة دفاعا عن لبنان وعن كرامتكم وعن وطنكم وعن شعبكم وعن دينكم وعن رسالتكم . لذلك ليس لي سوى أن اسأل الله ان يتقبل منكم ويجزيكم احسن جزاء المحسنين والمجاهدين والصالحين والعاملين والمدافعين عن كرامة نبيهم (صلى الله عليه وسلم) والمحبين لأمر آل بيت النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذا اليوم انتم تثبتون ان دم الحسين الذي سفك في مثل هذه الساعات هو دم منتصر .أنتم من خلال حضوركم

بمئات الالاف .انتم تقولون لسيدكم الامام الحسين (ع) ان دمك الذي سفك من أجل دين محمد واسم محمد ونبوة محمد ها هو دينه (واسمه ونبوته) ما زال حاضرا قويا حيا وما زالت الاجيال على امتداد التاريخ تنتمي اليه وتقتدي بهداه وتدافع عنه .

تعودنا في يوم عاشوراء أن نقف لنكرر كلمات الدروس التاريخية العظيمة واعظم ما تعلمنا من الامام الحسين من اباء الحسين .. من ثبات الحسين .. ومن تضحيات الحسين .. ومن عطاء الحسين بلا حدود تعلمنا منه رفض الذل اليوم المستكبرون والطغاة يريدون اذلال هذه الامة من خلال اهانة نبيكم .ونحن امة لا ترضى الذل امة لا حياة لها بلا عز ولا معنى لها بلا كرامة .في يوم عاشوراء الامام الحسين تعلمنا من الامام الحسين ان نكرر ونقول "والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا اقر اقرار العبيد "نقول اليوم للذين يهينون نبينا ويذلون امتنا اذا وضعتمونا بين السلة والذلة .فنحن طلاب وتلامذة مدرسة كربلاء نواجهكم بقول سيدنا الحسين (ع) " ألا ان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين ،بين السلة والذلة " ،وهيهات منا الذلة .اليوم ندافع عن كرامة نبينا بالكلمة بالمظاهرة والصوت ،ولكن فليعلم جورج بوش وليعلم كل من يتواجد في هذا العالم المستكبر ،اننا لو اضطررنا ان ندافع عن نبينا في الدم سندافع عن نبينا بالدم وسوف نقول له ليس بأصواتنا وانما بدمائنا لبيك يا رسول الله .هذا الدفاع عن النبي يجب ان يستمر في كل أنحاء العالم ،ولتخرس كونداليزا رايس وبوش وكل الطغاة ، نحن امة لا يمكن ان نتسامح ولا يمكن ان نسكت ولا يمكن ان نتهاون ،عندما ينالون من كرامة نبينا ومقدساتنا ،اليوم هناك مساع لتسوية هذه الازمة في الوقت الذي يشتد فيه الهجوم من جهة اخرى من قبل صحف جديدة في دول جديدة في اوروبا ،لا تسوية قبل الاعتذار ،ولا تسوية قبل إصدار قوانين في البرلمان الأوروبي وفي برلمانات الدول الأوروبية ، تسن قانونا ، وهذه مسؤولية الدول الإسلامية في منظمة المؤتمر الإسلامي المطالبة بسن قانون ملزم للصحافة ولوسائل الاعلام في الغرب تمنع إهانة نبينا .إذا كان هذا الأمر لا يمكن ان يتحقق هذا يعني انهم مصرون على مواصلة هذه

الحرب .حتى ليلة امس لم يقف رئيس وزراء الدنمارك ليعتذر بل ليسوف وهم وهو يتعاطون في مكيالين وفي ميزانين ،لو كان المستهدف هي إسرائيل لو كان المستهدف مقدسات يهودية .ونحن لا نقبل ان يمس باي مقدسات .لاتباع أي دين .لكن على سبيل المثال .هل كان رئيس الوزراء الدنماركي يخضع ويركع أمام الصهاينة واللوبي الصهيوني في العالم ام لا ؟ .هل الأمة الإسلامية اهون على العالم من حفنة من الصهاينة في هذا العالم ؟لا يمكننا أن نسلم بهذه النتيجة .هؤلاء الحمقى الذين أساءوا إلى نبينا هم أرادوا ان يطفئوا نور الله بافواههم ولكن الله يأبى الا ان يتم نوره . وتتعرف عليه ملايين من العالم عندما يشاهدون ملايين المسلمين يغضبون وينتفضون سيتساءلون من هو هذا الرجل الذي مضى عليه أكثر من ١٤٠٠ سنة الذي عندما يساء اليه تنزل كل هذه الملايين الى الطرقات والشوارع .

في لبنان ليس هذا اليوم نهاية المطاف يجب ان يستمر التنديد بالإهانة بأساليب مختلفة وحضارية ومنضبطة ومدروسة لنوصل صوتنا الى العالم .ما جرى قبل أيام في منطقة الاشرفية يجب ان يعالج ويجب ان يصحح ،هذه هي مسؤولية الحكومة ،وانا ادعو الجميع الى عدم التهرب من مسؤولياتهم ،هناك مسؤوليات عديدة فيما حصل ،يجب القيام بهذه المسؤوليات ،ومعالجة الوضع ،ويجب ان نتخلص من بعض التفاهات ،"كل ما يحصل شيء في الشارع ،انقلاب سياسي" وانقلاب من خارج الحدود "ولا نعرف من اجتمع ومن خطط ،هذه المسألة تحصل في أي مكان ،مظاهرة تحصل في أي مكان مظاهرة قائمة وموجودة ليس لها ادارة محكمة حصلت أخطاء ميدانية وتفجر الموقف وارتكبت تلك الاخطاء .التي نرفضها ونندد بها هذا هو حجم الموضوع عالجوه ضمن هذا الحد .

لأهالي الأشرفية كل الشكر على صبرهم ووطنيتهم ،للذين نزلوا ليدافعوا عن كرامة رسول الاسلام كل الشكر لأنهم تحركوا بهذا الاندفاع الإيماني .الذين اخطئوا يمكن ان يعاقبوا ولا يستطيع احد ان يتحمل الخطأ في بلد يمر بظروف حساسة ،هذا هو حجم

الموضوع وهذا هو اطاره ،لا نأخذه الى ابعد من ذلك .ما جرى في الاشرفية يجب ان يعالج ويجب ان نستمر كمسلمين ومسيحيين في التعاضد لرفض الإساءة الى أنبيائنا والى مقدساتنا .

وفي الموضوع الداخلي أوجز عدة نقاط هي :

أولا : في يوم الوفاء ويوم التضحيات لا بد أن نتذكر إمامنا الكبير وقائدنا العظيم الإمام السيد موسى الصدر ورفيقيه اللذين ما زالا محتجزين في سجون ليبيا ،لا يمكن في يوم فيه عنوان وفاء أن ننسى واحداً منا هذا الإمام وما قدمه لنا في المقاومة وفي الهدايا وفي الإرشاد بل في الاحياء الذي احيانا اياه ،ليس هناك أمام ليبيا سوى خيار وحيد ، هو إعادة الإمام ورفيقيه ،ان الحكم الذي صدر مؤخرا عن محكمة إيطالية ،هو حكم سياسي ،الحكم الذي صدر بعد ٢٦ سنة .وقبل ٢٦ سنة قالوا بان الإمام الصدر لم يصل الى إيطاليا .بعد ٢٦ سنة حكموا ان الإمام الصدر ورفيقيه وصلوا إلى إيطاليا ، هذا حكم سياسي ومدفوع ثمنه اموال وامتيازات لشركات ايطالية ،وتعبير عن تواطأ سياسي بين ليبيا وايطاليا ،ونحن نرفضه .وما نؤمن به وما نجزم به وما نقطع به ان الامام ورفيقيه ،ما زالوا في ليبيا ويجب ان يعودوا الى لبنان .

ثانيا : بعد ايام قليلة تمر ذكرى عزيزة على اللبنانيين جميعا ومؤلمة ،وتعبر عن فجيعة، وهي حادثة اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري ،هذه المناسبة التي هي مناسبة وطنية يجب ان تبقى مناسبة وطنية ،لا يجوز ان نحول مناسبة جامعة الى مناسبة ممزقة ،اللبنانيون جميعا أدانوا اغتيال الرئيس الشهيد ،اللبنانيون جميعا شاركوا في عزائه اللبنانيون جميعا يريدون معرفة الحقيقة ،واللبنانيون جميعا يريدون معاقبة القتلة ،يجب الرقي بهذه القضية ،الى مستواها الوطني والانساني وأنا هنا أريد أن آسف على بعض وسائل الاعلام وخصوصا تلك التي تدعي قربا وحبا للرئيس رفيق الحريري ،وعلى بعض السياسيين ايضا الذين يدعون انهم الأخلص والأصدق في قضية الرئيس الحريري كيف "يقصون ويشطبون من وثيقة تعبر عن اردة تيارين

سياسيين كبيرين "الوثيقة التي صدرت عن لقاء حزب الله مع التيار الوطني الحر ، والتي اكدت وأدانت كل عمليات الاغتيال ومحاولات الاغتيال ،قبل الرئيس الحريري وبعده من مروان حمادة الى جبران تويني ،الى كل الاحداث التي حصلت ،واكدت على ضرورة التحقيق وكشف الحقيقة ،تقوم بعض وسائل الاعلام "بقصها" ثم بالتحدث عبر وسائل الأعلام ان حزب الله والتيار العوني تجاهلا هذه القضية ،هذا "عيب" و"كذب"وعدم تحمل للمسؤولية وهذا "إساءة" الى وطنية قضية الرئيس الشهيد رفيق الحريري قبل ان يكون إساءة الى حزب الله او الى التيار الوطني الحر ،أول المطالبين بأن يحفظوا قضية استشهاد الرئيس الحريري بهذا المستوى الوطني ،هم الذين يدعون انهم المعنيون اكثر بهذه القضية ،هذه القضية نؤكد في يوم التضحية ويوم الدماء أنه يجب ان تبقى حية وان تدفع الامور باتجاه الحقيقة والحقيقة وحدها ،في بدايات الحادثة وقفت وقلت – وعتب علي البعض – :" دعوا هذه القضية في اطارها القضائي والحقوقي والقانوني لا تدخلوها في التوظيف السياسي" . عتبوا علينا ،واليوم اعود واقول لكم : اذا كنتم تريدون ان تصلوا الى الحقيقة ،أخرجوا قضية استشهاد الرئيس الحريري من التوظيف السياسي والمحلي والاقليمي والدولي .اعيدوها الى موقعها الطبيعي لنعرف من هم القتلة والذين ارادوا بنا جميعا ،وبلبنان وسوريه والمنطقة شرا وفتنة.

ثالثا : قضية الاسرى في سجون الاحتلال ،بالنسبة الينا هي قضية وفاء ،والتزام ،ونحن على امل كبير وأتمنى ان تساعدونا وتساندونا بالدعاء ،اننا نعمل ان يكون العام هو العام الذي نستعيد فيه كل إخواننا واسرانا في سجون الاحتلال،من سمير القنطار الى نسيم نسر ،الى فران ،الى يحيي،الى كل الاسرى الذين يعنينا امرهم .والمحاولة لاطلاق سراحهم ستفتح ابوابا طيبة لكل اخواننا الاسرى الاخرين من السوريين والاردنيين والفلسطينيين الذين ما زالوا قيد الاعتقال ،في هذا اليوم نؤكد هذا الموقف واننا ماضون في هذا العزم وهذا الهدف .

رابعا : تجديد الوعد والعهد للدفاع عن لبنان ،وحماية لبنان بمواجهة الاعتداءات الإسرائيلية والتهديدات الإسرائيلية ،كما فعلنا قبل ايام لن نسمح بان يهدر دم لشعبنا في لبنان ولن نسمح ان تصاب في هذا البلد كرامة ولن نسمح ان تمس له سيادة .طالما ان شباب لبنان هم هؤلاء الشباب المضحون المدافعون المستعدون للشهادة .هذا البلد سوف يبقى آمنا وعزيزا وقويا وكريما .

خامسا : في الوضع الداخلي نحن ندعو إلى استعجال الحوار الوطني الداخلي ،سواء في اطار مجلس النواب ،استنادا لمبادرة دولة الرئيس نبيه بري ،او في اطار الحكومة، وفي أي اطار أشمل وأوسع ،ما اريد ان اقوله للبنانيين جميعا وانطلاقا من تجربة السبعة اشهر الماضية .هذا بلد لا يمكن ان يحكم بمنطق الاكثرية والاقلية ،وخصوصا اذا كانت هذه الاكثرية وهمية ،وغير دقيقة ،واذا كانت اكثرية نسبية ،وليست اكثرية كبيرة وبالغة ،هذا البلد بحاجة الى الجميع ،نحن نرفض ان يشطب أي تيار سياسي ،او أي طائفة ،سواء كانت صغيرة او كبيرة ،وادعوا القيمين حاليا على السلطة ،ان يسلموا في الحقائق التي انتجتها التطورات الأخيرة وأن يعرفوا اننا يجب أن نضع ايدينا مع بعضنا جميعا ،لنبني بلدنا ودولتنا لتكون دولة قادرة وقوية وتستطيع ان تعالج مشكلات شعبها ،وان يكون لها مكانتها في محيطها الاقليمي وفي المجتمع الدولي .في الطريقة التي يدار فيها لبنان منذ الانتخابات الى اليوم ،لا يمكن ان تنتج لا حكومة قادرة ،ولا يمكن ان تبني مؤسسات دولة قادرة وحقيقية .الدولة بحاجة الى رجال دولة .وبناء الدولة بحاجة الى عقول تتصرف على اساس دولة .وليس على اساس فيئويات او شخصانيات او انفعالات .او حسابات خاطئة ،اليوم لا يمكن ان يستمر الوضع على هذه الشاكلة ولا يمكن ان نستنزف لبنان والشعب اللبناني في سجال سياسي وفي مؤتمرات صحفية نهاجم فيها بعضنا البعض وفي اتهامات توزع وفي تسريبات مستعجلة . كيف يمكن لهذا البلد ان يستمر .والى اين يدفعون بهذا البلد ،تصوروا ان بعض من يدير الدولة هو الذي يساهم اكثر في توتير الأجواء السياسية والطائفية في البلد ،ويضع البلد

على فوهة بركان ،ومن هو خارج الدولة يجب ان يعمل على تهدئة الخواطر ويجب ان يعمل على طمأنة النفوس ويجب ان يعمل على قطع الطريق .هذه معادلة معكوسة .من هم في الدولة والحكومة القوى السياسية التي تدعي انها هي السلطة اليوم في لبنان هي المعنية قبل غيرها أن تكون دقيقة فيما تقول ،وان تكون دقيقة في خطابها .وفي حسابتها .وفي معلوماتها ان تتصرف كدولة ومسؤوليات دولة وليس كميليشيات .وليس كأحزاب منافسة .عندما تكون في الشارع لك حساباتك .اما عندما تكون في الدولة انت مسؤولياتك مسؤوليات مختلفة .ولذلك يجب ان تكون حساباتك مختلفة .نحن نستعجل الدعوة الى حوار وطني ،للخروج من المناخ السلبي الذي يعيشه لبنان منذ مدة .وهناك قاعدة اتفاق الطائف ،الذي لم يتجاوزه أحد ، الحكومة اللبنانية مدعوة في المرحلة المقبلة الى التزام الاولويات التالية بعيدا عن الجدل وتضييع الوقت في سجالات واتهامات سخيفة كتلك التي قيلت عن مناطق "بنشعي"وغيرها .

الأولوية الأولى :معالجة الوضع الاقتصادي الضاغط .

ثانيا :تحصين السلم الأهلي .

ثالثا :ترتيب الاوضاع والعلاقة مع سوريه وليس على حساب التحقيق الدولي ولا على حساب الحقيقة ،استمرار الوضع القائم بين لبنان وسوريه ليس من مصلحة لبنان على الإطلاق .من يريد أن يخوض حربا مع سوريه او على سوريه سيمكنه ان يستفيد من حزبه او جماعته او فئته ،ولكن لا يجوز جر الحكومة اللبنانية والدولة اللبنانية ومؤسساتها الى حرب من هذا النوع او الى مشروع من هذا النوع ليس لمصلحة لبنان .

في اليوم العاشر من محرم نعلن ونجدد تضامننا وأخوتنا مع شعب فلسطين ،المقاوم والمضحي ،والذي يواجه استحقاقات كبيرة وخطيرة .

في يوم عاشوراء نعلن ونجدد تضامننا مع سوريه في وجه الهجمة الدولية .في يوم عاشوراء نعلن تضامننا مع الشعب العراقي ومظلوميته ،وسعيه ليحكم بلده وليستعيد حريته وسيادته بالكامل .

في يوم عاشوراء نعلن تضامننا مع الجمهورية الإسلامية في إيران وحقها الطبيعي والقانوني في الحصول على الطاقة النووية السلمية .المستكبرون اليوم يريدون حرمان إيران من ابسط حقوقها الطبيعية والقانونية .لماذا لأنها دولة اسلامية ومعادية لإسرائيل ومستقلة ،ليس مسموحا ان تقوم دولة مستقلة في عالمنا الاسلامي ،وليس مسموحا ان تصل دولة ما الى قدرات اقتصادية وعلمية وتقنية يعزز استقلالها وسيادتها ويمنعها من التبعية لامريكا وغيرها.على شعوب العالم وخصوصا العالم الاسلامي ان يتضامنوا مع الجمهورية الإسلامية لهذا الحق الطبيعي .

الخطاب الثاني:

السيد حسن نصر الله في ذكرى استشهاد السيد عباس الموسوي والشيخ راغب حرب: مستعدون للحوار حول سلاح الحزب في إطار استراتيجية وطنية للمقاومة

أعلن الأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصر الله أن الحزب «حاضر لمناقشة سلاح المقاومة في إطار البحث عن استراتيجية دفاعية وطنية لحماية لبنان»، وأن شرط تسليم هذا السلاح «قيام دولة قادرة». وقال في احتفال بذكرى اغتيال الشهيدين الأمين العام السابق للحزب السيد عباس الموسوي والشيخ راغب حرب في اليونسكو ٢٠٠٦/٢/١٦ : «ان قبول الحزب الجلوس الى طاولة الحوار من دون شروط هو تنازل كبير لمن يعرف عقلية الحزب وتركيبته وذلك من اجل المصلحة الوطنية». ورد بشدة على خطابي رئيس «اللقاء النيابي الديموقراطي» وليد جنبلاط ورئيس الهيئة التنفيذية لـ «القوات اللبنانية» الدكتور سمير جعجع في ذكرى استشهاد الرئيس رفيق الحريري من دون ان يسميهما.

وأكدت كلمة باسم رئيس الحكومة فؤاد السنيورة «ألا خوف على المقاومة ولا منها ولا غنى عن الحوار والاحتكام إلى المؤسسات الدستورية»، وربطت بين حرص لبنان على تطبيق القرارات الدولية وحرصه على الوفاق الداخلي الوطني، معلناً ان «لبنان لا يحكم بمنطق الغلبة ولا الاستئثار ويجب ان نعتاد العيش في كنف الدولة».

قاعة اليونيسكو فاضت بالحاضرين في طابقها الارضي وطوابقها المعلقة، وامتد الحضور الى القاعات الجانبية حيث وضعت شاشات لمتابعة الخطباء، وارتفع في خلفية المنبر علم لبناني والى جانبه راية «حزب الله» الصفراء. وكان الاحتفال الذي شارك فيه حشد من الشخصيات السياسية وبينهم النائب نبيل نقولا ممثلاً «تكتل التغيير والإصلاح» النيابي و «التيار الوطني الحر»، ووفد من حزب الكتائب، فيما غاب

ممثلون عن قوى ١٤ آذار، وبدئ بآيات من الذكر الحكيم ثم النشيد الـوطني فنشـيد «حزب الله».

وخصص السيد نصر الله جزءاً من كلمته للحديث عن الشهيدين الموسـوي وحـرب ومواقفهما. وأكد ان المقاومة ما زالت هي «العنوان وهي لا تنتظر أذونات. ولا تحتاج ولم تحتج بالفعل الى اجماع وطني».

وشدد على «ان المعركة التي خاضتها المقاومة لا غبار عليها». وقال: «المعارك التي كانت تخاض في الداخل هي موضع نقاش». وشكر نصر الله «سوريه التي وقفت الى جانب المقاومة، وإيران، وقال: «اذا كان الوطن مقدساً فإن المقاومـة التـي حفظـت الوطن هي مقدسة ايضاً. السلاح الذي حرر الارض هو سلاح مقدس والدم الذي سقط على الارض من اجل ان تبقى هامات اللبنانيين مرفوعة هو دم مقدس، ولـولا هـذا المقدس لكانت إسرائيل وجيوشها المحتلة في بيروت، وكلنا رأينا اليوم حقيقـة الـذين كانوا بالأمس تتكرر من جديد رأينا من هو الإسرائيلي ومن هو اللبناني أولاً وآخراً».

وأضاف: «ومن لم يذق طعم الجهاد لا يعرف الجهاد فالقتال مع العدو الاصلي طعمـه يختلف عن قتال الزواريب. ويجب ان أؤكد ان هذه المقاومة لم تحمل يومـاً سـلاحاً لتدافع عن حزب او عن طائفة او منطقة جغرافية. لم نحمل هذا السلاح لنحرر الشيعة او لنخرج الاحتلال من قرية شيعية أو لنطلق سراح أسير شيعي. هذا السـلاح كـان وطنياً وسيبقى».

وشدد على «اننا عندما نتمسك بسلاح المقاومة حتى إشعار آخر فليس ذلك مـن أجـل تأمين الحماية للطائفة الشيعية وليكن واضحاً، إن هذا السلاح الذي حملناه منـذ اليـوم الأول - وما زلنا- للدفاع عن وطننا تحمل عبئه الطائفة الشيعية، ليس هنـاك سـلاح يحمي طائفة على الإطلاق، نحن متفقون وموافقون على ان الذي يحمي كل الطوائـف اللبنانية هي الدولة وحدها، والوحدة الوطنية وحرص كل اللبنانيين على السلم الاهلـي

والعيش المشترك وإصرار اللبنانيين على الشراكة الحقيقية في وطن لا مكان فيه لغالب ومغلوب، هذا الذي لكل الطوائف ومنهم الشيعة».

وانتقل نصر الله للحديث عما ذكره قبل أيام عن ربط السلاح بالتسوية في المنطقة وما تلا ذلك من تفسيرات في الإعلام، وذكّر بما قاله له الرئيس الشهيد الحريري عن سلاح المقاومة «إذ قال لي: انا رأيي ان موضوع سلاح المقاومة ليس مرتبطاً لا بـالمزارع ولا بالأسرى وانما بعملية تسوية وطالما لا توجد تسوية في المنطقة أنا معك ان السلاح ينبغي ألا يُمس، وأنا لم أقل ذلك ولا (حزب الله) طرح ربط السلاح بالتسوية، ويكمل الرئيس الشهيد رحمه الله قائلاً: اذا صار هناك تسوية يومها انا سآتي إليك وأقول لك يا سيد حصلت تسوية في المنطقة فهل ثمة داع لهذا السلاح، اذا استطعت الاتفاق معكم كان به واذا اختلفنا اقول لك منذ الآن انا اقدم استقالتي وأغادر لبنان، فلست حاضراً لأصنع جزائر ثانية في لبنان».

وأضاف نصر الله: «من ربط سلاح المقاومة بالتسوية هو الرئيس الشهيد واليوم أنا لا اذكر هذا الكلام لألزم احداً،لأن هذا يمكن ان يلزم من لديه إرادة وقامة وهامة رفيق الحريري وبالنسبة إلينا فإن خطابنا عن سلاح المقاومة مختلف، فهو ما نصت عليه الوثيقة التي تم الاتفاق عليها مع التيار الوطني الحر، قلنا من البداية، نحن حاضرون لمناقشة مسألة سلاح المقاومة في إطار البحث عن استراتيجية دفاعية وطنية لحماية لبنان ولم يتغير شيء».

الدولة القادرة وسلاح المقاومة

وشدد نصر الله على «ان مشروعنا هو مشروع الدولة التي تحمي شعبها في لبنان ويجب ان تثبت ذلك، فحتى الآن، ونحن شركاء في الحكومة لم تستطع ان تفعل ذلك، والدولة التي يجب ان تحمي لبنان». وقال: «أهم عنصر رئيسي يحقق استراتيجية دفاعية وطنية هو بناء الدولة القادرة، القوية، دولة القانون لا المزاج، دولة المؤسسات

لا الانفعال ودولة الخيارات الاستراتيجية الواضحة والثابتة والتي لا تتغير بين ليلة وضحاها (تصفيق).

وانتقل للحديث عن مسألة الإجماع حول سلاح المقاومة، وقال: «قبل أيام عقدت لقاء مع العماد ميشال عون (تصفيق) وعملنا وثيقة ومن بعدها حصل جدل في البلد والبعض انتقد، والبعض هاجم العماد عون لأنه قدم تنازلات، والبعض هاجم «حزب الله» لأنه قدم تنازلات لعون، هذه لنا وليست علينا، كان الرد على هذا اللقاء ممن يسمى بهيئة متابعة ١٤ آذار، لأننا فهمنا لاحقاً ان لا إجماع على هذا الموقف، ان سلاح «حزب الله» لم يعد يحظى بالإجماع الوطني، وأقول نحن لم نخسر شيئاً، ربحنا، بمعنى انه لم يكن هناك إجماع وطني (على المقاومة) كي نقول انه لم يعد هناك إجماع وطني (تصفيق)، أما بعض قوى ١٤ آذار فهو لم يؤمن بالمقاومة ولم يؤيدها ولم يحتضنها منذ العام ١٩٨٢ الى اليوم، وعذراً للعودة الى بعض الماضي للتذكير».

التنازل للحوار

وقال نصر الله: «قلت إننا جاهزون للحوار وأريد ان أعلن اليوم أمام جمهور المقاومة، نعم البعض نصحنا أساساً ألا نقبل بالحوار، ومن اجل ان نقبل بأصل الحوار يجب ان نحقق مجموعة من المكاسب، ان قبولنا بالحوار بلا شروط قبل دخولنا الى الحوار وبلا شروط على طاولة الحوار هو تنازل كبير جداً لمن يعرف عقلية وثقافة وتركيبة «حزب الله» (تصفيق) ولكننا قدمنا هذا التنازل من اجل وطننا والمصلحة الوطنية ومقتنعون بما نفعل وجادون للحوار وحريصون إذا كانت هناك صيغة جديدة تجعل من يدافع عن البلد ليس فقط هؤلاء الشباب وانما كل الشباب، لمَ لا؟ إذا كانت هناك صيغة جديدة تجعل الشهداء من كل البيوت لمَ لا؟ لا أحد يفترض اننا نقطع الوقت في هذا الموضوع، والكرة على كل حال ليست في ملعبنا، نحن ان شاء الله سنستمر في تحرير أرضنا وكل أسير وحماية البلد الى ان يتم وضع استراتيجية واضحة حول الموضوع».

وأضاف: «وكل الصراخ والشتائم والانفعال لا يمكن ان يثنينا عن القيام بواجبنا (تصفيق) ان قتلنا على الطرقات والرصاص الذي قتل اخوتنا في ١٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٩٣ فسقط منهم الشهداء من رجال ونساء لم يثن من عزمنا ولم يحرف وجهة سلاحنا، فلييأس الصارخون والمنفعلون والمهولون، نحن في هذا الأمر نؤدي واجباً مقدساً لا تراجع عنه ولا تردد فيه».

الأكثرية مسألة متقلبة

وأكد حرص «حزب الله» على امن البلد واستقراره ومشروع الدولة والسلم الأهلي والعيش المشترك ومعالجة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وقال: «نحتاج الى ان نضع يدنا بيد بعض، اليوم بسبب الظروف السياسية القائمة هناك اكثر من خطاب، اللبنانيون عليهم ان يختاروا، نحن اليوم في مرحلة حساسة ومصيرية جداً. هناك خطاب يتحدث عن الشراكة والتوافق ويجب ان نتذكر هنا ان الأكثرية هي مسألة متقلبة، اليوم انت اكثرية، غداً يمكن غيرك يكون اكثرية، يعني ما يبني البلد هو التوافق في المسائل الأساسية لا نتحدث عن تغيير دستور او شيء آخر، بل نتحدث عن الحوار، وما قلته عن «حزب الله» و «التيار الوطني الحر» نموذج. وأكثر من هذا، عندما ذهبنا وصنعنا الحلف الرباعي، «تيار المستقبل» و «الحزب التقدمي الاشتراكي» من ١٤ آذار و «أمل» و «حزب الله» من ٨ آذار. صنّفنا حلفاً سياسياً، بعد ذلك قالوا : لا ما شي اللا لاعين (تصفيق)، التحالف الرباعي، والموضوع اننا قطعنا في بعبدا – عاليه موضوع «القوات اللبنانية»، هذا يدل على ان اللبنانيين قادرون على الحوار مع بعضهم بعضاً رغم كل الظروف القاسية، وهناك خطاب في المقابل للغلبة وأنا أوافق الوزير قباني على أن البلد لا يدار بالغلبة، هناك خطاب يتحدث عن القطيعة، والعزل والإلغاء والشطب، تعمل مسيرة وتضبطها، لا أريد الدخول في الأعداد لأنها لعبة الكاميرا والإعلام وكلنا شاطرون فيها (تصفيق) وفي المقابل هل الذين نظموا ١٤ شباط يتحملون مسؤولية الشعارات التي ألقيت وعممت

وكتبت، وكان لها سابقة، وهناك خطاب سياسي سمعناه يضع البلاد امام حرب اهلية ولا أبالغ بذلك، بلغته وشتائمه وأدبياته وسقفه العالي وبتنكره لكل الأسس التي يقوم عليها الوضع اليوم في لبنان. وما جرى في ١٤ شباط بجزء كبير منه لا يعبر عن صورة مدينة بيروت المقاومة والعربية الصامدة (تصفيق) ولا يعبر عن صورة الرئيس الشهيد رفيق الحريري ومشروعه وهو الانقلاب على الطائف وليس وثيقة «حزب الله – التيار العوني».

وأضاف: «كل جريمتنا اننا نسينا كلمة الطائف في الوثيقة، أستغفر الله، لكن خطاب الثلاثاء اين هو الطائف فيه؟ اين هو البيان الوزاري ؟، الطائف هو اساس الدولة، أين هما ؟ وهل يبني لبنان والوحدة الوطنية والدولة والحكومة ؟وهل يحضر لمؤتمر بيروت –١ من اجل معالجة الأوضاع الاقتصادية ؟ وهل يقطع الطريق على الفتنة الداخلية في لبنان بمثل خطاب «البحر من امامكم والعدو من ورائكم (علا التصفيق وهتافات «لبيك يا نصر الله») هذا امر خطير، وأقول ما جرى الثلاثاء يحمل الحكومة اللبنانية والإخوة في «تيار المستقبل» مسؤولية اكبر، هل انتم مع هذا الخطاب او لا، كي نعرف، لا يكفي ان يقال ان بعض اصدقائنا هاجم بعض اعزائنا حتى يسكت عن هذا الخطاب، المسألة ليست من شتم من، إنما مسألة الخيارات السياسية الاستراتيجية للبنان».

وأشار الى «ان احداً لم يدع ان مزارع شبعا له لا السوريون ولا الفلسطينيون ولا الإسرائيليون. وعلى رغم ذلك يطلع بعض اللبنانيين ليقول انها غير لبنانية، إذاً ما هويتها؟ (تصفيق) يبدو اننا سنحتاج في مستقبل الأيام الى اضافة دولة الى الجامعة العربية اسمها جمهورية مزارع شبعا العربية». وقال: «نحن اليوم امام هذين الخطابين، نعم «لبنان اولاً» انا معكم لبنان اولاً، هل يعني ذلك ان نتخلى عن أرض لبنانية، تصوروا نحن في أي حال، السوري يقول هذه ارض لبنانية، فنقول له : لا، نريد دليلاً. الأرض لي وأنا عندي الدليل. هذه مناكفة وليست سياسة، " لبنان اولاً " هل

يعني التخلي عن ارض لبنانية؟ هل يعني ترك الأسرى اللبنانيين في السجون الإسرائيلية، على كل حال عندما تنجز المقاومة استحقاق تحرير الأسرى سنرى " لبنان اولاً " في موضوع الأسرى، هل "لبنان اولاً " يعني ان نترك إسرائيل تجتاح اجواءنا في كل يوم وتخترق مياهنا وتفعل ذلك ولم تعد عدواً؟ هل هذا "لبنان اولاً"؟ هل يعني انا أو أنت ما نرى حقاً انه مصلحة لبنان ولو اختلفنا في وجهات النظر، انا أوافق، انت تتهمني وتقول: «انت تتكلم بدوافع من سوريه او إيران وأقول: لست كذلك، نحن نقول ونفعل ما نرى فيه مصلحة بلدنا، عندما وافق «حزب الله» مع «التيار الوطني الحر» على مبدأ إقامة علاقات ديبلوماسية مع سوريه هل اخذت إذناً من سوريه أو اعطيتهم علماً بذلك؟ انا لم أفعل ذلك، يجب ان تطمئنونا ايضاً أنكم عندما تتكلمون وتصعدون وتغيرون مواقفكم بأن هذا ليس بطلب من جورج بوش وكوندوليزا رايس».

وأضاف قائلاً: «اللبنانيون ليسوا في حاجة الى ان ينخرطوا في أحلاف، ونحن لسنا منخرطين في حلف، نحن لنا ثوابتنا ومواقعنا ورؤيتنا، قبل الأحلاف ومعها وبعدها، ما نقوله عن لبنان وفلسطين وإسرائيل وإيران عندما كانت سوريه في لبنان وبعدما خرجت منه وقبل النووي الإيراني وبعده وقبل فوز «حماس» وبعده لم يتغير شيء، نعم، نحن لسنا في حاجة الى احلاف كلبنانيين، ما نحتاجه هو التواصل والتحاور وحل مشكلاتنا فيما بيننا، لكن اذا اصر البعض على ضم لبنان الى أحلاف دولية تخوض حروباً دولية ووضعنا بين خيارين بين ان نكون في حلف يمتد من بيروت الى دمشق الى طهران الى غزة ورام الله الى بيروت الى أخونا شافيز في فنزويلا وبين حلف آخر، ونحن الآن لسنا في حلف، حلف يمتد من تل ابيب الى أميركا وغيرها قطعاً سنكون في الحلف الأول».

الخطاب الثالث :

إذا استطاعت أمريكا أن ننزع سلاحنا فلتتفضل القوات الأمريكية إلى شواطئنا وترينا قوتها

دعا الأمين العام لـ " حزب الله " السيد حسن نصر الله الى تخفيف حدة الخطاب السياسى فى لبنان ، محذراً من استخدام الشارع لفرض الخيارات ، ومؤكداً التجاوب الكامل مع الدعوة إلى الحوار .

وكان نصر الله يتحدث أمام عشرات الآلاف من مناصرى الحزب المحتشدين فى ملعب الراية فى الضاحية الجنوبية لبيروت ، للتنديد بالاعتداء على مقام الإمامين على الهادى وحسن العسكرى فى سامراء .

ودعا نصر الله اللبنانيين " سنة وشيعة " الى ضبط النفس مهما بلغ الغضب والسخط مما يحصل فى العراق ، وقال " لن نسمح لأى عميل أو مندس أو مجنون أن يعبث بأمننا ، ومهما حصل فى العراق فنحن سنبقى فى لبنان موحدين متضامنين " ، واعتبر نصر الله أن " كل من يخرج عن هذا الكلام يكون خارجاً عن الدين ، وخادماً لمصالح المستفيدين من هذه الاعتداءات " وعرفهم بأنهم " أمريكا وإسرائيل والتكفيريون " .

وعندما بدأ نصر الله حديثه عن زيارة وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس صرخت الجموع تنديداً بها ، فمازحها قائلاً : " تستحق ذلك " .

وتابع : " اليوم زارتنا رايس وراحت تجيب عن الأسئلة كلها بأن الشعب اللبنانى هو من يقرر ، مشيدة بالديمقراطية اللبنانية لكنها فى المقابل تمارس الضغوط كافة على حكومة "حماس" المنتخبة ديمقراطياً أيضاً " .وسأل نصر الله : "لو جرت انتخابات مبكرة فى لبنان ، أو حتى انتخابات عادية بعد ثلاث سنوات ونتج عنها وصول أكثرية ما تعارض مصالح أمريكا ، هل كانت رايس ستشيد بالديمقراطية اللبنانية ".

وشدد نصر الله على أنه لن ينطلى علي اللبنانيين خداع أمريكا ولا يجوز أن يراهنوا إلا على وحدتهم الوطنية .

وأضاف : " أنا أدعو فى لبنان بعد كل الخطابات النارية ، وبعدما قال كل ما عنده من أفكار وآراء ومن شتائم أيضاً ، وقد استنفد قاموس الشتائم ، أدعو إلى الهدوء والتهدئة، وتخفيف حدة الخطاب السياسى . سيقال اننا ندعو الى ذلك لأن هناك مشروعاً لدى بعض قوى ١٤ آذار للاطاحة برئيس الجمهورية ، لكن لا ، أنا أتحدث على المستوى الوطنى ، لا يمكن لأحد أن يستند إلى شارع خاص ثم يفرض خياراته على الآخرين ، فهذا غير منطقى وغير مقبول ، أنا أقول بصراحة ، لا نحن ولا هم ولا أحد فى لبنان يمكن أن ينجح فى أى استحقاق الا على قاعدة الحوار والتوافق " .

وتابع : " هناك طاولة حوار ، بدأ تحضيرها منذ أسبوعين ورأيناها على التليفزيون من يريد مصلحة لبنان ، ومن يريد ألا يضع البلد أمام مأزق ، ومن يريد اخراجه من التوتر ومعالجة الوضع الاقتصادى والاجتماعى يجب أن يأتى إلى طاولة الحوار ، أما من يرفض أو يضع شروطاً مسبقة فما زالت تتحكم فيه عقلية الغلبة ، وهو منطق سيفشل فى لبنان فلا مكان هنا لمنطق الغالب والمغلوب " .

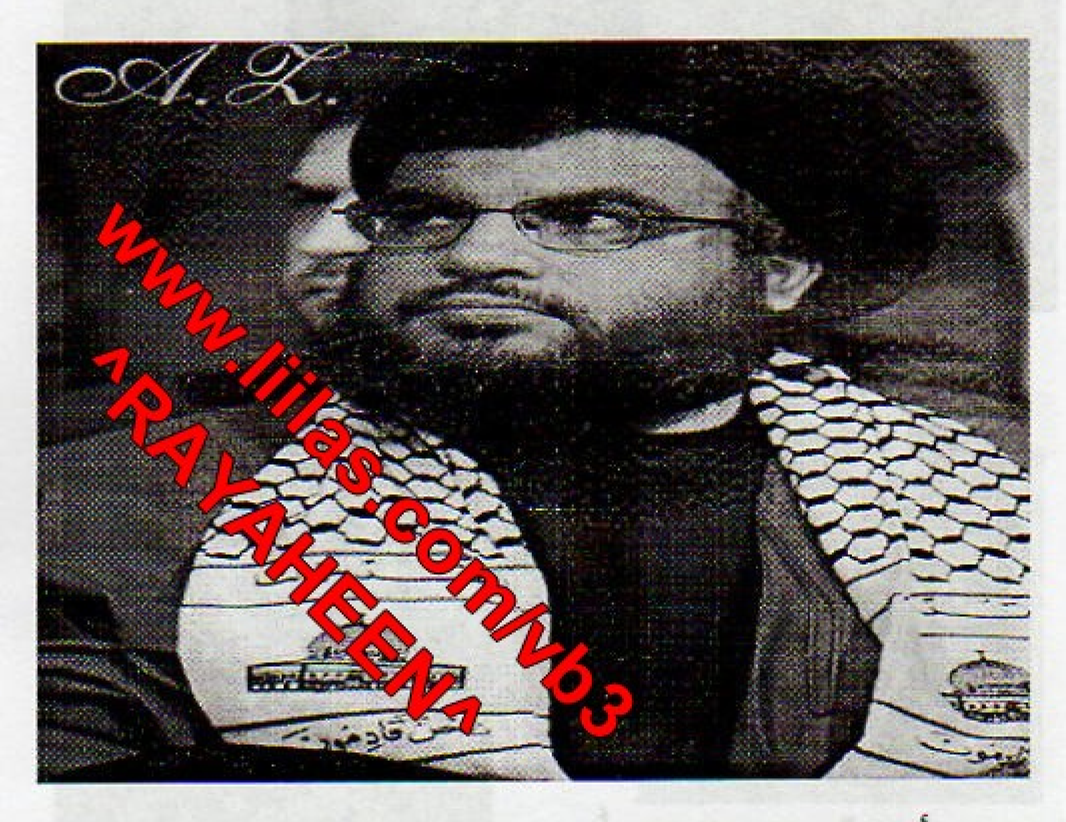
واعتبر نصر الله ان السلوك الوطنى الطبيعى يقضى بالحضور الى طاولة الحوار مشيرا الى انه فى حال كان يحق لأحد الا يأتى الى طاولة الحوار فهو نحن ، فقد أسيء الينا ، وظلمنا ونحن لم نرتكب أى ذنب أو خطأ ، ومع ذلك ، ومن أجل المصلحة الوطنية نحن نتجاوز كل الأحقاد والحساسيات ونقول نعم ، تعالوا لنجلس – يؤسفنى أن أقول ذلك ، لكن يجب أن أقوله: أعلم ما يشعر به كثيرون منكم ، وقد قال لى كوادر الصف الأول : نحن لا نتصور كيف ستجلس أنت بعمامتك وعباءتك على هذه الطاولة ، فليذهب أحد آخر ، لكن من أجل المصلحة الوطنية ولان الطريق الوحيد للخروج بلبنان من معاناته هو الحوار ، نحن ذاهبون " .

وقال نصر الله انه يجب انتظار ثمار " الزيارة الكريمة للسيدة رايس " معتبراً أنه ليس مهماً ما قالته فى مؤتمراتها الصحفية بل ما قالته فى لقاءاتها مع المسئولين ، لأنها لم

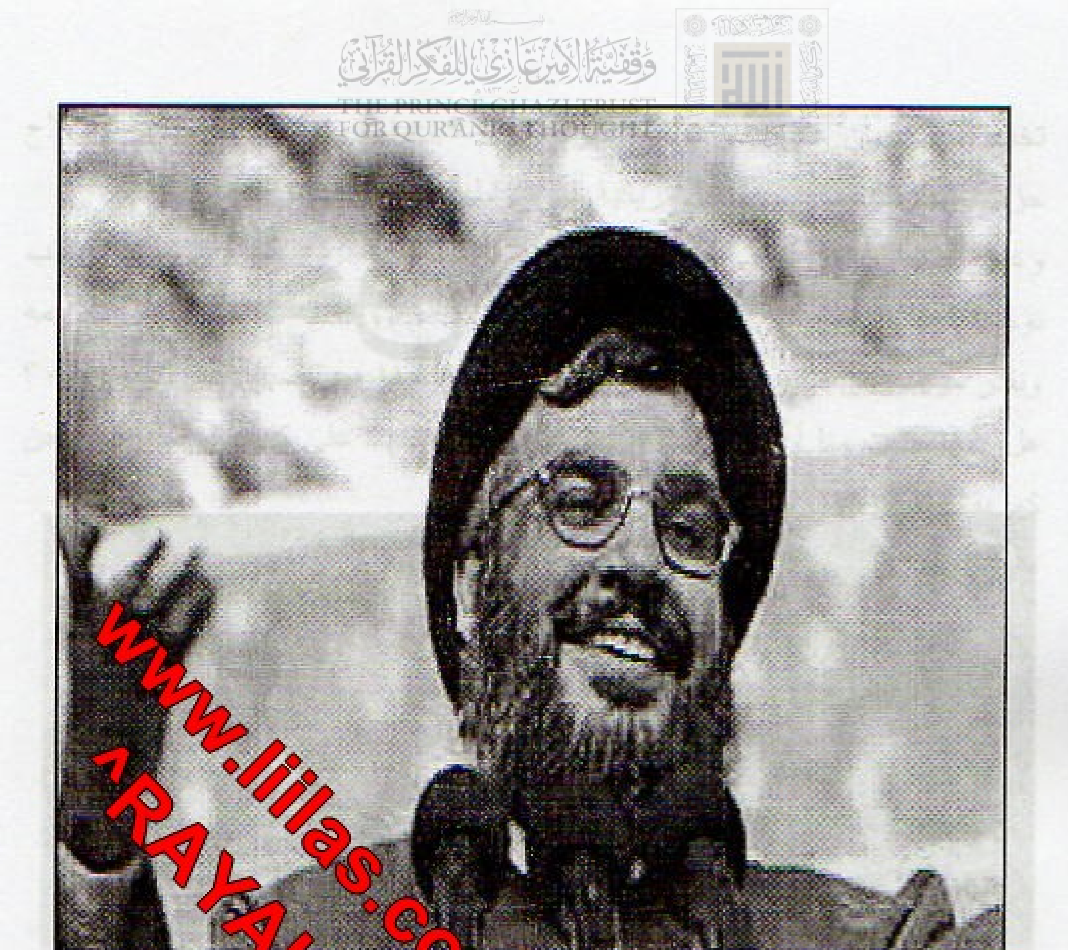
تخف طلباتها بأن على لبنان تطبيق القرار الرقم ١٥٥٩ ، وسأل : " من سينزع سلاح حزب الله ؟ فلتتفضل القوات الأمريكية الى شواطئ المتوسط وتنزع سلاحه " .

وغمز نصر الله من جانب رئيس الوزراء فؤاد السنيورة ، من دون أن يسميه وطلب توضيحاً على نقطة قال انها أثارت بعض الفضول ، " وعندما تحدث مسئول نحترمه ونقدر مواقفه عن صبر السيدة رايس ، لكننا لم نعرف ما هو الصبر الذى تشكر عليه ؟ هل لأنها طلبت منا أن ننزع سلاح المقاومة والمخيمات ؟ على كل حال سنعرف فنحن كما يقال شركاء فى هذا البلد".

ملحق الصور



إني أراك نذرت نفس للمحــن
وزهدت في دنيا الثعالب والكلاب
وعشقت رمسا يحتويك بلا كفن
فرجوت ربي أن تكون على صواب



بالأحضان يا كل أمتنا الإسلامية

قد أعددت لكم رجالا يحبون الموت حبكم للحياة_فاحذروهم

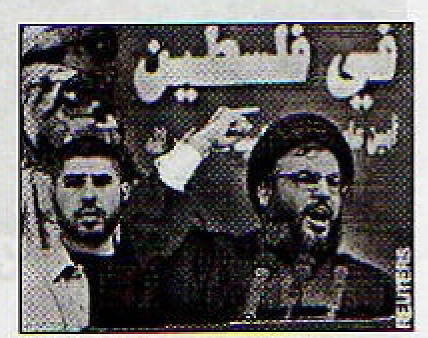


اللهم عليك بأعدائنا



عرفنا من أين تؤكل الكتف الصهيونية

يزور أسر الشهداء والأسرى



مؤتمر لدعم المقاومة في فلسطين



نظرة ترتعد منها فرائص الصهاينة



لن تمسوا ذرة من ترابنا

يحيي الجماهير المؤمنة به وما أكثرهم!

لن تموت أمتنا..حسن وزهرة جديدة على طريق الجهاد

الخطيب المفوه



تكريم أحد أبطال التحريـــــــــــــــر



ألا إن حزب الله هم الغالبون





يتابع تقريرا عن إحدى العمليات الجهادية

حوار على الهواء في قناة المنار



اللهم انصر أمتنا ومجاهدينا

أيام الشبـــاب



الترحم على شهداء المقاومة الأبطال



القائد الحق يؤم المسلمين في صلاتهم



مع السيد نبيه بري زعيم حركة أمل



حسن ومشعل وياسين..إخوة لعلات:أمتهم واحدة وأبوهم الجهاد

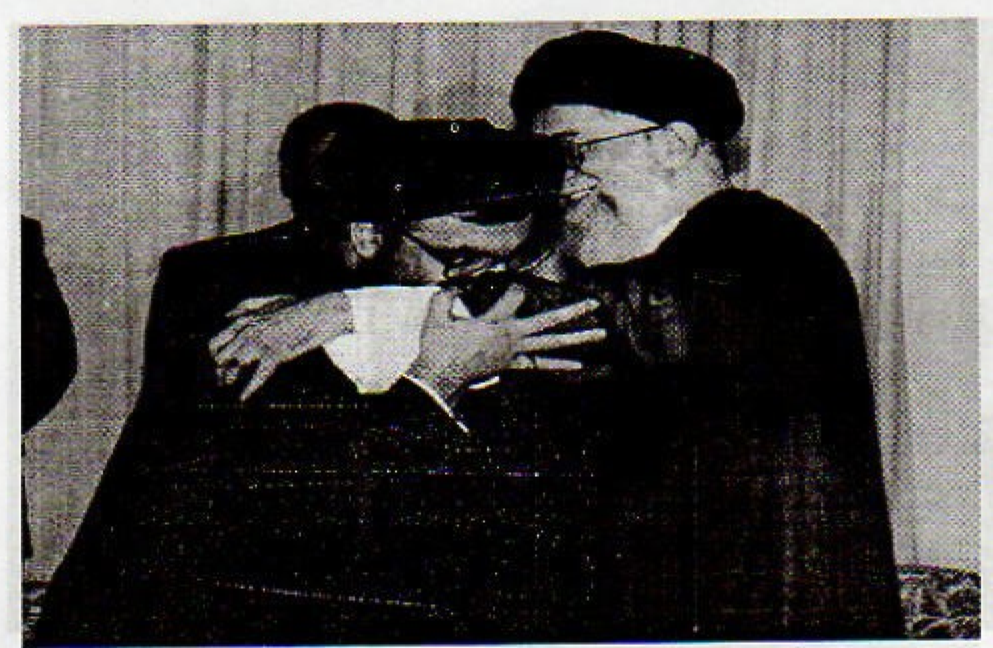




مع خالد مشعل



القائد يحتفل مع جنوده بطرد فئران الصهاينة من جنوب لبنان



مع علي خامنئي المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران



مع السيد أحمدي نجاد رئيس جمهو رية إيران الإسلامية

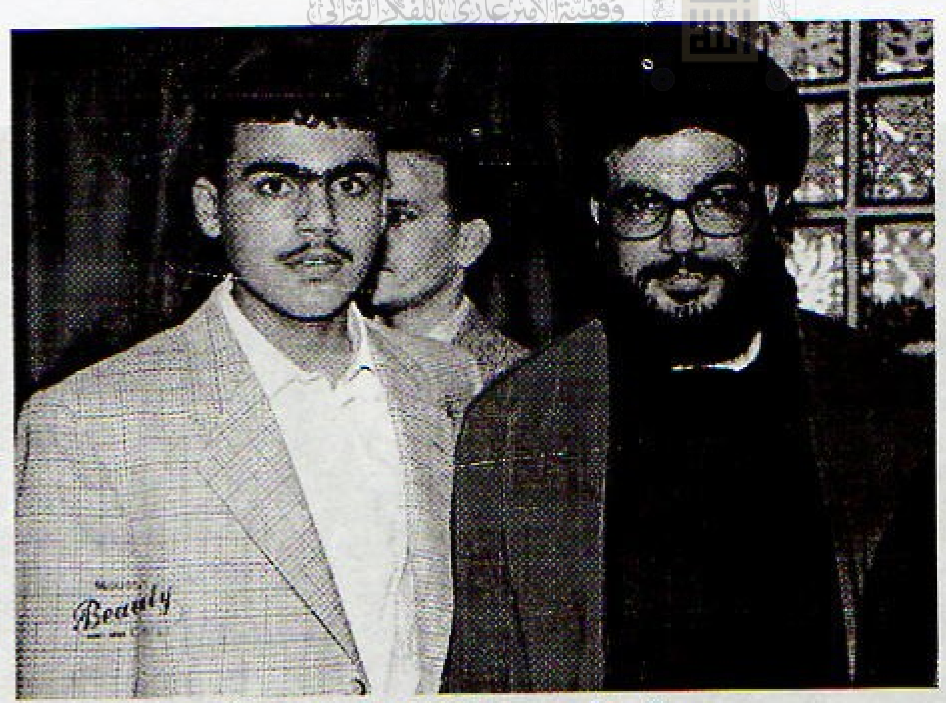


مع كمال خرازي وزير خارجية جمهورية إيران الإسلامية



مع كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة، ٢٠ يونية عام ٢٠٠٠

كلنا هادي
يا أبا هادي



حسن وهادي...هذا الشبل من ذاك الأسد

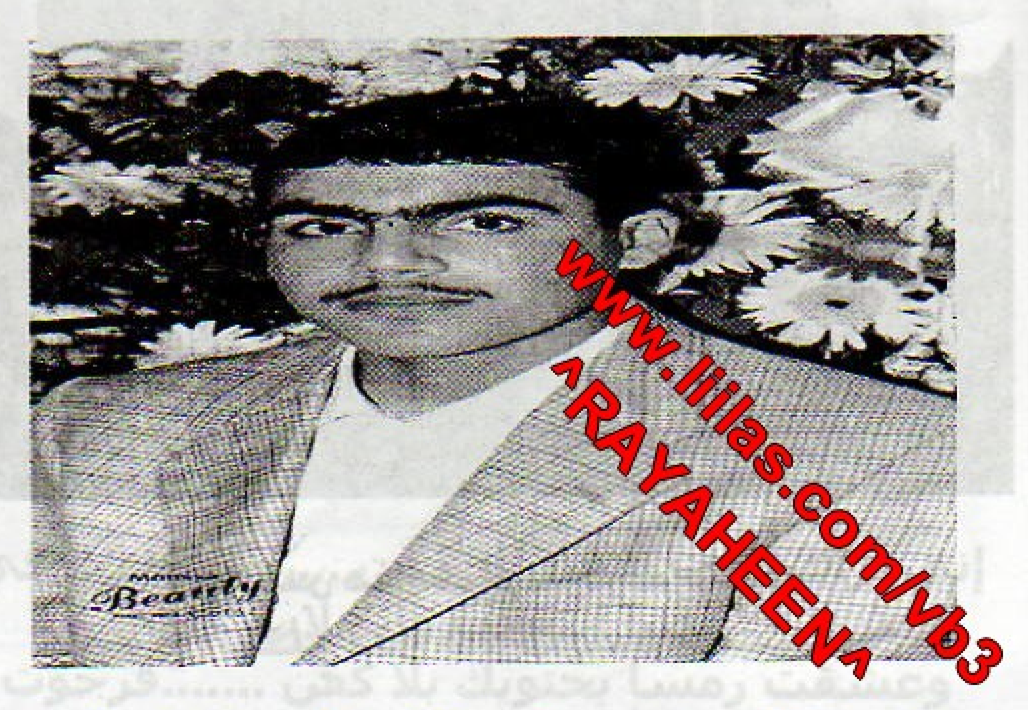


لن تموت أمة فيها مثل حسن وهادي





ترى أيهما كان يوصي الآخر؟...وبم كان يوصيه؟



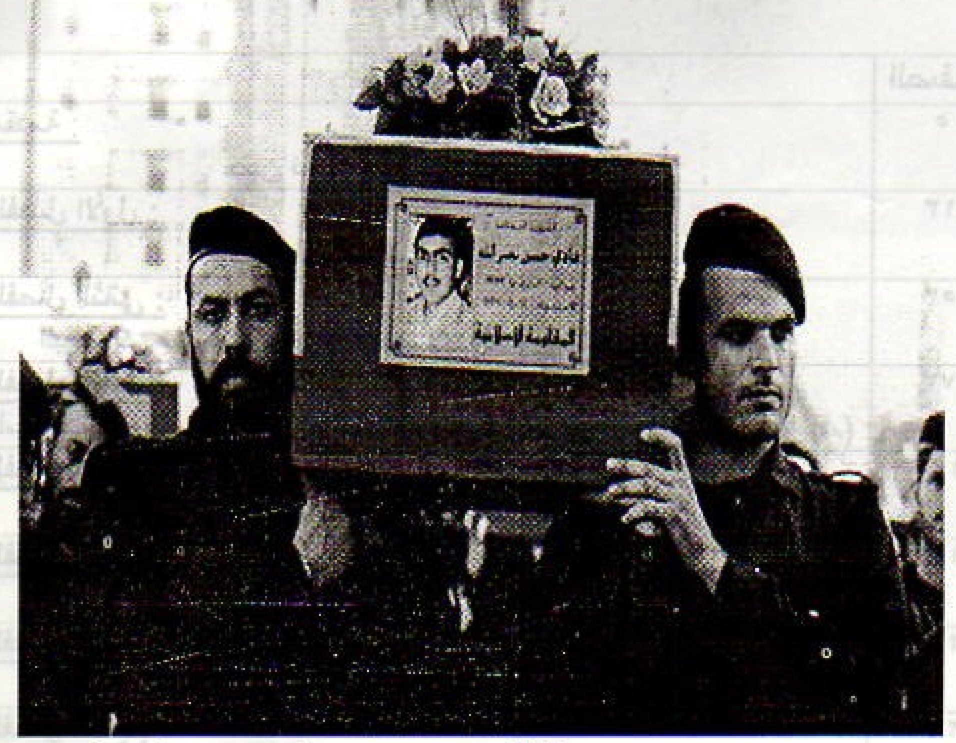
حتى يقال إذا مروا على جدثي..يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

يا نفس هذا حمام الموت قد صليتِ
إن تفعلي فعل هادٍ هُديـــــــــــتِ

إني أراك نذرت نفس للمحـــن ....وزهدت في
دنيا الثعالب والكلاب
وعشقت رمسا يحتويك بلا كفن ......فرجوت
ربي أن تكون على صواب



إن تصبري يا نفس حقا ترفعي
في جنة الرحمن خير المرتـع
إن الحياة وإن تطل يأت النعي
فإلى الزوال مآلها لا تطمعـي
إلا بنيـل شهادة فتشفعـي



.......................القدس تصرخ تستغيثك

فاسمعي..........

.......................والجنب مني بات يجفو

مضجعي............

.....................فالموت خير من حياة

الخنــع.............

......................ولذا فشــدي همتي

وتشجعي...........